

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع

العنف ضد الأطفال في الوسط الأسري

الأبعاد الاجتماعية و الثقافية

دراسة ميدانية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم

في علم الاجتماع الثقافي

إشراف الأستاذ:

عبد الغني مغربي

إعداد الطالب:

حسان عربادي

السنة الجامعية: 2018/2017.

كلمة شكر

أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ عبد الغني مغربي، على قبوله الإشراف على هذا العمل، و على عدم تخليّيه، و صبره معنا إلى آخر لحظة من إنجازهِ، و هذا ليس بالغريب على رجل كثير ما أعطانا دروسا في الحياة، إلى جانب دروسه في علم الاجتماع بجامعة الجزائر 2.

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذ لويس كيري (Louis Quéré) الذي قبل بكل سرور حضورنا لحقاته الدراسية، و أفادنا كثيرا أثناء تكويننا الإقامي بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية (EHESS) باريس.

الشكر أيضا لكل من شجّعنا، أو ساندنا معنويا، أو تمنّى لنا النجاح، من الأهل و الأصدقاء و الزملاء.

فهرس المواضيع

1	مقدمة عامة.
8	1- الإشكالية.
10	2- الفرضيات.
14	3- الاختيارات المنهجية.
	الباب الأول: الجانب النظري.
19	الفصل الأول: حول مفهوم العنف.
20	- تمهيد.
24	1- مفهوم العنف.
35	2- أنماط العنف و أشكاله.
44	3- هل يمكن إلغاء العنف؟
56	الفصل الثاني: حال البحث حول موضوع العنف.
57	- تمهيد.
62	أولاً: أنواع الدراسات حول موضوع العنف.
62	1- الدراسات الوبائية الاستشفائية.
64	2- الدراسات الإمبريقية.
66	3- الدراسات الميكروسوسولوجية.
68	4- الدراسات الوصفية.
72	5- الدراسات التجريبية.
75	ثانياً: العنف الموضوعي و العنف الذاتي، أو ارتفاع العنف أم ارتفاع الشعور بالعنف؟
75	1- ميشال فوكو (Michel Foucault).
77	2- نوربرت إلياس (Norbert Elias).
80	3- لورون موكيلي (Laurent Mucchielli).
82	4- جان كلود شيسني (Jean-Claude Chesnais).
85	5- فيرنر أكرمان (Werner Ackermann).
86	6- سيباستيان روشي (Sébastien Roché).

88	7- إرنست جيلنر (Ernest Gellner).
90	8- فيليب بروتون (Philippe Breton).
93	9- روبرت ميشمبلد (Robert Muchembled).
96	10- ميشال ناسي (Michel Nassiet).
99	الفصل الثالث: العنف في النظرية.
100	1- التصور الإيثولوجي.
108	2- وجهة نظر التحليل النفسي.
118	3- أطروحة روني جيرارد (René Girard).
130	4- المقاربة الوظيفية.
135	5- المقاربة النسقية.
139	6- المقاربة الماركسية.
143	7- نظرية الإحباط و العدوان.
150	8- نظرية التعلم و التنشئة الاجتماعية.
155	9- المقاربة السيكيوبيداغوجية.
158	10- نموذج ميشال فييفيورك (Michel Wieviorka).
164	الفصل الرابع: العنف و الطفولة.
165	- تمهيد.
165	1- إكتشاف الطفل.
173	2- العنف في علاقته بعدم المعرفة بخصائص الطفولة و أساليب التعامل مع الطفل.
178	3- نتائج العنف الممارس على الطفل.
181	4- العنف الممارس من الطفل، أو إعادة إنتاج العنف.
187	5- مكانة الطفل في الإسلام و الموقف من العنف ضده.
	الباب الثاني: الجانب الميداني.
195	الفصل الخامس: وصف العنف المنزلي.
196	1- مفهوم العنف في تصور الأفراد.
197	2- موضوع العنف المنزلي.

198	3- تأثير عامل صغر السن في التعرض للعنف.
201	4- تأثير عامل الجنس في التعرض للعنف و ممارسته.
204	5- الإناث ممارسات للعنف المنزلي.
206	6- أنماط العنف المنزلي و أشكاله.
209	الفصل السادس: اختبار فرضيات البحث.
209	- اختبار الفرضية الأولى.
210	1- التحليل الكمي الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الأولى.
211	1.1- مؤشر الرضا بالوضعية المهنية.
212	2.1- مؤشر الرضا بالدخل.
213	3.1- تقييم المستوى المعيشي للأسرة.
214	4.1- تقييم الوضعية السكنية للأسرة.
217	5.1- تقييم العلاقات الأسرية.
218	6.1- أسباب الغضب المرافق للعنف.
223	2- نتائج اختبار الفرضية الأولى.
226	- اختبار الفرضية الثانية.
227	1- التحليل الكمي الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الثانية.
228	1.1- نماذج السلوك العنيف في الأسرة.
230	2.1- انتقال نماذج العنف بين الآباء و الأبناء.
238	3.1- استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة.
240	4.1- الحوار بين أفراد الأسرة.
241	2- نتائج اختبار الفرضية الثانية.
244	- اختبار الفرضية الثالثة.
245	1- التحليل الكمي الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الثالثة.
246	1.1- تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر.
252	2.1- تصور العنف كنوع من التنشئة على الخشونة لفائدة الطفل.
254	3.1- تصور موقف الإسلام من إجازة العنف في التعامل مع الطفل.

257	4.1- تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل.
261	5.1- تصور موقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الطفل.
264	6.1- تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعامل معه بعنف.
270	7.1- تصور الأفراد للعلاقة والدين/طفل.
274	2- نتائج اختبار الفرضية الثالثة.
279	- اختبار الفرضية الرابعة.
280	1- التحليل الكمي الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الرابعة.
281	1.1- الاستثمار في الطفل.
283	2.1- "الاستثمار في الطفل" من أسباب الغضب المرافق للعنف.
284	3.1- تصور "الاستثمار في الطفل" من أسباب العنف على الطفل.
286	4.1- تصور الطفل كعبء اقتصادي.
288	2- نتائج اختبار الفرضية الرابعة.
290	- اختبار الفرضية الخامسة.
291	1- التحليل الكمي الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الخامسة.
292	1.1- أشكال العقاب المستخدم من الوالدين مع الأطفال.
292	2.1- تصور أحسن طريقة للتدخل في المواقف التربوية مع الطفل.
297	3.1- تصور الأفراد لمستوى معرفة الآباء بالأساليب التربوية الصحيحة.
298	4.1- تصور الأفراد للدور الوالدي.
300	5.1- تصور الضرب كأسلوب ناجح في تربية الطفل.
302	2- نتائج اختبار الفرضية الخامسة.
306	- نتائج البحث.
314	- الاستنتاج العام.
319	- قائمة المراجع.
334	- ملحق 1: جداول إحصائية.
366	- ملحق 2: نموذج الاستمارة.

فهرس الجداول

رقم	عنوان الجدول	الصفحة
1	توزيع العينة حسب فئات السن بدلالة متغير الجنس	334
2	توزيع العينة حسب المستوى التعليمي بدلالة متغير الجنس	334
3	الأكثر تعرضا للعنف من بين الأطفال بدلالة متغير الجنس	335
4	الأكثر ممارسة للعنف من بين الأطفال بدلالة متغير الجنس	335
5	الأكثر ممارسة للعنف على الأطفال من بين الوالدين بدلالة متغير الجنس	336
6	ممارسة العنف بدلالة الجنس	202
7	ممارسة العنف بدلالة الجنس حسب الحالة المدنية	336
8	ممارسة العنف بدلالة المستوى التعليمي	203
9	ممارسة العنف بدلالة المستوى التعليمي حسب الجنس	337
10	تدخل عامل الغضب أثناء ممارسة العنف	207
11	حالة الندم بعد ممارسة العنف	207
12	حالة الندم التي تتبع ممارسة العنف بدلالة تصور العنف كأسلوب للتعامل مع الآخر	337
13	ممارسة العنف المنزلي بدلالة مؤشر الرضا بالوضعية المهنية	211
14	ممارسة العنف المنزلي بدلالة مستوى الرضا بالوضعية المهنية حسب الجنس	338
15	ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الرضا بالدخل	212
16	ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة الرضا بالدخل حسب متغير الجنس	338
17	ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة تقييمهم للمستوى المعيشي للأسرة	213
18	ممارسة العنف المنزلي بدلالة تقييم المستوى المعيشي للأسرة، حسب الجنس	339
19	ممارسة العنف المنزلي بدلالة تقييم الأفراد للوضعية السكنية للأسرة	214
20	ممارسة العنف بدلالة تقييم الوضعية السكنية للأسرة، حسب الجنس	339
21	ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة الشعور بالراحة في المنزل	215
22	ممارسة العنف بدلالة الشعور بالراحة في المنزل، حسب الجنس	340
23	ممارسة العنف المنزلي بدلالة التعرض للضغط و الإزعاج في المنزل	215
24	ممارسة العنف بدلالة التعرض للضغط و الإزعاج في المنزل، حسب الجنس	340

25	217	ممارسة العنف بدلالة تقييم الأفراد للعلاقات الأسرية
26	341	ممارسة العنف بدلالة تقييم العلاقات الأسرية، حسب الجنس
27	219	أسباب الغضب المرافق للعنف
28	341	أسباب الغضب المرافق للعنف بدلالة الجنس
29	342	أسباب العنف ضد الأطفال في تصور الأفراد
30	343	تكرار وقوع شجار بين الأشخاص الراشدين في الأسرة
31	343	تكرار وقوع شجار بين الأطفال في الأسرة
32	229	الشجار بين الأطفال بدلالة الشجار بين الأشخاص الراشدين في الأسرة
33	230	تعرض الأفراد للعنف من طرف الأب و الأم
34	344	تكرار تعرض الأفراد للعنف من الأب و الأم
35	231	تقييم الأفراد لتأثير عنف الأب و الأم من الناحية التربوية
36	344	تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية بدلالة الجنس
37	345	تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية بدلالة المستوى التعليمي
38	233	تعرض المبحوث للعنف من الأب و من الأم، بالنسبة للممارسين للعنف
39	233	تعرض المبحوث للعنف من الأب و من الأم، بالنسبة لغير الممارسين للعنف
40	234	ممارسة العنف بدلالة تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية
41	345	تعرض الأفراد للعنف من قبل المعلمين في المدرسة
42	235	تقييم الأفراد لتأثير عنف المعلم من الناحية التربوية
43	345	تقييم تأثير عنف المعلم من الناحية التربوية بدلالة الجنس
44	346	تقييم تأثير عنف المعلم من الناحية التربوية بدلالة المستوى التعليمي
45	237	ممارسة العنف بدلالة التعرض للعنف في المدرسة
46	238	ممارسة العنف بدلالة تقييم تأثير عنف المعلم من الناحية التربوية
47	346	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة
48	346	استعمال الأب و الأم للضرب في تعاملهم مع الأطفال
49	347	استعمال الأب و الأم للضرب بالنسبة للأفراد الذين يستعملون الضرب
50	347	استعمال الأب و الأم للضرب بالنسبة للأفراد الذين لا يستعملون الضرب

51	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية	348
52	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تقييم تأثير عنف المعلم من الناحية التربوية	348
53	ممارسة العنف المنزلي بدلالة الحوار بين أفراد الأسرة	240
54	ممارسة العنف المنزلي بدلالة حجم الحوار بين أفراد الأسرة	241
55	تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر	349
56	تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر بدلالة الجنس	349
57	تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر بدلالة الحالة المدنية	350
58	تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر بدلالة المستوى التعليمي	350
59	التعرض للعنف خارج الأسرة	351
60	تصور مستقبل المجتمع من حيث حجم العنف	351
61	استعمال العنف في التعامل خارج الأسرة	351
62	تفضيل أساليب أخرى غير العنف في التعامل خارج الأسرة	252
63	ممارسة العنف بدلالة تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر	251
64	استعمال الضرب مع الأطفال بدلالة تصور العنف كأسلوب ناجح مع الآخر	251
65	تصور العنف كنوع من التنشئة على الخشونة لفائدة الطفل بدلالة الجنس	352
66	ممارسة العنف بدلالة تصور العنف كنوع من التنشئة على الخشونة لفائدة الطفل	353
67	تصور موقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل بدلالة الجنس	353
68	تصور موقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل بدلالة الحالة المدنية	354
69	تصور موقف الإسلام من إجازة العنف في التعامل مع الطفل بدلالة المستوى التعليمي	354
70	ممارسة العنف بدلالة تصور موقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل	256
71	استعمال الضرب مع الأطفال بدلالة تصور موقف الإسلام من إجازة العنف مع الطفل	257
72	تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل بدلالة الجنس	355
73	تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل بدلالة المستوى التعليمي	355
74	ممارسة العنف بدلالة تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل	259
75	ممارسة العنف المنزلي بدلالة تصور العنف "نمط سلوك غير مقبول مُتعلم"	260
76	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل	261

77	تصور موقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة الجنس	356
78	تصور موقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة المستوى التعليمي	356
79	ممارسة العنف بدلالة تصور موقف الاسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال	263
80	استعمال الضرب مع الأطفال بدلالة تصور موقف الاسلام من استعمال الضرب مع الأطفال	264
81	تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعامل معه بعنف بدلالة الجنس	357
82	تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعامل معه بعنف بدلالة الحالة المدنية	357
83	تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعامل معه بعنف بدلالة المستوى التعليمي	358
84	ممارسة العنف بدلالة تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يعامله بالعنف	267
85	استعمال الضرب مع الأطفال بدلالة تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يعامله بالعنف	267
86	الموقف من حق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل بدلالة الجنس	358
87	الموقف من حق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل بدلالة الحالة المدنية	359
88	ممارسة العنف بدلالة الموقف من حق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل	268
89	استعمال الضرب مع الأطفال بدلالة الموقف من حق الدولة في التدخل في حال العنف عليهم	269
90	تصور الأفراد للعلاقة والدين/طفل	270
91	ممارسة العنف بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم المسؤولية	271
92	ممارسة العنف المنزلي بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم الطاعة	272
93	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم الطاعة	272
94	ممارسة العنف بدلالة تصور "السلطة و فرض النظام" من أسباب العنف على الأطفال	359
95	استعمال الضرب مع الأطفال بدلالة تصور "السلطة و فرض النظام" من أسباب العنف عليهم	360
96	ممارسة العنف بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم الحوار	360
97	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم الحوار	361
98	ممارسة العنف بدلالة تصور "العوامل المرتبطة بالطفل" من أسباب العنف ضد الأطفال	361
99	تخصيص وقت للاهتمام بالأطفال	362
100	تلقي الأطفال للدعم الدراسي	362
101	ممارسة العنف بدلالة تخصيص وقت للاهتمام بالطفل	281
102	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تخصيص وقت للاهتمام بهم	282

103	ممارسة العنف بدلالة تلقي الطفل للدعم الدراسي	282
104	"الاستثمار في الطفل" من أسباب الغضب بدلالة تخصيص وقت للاهتمام بالطفل	283
105	"الاستثمار في الطفل" من أسباب الغضب المرافق للعنف بدلالة تلقي الطفل للدعم الدراسي	284
106	ممارسة العنف بدلالة تصور "الاستثمار في الطفل" من أسباب العنف على الطفل	284
107	استعمال الضرب مع الأطفال بدلالة تصور "الاستثمار في الطفل" من أسباب العنف عليهم	285
108	تصور الطفل كعبء اقتصادي على الوالدين	362
109	ممارسة العنف بدلالة تصور الطفل كعبء اقتصادي	287
110	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة بدلالة تصور الطفل كعبء اقتصادي	288
111	أشكال العقاب المستخدم من الوالدين مع الأطفال	292
112	تكرار "التعزيز الإيجابي" في تدخلات الأفراد بدلالة المستوى التعليمي	363
113	تكرار "التعزيز السلبي" في تدخلات الأفراد بدلالة المستوى التعليمي	363
114	ممارسة العنف بدلالة تكرار "التعزيز الإيجابي" في تدخلات الأفراد	294
115	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تكرار "التعزيز الإيجابي" في تدخلات الأفراد	295
116	ممارسة العنف بدلالة تكرار "التعزيز السلبي" في تدخلات الأفراد	296
117	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تكرار "التعزيز السلبي" في تدخلات الأفراد	296
118	تصور الأفراد لمستوى معرفة الآباء بالأساليب التربوية الصحيحة	364
119	ممارسة العنف بدلالة اعتبار العقاب من الأساليب التربوية	299
120	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة اعتبار العقاب من الأساليب التربوية	299
121	تصور الضرب كأسلوب ناجح في تربية الطفل	364
122	ممارسة العنف بدلالة تصور الضرب كأسلوب ناجح في تربية الطفل	300
123	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور الضرب كأسلوب ناجح لتربية الطفل	301
124	الموقف من منع استعمال الضرب في المؤسسات التربوية	365
125	ممارسة العنف بدلالة الموقف من منع استعمال الضرب في المؤسسة التربوية	301
126	استعمال الضرب مع الأطفال بدلالة الموقف من منع استعمال الضرب في المؤسسات التربوية	302
127	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم المسؤولية	365

مقدمة.

يمثل هذا العمل التقرير النهائي للدراسة الميدانية التي أجريت حول ظاهرة العنف الممارس على الأطفال في الوسط الأسري، في إطار التحضير لنيل شهادة دكتوراه العلوم. ضم التقرير عرضا للموضوع، في مقدمة عامة تطرقنا فيها إلى أهمية الظاهرة، هذه الأهمية التي تمثل واحدا من الدوافع لاختيارها كموضوع بحث، بالنظر إلى انتشارها و "خطورتها" التي تظهر في انعكاساتها على الفرد و المجتمع على حد سواء، و بالنظر أيضا إلى الأبعاد المختلفة و المتعددة للظاهرة، بحيث يمكن أن نفترض أن فهم العنف و تفسيره من شأنه أن يسهل فهم و تفسير كثير من المواضيع و الظواهر الاجتماعية و الثقافية في مجتمعتنا. كما تطرقنا فيها أيضا إلى جانب من صعوبات البحث في موضوع العنف، و إلى عرض للاختيارات المنهجية التي تم اعتمادها للاقترب الميداني من الظاهرة.

توقفنا من الجانب النظري للموضوع فقط عند الأفكار و الإشكاليات المرتبطة مباشرة بمفهوم العنف عامة، و العنف ضد الأطفال، المفاهيم الأخرى من مثل مفهوم الأسرة، و التنشئة الاجتماعية، بالرغم من اعتبارها جزءا من الموضوع، لم تُخصَّص لها فصولا خاصة بها، و اكتفينا منها بالإشارة إلى ما له علاقة مباشرة بالعنف في الفصول التي اعتمدناها، و ذلك تجنبنا للحشو، و تفاديا للاستغراق في العموميات بدلا من التطرق مباشرة للموضوع و التعمق فيه، فكانت الفصول النظرية أربعة كما يلي: مفهوم العنف؛ حال البحث حول موضوع العنف؛ العنف في النظرية؛ العنف و الطفولة، و يضم كل منها أهم الأفكار المثارة للنقاش حول ظاهرة العنف عامة، و التي تمكَّنّا من الاطلاع عليها من خلال القراءات حول الموضوع. و بالرغم من ثراء الأفكار فضلنا عدم الإكثار من العناوين الثانوية، و قد حاولنا عرض و مناقشة هذه الأفكار مع الإسقاطات على واقع المجتمع بالإضافة إلى الاقتباسات، التي هي اقتباسات للمعنى و للأفكار أكثر منها اقتباسات للعبارات، و ذلك للضرورة التي تفرضها الترجمة.

و قد عرضنا العمل الميداني في فصلين، فصل لوصف العنف المنزلي، و فصل لاختبار فرضيات البحث، ثم في الأخير نتائج البحث، و استنتاج عام.

هذا العمل هو امتداد للعمل الذي كان أنجز في نفس مجال البحث أثناء التحضير لشهادة الماجستير، الأمر الذي سهّل العمل من جهة، بالنظر إلى المعارف المكتسبة حول الموضوع، لكن مثل صعوبة كبيرة جدا من جهة أخرى، من حيث التعمّق في البحث و تجاوز ما كان أنجز قبلا، خاصة بالنظر إلى قلة الدراسات العلمية حول الموضوع في المجتمع الجزائري، فيجد الباحث نفسه مجبرا على الإجابة بنفسه عن كل الأسئلة المتعلقة بالجوانب المختلفة للظاهرة، لأنه لا يجد من الدراسات ما من شأنه أن يسهّل عليه العمل و يسمح له بالتركيز على الجانب المحدّد من موضوع دراسته في إطار تخصصه، ماذا نعرف مثلا عن الجانب التاريخي للظاهرة: وضعية الطفل في المجتمع الجزائري في علاقته بموضوع العنف المنزلي؟ موضوع العنف عامة لم يزد في السنوات الأخيرة إلا أهمية، و ذلك بالنظر إلى التغيرات الحاصلة على المستوى الكمي و الكيفي للظاهرة، و انتشار هذه الأخيرة انتشارا لا يستثنى أيّا من الأنساق الاجتماعية، في مجتمعات مختلفة من حيث موقعها الجغرافي، و فضاؤها الثقافي المنتمية إليه، و شكل تنظيمها السياسي، و مستوى تقدمها المادي و الاقتصادي، و درجة رقيّها الحضاري و الأخلاقي، و هو ما يؤكد عموم وجود العنف و امتزاجه بالإنسان و بالحياة البشرية.

و إذا كان صحيحا، على حد تعبير ييفس ميشو، أننا نكتشف دائما العنف كشيء يصدّم الرأي العام و لم يسبق له مثيل، لسبب بسيط و هو أننا نعيش حياتنا نحن و ليس حياة الغير، و لأن هذا العنف يحدث لنا نحن و ليس لشخص متفرج يخلّق فوق التاريخ قد يكون رأى مثل هذا العنف، بمعنى أنّ ظهور العنف يبدو دائما ككارثة توحى بنهاية العالم في حالة من السّلم تقاس مدتها بتجربتنا نحن¹، إذا كان هذا صحيحا، فإنّ المكان الذي يحتلّه العنف تحت جميع أشكاله الآن كموضوع، لم يكن أبدا بهذه الأهمية، إنه يبدو كأنّه الانشغال الرئيسي للبشرية، إنه يُعاش كقدّر محتوم، يؤدي بالمرّة إلى قبوله و

¹ - Yves Michaud. Changements dans la violence, essai sur la bienveillance universelle et la peur. Odile Jacob, Paris, 2002, p.09.

الخضوع للنظام الاجتماعي القائم، و إلى جذب و إبحار الجماهير التي تتمتع بمشاهدته.¹ بالرغم من ذلك فإنّ هذه الأهمية لا يقابلها في المجتمع الجزائري ما يعادلها من اهتمام، على صعيد البحث العلمي خاصة، مقارنة بمجتمعات أخرى.

و إذا كان التغير الحاصل على المستوى الكمي، الموصوف في الغالب بالارتفاع المتزايد، لا يمثل موضوع إجماع الباحثين، فإن جانب التطور الكيفي في ظاهرة العنف يبدو مؤكداً إذا أخذنا بالاعتبار البشاعة و الممجية التي يتّصف بها العنف في بعض حالاته، و إن بدا هذا المعطى ليس جديداً تماماً أيضاً في حال امتدّت تأملاتنا إلى مجتمعات الأزمنة الغابرة، فهو على الأقل جديد بالنسبة للعقود الأخيرة، و التي كان أغلب ظنّ الناس فيها أنّنا نسير نحو مجتمعات أكثر سلمية، و هو ما يبدو الآن مجرد فكرة واهية، إذ بالرغم من الاتفاق حول خطورة العنف و نتائجه السلبية، و بالرغم من انخفاض عتبة الشعور بالعنف لدى الأفراد، إذا كان هذا صحيحاً فعلاً لغاية الآن، يبدو ألا شيء يقف أمام استمرار الظاهرة و توسّع انتشارها.

مهما كانت طبيعة التغيرات التي عرفها العنف، بمعنى هل يسير في اتجاه الارتفاع أم الانخفاض، تبقى ظاهرة العنف واحدة من بين الظواهر التي تمثل أهمية كبيرة في مجال العلوم الاجتماعية و الإنسانية، لقيت اهتمام المفكرين و الباحثين، مع أن العنف بالمفهوم العام الذي يشمل أشكالاً متعددة، لم يمثل موضوعاً للبحث إلاّ حديثاً جداً، و تعتقد حتّـه أرندت أنّ قلّة الاهتمام في الماضي بالعنف كموضوع يجد ذاته سببه عموم العنف و اشتراكه بين الأفراد، بحيث ينظر إليه كشيء عادي، و من ثمة إهماله و عدم التساؤل حوله، بالرغم من دوره الكبير في سلوك الناس و قضاياهم، و الذي نلاحظه عند الاهتمام بالتاريخ و السياسة،² و لعلّ السبب الحقيقي وراء تزايد الاهتمام، باعتبار أن العنف لم يزل عاماً و مشتركاً بين الأفراد، هو أولاً تجسّد هذا العنف في شكل ظواهر اجتماعية تستدعي الفهم لغرض التحكّم، و يمكن هنا ذكر العنف المصاحب للاحتجاج و الإضراب ذي الصبغة السياسية و

¹ - Georges Labica. «Pour une théorie de la violence», (<http://www.marxau21.fr/> , consulté le 14/01/2013).

² - Hannah Arendt. Du mensonge à la violence. Calmann-Lévy, 1972, p.119.

العمالية، و الحرب، و التمرد، و الجريمة المنظمة، و الإرهاب، و العنف الأسري، و العنف المدرسي، و العنف على الأطفال، و العنف على المرأة، و حديثا عنف الطريق؛ ثم ثانيا ارتفاع الوعي بالمجتمع و بالفئات الاجتماعية، و من ثمة الوعي بالخطر الذي يمكن للعنف أن يلحقه بهذه الفئات الاجتماعية، و بأمن المجتمع و استقراره، و هو ما ينعكس في زيادة حساسية الأفراد بالعنف، و يدفع للتساؤل عن هذا العنف، و عن أسبابه، و كيفية مواجهته و اتقائه، و إمكانية ذلك فعلا، سواء بدافع محاولة الفهم، أو بقصد التدخل في الواقع.

الخطر إذن أو أثر العنف و نتيجته هو ما يمثل القاسم المشترك بين جميع الأشكال و المظاهر التي يمكن للعنف أن يأخذها في الواقع، و التي تجعلنا نقول أننا بصدد ظاهرة العنف. ذلك أن العنف مفهوم عام، يستعمل للدلالة على مجموعة واسعة جدا من الظواهر التي تتجسد في الواقع، و التي يبدو للوهلة الأولى ألا شيء يبرز جعلها في نفس فئة الظواهر لأن، بتعبير دومناك، عنف الإضراب ليس من نفس طبيعة عنف القنبلة الذرية، و العنف المؤسسي أو البنيوي الذي يتخفى بغطاء الشرعية و يؤثر بحدوء، يختلف كثيرا عن العنف الثوري أو العسكري، و هو ما يستدعي تعريفا دقيقا و إجابات خاصة بكل شكل من الأشكال و بكل مظهر من المظاهر¹، و هذا لا يقلل من أهمية المحاولات التي تسعى لإعطاء تعريف شامل للعنف، كمفهوم نظري بإمكانه استيعاب جميع الأشكال، و الأنماط، و المظاهر، و الأبعاد التي يأخذها هذا الأخير في الواقع الاجتماعي.

لكن مفهوم العنف لا يستعمل فقط للدلالة على مجموعة واسعة جدا من الظواهر، فهو يستعمل أحيانا للدلالة على معاني متباعدة، بل على أي شيء تقريبا، كالتسريح الكثيف للعمال، أو غلبة و تفضيل النجاح الاقتصادي على انسجام العلاقات الإنسانية، كما يمكن أن نقرأ مثلا في مقدمة كتاب ماتيرا² و هو يعدّ مظاهر العنف، هذا الاستخدام المفرط للمفهوم هو من بين الصعوبات في تناول الموضوع.

¹ - Jean-Marie Domenach. «L'Ubiquité de la violence», in: Revue internationale des sciences sociales, La violence, UNESCO, n° : 4, vol : XXX, Paris, 1978, p. 63.

² - Patrick Martin-Mattera et all. Violence et victimation. Coll. Les Savoirs mieux, Presse Universitaire du Septentrion, France, 2011, p. 09.

إنّ التصور المذكور أعلاه، و الذي مفاده أنّ العنف مفهوم عام يمكن أن يأخذ في الواقع أشكالا عديدة خاصة، هو ما سنلتزم به في هذا العمل، بحيث يكون مفهوم العنف هو المدخل الأساسي للبحث، ثم تأتي في مستوى ثاني المفاهيم الأساسية الأخرى كمجالات بحث، و هي أساسا مفهوم الطفولة، و مفهوم الأسرة، و مفهوم التنشئة الاجتماعية، و البعد المادي المعبر عنه بمفهوم الإحباط، فالنظريات التي اعتمدنا عليها هي نظريات للعنف و ليست للحياة الأسرية أو للتربية.

العنف الممارس على الأطفال في الوسط الأسري متعدد الأبعاد، و هو يرتبط بالنظر إلى التأثير المتبادل بين الأسرة و المجتمع، بعوامل أسرية و أخرى مرتبطة بالوسط خارج الأسري، من هذا المنطلق فإن هذا الشكل من العنف يتضح أكثر في تناوله ضمن تصور شامل يأخذ بعين الاعتبار مجموع العوامل الأسرية، و المادية، و الاجتماعية، و الثقافية المرتبطة بالظاهرة.

إنّ اهتمامنا الأول هو العنف، و اختيارنا للوسط الأسري تحديدا و لفئة الأطفال بالذات ناتج عن قناعتنا بأهمية هاذين المفهومين لمن يريد أن يفهم ظاهرة العنف بشكل عام، و الذي يعرف انتشارا و تطورا يمكن ملاحظتهما في المجتمع الجزائري، بشكل خاص بداية بالعنف السياسي في التسعينيات، الذي أخذ منحى خطيرا لم يسبق له مثيل في حياة المجتمع الجزائري، ثم بانتشار الانحراف، و انحراف الأحداث، و الجريمة، و الجريمة المنظمة، في العشرية التي تلت و بعدها و التي سُجّلت فيها حالات من العنف المتراوح بين ذلك المتّصف بدرجة من البشاعة و الاستعراض غير معهودين، كالتنكيل بجثة الضحية، أو حالات تدمير الذات حرقاً، و بين حالات السلوك غير الحضري الذي أصبح يمثل تقريبا الميزة الغالبة على سلوك الأشخاص و يطبع غالب تعاملاتهم اليومية.

يعرف العنف إذا في المجتمع الجزائري انتشارا و تطورا يمكن ملاحظتهما في الحياة اليومية، لكن بعيدا عن الإحصائيات، و بعيدا عمّا أسمىناه التطور الكمي للعنف، كنوع من القطيعة مع ما يتم تناوله في وسائل الإعلام التي تعرّض العنف في اتجاه الارتفاع المتزايد المؤكّد، و هو ما يحتاج إلى إثبات، في غياب المعطيات الإحصائية الدقيقة، و اعتمادا فقط إمّا على ما تقدمه مصالح الشرطة و مصالح الدرك الوطني، في الغالب في شكل أرقام غير منسوبة، و بشكل مجزأ زمنيا لا يسمح بالوصول إلى رؤية شاملة حول الظاهرة، و قد يتعارض أحيانا لعدم تطابق مجال تخصّص و نشاط كلا منهما، و

بشكل لا يمكن من استغلال هذه المعطيات لمن يريد فهم الظاهرة، أو لديه اهتمام تفسيري بها، و يريد مثلا قياس الارتباط بين العنف و المؤشرات المختلفة التي لها علاقة بالعنف، أو اعتمادا على ما يقدمه بعض الناشطين ميدانيا في إطار العمل الجماعي من أرقام غامضة، دون توضيح كيفية الوصول إليها، يتم التصريح بها لوسائل الإعلام- هذه الأخيرة هي نفسها قد تمثل عاملا من عوامل انتشار العنف و تمييعه، إذ تعتمد على المبالغة و التهويل و إثارة الجمهور، همها ضمان المشاهدة- و من ثمة يستمر تناقلها كأرقام صحيحة، و هو ما يؤثر في عملية تشكّل موضوع العنف كمشكل عام. و هذا ما حدث مع موضوع سوء معاملة الأطفال منذ البداية مع ظهور المفهوم في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تم احتزالها في لعبة أعداد، بالمضاربة بأعداد الأطفال المتوفين بسبب الضرب و الجرح من طرف والديهم أو الأشخاص المعتنين بهم، و بالرغم من غياب المعطيات حول كيفية قياس ارتفاع الأرقام المتعلقة بالضرب و الجرح، قامت الصحافة مباشرة بالحديث عن "الارتفاع المساوي"، و حتى فيما بعد، لا ندري إن كان ارتفاع الأرقام نتيجة لارتفاع سوء المعاملة، أو لرصد أحسن لها، أو لتوسع المعنى المقصود بمفهوم سوء المعاملة.¹

إنّ مسألة الأرقام و الاختلاف حولها لا تتعلّق فقط بالاجتماع الجزائري، بل هي إشكالية مطروحة في كل المجتمعات، بما فيها تلك التي تتمتع مؤسساتها المتخصصة بالتحكّم الكبير في الإحصائيات و بإنتاجها و بدوام المتابعة الإحصائية للظواهر كعمل عادي دائم و مستمر يتم تقريبا في كل القطاعات، و ذلك لأن هناك دائما اختلاف بين حجم الظاهرة الحقيقي و ما يتم قياسه منها، أو ما يسمى بالرقم الأسود و المتمثل في حال الجريمة مثلا، في مجموع السلوك و الأفعال المخالفة للقانون و التي لم تتم معالجتها قضائيا، لعدم التبليغ عنها مثلا، و هو أمر يتوقف أيضا على حجم الوسائل و الجهود التي تتركّس لمكافحة العنف و الجريمة، ما يطرح السؤال حول ما إذا كانت الأرقام هي أرقام للعنف و الجريمة أم هي أرقام للتكفّل بالعنف و الجريمة؟ و هل هناك ارتفاع للعنف أم ارتفاع للحديث عن العنف، بفعل الخطاب السياسي حول غياب الأمن، و استقرار هذا الخطاب بفعل التناول

¹ - Ian Hacking. Entre science et réalité : La construction sociale de quoi?, Trad. Baudouin Jurdant, La Découverte, Paris, 2008, pp. 194, 195.

الإعلامي؟ و هل هناك أيضا ارتفاع حقيقي للعنف أم ارتفاع للشعور بالعنف، نتيجة لتغير حساسية الأفراد للعنف، و هو ما يعبر عنه بانخفاض عتبة الشعور بالعنف؟

من جانب آخر، العنف مفهوم ثقافي أكثر منه قانوني، و ذلك معناه أنّ كثيرا من السلوك الذي ينتمي إلى دائرة العنف لا ينتمي بالضرورة إلى دائرة الجريمة، و بالتالي لا يمثل موضوع اهتمام أو تسجيل، و هو الحال بالنسبة إلى الشكل الخاص من العنف الذي نريده بالدراسة في هذا العمل، و هو واحد من الأشكال التي يأخذها العنف المنزلي، و يتعلق الأمر بالعنف الممارس على الأطفال في الوسط الأسري.

و يذكر ميشمبليد كيف أن العنف بصفته متعدد الأشكال لا يمكن أبدا حصره بالوثائق الرسمية، ذلك أن المظاهر الأكثر خفة للعنف، كالسب و التهديد الموجهين لإرهاب شخص ما أثناء الحوار، و الضرب الذي لا يترك أثرا، أو بصفة خاصة العنف بين أفراد الأسرة، تفلت في الغالب من التسجيل، و هو ما جعله يعتبر، في محاولته التأريخ للعنف، بالرغم من اهتمامه بالعنف القاتل، أنّ ندرة الحالات المسجلة عن العنف الأسري، كما حالات قتل السادة لخدمهم، لا تعكس تماما الحقيقة، لأن حالات العنف كانت منتشرة في إطار الحياة الأسرية، و أن السكوت عنها يترجم قوة الطابوهات و فعالية قانون الصمت داخل هذه الجماعة فيما يتعلق بمسألة العنف. العنف أمر هيّن و معتاد في نظر الجميع، إلّا إذا تم داخل الأسرة فيصبح أمرا لا يمكن الحديث عنه لأنه سيحطم روابط لا يمكن الاستغناء عنها و يجلب العار على كل القاطنين بالمنزل.¹

العنف الذي يتعرض له الطفل في وسطه الأسري ليس الشكل الوحيد للعنف الممارس عليه، فهناك أشكال أخرى منه، أو بعبارة أدق مجالات أخرى للعنف بالإضافة للمجال الأسري، كالعنف في المدارس و رياض الأطفال أو اختصارا المؤسسات التي تنوب عن الأسرة في أداء وظيفتها فيما يتعلق بالتربية و الرعاية، بحكم أنها حاجة أساسية في هذه المرحلة العمرية، لكن عموم العنف على كل هذه المؤسسات يطرح تساؤلات حول علاقة العنف بتصورات الأفراد عامة للتربية و أساليبها، و ما

¹ - Robert Muchembled. Une histoire de la violence : de la fin du Moyen-Age à nos jours. Seuil, 2008, pp. 56, 84.

يمتلكونه فعلا و يتعاملون به من هذه الأساليب. و مع ذلك هناك مجالات ليست ذات علاقة بالتربية، كعمالة الأطفال، و الاستغلال في المتاجرة بالجنس، أو الترويج للمخدرات، و العنف في الشارع، و العنف المرتبط بالانحراف و الجريمة، و هذا ما يطرح تساؤلات من نوع آخر، و هي المتعلقة بالفقر و تدني المستوى المعيشي للأسرة، و بالتفكك الأسري، و بوضعيات الحرب و النزاع، و أخرى متعلقة بالبنية الجسمية و العقلية للطفل التي تجعله هدفا سهلا للعنف، و تساؤلات مرتبطة أكثر بالعنف في شكله السلبي (violence passive)، أو ما يسمى بالإهمال (négligences)، و بالتدخل للتكفل بهذه الفئة و حمايتها. و مع هذا تبقى الأسرة المجال الذي تتم فيه أكثر حالات العنف التي يتعرض لها الطفل.

1- الإشكالية:

يمثل العنف الممارس على الأطفال في الوسط الأسري ظاهرة في غاية التعقيد، أولا لأنه يتم في الغالب في صمت، لكونه يمارس في إطار الأسرة، و من غير السهل كشفه، إلا إذا استدعت نتائجه المباشرة تدخل مصالح الطب الشرعي أو الشرطة، ثانيا لأنه يتعلق بفئة الأطفال، و هي فئة قاصرة، غير قادرة على المواجهة أو التبليغ، فقد يكون الطفل غير واع أصلا بمخالفة سلوك ما للقانون، لأن ببساطة كل ما يعيشه الطفل إلى سن معين، في إطار أسرته يعتبره الشكل العادي أو الطبيعي للحياة الأسرية، ثم لكون العنف يمارس من طرف من يفترض أنهم يمثلون المسؤولية على الطفل و القائمين على مصالحه و رعايته و الاعتناء به.

العنف إذا لا يمارس فقط خارج الأسرة، بل أيضا بين أفراد الأسرة الواحدة، هذه المؤسسة الهامة بالنظر إلى وظيفتها في إشباع الحاجات الأساسية للفرد، و تنشئته الاجتماعية التي تسمح له بالاندماج بكيفية إيجابية في المجتمع الواسع، و هي وظيفة تزداد أهميتها، بإجماع المفكرين، إذا تعلق الأمر بمرحلة الطفولة حيث يكون الفرد أكثر اعتمادا على أعضاء أسرته، و أكثر قابلية لتلقي تأثير عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية، و من ثمة يكون العنف ضد الأطفال أحد أهم الأشكال التي يأخذها العنف، إذ قد يؤدي إلى إعادة الإنتاج الدائم للعنف.

و يكون هذا العنف موجهًا غالبًا من طرف الأفراد الراشدين المقيمين مع الطفل في نفس المنزل: الأب، و الأم، و الإخوة و الأخوات، أي الأفراد المسؤولين عن تربيته و رعايته، و ذوي دلالة في عملية تنشئته الاجتماعية، و إذا اعتبرنا الآثار و النتائج السلبية التي يمكن للعنف أن يتركها على مسار تطوّر الطفل، فإنّ هذا العنف يصبح في نظرنا مناقضًا لما يُتوقع اجتماعيًا من هؤلاء الأفراد، و هو ما يدفعنا للتساؤل عن الأسباب التي تؤدي إليه؟

العنف السلوك الذي يظهر أحيانًا كاستجابة للعوامل و الظروف المتعلقة بالوضع التي يتم فيها، قد يكون نتيجة لما يمكن تسميته بالعنف الاجتماعي، أو البنيوي، أو الثقافي الذي تكرّسه منظومة القيم و التصورات التي تنتظم عليها الحياة الاجتماعية، لذلك يظهر أحيانًا كنمط من العلاقات الأساسية التي تنظم حياة الأفراد.

هل العنف الممارس ضد الأطفال في وسطهم الأسري سلوك غير متحكّم فيه ناتج عن الإحباط الذي يعانيه أفراد الأسرة من جزاء المنع الممارس عليهم في حياتهم اليومية، و الذي يزداد حدّة مع تعقّد الحياة الاقتصادية و الاجتماعية، أم أنّ الأمر يتعلّق بنموذج ثقافي يسمح بالتعبير عن هذا الإحباط في أشكال من العنف، على منوال نماذج السلوك العنيف المعروضة في إطار مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة، و الأسرة بصفة خاصة؟

هل للعنف الممارس على الأطفال في وسطهم الأسري علاقة بالتصورات التي يحملها الأفراد الممارسون للعنف عن العنف نفسه، و عن الطفل، و عن العلاقة بين الطفل و الأشخاص الراشدين في أسرته، و التي هي نتيجة للتنشئة الاجتماعية التي تلقّوها، و التي تجيز استعمال العنف في التعامل مع الطفل؟

هل للعنف الممارس على الطفل علاقة بالمكانة التي يشغلها الطفل في أسرته و بالإخفاق في أداء الأدوار المتوقعة منه من طرف والديه؟

هل هذا العنف نتيجة للتصور الخاطئ الذي يحمله الأفراد عن الأساليب التربوية و استخدام العقاب، و نتيجة عدم معرفتهم بالأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل، و بالخصائص المميّزة لهذه المرحلة من مراحل نمو الفرد؟

2- الفرضيات:

الفرضية العامة: إنّ لتعمّد الحياة الاجتماعية، و ما يعانيه الأفراد نتيجة ذلك من شعور بالحرمان في حياتهم اليومية، كانعكاس للتحوّلات الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية العميقة و السريعة التي عرفها المجتمع الجزائري، تأثير كبير في خلق نوع من الإحباط الثابت نسبيا لدى هؤلاء الأفراد، و الذي يعمل كاستعداد للعنف، الشيء الذي يؤثّر على سلوكهم، بحيث يتجهون إلى تبني العنف و ممارسته كردّ فعل و انعكاس لهذا الإحباط، بتدخل عامل نفسي مهم هو الغضب، و عدم وجود مجال آخر لتصرفه. و في غياب فاعل حقيقي و مسبب معلوم لهذا الحرمان، فإنّ العنف الناتج عن الإحباط المترتب عنه يتحوّل إلى دريئة أخرى، فيظهر أحيانا في شكل عنف لفظي أو جسدي بين الأفراد، كانفجار للغضب لأنفقه الأسباب، و يصبح انتقال الأفراد للفعل العنيف سهلا بتأثير ما نتج عن هذه التحوّلات من إضعاف للرباط الاجتماعي، نتيجة تشويه صورة الآخر، و ما نتج عنها أيضا من تميع للعنف بفعل انتشاره و حدّة الأشكال التي عرفها، و قد يأخذ شكلا خاصا و هو ما يعرف بالعنف المنزلي، أي العنف الممارس بين أفراد الأسرة الواحدة، ليضاف إلى الإحباط الناتج عن الحياة الأسرية نفسها، المادية منها و العلائقية، و التي تتأثّر بشكل مباشر بالتغيرات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية التي تحدث في المجتمع العام، و قد يكون موجها تحديدا ضد الأطفال باعتبارهم فئة قاصرة غير قادرة على الردّ أو التبليغ، و أن العنف عليهم لا يشكّل تهديدا على الفاعل أو على الأسرة. و يصبح هذا العنف أكثر قبولا اجتماعيا بتكيف الأفراد معه، في وجود نماذج من السلوك العنيف كشكل من أشكال التعبير عن الإحباط و الغضب، و يكتسي هذا العنف طابع الشرعيّة إذ يمارس من طرف الوالدين المسؤولين عن تربية أطفالهم و رعايتهم، هذه الشرعية تمنحها الثقافة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد، أولا بما تتضمنه من تصوّرات عن العنف، و عن الطفل في علاقته بوالديه، هذه العلاقة التي تقوم على مفهوم السلطة الوالدية التي تفرض على الطفل الطاعة المطلقة و الخضوع التام لإرادة والديه، وأنّ كلّ خروج عن هذه الطاعة يعتبر خرقا للمعايير الاجتماعية، ثم ثانيا بما تقترحه من أساليب تربوية تعتمد في أساسها على مفهوم التأديب، الذي يأخذ معنى العقاب. إنّ عدم معرفة الوالدين بالأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل يجعلهم أكثر قابليّة لتبني نماذج السلوك العنيف، كأساليب وحيدة يمتلكونها للتدخل في المواقف التربوية المختلفة تجاه أطفالهم و في تعاملهم

معهم. و قد يرتبط اللجوء إلى هذه الأساليب المعتمدة على العنف بالمكانة التي يمثّلها الطفل بالنسبة لوالديه و ما يُتوقع منه من أدوار نتيجة لهذه المكانة، فيكون استعمال العنف من الوالدين هنا لحثّ الطفل أو إكراهه على الالتزام بما يضمن نجاحه و أدائه للأدوار المتوقعة منه، أو نتيجة للإخفاق في أداء هذه الأدوار و للإحباط الذي يعتري الوالدين و خيبة أملهم بالنظر إلى ما يكلفه الاستثمار في الطفل من عناء و جهد و بذل من الوالدين.

الفرضية الأولى: الإحباط الذي يعانيه الآباء نتيجة شعورهم بالحرمان الممارس عليهم في حياتهم اليومية يزيد من احتمال ممارستهم للعنف على أطفالهم.

شرح الفرضية الأولى: مع تعقّد الحياة الاجتماعية و الاقتصادية، يصبح من الصعب على الأفراد تحقيق أهدافهم في الحياة، إنّ منع تحقيق هذه الأهداف أو تعطيلها قد يخلق لدى هؤلاء الأفراد حالة من الإحباط، و هو ما يعتري الفرد من خيبة نتيجة عدم تمكّنه من تحقيق هدفه بالصورة التي توقّعها، أو هو إدراك و شعور الفرد بالحرمان، و هو شعور نسبيّ يتوقف على مستوى طموح الأفراد، و مقارنتهم وضعياتهم بوضعيات آخرين من حولهم، و تقديرهم لأحقّيتهم لهذه الأهداف، كما أن التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية التي تحدث في المجتمع بشكل عام تنعكس مباشرة على الحياة الأسرية، في الجانب المادي و العلائقي لأفرادها، و هو ما يمثّل مصدر إحباط ثاني يضاف إلى الإحباط الذي يعيشه أفرادها في الوسط خارج الأسري، لذلك نصّفه في هذا البحث بالمنزلي، أو بالاجتماعي إذا كان نتيجة للحرمان المنزلي، أو للحرمان الاجتماعي على التوالي. و نقصد بالحرمان حالة الفرد المعرضة لأهدافه للمنع أو التعطيل، أو هو منع سلوك موجه نحو تحقيق هدف ما، و لا يُشترط في هذا المنع أن يكون كلياً، و منه يمكن إدراج كل أشكال المؤثرات المزعجة و المؤذية التي يمكن أن تعترض الفرد في حياته اليومية، سواء داخل منزله (الحرمان المنزلي)، أو خارجه (الحرمان الاجتماعي).

و يزيد احتمال ممارسة العنف بتدخل عامل نفسي مهم و هو الغضب، و هو حالة انفعال يتعسّر فيها على الفرد ضبط سلوكه، أو هو استعداد نفسي لممارسة العنف. هذا الانعكاس الانفعالي هو

أحد النتائج المحتملة للإحباط، و نميز بين الغضب الانفعال و التعبير عن الغضب، الذي نعتبره سلوكا متعلما و نتيجة للتنشئة الاجتماعية التي لا تحفز الأفراد على ضبط انفعالاتهم و التحكم في سلوكهم.

في غياب فاعل حقيقي للمنع المتسبب في حالة الإحباط التي يعيشها الفرد، و في غياب مجال لتصريف الانفعال الناتج عنها، فإنّ العنف يتحوّل ليكون موجهها ضد دريئة أخرى، قد تكون الأطفال باعتبار أنّهم غير قادرين على الردّ، و أن العنف عليهم لا يشكّل تهديدا على الفاعل أو على الأسرة، أو لأنّ العنف عليهم أكثر قبولا اجتماعيا.

الفرضية الثانية: العنف الممارس على الأطفال من طرف آبائهم هو نمط سلوك متعلّم و مُعاد إنتاجه في إطار نموذج ثقافي يعرض العنف كأداة للتعامل مع الطفل.

شرح الفرضية الثانية: تعمل التنشئة الاجتماعية، التي هي في جزء منها عملية يتعلّم بها الفرد نماذج السلوك السائدة في إطار أوساطه الاجتماعية، على نشر و تكريس العنف الممارس على الأطفال من طرف آبائهم، و ذلك من خلال الأساليب التي تقترحها للتعامل مع الطفل، و التي تقوم على أساس استخدام القوة و الإكراه، بدلا من الحوار و الكلمة، و على الاعتماد على العقاب إذا تعلّق الأمر بمسائل التربية و التأديب، و هي نماذج تتضمنها كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية، و منها الأسرة حيث تنتقل هذه النماذج عن طريق التعلّم بالملاحظة من الآباء إلى الأبناء.

الفرضية الثالثة: العنف الممارس على الأطفال من طرف آبائهم هو نتيجة للتصورات التي يحملها هؤلاء عن العنف، و عن الطفل في علاقته بوالديه.

شرح الفرضية الثالثة: تعمل القيم و التصورات السائدة و المكرّسة و المتناقلة بين الأفراد داخل نفس الثقافة على إضفاء نوع من الشرعية على العنف الممارس على الأطفال من طرف آبائهم، و ذلك من خلال عرضها لهذا العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الطفل، و مع الآخر عامّة، و من خلال الأفكار التي يتضمنها الخطاب عن الطفل في علاقته بوالديه، هذه العلاقة التي تقوم على مفهوم السلطة الوالدية، بدلا من المسؤولية الوالدية، و على تبعيّة الطفل لهذه السلطة، التي تملّي عليه الخضوع التام و الطاعة المطلقة، وتعرّضه للعنف و العقاب في حال الخروج عن هذه السلطة، هذا الخطاب

يعزّز في الغالب باللّجوء إلى كل ما من شأنه تأكيد و تكريس هذه التصورات، كالنصّ الديني مثلا، أو عرض صورة لماض أحسن في وجود الشدّة و العقاب، هذه الصورة تتعزّز أكثر بفعل الخطاب الموحي بالكارثة و أيضا بفعل تزايد الجريمة و العنف، أو تزايد الشعور بانتشارهما، و الحديث عن هذا التزايد على أنه نتيجة لغياب العقاب و الشدة.

الفرضية الرابعة: عنف الآباء على أطفالهم هو نتيجة للمكانة التي يمثّلها الطفل في الأسرة و للإخفاق في أداء الأدوار المتوقّعة منه.

شرح الفرضية الرابعة: يرتبط استعمال الأساليب المعتمدة على العنف بالمكانة التي يمثّلها الطفل في الأسرة حديثا، و المتميزة بطول مرحلة الطفولة، و ارتباط هذه المرحلة بالتعليم المدرسي، و تصور رعاية و اهتمام أفضل بالطفل، و ما يُعلّق على الطفل من آمال و ما يُتوقع منه نتيجة لهذه المكانة من أدوار تجعل من هذا الأخير مركز اهتمام الوالدين الذين يكرسون حياتهم لأطفالهم، لرعايتهم و تربيتهم و تعليمهم، كوظيفة أساسية تقتصر عليهم دون غيرهم، عكس ما كان عليه الحال مثلا في الماضي في الأسرة التقليدية الممتدة، استعمال العنف من الوالدين هنا يمكن أن يجسّد الشدة و القسوة التي يبيدها الوالدون لحثّ الطفل أو إكراهه على الالتزام بما يضمن نجاحه و أدائه للأدوار المتوقعة منه، كما يمكن أن يكون نتيجة للإخفاق في أداء هذه الأدوار و لخيبة أمل الوالدين و للاحباط الذي يعترّهم نتيجة هذا الإخفاق، خاصة بالنظر إلى ما يكلفه الاستثمار في الطفل من عناء و جهد و بذل من الوالدين.

الفرضية الخامسة: عدم معرفة الآباء بالأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل يجعلهم أكثر قبولاً لتبنيّ نماذج السلوك العنيف في تعاملهم مع أطفالهم.

شرح الفرضية الخامسة: إنّ نماذج السلوك العنيف المعروضة عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة، الأسرة خاصة، في إطار التصوّرات الخاطئة التي تقدّمها هذه المؤسسات عن تربية الطفل و التعامل معه، و عن العنف و استخدام العقاب في التربية، تكون أكثر اعتمادا من طرف الآباء، كأساليب وحيدة يمتلكونها، في غياب معرفتهم بالخصائص النفسية المميّزة للطفولة، و بالحاجات الأساسية للطفل، و بالأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع أطفالهم، و رعايتهم و الاعتناء بهم في كل مرحلة من مراحلها.

نقصد بالعنف كل سلوك يعتمد على الشدة أو الإكراه، و يمكن أن يلحق ضررا بالآخر موضوع العنف، سواء على المستوى الجسمي أو النفسي. و في هذا البحث نعتبر عنفا كلا من السلوك التالي: الضرب، و العقاب البدني، و التهديد، و التوبيخ، و السب و الشتم، و الصراخ و إبداء الغضب، و البصق، و التخويف، و الدعاء بالسوء، و لا نأخذ في الاعتبار إن كان قصد الفاعل من أي من السلوك المذكور التربية و التأديب، أو الجرح و التشفي و الانتقام.

و نقصد بالطفل، أو الأطفال، كلا من الذكور و الإناث الذين تقل أعمارهم عن ثمانية عشر عاما، ولا نشترط في دراستنا للأطفال كموضوع للعنف الممارس عليهم في وسطهم الأسري، أن يكونوا هم أبناء أو بنات الفرد الفاعل للعنف، بل الأطفال الأقرباء المقيمين في نفس المنزل مع الفرد المستجوب، فقد تكون علاقة القرابة هي علاقة بنوة، أو أخوة، أو أبناء الأخ و أبناء الأخت و بناتهما.

استخدمنا في صياغة فرضيات البحث مصطلح الآباء للدلالة على الأفراد الذين يمكن أن يكونوا ممارسين للعنف على الأطفال في وسطهم الأسري، و يشتمل هذا المصطلح بالإضافة إلى الوالدين، على الأفراد الراشدين المقيمين مع الطفل في نفس المنزل: الإخوة، و الأخوات مثلا، باعتبار أن العنف لا يمارس فقط من طرف الوالدين المسؤولين الأولين مباشرة عن أطفالهما.

و نقصد بالوسط الأسري، بالإضافة إلى المجال المادي أو الفضاء الذي يمثل المنزل، مجموع التفاعلات التي تتم بين أفراد الأسرة الواحدة فيما بينهم و من شاركهم هذا المجال من الأقارب، هذه التفاعلات تمتد إلى خارج المجال المادي للمنزل، فتعرض الطفل للعنف من طرف أحد أفراد أسرته في الشارع، خارج المنزل، هو أيضا عنف ممارس في الوسط الأسري، و عنف أحد الأقارب الذي يتقاسم نفس المنزل مع أسرة الطفل، مع الأب و الأم و الإخوة و الأخوات، هو عنف يتم أيضا في الوسط الأسري.

3- الاختيارات المنهجية:

اعتمدنا من حيث نوع المعطيات على مقارنة تهتم بالمعطيات المتعلقة بسلوك الأفراد، و بالأحداث و الوقائع، أو المسماة بالموضوعية، بالإضافة إلى المعطيات الذاتية و المتمثلة في التصورات و الآراء و

الاتجاهات و مستويات الرضا و التقييم. أما فيما يتعلق بطريقة التحليل فقد اعتمدنا أساسا على التحليل الكمي القائم على استخدام الإحصاء الوصفي، أي فرع الإحصاء المهتم بدراسة الخصائص المتعلقة بسلسلة الملاحظات المتوفرة عن عينة البحث: التوزيع حسب الفئات، و الارتباط بين المتغيرات، فالمقاربة كميةً كميّة، تعتمد على تكميم الكيفي، أي تحويل المعطيات الكيفية إلى معطيات كمية، و جعلها بالتالي قابلة للمعالجة الإحصائية، ذلك أننا بصدد دراسة ظاهرة سوسيولوجية كيفية هي العنف و العوامل الاجتماعية و الثقافية المرتبطة به، و كيفية حدوثه، و أشكاله، و أنماطه، يمكن التعبير عنها في مفاهيم سوسيولوجية كيفية أيضا من مثل التنشئة الاجتماعية، و الإحباط، و الأساليب التربوية، و التصورات، و نماذج السلوك، بطريقة كمية تسمح بالمقارنة من عنصر لآخر من مجموع عناصر العينة، هذه المقارنة هي التي تسمح بالتحليل الكمي للمعطيات، بالإضافة إلى التحليل الكيفي للمعطيات المتحصل عليها من الأسئلة المفتوحة التي جعلناها للأفراد لشرح إجاباتهم أو لتبريرها، هذه المعطيات التي خضعت للتفئة و تم استغلالها في قراءة المعطيات الكمية الإحصائية، و في التأويل السوسيولوجي لنتائج اختبار الفرضيات. تم استعمال برنامج SPSS للمعالجة الإحصائية للمعطيات لاستخراج الجداول الإحصائية، التي تمت قراءتها بالاعتماد على النسب المئوية لقياس الفروق بدلالة المتغيرات التي اعتمدناها في البحث، مع الوقوف على اختبار كاي مربع و مستوى الدلالة و قيمة معامل فاي لقياس قوة العلاقة، و التي تم إرفاقها فقط بالجداول التي سجلنا فيها فروقا ذات دلالة إحصائية، بمعنى ارتباط بين المتغير المستقل و المتغير التابع.

يهدف هذا البحث إلى وصف ظاهرة العنف و تفسيرها و فهمها، فالعنف في تصورنا ليس نتيجة للمحددات الاجتماعية فقط، بل أيضا مرتبط بذاتية الأفراد، و هو ما يظهر مثلا في مفهوم الإحباط الذي تم قياسه في مستوى الرضا و التقييم، و بالرغم من أن أسئلة الإشكالية جاءت في شكل أسئلة تفسيرية كبحث عن العلاقة بين متغيرات مستقلة محدّدة من جهة و العنف من جهة أخرى، فإن الإجابة عنها تستدعي أولا إجابات من نوع كيفي لتحديد هذه المتغيرات نفسها، قبل تحديد طبيعة ارتباطها بالعنف: ما هي تصورات الأفراد عن العنف؟ ما هي تصوراتهم عن الطفل، و عن العلاقة طفل/والدين؟ ما هو مستوى معرفة الآباء بالأساليب التربوية و بالدور الوالدي؟ ما هي مكانة الطفل في الأسرة؟ كيف يحدث هذا العنف؟ و ما هي أشكاله؟ إلى غيره من الأسئلة الوصفية، لذلك يظهر

العمل في النهاية بمثابة مونوغرافيا للحياة الأسرية في جانبها المتعلق بالعنف، تصف هذا الأخير و تحاول تفسيره، بمعنى تكشف جملة العوامل المرتبطة به، و تشرح كيفية حدوثه، أو اختصارا تحدد أبعاده الاجتماعية و الثقافية.

اعتمدنا أساسا على تقنية الإستمارة، ضمت أداها 52 سؤالا، موزعة على خمسة محاور كالتالي: محور أول للبيانات الشخصية، و التي نفترض أنها ترتبط بممارسة الأفراد للعنف، و أيضا بالمتغيرات الأخرى المرتبطة بالعنف، وقفنا منها أساسا على تأثير متغير الجنس، و المستوى التعليمي؛ المحور الثاني للأسئلة المتعلقة بالوضع الاقتصادية و الاجتماعية للأسرة، و ذلك من خلال مستوى الرضا، و مستوى التقسيم لكل من الوضعية المهنية، و الدخل و الإمكانيات المادية عامة، و الوضعية السكنية، و المستوى المعيشي للأسرة، و العلاقات الأسرية، و هو المحور الذي تتركز فيه الأسئلة الخاصة بقياس متغير الإحباط في بعده المنزلي و الاجتماعي؛ المحور الثالث تم تخصيصه لموضوع العنف عامة، أو العنف الاجتماعي، ضم أسئلة عن مفهوم العنف في تصور الأفراد، و تصورهم للأسباب التي تؤدي إليه، و تقييمهم له، و عن تجربة الأفراد مع العنف خارج الأسرة؛ المحور الرابع حول العنف الأسري، و فيه أسئلة عن العنف بين أفراد الأسرة، و عن تصور الأفراد لأسباب العنف المنزلي، و تصور تأثيره من الناحية التربوية؛ المحور الخامس حول الأساليب التربوية و الدور الوالدي، و فيه أسئلة متعلقة باستعمال الضرب و أشكال العقاب المستعملة في التعامل مع الطفل، و أسئلة للمعرفة بالأساليب التربوية، و بتصور الأفراد للدور الوالدي، و أسئلة حول الاهتمام بالطفل، و تصور العلاقة بين الوالدين و الطفل. سبعة من مجموع أسئلة الإستمارة هي أسئلة مفتوحة، بالإضافة إلى عدد من الأسئلة الثانوية للشرح أو لتبرير الإجابات، و تفيد هذه الأخيرة في التأويل السوسيولوجي للنتائج المتوصل إليها بالتحليل الكمي، بالإضافة إلى معرفتنا بالمجتمع و قرينا منه، و حجم العمل الاستطلاعي الذي رافق القراءات حول الموضوع، و الموجه بقناعة مفادها أنه على الباحث ألا يهمل أي إمكانية للملاحظة، هذا العمل الاستطلاعي الذي أفاد في بناء الموضوع و التفكير فيه، بفضل الملاحظات الكثيرة من طبيعة إثنوغرافية حول الظاهرة.

تم توزيع الإستمارة على عينة بحث غير احتمالية، منتقاة من مجتمع بحث ممثل في الأشخاص الراشدين الذين يقيمون في أسر تضم على الأقل طفلا واحدا، مع الحرص على أن تضم العينة قدرا من التنوع الموجود للحالات الممكنة في الواقع. تم التركيز في هذا العمل أساسا على تأثير الجنس و المستوى التعليمي للأفراد في قياس كل المؤشرات التي افترضنا أنها ترتبط بممارسة العنف، بلغ حجم العينة النهائي عند الانتهاء من جمع الاستمارات و فحصها 267 فردا، 41,6 بالمائة منهم من الذكور، و 58,4 بالمائة منهم من الإناث، من مستويات تعليمية متباينة، من العزاب و المتزوجين، بوضعيات مهنية متنوعة أيضا، من الممارسين و غير الممارسين للعنف الأسري، لغرض المقارنة. تم انتقاء معظم عناصر العينة من بلدية براقى بالعاصمة، لاعتبار وحيد و هو الانتماء لنفس المكان. تم أولا الاختيار العمدي، بطريقة مقصودة و دون مراعاة تساوي فرص الاختيار بين أفراد مجتمع البحث، للأشخاص الذين نعلم من خلال الحديث معهم حول موضوع البحث، أو من خلال الملاحظة المباشرة، أنهم يمارسون العنف على الأطفال في وسطهم الأسري، اختيار مثل هؤلاء الأفراد في العينة يضمن الحصول على استمارات بمعطيات ذات علاقة بموضوع العنف، في مرحلة ثانية تم اختيار أشخاص بطريقة عرضية، عن طريق المصادفة، دون التأكد المسبق من كونهم يمارسون أو لا يمارسون العنف على الأطفال في وسطهم الأسري، مثل هذه الفئة من الأشخاص تسمح بالحصول على معطيات متنوعة من حيث تكرار ممارسة العنف، كما تسمح بالمقارنة بين الأشخاص الممارسين للعنف و غير الممارسين له، أو الممارسين له بتكرار أقل، مع مراعاة أن تضم العينة عند إتمامها أفرادا مختلفين من حيث المتغيرات المذكورة أعلاه.

الباب الأول: الجانب النظري.

الفصل الأول: حول مفهوم العنف.

- تمهيد.

1- مفهوم العنف.

2- أنماط العنف و أشكاله.

3- هل يمكن إلغاء العنف؟

- تمهيد:

العنف مفهوم عام كثير التداول في الحياة اليومية للأفراد في المجتمعات الحديثة، لزيادة انتشاره، و زيادة شعور الأفراد به، و توسّع المعنى المقصود منه. و إذا كنّا نعتقد أننا نعرف ما هو العنف، لكون هذا التداول لا يشعّرنّا بالحاجة إلى الوقوف على معناه، فإن محاولة تعريفه تضعنا أمام صعوبة كبيرة. ربما ينطبق هذا بدرجة أكثر أو أقل على معظم المفاهيم و الظواهر الاجتماعية، و لكنه مميّز جدا بالنسبة لمفهوم العنف، و ذلك لاعتبارات عديدة سنوضحها في هذا الفصل.

يمثل العنف مجال بحث واسع في العلوم الإنسانية و الاجتماعية و هو واحد من المجالات التي تتعدّد فيها التخصصات حيث يمثّل ملتقى يتقاطع عنده التاريخ، و الأنثروبولوجيا، و الإيثولوجيا البشرية، و علم الاجتماع، و علم النفس، و علم النفس الاجتماعي، و التحليل النفسي، و البيولوجيا، و العلوم القانونية، و هو ما يضعنا بالضرورة أمام مجموعات مختلفة من الظواهر الاجتماعية، من مجالات اجتماعية مختلفة، كأشكال من العنف متميزة عن بعضها البعض، و هو واحد من العوامل لتعدد التعاريف حول مفهوم العنف.

إن هذا التعدد للتخصصات و الاستعمال الموحد للمفهوم من شأنه أن يطرح تساؤلات حول وجود أو عدم وجود رابط مشترك بين مجموعة من الظواهر ليس من السهل أن نجعلها في فئة واحدة (حرب إبادة، و حرب قبلية، و العدوان لدى الحيوان، و الانتحار، و قمع مظاهرة من طرف فرقة شرطة، و شعارات عرقية)، و هذا ما يبيّن أن موضوع العنف واسع و ليس من السهل التحكم فيه، لكن هل يسمح هذا بالذهاب إلى حد القول بأن العنف فئة غير محددة، أو فارغة من أي معنى؟¹

تعدّد التعاريف حول مفهوم العنف يمكن أن يستغلّ لصالح البحث و ذلك بالإمكانية التي يمنحها للإحاطة بالأشكال العديدة التي يأخذها العنف في الواقع، و هو الأمر الذي جعلنا نعرض كل التعاريف التي ستتبع، على اعتبار أن هذه الأشكال المختلفة للعنف مهما بدت بعيدة عن بعضها

¹ - Régis Meyran (Coordonné par). Les mécanismes de la violence : Etat, Institutions, Individus. éd. Sciences Humaines, France, 2006, pp.7-9.

فعند تحليلها إلى أبسط أجزائها نجد أنفسنا أمام عنف شخص على آخر، و أن هذا العنف يحدّد بالضرر أو الضرر المحتمل الذي يلحق بالآخر، و هو المبرّر وراء اعتبارنا أمام نفس الفئة من الظواهر، كما يسمح تعدّد التعاريف أيضا بالإحاطة بجوانب العنف المختلفة، وبأنماط و الأشكال المختلفة للعنف أيضا، فنجد مثلا تلك المهتمة بالعنف الجسدي، و أخرى تهتم بالعنف اللفظي، و ثالثة بالعنف الرمزي، أو العنف البنيوي.

كل محاولة لتحديد مفهوم للعنف تتركز على موقف خاص يتبناه الباحث أو خلفية نظرية معينة، ذلك أن مفهوم العنف يمثل موضوعا لتخصصات علمية مختلفة، و اتجاهات مختلفة أيضا في إطار النظرية الاجتماعية نفسها، إذا فهو يفسّر بعوامل و بمفاهيم مختلفة أيضا، فنجد بعض التعاريف مثلا يركّز أصحابها على فكرة وضعية التفاعل التي يجري فيها العنف، في حين تعاريف أخرى تشير إلى فكرة الغريزة، و هي التعاريف التي يقدّمها المتخصصون في علم النفس و الإيثولوجيا البشرية، التي تفضل استعمال مصطلح العدوان بدلا من العنف، و هو ما جعلنا نتطرق إلى مفهوم العدوان و محاولات التمييز بين المفهومين الذين كثيرا ما يستعملان للدلالة على نفس المعنى، بالإضافة إلى مفهوم الصراع، و مفهوم سوء المعاملة، و للأشكال و الأنماط التي يأخذها العنف، و ذلك بعرضنا لبعض التصنيفات التي رأينا أنها تفيد في شرح المفهوم.

الإنشغال الأساسي بالنسبة للكتاب و الباحثين في ميدان العلوم الاجتماعية هو فهم الظواهر و تفسيرها و بناء النماذج النظرية، لكن الإشكاليات العلمية بعضها عبارة عن بناء علمي لمشكلات إجتماعية على الباحث الإجابة فيها على الطلب الاجتماعي، في هذا السياق فإن الغرض من البحث في العنف و محاولة تفسيره و فهمه كظاهرة اجتماعية و سلوك إنساني هو التحكم فيه أو منعه أو التقليل منه أو إلغاؤه أصلا، و هذا ما جعلنا نتطرق إلى فكرة إمكانية إلغاء العنف، و التي يظهر من خلالها التباين الكبير في مواقف الكتاب و المفكرين و اختلاف تقييمهم للعنف.

يقدم لنا كل من أبر (J. L. Aber) و زيجلر (E. Zigler) ثلاثة أنماط من التعاريف، على أساس القصد، و هي: التعاريف الشرعية أو القانونية، و تستعمل لغرض تحديد الحقوق المتعلقة بأطراف نزاع ما أسري أو غيره؛ التعاريف الاجتماعية، و تُستعمل من أجل مساعدة المعنيين لاتخاذ القرارات في

تدخلاتهم في مجال الحماية الاجتماعية؛ التعاريف التي يستخدمها الباحثون من أجل الفهم و تحديد أسباب و آثار مختلف أنماط العنف، و توضيح المفاهيم، و تطوير نماذج نظرية.¹

و يرى البعض أنه من الحتمي التمييز بين العنف الحقيقي (LES violences réelles) بصيغة الجمع، بمعنى ظاهرة ما بعينها، محددة و مشاهدة غير مجردة، و العنف في صيغة المفرد (LA violence) نفس الكلمة تشير إلى نوعين من الظواهر على مستويين مختلفين: المستوى الحقيقي أو الواقع، أي العنف المحسوس الذي يمارس أو يتم التعرض له، و هو مألوف بالنسبة للإنسان الذي يلاحظه و يعاينه في الواقع المحسوس، و من جهة ثانية المستوى الخيالي أو المخيالي، الموجود على مستوى الفكر. المشاكل التي يطرحها كل من العنف الحقيقي و العنف الخيالي ليست نفسها، الأولى مادية و موضوعية قابلة للقياس، و لو على مستوى تأثيراتها، في حين الثانية تطرح مشاكل مرتبطة بالمعنى و بالدلالة.²

بالعودة إلى المعنى اللغوي باللاتينية أصل الكلمة (vis)، و صيغتها الفعل، فالعنف ليس إلا القوة، فهو تجسيد للطاقة الماكثة في كل كائن و في كل شيء، ليس إلا تفرغ هذه الطاقة من الداخل إلى الخارج. تحرير هذه الطاقة لا يكون إلا بتخطي حاجز ما، لذلك فالعنف يحمل معنى التعدي أيضا، فالمعنى ملوث بالكلمة القريبة من كلمة عنف و هي (viol) التي تعني الاغتصاب، و التعدي، تعدي على القوانين الوضعية، و هو تعريف للجنوح و الجريمة، و لكن أيضا تعدي على القوانين الطبيعية بمعنى الأخلاق، مع كل ما تحمله الكلمة من اتساع، إذا من غموض، لأنها كثيرة لا تعدّ، و متغيرة عبر الأمكنة، و أحيانا متناقضة، و ليست دائما معبر عنها، و لا تقع داخل وعي الأفراد بالضرورة، و ليست دائما معترف بها علنا كقوانين، و هذا بالضبط ما يجعل من الصعب تحديد مفهوم العنف.

¹ - Pierre-André Doudin, Miriam Erkohen-Markus. Violence à l'école, fatalité ou défi ?, coll. : Pratiques Pédagogiques, éd. De Boeck Université, Bruxelles, 2000, p. 20.

² - Martin Dric, Raymond Fichelet, Monique Fichelet. «Si la violence existe, discours du violent», in. Déviance et société. 1977, vol. 1, n°. 3, p. 291. (<http://www.persee.fr>).

العنف بهذا المعنى إذا مفهوم أخلاقي، غير قابل للتعريف في غياب تعريف شامل و ملمّ لمعنى الخير و الشر¹.

بالمعنى الأكثر شيوعاً، العنف يدلّ على السلوك و الأفعال الفيزيقية، إنه يتمثل في استعمال القوة ضد شخص ما مع الأضرار الجسمية التي تنجرّ عن ذلك، هذه القوة تأخذ ميزة العنف بالنسبة لمعايير معينة، المشكل هو أن المعايير أو على الأقل أكثرها تتغير تاريخياً و ثقافياً، هناك إذا وقائع تتفق كلنا على أنها عنيفة، و أخرى تختلف حولها الآراء و الحساسيات. رجال القانون و المشترعون و كل الذين يعملون على تطبيق القانون، بحاجة إلى تعريفات دقيقة لمعالجة الحالات المتنوعة للعنف، لتجريم ما يجب تجريمه، و تحديد العقوبات المناسبة تماماً بالقسط. أغلب حالات المساس بالأشخاص لا تسمى عنفاً، لأن ذلك عام جداً، لذلك يتم التعامل مع الوقائع باستعمال فئات تسمح بالتمييز بين أشكال العنف، و حجم الضرر الناتج عنها، و القصد من وراء الفعل. المقاربة القانونية للعنف تضيفي الدقة، إنها تعتبر العنف مساس بعفاف الأشخاص، عندما يتغير معيار هذا العفاف و يتطور فإن التقدير القانوني يتغير.²

تطوّر المعايير و اختلاف المعنى يُصعّب من عمل المختصين في العلوم الاجتماعية، و هو ما يخلق الرغبة في امتلاك تعريف يسمح بالاقتراب من كل أشكال العنف مهما كانت و مهما كان الحكم الذي نحمله عنها، من هنا الاختيار الغالب لتعريف يتركز على المساس فيزيقياً بالأشخاص، و ممكن أيضاً بالملكات، العنف في هذه الحالة إذا يعتبر كعنف فيزيقي فقط. هذه التعاريف إذا تعتبر فقط العنف القابل للملاحظة، في حين أن للعنف أشكال أخرى ليس من السهل رؤيتها، كما أن آثار العنف أو نتائجه يمكن أن تكون من طبيعة جدّ مختلفة، نفسية و معنوية، و مساس بالانتماءات الثقافية. المسألة وراء كل هذا هي تلك المتعلقة بحدود الشخص، التي لا تحدّد بفردانيته الفيزيقية فقط و تختلف من ثقافة لأخرى. الصعوبة تكمن إذا في أننا إذا أوسعنا مفهوم العنف ليشمل كل الحالات

¹ - Ibid., pp. 293, 294.

² - Yves Michaud. La violence. Coll. Que sais-je ?, 6^e éd. (refondue), Point Delta, Beyrouth, 2010, pp. 03-06.

الممكنة نفقد الموضوعية في الوقت الذي نعتقد أننا نكسبها، لأنه سينتهي بنا الأمر إذا تتبعنا كل مناحي الحياة الاجتماعية و السياسية و كل التأثيرات الممكنة إلى اعتبار أن كل شيء هو عنف.¹

يعرّف جورج لايبكا عن سعة أو شساعة المفهوم، و يتساءل عن الجدوى من دراسة العنف إذا وضعت كل أشكال العنف في نفس الوعاء، و يصرّح بأن العنف بالمفهوم العام الذي يشمل الأشكال المتعددة لا يقابله أي تعريف، و أن المهتمين به أنفسهم يصرّحون بأنهم لا يملكون تعريفا للعنف، و أنهم بالرغم من أعمالهم لم يتمكنوا من تحديد القاسم المشترك بين كل أشكال العنف. امتداد العنف تقريبا غير منته، في حين فهمه تقريبا منعدم.² عمليا هذا لا يعني استحالة البحث، لأن الأمر يتعلق بظاهرة محدّدة يُنظر إليها على أنها عنف لاعتبارات محدّدة و واضحة، و يتمّ قياسها في مؤشرات و ليس على مستوى المفاهيم.

1- مفهوم العنف:

العنف لغة الشدّة و القسوة، ضد الرفق، و يقال عُنْفَ بالرجل و عُنْفَ عليه: لم يرفق به و عامله بشدّة.³

و جاء في قاموس روبرت (Le Robert) أنّ العنف هو أن تتصرف على شخص أو تجعله يتصرف ضد إرادته، باستعمال القوة أو التخويف، و هذا التعريف يشير إلى العنف كسلوك أو فعل، أما العنف كحالة فهو قوة فظة لإخضاع شخص ما، و هو أيضا استعداد طبيعي للتعبير عن الأحاسيس بفظاظة و بقسوة.⁴ يعرض هذا التعريف العنف من حيث هو سلوك و حالة أو استعداد طبيعي، و هو بهذا يشير ضمنا إلى فكرة الغريزة، و هي فكرة رئيسية في النظريات حول مفهوم العنف من حقل علم النفس و الإيثولوجيا البشرية.

¹ - Ibid., pp.06-08.

² - Georges Labica. «Pour une théorie de la violence», Op.cit.

³ - المنجد في اللغة و الأعلام. ط 26، دار المشرق، بيروت، 1975، ص 533.

⁴ - Alain Rey, et collaborateurs. Le Robert, dictionnaire d'aujourd'hui, éd. Les dictionnaires Le Robert, Paris, 1993, p. 1075.

و يعرف العنف في المنظمة العالمية للصحة كاستعمال متعمد أو التهديد بالاستعمال المتعمد للقوة الفيزيكية ضد الذات أو ضد شخص آخر أو ضد جماعة أو مجتمع يؤدي أو من شأنه أن يؤدي إلى صدمة أو وفاة أو ضرر معنوي أو ضرر في النمو أو عجز.¹

في تعريف وولفجانج سوفسكي (Wolfgang Sofsky) جوهر العنف يكمن في التحطيم الجسدي. غلبة الاهتمام بالجانب الفيزيقي في هذا التعريف ترجع للمعنى الإيثولوجي الذي ينسبه للقوة، ثم لأنه الميزة القابلة للملاحظة في العنف.²

العنف حسب كريستيان أوليفييه (Christiane Olivier) هو قوة هدفها حماية حياة الفرد الفاعل للعنف دون مراعاة حياة الآخر، أو على حساب الآخر.³ العنف في هذا التعريف يُنظر إليه كشحنة وكغريزة تترجم في سلوك، و هو موصوف ضمناً بأنه قوة حيوية ضرورية لحياة الفرد، و هي ميزة التعاريف التحليلية النفسية، و أن ترجمة هذه القوة في شكل سلوك عنيف لا يأخذ بالاعتبار الآخر إنما تتم في غياب أو فشل قنوات أخرى سلمية أو سوية. التعريف هذا يعطي أهمية للآخر بالضبط لأنه يعرف العنف بميزته عدم المبالاة بالآخر موضوع العنف و بنتائج العنف عليه. و في تعريف إيمانويل ليفيناس (E. Levinas) العنف هو كل فعل أين نتصرف كما لو أننا وحدنا، كما لو أن بقية العالم وُجد فقط لتلقي أفعالنا، يُعتبر عنفاً إذا كل فعل نتلقاه دون أن نكون مشاركين في إنجازه.⁴

¹ - Christophe Dejours (dir.). Conjurer la violence : Travail, violence et santé. Payot, Paris, 2007, p. 9.

² - Judith Lazar. La violence des jeunes : Comment fabrique-t-on des délinquants ?, Flammarion, France, 2002, pp. 23, 24.

³ - Christiane Olivier. L'Ogre intérieur : De la violence personnelle et familiale. Fayard, 1998, p. 10.

⁴ - Catherine Chalié. Matière : «Emmanuel Levinas», in : Michela Marzano (dir.). Dictionnaire de la violence. P.U.F./Quadrige, Paris, 2011, p. 810.

و تعتبر فرانسواز هيريتي (contrainte) من طبيعة فيزيقية أو نفسية قادر على التسبب في إرعاب، أو إزاحة، أو تعاسة، أو معاناة، أو موت كائن حي؛ كل فعل له كتأثير إرادي أو لإرادي تجريد الآخر من ممتلكاته، أو إلحاق الأذى، أو تخطيط الأشياء المادية.¹

و في تعريف اللجنة الوطنية المهتمة بأسباب العنف و الوقاية منه (National Commission on the Causes and Prevention of violence) التي شُكّلت في منتصف السبعينيات في الولايات المتحدة الأمريكية، العنف سلوك موجه لإلحاق جروح فيزيقية للأفراد أو إلحاق الأذى بالملكية.²

و في تعريف نيبيرج (H. L. Nieburg) العنف فعل مباشر أو غير مباشر موجّه للتضييق، أو لإهانة، أو لإبادة الأشخاص و الممتلكات.³

و بالنسبة لكل من جراهام (H. D. Graham) و روبرت جور (T. R. Gurr) العنف بالمعنى الواسع سلوك يهدف إلى خلق إهانات للأشخاص أو خسائر في الممتلكات، جماعيا أو فرديا، و يمكننا اعتبار أفعال عنف معينة جيدة أو سيئة حسب من يبدأ ضد من. و حسب ميشو يوجد عنف عندما يتصرّف فاعل أو عدّة فاعلين في وضعية تفاعل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، مركّزة أو موزّعة، تمسّ بالآخر أو بالآخرين بدرجات متفاوتة سواء في عفافهم الجسدي أو المعنوي، أو في ممتلكاتهم، أو في مشاركاتهم الرمزية و الثقافية.⁴

¹ - Françoise Héritier. «Réflexions pour nourrir la réflexion», in : Françoise Héritier (Ouvrage collectif). De la violence. O. Jacob, Coll. OPUS, Paris, 1996, p. 17.

² - Bernard Dagenais. Eloge de la violence. Editions de l'Aube, France, 2008, p. 188.

³ - Yves Michaud. La violence. Coll. Que sais-je ?, 3^e éd., P.U.F., France, 1992, p. 7.

⁴ - Ibid., p. 8.

و يعتبر وايرتر (M. C. Whirter) عنفا كل استعمال غير مرخص للقوة، العنف الشرعي يسمى قوة.¹

يركّز كل من تعريف نيبيرج و جراهام و اللجنة الأمريكية المذكورة أعلاه، على الهدف أو موضوع العنف، أي القصد، و هي ميزة التعاريف التي يقدمها أصحاب المدرسة السلوكية الجدد، الذين يميلون إلى استعمال مصطلح العدوان (Agression) بدلا من العنف، و هي تعاريف تفترض وجود موضوع للعنف أو ضحية للسلوك العنيف.

في تصور جان ماري بيجار (Jean-Marie Bigeard) العنف يكمن تماما في قصد إيجاد ضحية، و من باب أولى تحقّق هذا القصد، و على الرغم من أن هذه الرغبة العدائية يمكن أن تُضبط و يتم التحكم فيها من طرف صاحبها، أو أن تكون فقط لفظية، أو أن تظهر فقط على مستوى الإشارة بحركات الجسم، أو أن تبقى على مستوى المشاعر، أو أن تتحول على الشخص نفسه، فإن النزعة العدائية التي تحتوي على الرغبة في إيجاد ضحية تبقى حاضرة.² العنف هنا يُنظر إليه كغريزة موت، و كغريزة للتخطيط، أو ما يسمّى العنف الحاقق، و هو لا ينطبق على العنف الأداة الذي يُقصد به تحقيق أهداف مادية دون قصد إلحاق الأذى بالآخر.

و يتضمن تعريف جراهام زيادة على ذلك فكرة إمكانية تقييم العنف، حسب من يبدأ ضد من، و هي فكرة محورية في بعض الاتجاهات النظرية التي ترى في العنف قوة محرّكة في المجتمع، أو وسيلة للحفاظ على توازنه البنائي الوظيفي، فكرة تقترب من تلك التي يتضمّن تعريف وايرتر، و هي وجهة النظر الشرعية أو القانونية، فالعنف الشرعي حسب هذا الأخير يسمى قوّة.

و يشير تعريف ميشو إلى وضعية التفاعل التي تتميز بالعنف، و يمكن وصفه بالتفاعلي، بمعنى يهتم بالفاعل، و السلوك العنيف، و آثار هذا السلوك على الآخر موضوع العنف، و هو يأخذ في الاعتبار

¹ - E. James Anthony, Colette Chilard. Le Développement en péril, série : l'Enfant dans sa famille, 1 éd., P.U.F, Paris, 1992, p. 559.

² - Bernard Dagenais. Op.cit., p. 188.

إلى جانب الآثار الجسدية للعنف، الجانب المعنوي و الرمزي، هذا الأخير الذي يشير إليه تعريف ماكنتزي عندما يأخذ في الاعتبار المعاملة و التقليد.

و من التعاريف ما يركز على العلاقات، مثل ذلك تعريف بيير بنجهوزي (P. Benghozi) الذي يعتبر العنف هجوما ضد الرباط (Lien)، أو تعريف جورج جوسدورف (G. Gusdorf) الذي يرى في العنف حالة من عدم الصبر في العلاقة بالآخر، يأتي كإخفاق في الحوار، و استعراض للقوة و إخضاع للآخر بالإكراه، إنه يفترض فقدان التحكم، الذي يظهر في تحرر الانفعالات في شكل صراخ و حركات في كل الاتجاهات، و التي تدلّ على عدم الانضباط و إخفاق كل قواعد السلوك الشخصية، و هو ما يتبعه الندم عن التجاوز المرتكب، و الشعور بالعار للتصرف كالأطفال، إنه إذا عكس القوة، كما في تصور حنه أرندت أيضا العنف هو الضعف و ليس القوة، لأن الطاقة التي يستعملها ليست إلا طاقة اليأس، فالعنيف يترك نفسه ينحرف في نوع من الهروب للأمام، غير قادر على الانتباه للآخر أو لنفسه هو.¹

و يقصد بنجهوزي بالرباط نوعين: روابط البنوة أو النسب (Filiation) و المتمثلة في المستوى العمودي للعلاقات: الأسلاف و الأبناء؛ و روابط الانتماء (Affiliation) و تمثل المستوى الأفقي: العلاقة الزوجية، و كل الروابط التي تحدّد الانتماء إلى جماعة أو مؤسسة أو مجموعة معينة.²

و يعرف دومناك العنف بأنه استعمال قوة خفية أو معلنة لغرض الحصول من شخص ما أو من جماعة ما على ما لا يريدون إعطاءه بإرادتهم و رضاهم.³

بالنسبة لتعريف دومناك العنف يظهر كأداة، و من الأفكار الأساسية فيه فكرة الحرية أو الإرادة، هذه الأخيرة التي يعتبرها طريدة الإنسان، و هو يعتبر العنف سلوكا خاصا بالإنسان لكونه إرادة تريد إرغام

¹ - Christophe Régina. La violence des femmes : Histoire d'un tabou social. éd. Max Milo, Coll. : L'Inconnu, Paris, 2011, p. 30.

² - Abdessalem Yahyaoui, et collaborateurs. La violence : passage à l'acte et situation de rupture. éd. la pensée sauvage, Grenoble, 2000, p. 15.

³ - Jean-Marie Domenach. «L'Ubiquité de la violence», Op.cit., p. 761.

إرادة أخرى، فهو يعتبر أن السرقة مثلا ليست دائما عنفا، في حين الاغتصاب شكل رئيسي صرف للعنف، ذلك أنه حصول بالقوة على ما يفترض في الحالة العادية أن يُتوصل عليه بالرضا و الحب، و هو يشير هنا إلى شكل بل نمط آخر من العنف، إلا أن المثال الذي يعطيه غير مناسب إذا تعلق الأمر بالعنف على الطفل، ذلك أن كثيرا من حالات الاغتصاب التي يتعرض لها الأطفال تكون بالتزام الطفل و دخوله في علاقة مع الشخص المعتصب بإرادته، لأنه لا يملك الوعي الكامل الكافي لإدراكه طبيعة هذه العلاقة و آثارها عليه.

فكرة الإرادة نجدها في تعريف ريجيس ميران حين تعتبر العنف فعل يتمثل في استخدام القوة الجسدية و النفسية بحيث يُكره شخصا ما أو جماعة على التصرف ضد إرادتهم.¹ و هي فكرة تقترب أيضا من فكرة الحرية في تعريف ماكزني (W. J. M. Mackenzie) للعنف حين يعتبره ممارسة قوة فيزيقية تهدف إلى إحداث خسائر للأشخاص أو الممتلكات؛ فعل أو سلوك يحمل هذه الميزة؛ معاملة أو تقليد يميل إلى التسبب في ضرر فيزيقي أو الاعتداء بالقوة على حرية الفرد.² مفردة تقليد هنا فيها إشارة إلى العنف الخفي، البيوي أو الثقافي، المكرس من النظام الاجتماعي.

و في تعريف وزارة التربية لمقاطعة كيبك (Québec) المراد بالعنف استعمال نفوذ أو قوة فيزيقية، أو سيكولوجية، أو أخلاقية، أو اجتماعية، أو متعلقة بنظام التسلسل الهرمي للرتب (hiérarchique)، علانية أو مستترة، تلقائية أو مقصودة، مبررة أو لا، من طرف فرد أو جماعة، عن طريق سلوكياتهم أو بنياتهم التي تؤدي إلى إعاقة أو تخطيط، جزئيا أو كليا، بوسائل فيزيقية، أو سيكولوجية، أو أخلاقية، أو اجتماعية، موضوعا ما، ممتلكات مادية، أو أشخاص، أو رموز، من أجل ضمان الإجابة عن حاجة ما شرعية، أو التجاوب مع هذه الحاجة غير المسددة.³

¹ - Régis Meyran. Op.cit., p. 7.

² - Rasheeduddin Khan. «La violence et le développement socio-économique». in : Revue internationale des sciences sociales, La violence, Op.cit., p. 883.

³ - Pierre-André Doudin, Miriam Erkohen-Markus. Op.cit., p. 130.

بينما يشير علماء الاجتماع إلى العنف كظاهرة خارجة عن الأفراد، نجد علماء النفس يميلون لاستعمال مصطلح العدوان بدلا من العنف، و ذلك للدلالة على أنه غريزة تدخل في تكوين الإنسان، و كثيرا ما يستعمل كلا المصطلحين للدلالة على نفس المعنى، و هو ما نلاحظه مثلا من خلال التعريف الذي تقدمه جرافيتز (M. Grawitz) حول مصطلح العدوان (agression)، حيث تعتبره تجلّي للعدائية أو العدوانية (agressivité)، فالعدوان فعل أو سلوك، في حين العدائية ميل لهذا السلوك. و تعرّف العدائية بأنها ميل إلى الدفاع عن النفس أو تأكيد الذات باستعمال العنف.¹ العدوان و العنف يأخذان هنا نفس المعنى.

بالنسبة للسلوكيين (Béhavioristes)، الذين يعتبرون الأحداث التي تسبق العدوان دون الاهتمام بالقصد، كل سلوك يجرّح أو يلحق أضرارا بالآخر فهو عدوان، كما في تعريف بوس (Buss). و حسب ألبرت باندورا (A. Bandura) العدوان يتمثل في إعطاء منبهات مضرة شديدة تؤدي إلى أضرار جسدية أو معنوية. و من أصحاب المدرسة السلوكية الجديدة نجد دولار (J. Dollard) يعرفه على أنه فعل موجه لجرّح جسم آخر أو بديله. و يعرف بركوفيتز (L. Berkowitz) العدوان على أنه قصد جرّح أو إلحاق الأذى بالآخر. و في تعريف زيلمان (D. Zillman) العدوان هو محاولة جرّح الآخر جسديا.²

و في تعريف هيلجار (E. R. Hilgard) العدوان نشاط يقوم به الفرد لإلحاق الأذى بشخص آخر، إمّا عن طريق الجرح الجسدي، أو عن طريق الاستهزاء و السخرية و الضحك.³ و يعرف فشباك (Feshbach) العدوان بأنه سلوك فيزيقي أو لفظي يهدف إلى جرّح شخص ما.⁴

¹ - Madeleine Grawitz. Lexique des sciences sociales. 6 éd, Dalloz, Paris, 1994, p. 10.

² - Gabriel Moser. L'Agression. Coll. Que sais-je?, 1re éd. P.U.F., Paris, 1987, pp.10, 11.

³ - عبد الرحمن العيسوي. دراسات نفسية ميدانية ، الدار الجامعية، مصر، 1993، ص 162.

⁴ - David G. Myers, Luc Lamarche. Psychologie Sociale. trad. : Rousselle Louise, éd. McGraw-Hill, Montréal, 1992, p. 361.

من التعاريف السابقة للعدوان نلاحظ أنه بالرغم من اختلاف المصطلح فإن المضمون واحد، و ذلك لأنه بمجرد اعتبار العنف السلوك في علاقة بالآخر فإننا نفترض ضمناً فكرة التعدي أو العدوان.

و يشير التعريفان الأخيران إلى الشكل غير الفيزيقي للعنف و هو ما يسمى بالعنف اللفظي، أو النفسي، أو المعنوي، أو الرمزي، و ذلك لأن العنف يمكن أن يأخذ عدّة أشكال.

يطرح فيفيوركا مُشكل العنف الرمزي بسؤاله عن حدود العنف، أين ينتهي العنف؟ إذ أن العنف الفيزيقي يمكن أن يوضع في نفس المجموعة مع العنف الرمزي، الذي يفرض نظاماً ما، أو هيمنة ما، أو ثقافة ما تحكمية دون إلحاق الأذى بعفاف الأشخاص أو الممتلكات. ليس من الممكن فصل العنف الفيزيقي عن الرمزي، ذلك أن عنف ما رمزي يمكن أن يظهر على المستوى الفيزيقي، لاسيما عندما يؤدي على مستوى الضحية إلى اضطرابات نفسية جسدية، أو يدفع به إلى سلوك تحطيم ذاتي، من جهة أخرى العنف الفيزيقي يحمل دائماً معنى ما، و دلالات تضيف عليه بعداً رمزياً، كما هو الحال مع الدولة و احتكارها الشرعي للعنف.¹

و يُعتبر سلوكاً ما عدوانياً من خلال طريقة حكم تتدخل فيها ثلاث نقاط مستقلة و هي: أولاً إثبات وجود ضرر محتمل أو حقيقي للضحية، ثم القصد من طرف الفاعل لإلحاق الضرر، و أن يمكن اعتبار السلوك من طرف الضحية و/أو من طرف شخص ملاحظ على أنه غير ملائم للوضعية، بعبارة أخرى، حتى يوصف سلوك ما بالعدوان يجب أن يشكل انتهاكاً للقاعدة و للمعايير.²

العنف و العدوان، إذا مصطلحين يُستعملان في كثير من الحالات للدلالة على نفس المعنى، و إنّ تفضيل علماء النفس استعمال مصطلح العدائية إنما هو للإشارة إلى غريزة فطرية في الإنسان، و يستعملون مصطلح العدوان للدلالة على السلوك الناتج عن هذه الغريزة، بينما يستعمل علماء الاجتماع مصطلح العنف للدلالة على الجانب الاجتماعي فيه، أو العنف كظاهرة سوسيولوجية تتجاوز الفرد، و للحديث عن عنف المؤسسات.

¹ - Bernard Dagenais. Op.cit., pp. 189,190.

² - Gabriel Moser. Op.cit., p. 11.

و هناك بعضا من المحاولات للتمييز بين هاذين المصطلحين، منها تلك التي يقترحها برجري (J. Bergeret)، الذي يرى أن كثيرا من الكتاب و المؤلفين استعملوا مصطلح العدائية (agressivité) للإشارة إلى ما يعتبره هو عنفا (violence)، و أن الكثير منهم أيضا استعملوا مصطلح العنف للإشارة إلى ما يعتبره أنسب للدلالة على العدائية.¹ و أن هناك خلط و عدم تمييز في استعمال هذين المصطلحين، عنف و عدائية، و ذلك لعدم المعرفة الحقيقية بخصوصية العنف الذي يعتبره طبيعيا، و غريزيا في الإنسان بل ضروري لبقاء الفرد و النوع البشري.²

يرى جان برجري أن كلمة العنف تحتفظ في صيغة المفرد بمعنى الاستعداد الذهني العام، بينما تشير في صيغة الجمع إلى حالات سلوكية يمكن القول عنها أنها عدوانية، لم تُدمج على مستوى العمليات الذهنية للفرد، و هي تخص الأهداف موضوع هذا السلوك و كذا الأفراد الممارسين له على حد سواء.³

يميز برجري بين العنف كاستعداد ذهني و بين العنف كسلوك أو حالات سلوكية يصفها بالعدوانية، و هو يتطرق هنا إلى ما يسميه بالجانب المرضي (Pathologique) للعنف، و يقترح بعض المعالم التي يميز على أساسها بين العنف و العدائية من وجهة نظر تحليلية، و هي التي ذكرناها في عرض التصور التحليلي للعنف.⁴ هذه المعالم نفسها التي يقترحها تبين لنا مدى الخلط الذي نجده في استعمال المصطلحين، نفس المعنى تقريبا الذي يُطلق عليه برجري مصطلح العنف الأساسي يسميه بيير داکو (Pierre Daco) عدوانا، و يصفه بأنه أساسي أيضا. هذا العدوان، الذي يرتبط بالغريزة لدى الإنسان كما لدى الحيوان، في معناه الأساسي يسمح للفرد أو الجسم (Organisme) باستعمال و

¹ - Jean Bergeret. La Violence fondamentale : l'inépuisable Oedipe, Dunod, Paris, 1984, p. 215.

² - Gabriel Moser. Op.cit., p. 9.

³ - Jean Bergeret. La Violence fondamentale. Op.cit., p. 8.

⁴ - Ibid., p. 216-236.

توظيف ما يحيط به لإشباع الحاجات الأساسية لحياته، و يصفه دأكو في حالته هاته بالعادي (normale).¹

و يقدم ساند (E. A. Sand) ملاحظة أخرى في إطار التمييز بين العنف و العدوان، و هي أن العنف يُستعمل للدلالة خاصة على عنف المؤسسات كالمدرسة، و الأسرة، و بشكل خاص العنف الفيزيقي بينما لا تتعلق العدائية بالفعل العدواني نفسه بل بخصائص شخصية يمكن أن تكون أساسا أو منطلقا للفعل العدواني، يتعلق الأمر إذا بميولات أو استعدادات، و هو في هذا يميّز بين العدائية كحالة نفسية، و بين السلوك العدواني الذي يمكن ملاحظته موضوعيا. مصطلح العدوان يرتبط أكثر بالأفراد، لا نتكلم مثلا عن عدائية المؤسسات: عدائية الأسرة أو المدرسة.²

مصطلح العنف يستعمل أكثر للدلالة على الوضعية التي تتميز بوجود سلوك عنيف، أي تتميز بالشدة والقسوة، و إن كان يستعمل أيضا لدى بعض الكتاب للدلالة على السلوك العنيف نفسه، عنف المؤسسات مثلا، إذا قصدنا به السلوك العنيف نفسه، فهو عنف الأفراد المشكّلين لهذه المؤسسات، أو عدوان بعضهم على الآخر، إلا أن استعمال مصطلح العنف يقود إلى الأخذ في الاعتبار الظروف و المعطيات المتعلقة بالمؤسسة نفسها، و الوضعية التي يتم فيها العنف، هذه المعطيات التي هي خارجة عن الأفراد و وعيهم تعمل كمحددات للعنف، و تؤثر فيهم و تجعلهم يسلكون بطرق عنيفة.

و يعتبر بنجهوزي أن الفرق بين العنف و العدائية يكمن في أن العدائية تسجّل في علاقة مع الآخر، بينما تُستعمل كلمة العنف لوصف السلوك نفسه دون الأخذ في الاعتبار الآخر، لهذا نجد مصطلح العدوان يحمل في حدّ ذاته حكما قيميا، في حين نجد مصطلح العنف يستعمل للدلالة على سلوكات قد تكون ذات قيمة إيجابية أو سلبية بالنسبة للأفراد، من مثل حالات الدفاع عن النفس باستخدام العنف، أين يأخذ هذا المصطلح معنى القوة و الشدة، أو معنى المقاومة.

¹ - Pierre Daco. Les prodigieuses victoires de la psychologie. Coll. Marabout Service, éd. Marabout, Belgique, 1973, p. 83.

² - Pierre-André Doudin, Miriam Erkohen-Markus. Op.cit., p. 19.

العدوان إذا يندرج في إطار علاقة بالآخر، إنه بتعبير بنجهوزي مثير للآخر، أو يستدعي الآخر، و هو في هذا يتوافق مع المعنى اللغوي للعدوان في اللغة العربية، الذي هو الظلم، فيقال تعدى عليه أي ظلمه، و تعدى الشيء جاوزه، و العداوة هي الخصومة.¹

بالنسبة للعنف الممارس على الطفل، كثير من الكتاب أعادوا استعمال التعريف المقترح من دافيد فنكلهور (David Finkelhor) و جيل كوربان (Jill Korbin) لتحفيز المقارنات الدولية للإساءة للطفل و الإهمال: معاملات سيئة يتلقاها الطفل ناتجة عن فعل إنساني مستهجن يتم في المحيط المباشر، و يمكن الاحتياط له. التعاريف المختلفة تؤكد على القصد كميزة في هذه الأفعال، بمعنى فعل مقصود، و القرب بين الفاعل الراشد و الطفل الضحية، و أن يُنظر اجتماعيا إلى الفعل المعني بأنه عنيف. العبارة سوء المعاملة (maltraitance)، المستعملة غالبا كمرادف للعنف، تجمع الأشكال التقليدية لهذا الأخير: الفيزيقية، و الجنسية، و النفسية. و يحتوي المفهوم زيادة على هذا حالات الإهمال أو التعدّي سهوا (négligences, abus par omissions)، العنصر المحدد في المفهوم هو كلمة سوء (mal). حقل سوء المعاملة حاليا محدد بتطور القانون، و أن حالة تقدّم المعارف المعترف بها اجتماعيا و بإجماع اجتماعي أكثر توسعا تحدّد عتبة ما هو مقبول من الألم و ما هو غير ذلك.²

الجمعية الأمريكية لمهنيي الطفولة المساء إليها اقترحت تعريفا عاما للأعمال السيئة النفسية على أنها "نموذج سلوك مكرّر من الوالد (أو الراشد المعني بالطفل) أو سلوك معزول لكن مُغالٍ، يُقنع الطفل بأنه بلا قيمة، أو فاشل، أو غير محبوب، أو غير مرغوب، أو في خطر، أو أيضا بأن قيمته الوحيدة تكمن في أنه يُرضي حاجات الآخر.³

¹ - المنجد في اللغة و الأعلام. مرجع سابق، ص 493.

² - Myriam Revault D'Allonnes. Matière : «Mal», in : Michela Marzano (dir.). Op.cit., p. 847.

³ - Paul Durning. Matière : «Maltraitance», in : Michela Marzano. Op.cit., p. 850.

2- أنماط العنف و أشكاله:

محاولات عديدة لتقديم تيبولوجيا أو تصنيفات للعنف و العدوان، بعض هذه المحاولات أصيل و بعضها الآخر محاولات تركيبية أو تجميعية لأعمال الباحثين المتخصصين، بعضها أيضا يريد أن يتميز بالشمولية فيستوعب جميع الأشكال التي يأخذها العنف في الواقع، في حين يركز البعض الآخر على جوانب بعينها و أشكال خاصة تتفرع منها باقي المظاهر التي يأخذها العنف.

يقترح جالتونج (Johan Galtung) تيبولوجيا نسقية و متعددة الأبعاد للعنف، في البداية يميز بين ستة أبعاد مهمة للعنف، و هي:

- حسب ما إذا كان العنف فيزيقي أو سيكولوجي.

- وجود مقارنة سلبية أو إيجابية للعنف.

- وجود أو عدم وجود موضوع مستهدف من هذا العنف.

- وجود أو عدم وجود فاعل لهذا العنف.

- هل العنف مقصود أم لاإرادي.

- هل العنف ظاهر أم خفي.

و ينطلق جالتونج أساسا من نمطين من العنف:

- العنف الشخصي المباشر، أين يوجد فاعل يقوم بالعنف.

- العنف البنوي (v. structurelle)، أو غير المباشر، أين يكون الفاعل غائبا.

و يضيف بأن العنف البنوي يسمى أحيانا الظلم الاجتماعي (injustice sociale) أو الاعدالة الاجتماعية لأنه ملازم للبناء الاجتماعي، و يظهر كسلطة غير متساوية و بالتالي كحالة من اللامساواة في الفرص.

في مرحلة ثانية، يتخلى جالتونج عن فكرة المقاربة السلبية للعنف، و يميز في هذا الصدد بين جانبيين:

- العنف العدائي/ العنف الدفاعي، عنف مقصود/ عنف لا إرادي؛

- عنف داخلي-شخصي (intra-personnelle)، عنف بين الأشخاص (inter-personnelle)، عنف بين المجموعات (inter-groupes) و العنف بين الطبقات هو حالة خاصة منه، عنف بين المجتمعات (inter-sociétés) و العنف بين الدول (inter-nation) حالة خاصة منه.

فيما بعد يحاول جالتونج، وضع تيبولوجيا مركبة تضم أربع مجموعات رئيسية:

- العنف الكلاسيكي المباشر.

- الفقر: استحالة إشباع الحاجات المادية الأساسية.

- القمع (répression): انتهاك حقوق الإنسان.

- الاغتراب (aliénation): استحالة إشباع الحاجات العليا (besoins supérieurs).

ثلاث من بين المجموعات المذكورة توافق العنف البنيوي: الفقر، و القمع، و الاغتراب، و هي كلها مشروطة بالبناء الاجتماعي.

و يرى جالتونج أن الأشكال الثلاثة التالية للعنف المباشر انعكاس للعنف البنيوي:

- عنف عمودي مباشر موجه ضد القمة: العنف الثوري (violence révolutionnaire)؛ كفاح التحرير أو عنف مضاد مباشر (contre-violence directe).

- عنف عمودي مباشر موجه نحو الأسفل: عنف ضد الثورة (v. contre-révolutionnaire)؛ عنف الاضطهاد (violence de l'oppression)، بعبارة أخرى عنف ضد العنف المضاد (contre-contre-violence directe).

- عنف أفقي لا يحدث في الاتجاهين العموديين المذكورين.

و يعرف جالتونج اللامساواة، لاسيما في تقسيم السلطة، على أنها الصيغة العامة وراء العنف البنيوي. و يرى بأنه يتحتم علينا دراسة البناء الاجتماعي، و التراتب الاجتماعي إذا أردنا فهم هذا النمط من العنف، و في هذا الإطار فإن المفاهيم التالية: الفاعل الاجتماعي، و النسق، و المرتبة الاجتماعية أساسية لذلك. و يعطي جالتونج مثالا عن العنف البنيوي، الذي يمكن اعتباره عنفا شخصيا (v. (personnelle) إذا رجعنا إلى أصل تكوينه، المجتمع العنصري الذي يتميز بالاستغلال و اللامساواة.¹

يركز جالتونج إذا على العنف البنيوي، الذي يتناوله أكثر فيما يسمى العنف السياسي، حيث تبدو العلاقة بين السياسة و السلطة و العنف حتمية، و هو ما يعبر عنه ميلز (C. W. Mills) حين يعتبر أن كل سياسة هي كفاح من أجل السلطة، و أن الشكل النهائي للسلطة هو العنف.²

لم يتطرق جالتونج بالتفصيل إلى الأشكال التي يأخذها هذا العنف خارج الإطار السياسي، و الذي أشار إليه بالعنف الأفقي، إذ أن مفهوم العنف البنيوي، و الذي يعمل كدعامة للعنف السلوك الممارس على مستوى الأفراد، ينطبق أيضا على الأسرة كما الأنظمة السياسية، و الاقتصادية، و الثقافية، هذه البنيات المنظمة بحيث تجعل من بعض الأفراد ضحايا لا يتمتعون بمزايا المجتمع، و تجعل منهم أكثر قابلية للمعاناة من البعض الآخر، و هي تحدد أيضا الممارسات المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية، و التي تحت الأفراد على فرض معاناة أو تحمّلها بحسب أدوارهم في المجتمع.³

من جهته يصنّف بوس (Buss) العدوان حسب ثلاثة أبعاد، هي:

- عدوان فيزيقي أو لفظي.

- عدوان فاعل (active) أو غير فاعل (passive).

¹ - Rasheeduddin Khan. Op.cit., pp. 883-886.

² - Ibid., p. 885.

³ - Elise Boulding. «Les femmes et la violence sociale», in: Revue internationale des sciences sociales, Op.cit., p. 848.

- عدوان مباشر أو غير مباشر.

و من تركيب هذه الأبعاد الثلاثة يخلص بوس إلى الأنماط الممكنة للعدوان، و هي ثمانية. و يعطي إضافة إلى التيبولوجيا هاته، الأشكال التي يمكن للعدوان أن يأخذها في الواقع: الضرب و الجرح، ضرب آخر بديل عن الضحية، الشتم و السب، الطعن و القدح، منع الضحية من التصرف، رفض الالتزام بسلوك ما، رفض التكلّم، رفض الموافقة على مسألة ما.¹

و في محاولة أخرى لكل من بوس و فشباك (Feshbach) يقدمان التصنيف التالي:

- العدوان الحاقدي (agression hostile) و هو الناتج عن الغضب، و يشكّل غاية في حدّ ذاته.

- العدوان الأداتي (agression instrumentale) و هو وسيلة من أجل غاية محددة.

- العدوان التعبيري (agression expressive) و هو عدوان أداتي لكن ليس لغاية أو هدف محدّد إلّا التعبير عن وضعيات معينة غير مطابقة. و يمكن لهذه الأنماط الثلاثة أن تكون جسدية أو لفظية.²

و يتكوّن العنف حسب سليمان مظهر، بالاعتماد على ملاحظاته حول المجتمع الجزائري، من أربعة أنواع، نوع تابع للطبيعة، و الثلاثة الأخرى للإنسان، و هي: العنف الاجتماعي، و العنف الجسدي، و العنف المسلّح. و لا يقوم العنف حسب الكاتب إلّا من خلال هذه الأنواع الأربعة، المتسلسلة و المترابطة فيما بينها حسب منطق اجتماعي دقيق يشرحه الكاتب، يسمح لهذا العنف بأداء وظيفته الاجتماعية، و هي مواجهة كل ما يهدّد النظام الاجتماعي، لذلك يصفه الكاتب بأنه عنف مضاد لما يهدّد الكيان الفردي و الجماعي.³

¹ - Gabriel Moser. Op.cit., p. 12.

² - David G. Myers, Luc Lamarche. Op.cit., pp. 361, 362.

³ - سليمان مظهر. نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية. منشورات ثالة، الجزائر، 2010، ص 9-18.

و يميز البعض بين العنف الأداة و العنف العرض:

- العنف الأداة (violence-outil): فعل مختار بمحض إرادة الفاعل كأداة لغرض تحقيق غاية ما، جماعة تقرّر القيام باعتداء ما، أو حكومة تقرّر القيام بحرب.

- العنف العرض (violence-symptôme): فعل دون هدف محدّد، يأتي كإفجار غير متحكّم فيه، أحيانا للتعبير عن ضيق عميق ناتج عن خلل أو إعاقة وظيفية (dysfonctionnement) في المجتمع.¹

و يميّز كوزر (L. Coser) بين ما يسميه صراعات واقعية و صراعات غير واقعية:

- الصراعات الواقعية (réalistes) تكون موجهة نحو الموضوع المتسبّب في المنع و الإحباط، في مثل هذه الصراعات يوجد حلول ممكنة في طريقة تسيير الصراع و في إنجاز و تحقيق النتائج المنشودة.

- الصراعات غير الواقعية (non-réalistes) ليس لها كهدف أن تحقّق نتائج خاصة، فهي غاية في حد ذاتها من حيث أنّها تبحث فقط عن جعل الضغط يختفي، يمكن في هذه الحالة تعويض الخصم بأية درينة أخرى مناسبة، في مثل هذه الحالة لا يمكن للخصوم أن يختاروا إلاّ حلولاً تعويضية.²

و يتكلّم مازنزي عن عنف موضوعي و عنف ذاتي، العنف الموضوعي (objective) هو الجسّد في السلوك العنيف، أما العنف الذاتي (subjective) فهو المتمثل في المشاعر الخلفية للسلوك العنيف، و يتعلق الشكل الأول بوجهة نظر قانونية شرعية، أما الشكل الثاني فيشير إلى العلاقة بين العنف كسلوك و مفهوم الغضب كمفهوم ذاتي. هذا التقسيم لا يقوم على مؤشرات يتضمّننها العنف نفسه،

¹ - Christian Mellon, Jacques Semelin. La non-violence. Coll. Que-sais-je?, P.U.F., France, 1994, p. 16.

² - Jean Etienne, Henri Mendras. Les grands thèmes de la sociologie par les grands sociologues. Armand Colin, Paris, 1999, p. 184.

إنما انطلاقاً من وجهة نظر خارجية بالنسبة للعنف كسلوك، المظهر الأول المتعلق بالقانون يمكن مقارنته من خلال مفهوم الجنوح، كما يفضل ذلك رجال القانون و المحاكم¹.

و من الأنماط التي يقترحها عبد السلام يحياوي في محاولة تصنيف العنف لدى المراهقين، و التي تشمل أيضاً فئات السن الأخرى، ما يلي:

- العنف الأساسي: المصطلح لجان برجوري، و هو عنف من أجل البقاء على قيد الحياة عندما تهدد هذه الأخيرة، و يمكن أن نرى التطبيقات التي يأخذها هذا النوع من العنف في خدمة المحافظة على الذات (autoconservation) في أوضاع الحرب، و الكوارث، و الدفاع المشروع.

- العنف في علاقته بالموضوع: يكون للعنف في هذه الحالة هدف و قصد ضد موضوع العنف (une visée désobjectalisante)، في هذه الحالة لا يُنظر للآخر على أنه مشابه و مماثل و مختلف في آن واحد، لا يوجد إمكانية للتماثل مع الآخر، أو التعاطف معه (Empathie) و الشعور به، و من خصائص هذا النوع من العنف أنه يتطور في مجموعات و يتركز على أفكار و تصورات جمعية (idéaux collectifs) و ذلك للتمكّن من إبعاد الشعور بالندم أو التائب الذي يعتري الفرد عند ممارسته للعنف و هو بمفرده، العنصرية أحد أشكال هذا النمط من العنف².

و يستعمل بورديو (Pierre Bourdieu) مصطلح العنف الرمزي (violence symbolique) للدلالة على الفعل البيداغوجي، من حيث هو موضوعياً فرض و إكراه بقوة تحكيمية لثقافة تحكيمية أيضاً³. الفعل البيداغوجي بالنسبة لبوردديو هو بديل للإكراه الفيزيقي (contrainte physique)،

¹ - W. J. M. Mackenzie. Pouvoir, Violence, Décision. trad. Lévi Angélique, P.U.F., Paris, 1979, p. 132.

² - Abdesslem Yahyaoui, et collaborateurs. Op.cit., p. 10-12.

³ - Pierre Bourdieu, Jean-Claude Passeron. La reproduction : éléments pour une théorie du système d'enseignement. De Minuit, Paris, 1970, p. 19.

الردع الفيزيقي يأتي في الواقع لمعاقبة الإخفاقات في استدخال (interiorisation) الثقافة التحكيمية (arbitraire culture).¹

ويعتبر بورديو أن كلا من الأسرة و المدرسة و وسائل الاتصال الحديثة هي هيئات للعنف الرمزي، و أن العملية التربوية هي عنف رمزي، إذ تعمل على إبقاء الجماعة أو الطبقة الحاكمة المسيطرة في المجتمع، هذه الجماعة التي تعمل من خلال الفعل التربوي على الحفاظ على مكانتها و سيطرتها على الجماعات الأخرى، باعتبار أن الفعل التربوي نفسه هو عملية تكريس لرموز و ثقافة هذه الجماعة أو الطبقة، فهو يتضمن الثقافة الأكثر تعبيرا عن المصالح الموضوعية المادية و الرمزية للجماعة المسيطرة. و هو في هذا لا يتفق مع التعاريف التقليدية للنظام التربوي التي ترى فيه مجموعة الميكانزمات المؤسسية التي تضمن نقل الثقافة أو الميراث الثقافي بين الأجيال، مثل هذه التعاريف يفصل بين إعادة الإنتاج الثقافي، و وظيفته في إعادة الإنتاج الاجتماعي.²

و يميز لورنز (Konrad Lorenz) العدوان بين أفراد من نفس النوع (intraspecific) عن عدوان بين الأنواع (agression interspecific)،³ و هو عدوان خاص بالأنواع الحيوانية، يدخل في إطار الإيثولوجيا و لا تظهر تطبيقاته بوضوح على المجتمعات البشرية إلا إذا عُوِّض مصطلح النوع بمصطلح الثقافة، هنا نكون بصدد عنف بين الثقافات (interculturelle).

و في إطار استغلال المعارف البيولوجية في حقل العلوم الاجتماعية، يقترح لابوريت (Henri Laborit) التصنيف التالي لأشكال العدوان:

- عدائية النشاط (agressivité prédatrice): و هي عدائية خاصة بالأنواع الحيوانية، تظهر في شكل سلوك عدواني نتيجه اختفاء و زوال موضوع العدوان، هذا النوع من العدوان يجيب عن حاجة أساسية هي الجوع، و في الغالب لا يرافقه مشاعر أو انفعالية تتعلق مثلا بالحق أو الغضب. في

¹ - Ibid., p. 51.

² - Ibid., p. 25.

³ - Jean Bergeret. La Violence fondamentale. Op.cit., p. 213.

مجتمعاتنا المعاصرة عدائية النشالة المحفزة بالجوع تعتبر استثنائية، و لا يمكن الخلط بينها و بين سلوك السرقة مثلا، أو الانحراف كسلوك متعلّم ذو أصل سوسيوثقافي.¹

- عدائية المنافسة (agressivité de compétition): في هذا الإطار يمكن إدراج العدائية التي تظهر في الدفاع عن الأرض أو الإقليم (territoire)، و هو ما قد يُطلق عليه غريزة الملكية (instinct de propriété)، لكنّه سلوك مكتسب بالتعلّم و معزّز بالمكافئة التي تترتب عليه، و ليس سلوكا فطريا، إنه ينتج عن المنافسة مع ما هو دخيل من أجل المحافظة على المواضيع، الأشياء أو الأشخاص، المكافئة التي يتضمنها المجال موضوع المنافسة.²

و من بين الأشكال التي يأخذها هذا النوع من العدائية، العدائية بين الذكور التي تتركز على غريزة جنسية تتعلق بالحالة الهرمونية، و مع ذلك فهي تتعلق بالمنافسة، و تحدث فور ما يتدخل فرد آخر من نفس النوع في نفس المجال ليغتصب أو يَحْصِر نفسه وحده بالمواضيع المكافئة (objets gratifiants)، سواء الجنسية أو الأخرى. هذا النوع من العدائية، سواء كانت الدافعية جنسية أو غذائية أو ناتجة عن حاجة مكتسبة بالتعلم، تثير مواقف عدائية أحيانا كافية لجعل المنافس يتراجع، و أحيانا مواقف عراك، و ينتج عن ذلك ترتيب اجتماعي معين، فالمسيطر على الآخر يضمن إشباع حاجاته الأساسية أو المكتسبة قبل المسيطر عليه. و توضح التجربة أن عدائية المنافسة عندما تُتّوج بالنجاح و تسمح بالسيطرة تدخل هي نفسها ضمن السلوك المعزّز بما أنه يُتبع بالمكافئة.³ عدائية المنافسة بين الذكور، و بين الإناث كذلك، تأخذ بالنسبة للجنس البشري حاليا أشكالا أخرى غير سلوك العراك الملاحظ لدى الحيوان، المعركة اليوم أكثر تجريدا مع تطور المعلومة التقنية، إن ما نسميه التعلّم أو التربية يتمثل حسب لابوريت في تلقين الأطفال و المراهقين كيفية الحصول على المعلومات التقنية التي تسمح بالنفوذ و الارتقاء في السُلّم الاجتماعي، و بالتالي السيطرة.

¹ - Jean-Marie Domenach. «L'Ubiquité de la violence», Op.cit., pp. 778, 779.

² - Henri Laborit. La colombe assassinée. 2 éd, Grasset, Paris, 1984, pp. 98-101.

³ - Jean-Marie Domenach. «L'Ubiquité de la violence», Op.cit., p. 780.

يمكن إذا أن نستنتج أن المشاكل المتعلقة بالنمو، و بالإنتاج، و بالتلوث، و غيرها، هي كلّها مشاكل ناتجة عن عدائية المنافسة، أساسا متخفية وراء خطاب شبه إنساني (pseudo-humanitaire) يسمح بإبقاء السيطرة داخل نفس الجماعة، و كذلك بين الجماعات، و بين الإثنيات، و بين الدول.¹

- العدائية الدفاعية (agressivité défensive): و هي عدائية مُطلقة كإجابة لعدائية أخرى موجهة من الوسط، مهما كان العامل المسؤول عنها فهي مرتبطة بمثير (stimulus) خارجي، و هي في هذه الحالة ناتجة عن عدم إمكانية تجنّب العامل المعتدي، و لا يمكن أن تصبح سلوكا متعلّما إلا إذا لقيت مكافئة معينة.²

و يمكن أن نقابل العدائية الدفاعية بالعدائية التي تنطلق بفعل الخوف، لكن هذه الأخيرة تتطلب تعلّم العقوبة. الخوف يتطلب معرفة وجود مثيرات غير مرغوبة، فالهروب أو الكفاح يُمكنان من تجنب هذه المثيرات غير المرغوبة، أمّا العدائية فتنتج عن استحالة تجنّب العامل المعتدي.

و هناك حالات يكون فيها العامل الخارجي غريب، لا يسمح بتصنيفه من حيث هو مكافئ أو مؤلم أو حيادي، هنا يَنشُج كبت الفعل (inhibition de l'action)، الذي يترافق مع شعور قوي بالقلق (angoisse) لا الخوف.³

- عدائية التهيج (agressivité d'irritabilité): و هي في كثير من الأحيان فصل من فصول عدائية المنافسة، لأنها ناتجة عن كبت السلوك المفروض من المسيطر على المسيطر عليهم.⁴ و هي أيضا وسيلة لدفع القلق الناتج عن كبت السلوك. إن كبت السلوك هو في حد ذاته سلوك متعلّم يستدعي تعلم عدم فاعلية السلوك عندما لا تحصل المكافئة، و عندما لا يمكن للهروب أو الكفاح أن يعترضها

¹ - Ibid., p. 782.

² - Henri Laborit. La colombe assassinée. Op.cit., pp. 102-105.

³ - Jean-Marie Domenach. «L'Ubiquité de la violence», Op.cit., pp. 783,784.

⁴ - Henri Laborit. La colombe assassinée. Op.cit., pp. 102-109.

العدوان. و يمكن اعتبار الإدمان على المخدرات سلوكا وسطا بين الهروب من الكبت و العدائية الموجهة نحو الذات.¹

- السلوك الانتحاري: يُدرجه البعض ضمن أشكال التحطيم الذاتي، و يُعتبر سلوك ضجر، و سلوك كبت، حيث تتوجه العدائية نحو الموضوع الذي لا تستطيع الثقافة أو المجتمع أن يمنع التصرف تجاهه، و هو الفرد الفاعل نفسه.²

باستثناء عدائية النشاط، فإن بقية أنماط العدائية هي إما نتيجة للتعليم، و منه فهي قابلة للتحويل و التغير عن طريق تدخل العوامل السوسيوثقافية، أو هي إجابة لمثير مؤلم. و تبدو عدائية المنافسة النمط الأكثر تكرارا.³

3- هل يمكن إلغاء العنف؟

هل يمكن إلغاء العنف؟ هذا السؤال الذي يتكرر لدى الباحثين حول إمكانية إلغاء العنف هو تقريبا تعبير عن الشعور باستحالة ذلك لارتباطه بالحياة الاجتماعية و امتزاجه بها، ثم للتسليم بكونه غريزة بيولوجية فطرية في الإنسان كتعبير عن الجانب الحيواني فيه، مع هذا تباينت المواقف في محاولة الإجابة عن هذا السؤال بين الاعتراف و التسليم بحتمية العنف و بين إمكانية توجيهه، أو تصريفه أو إلغائه بالثقافة و الحضارة. من جهة ثانية نقرأ في مواقف الكتاب و الباحثين أحيانا التقدير للعنف و اعتبار لجانب إيجابي فيه، و بأنه يؤدي وظائف إيجابية للمجتمع، و بالجانب الأداقي فيه، و نقرأ أيضا محاولات للتمييز بين عنف إيجابي و آخر سلبي، بين عنف عادي و آخر مَرَضِي، و تحطيمي، أو تقييم العنف بالاحتكام إلى أساس معياري يمكن أن يختلف حوله البشر، مثل هذه المواقف معناه ضمينا أن العنف لا يمثل مشكل للمجتمعات البشرية بل فقط الشكل الذي يمكن أن يأخذه حلّ المشكلات الاجتماعية و الصراع بين البشر، و هو موقف شبيه بتصوير زعمل للصراع، و بعض الكتاب يذهبون إلى حد التنظير للعنف في محاربة العنف من خلال مواقفهم المتحيّزة التي تبتعد عن الموضوعية.

¹ - Jean-Marie Domenach. «L'Ubiquité de la violence», Op.cit., p. 786.

² - Henri Laborit. La colombe assassinée. Op.cit., p. 111.

³ - Jean-Marie Domenach. «L'Ubiquité de la violence», Op.cit., p. 787.

المواقف التي ترى في العنف حتمية تاريخية و قوة مؤسسة للمجتمع كثيرة، الصراع (Polemos) أب و أم كل شيء يقول هيراقليط (Héraclite)، كل شيء إذا يجد أصله في الصراع، و كل شيء مدعو للزوال و الهلاك في الصراع، العنف له قوة محطمة و مؤسسة في نفس الوقت.¹

في تصور شमित و بنيمين تأثراً بفكر سورل، كل عنف باعتباره أداة إما مؤسس أو محافظ على الحق (droit)، لأن تأسيس أي دولة يرتبط بزمن من العنف الثوري. الدولة تولد من و في العنف، دولة القانون هي دائما أولا دولة عنف، و الدولة لا تمتد بعيدا عن كل عنف و عن كل فظاظة، و هذا معناه وجود دائما حروب و عنف، كحتمية تاريخية، باعتبار أن الدولة تنشأ بالعنف و تستمر بالعنف، العنف إذا ظاهرة ملازمة للحياة.²

تاريخ الإنسان، كما في تصور ريكور (Paul Ricoeur)، يبدو مطابقا لتاريخ السلطة العنيفة، و يذهب ريكور أبعد من فكرة الشرعية التي يطرحها سورل، و المعبر عنها في تعريف فيبر للدولة، حين يعتبر أنه في نهاية الأمر ليست المؤسسة هي التي تشجع العنف بل العنف هو الذي يولد المؤسسة نفسها، و ذلك بإعادة توزيع القوة بين الدول، و بين الطبقات.³

العنف عند كانط (Kant) في أصل عمليات التثاقف (acculturation) عند البشرية، و هو يقصد بالتثاقف هنا المؤسسات و القوانين التي تأتي لتنظم الحياة بين البشر، لتجاوز حالة الطبيعة بمفهوم هوبس. العنف ليس سيئا، و ليس هو الملام في حد ذاته، بل اختياره للاستعمال في حلّ الصراعات، لأن الاختيار هو الجانب الأخلاقي في المسألة، ينتمي إلى ما يسميه كانط نظرية الحرية، أما العنف فيمكن أن يكون جيّدا أو سيئا حسب ما إن كان يشارك في تقدّم التاريخ أو يعبر فقط عن مجرّد هيجان و انفلات للعواطف. عنف أو قوة غريزة ما لا يُبرّر الفعل، إلّا إذا تخلينا عن فكرة الحرية،

¹ - Gil Bailie. La violence révélée. L'humanité à l'heure du choix. Avant-propos de : René Girard, trad. Claude Chastagner, éd. Climats, 2004, pp. 72-76.

² - Tristan Strome. «L'importance de la violence dans la fondation et la conservation de l'ordre juridico-politique. Carl Schmitt et Walter Benjamin» in : Lucien Faggion, Christophe Régina. La violence. Regards croisés sur une réalité plurielle. Ed. C.N.R.S., Paris, 2010, pp. 506-510.

³ - Jean-Marie Domenach. «L'Ubiquité de la violence», Op.cit., pp. 765,766.

حرية الفرد في الاختيار، فقط اختيار اتباع رغبة ما أو أخرى هو الذي يمكن أن يوصف بالالأخلاقي. و يسمى كانط الاختيار التلقائي لتفضيل الدوافع العاطفية على الدافع الأخلاقي المحدد بقانون العقل (raison)، بالشر الراديكالي.¹

و يعتبر البعض أن العنف و العدوان مكونات أساسية للحياة النفسية لكل فرد، و أنهما بعدان للحياة الغريزية للفرد لا يمكن تجاوزهما: الرغبة في التحكم و السيطرة على الآخر، و المتعة المتعلقة بهذه الرغبة في السيطرة، و هما يظهران أحيانا بمثابة القوة الوحيدة التي تنظم العلاقات بين الجماعات الاجتماعية، و أن فكرة الوظيفة التنظيمية نجدها في العلاقة الأولى في حياة الفرد، علاقة المولود الجديد بأمه، أو ما يسمى بالعنف الابتدائي (violence primaire)، الممارس من طرف الأم على العملية النفسية للمولود، فالأم تضع اختياراتها، و أفكارها، و المعاني التي تضيفها على الأشياء على نفسية مولودها، هذا ما يسمى عنفا ابتدائيا، و هو يولد المعاني في نفسية المولود.²

لكن من غير الممكن الجزم بأن هذا العنف الابتدائي في علاقة الأم بمولودها هو نفسه العنف الذي يأخذ مظاهر الجريمة في مراحل متقدمة من حياة الفرد، إن العنف الذي يأخذ شكل الجريمة لا بد أن يكون إما من طبيعة مختلفة، أو نتيجة متغيرات سوسيوثقافية غير تلك التي تميز علاقة الأم بمولودها، و التي تعتبر مشتركة بين جميع أفراد النوع البشري، الشيء الذي يعكسه الاختلاف الواضح من حيث الحدة و التواتر لمظاهر العنف و الجريمة، من بيئة اجتماعية لأخرى، و من فترة زمنية لأخرى في نفس البيئة الاجتماعية.

بالنسبة لفينيكتوت (Winnicott) العدائية في الأصل تقريبا مرادفة للنشاط، إنها نزعة فطرية للنمو و التحكم في الحياة، و هو ما يبدو ميزة كل كائن حي، و يأتي العنف ليقطع وضعية لا تطاق، فهو يسمح بإعادة التوازن في العلاقات و ذلك بإبعاد و صرف التوترات.

¹ - Myriam Revault D'Allonnes. matière : «Mal», in : Michela Marzano. Op. cit., pp.839-840.

² - Abdessalem Yahyaoui, et collaborateurs. Op.cit., p. 9.

إنّ فكرة الخصومة (Rivalité) استطاعت أن تكون أسلوبا للعلاقات بين البشر و شرطا للتقدم، فالآخر ينظر إليه على أنه خصم، أن تكون معناه أن تكون معترفا بك، أن تظهر و لكن دائما على حساب الآخر، فالوجود إذا يتضمن عدائية أساسية، عدائية عادية بل حتمية تسمح للإنسان بالكفاح من أجل تحقيق أهدافه.¹

كتابات كثيرة حول موضوع العنف، بعضها في سياق الحديث عن الصراع، يعترف أصحابها و لو ضمينا بحتمية العنف و بوجود جانب إيجابي فيه بافتراض أنه يؤدي وظائف اجتماعية أساسية في المجتمع، إلى جانب الآثار السلبية التي قد يتركها على مستوى الفرد موضوع العنف أو المجتمع. بعضهم يعتقد أن التقدم الذي حققته مفاهيم الحريات و الحقوق في العصر الحالي هو الذي ولّد المفهوم الجديد للعنف و صبغه بصبغة التحقير، و أضفى عليه الطابع السلبي و الخطير، بمجرد ما أصبح كل واحد يُنظر إليه كمواطن و يُعترف له بحقه في الحرية و السعادة، فالعنف لم يعد يعتبر مرادفا للقوة، و لم يعد ينظر إليه كحتمية أو حاجة، بل أصبح ظاهرة لها علاقة بالمساس بالحرية و يجب محاربتها، سلبية العنف و خطورته إذا أخذناها في البعد التاريخي لهذه الظاهرة ليست مطلقة، بل أمر نسبي و شعور ذاتي. للتعبير عن هذه الفكرة يورد دومناك قول ديدرو (D. Diderot): بأنه لا حرج في أن تملك عبيدا، ما هو غير محتمل أن تملك عبدا تسميهم مواطنين.²

التسليم بوجود العنف لا يتطلب الاعتراف بجانب إيجابي فيه، و لكن لا يمنع أيضا من الاستمرار في الحياة، كما هو الحال في تصور ليفيناس (Emmanuel Lévinas) الذي لا ييدي تفاؤلا بجانب الخير في الإنسان و بمستقبل البشرية الذي لا يعتقد أنه يسير نحو السلم، و أنه يعلم أن العنف يهدّد في كل لحظة، لكن الإنسانية حسبته تتمثل في التصرف دون التأثر بالإمكانات التي يمثلها العنف

¹ - Marie-Claude Boissourdain. Comment la violence vient aux enfants, éd. Casterman, Belgique, 1983, pp. 16-19.

² - Jean-Marie Domenach. «L'Ubiquité de la violence», Op.cit., p. 760.

كتهديد، و هو يقابل العنف بالعقل (raison)، و بالحوار و الكلمة (langage)، و بالأخلاق (morale).¹

بالنسبة لبرجري (J. Bergeret) الذي يرى أنه لا يجب الخلط بين العنف الأساسي و العدائية، من العبث الادّعاء بإمكانية ردع العنف الطبيعي، المنفذ الوحيد بالنسبة لتطور العنف هو أن يدمج في قنواته الصحيحة في حركية خلاقية.² لكن برجري لم يوضح هذه الحركية الخلاقية، و كيفية توجيه هذا العنف فيها.

الموقف تقريبا نفسه بالنسبة للورنز الذي يعتقد أنه لا يمكن إلغاء العدوان بما أنه يمثل غريزة مبرمجة في الإنسان،³ يتعلق الأمر فقط بمحاولة كشفه في مختلف مظاهره، و تبين الميكانزمات التي تمكّن من الإبقاء على العدوان بين أفراد النوع الواحد، مع توجيهه في قنوات غير تخطيطية لأفراد النوع. و يرى لورنز أن لغريزة العدوان وظائف إيجابية فيما يتعلق بتكيف النوع، و هي غريزة حياة تنظم الأحياء من خلال المواجهة بينهم، و يعبر عن ذلك بقوله أن الشر جيد لبعض الأشياء. فالعدائية إذا استعداد فطري تلقائي، و هي تحمل دلالة بيولوجية، و تمثل ميزة تكيفية، و أن الأمر إنما يتعلق بكيفية صرف هذه العدائية، و تحويلها إلى مسارات غير مدمرة، و غير محطمة للفرد.⁴ بالنسبة للورنز العنف و العدوان إذا حتميان لتكوين العالم لأنهما ينظمان العلاقات الاجتماعية يجعلها تتطور نحو التبادل و الاتصال.⁵

و يرى كوزر (L. A. Coser) في العنف و الصراع وظائف لتكامل الجماعة، و تأسيس قيم جديدة، و حل التوترات، و خلق توازنات جديدة، فهو يعتبره صمام أمان بالنسبة للمجتمع، يدخل

¹ - Catherine Chalièr. matière : «Emmanuel Lévinas», in : Michela Marzano. Op.cit., pp. 810-815.

² - Jean Bergeret. La Violence fondamentale. Op.cit., pp. 232, 233.

³ - Jean-pièrre Pourtois. Blessure d'enfant. La maltraitance : théorie, pratique, et intervention. 2^e éd., DeBoek Université, Bruxelles, 2000, p. 46.

⁴ - Delannoy Jacques-D, Pièrre Feyereisen. L'Ethologie Humaine. Coll. Que sais-je?, P.U.F., Paris, 1987, pp. 59,62.

⁵ - Bernard Dagenais. Op.cit., p. 193.

في إطار التغير الاجتماعي، باعتبار أن تكامل المجتمع لم يكن أبداً بصفة تامة، فالتناقضات و التوترات هي عوامل ملازمة للتغير الاجتماعي.

إن ما يهدد استقرار النظام الاجتماعي حسب كوزر، ليس العنف في حد ذاته، و لكن الأمر يتعلق بصلابة و عناد البناء الاجتماعي الذي يجعل الأحقاد تتراكم فتفتك بالبناء. و يعتبر العنف وسيلة لحل المشاكل بنجاح، و هو وسيلة أيضاً للجماعات الهامشية لجعل مطالبها تؤخذ بعين الاعتبار، و مثل هذه الوظائف مرهون بنمط أو نوع المسألة موضوع الصراع و بنمط البناء الاجتماعي، و ليس بأي نوع من البناء أو أي موضوع من مواضيع الصراع.¹

حسب لورنز غريزة العدوان هي غريزة حقيقية، موجهة في الأصل إلى المحافظة على النوع، الخطر الذي تمثله يكمن في تلقائيتها التي تجعلها محل تخوف. فلو كان العدوان مجرد رد فعل لعوامل خارجية، كما يزعم الكثير من المختصين في علم الاجتماع و علم النفس، لما كانت وضعية البشرية بهذه الخطورة التي هي عليها، لأن في هذه الحالة يمكن دراسة العوامل التي تنتج مثل ردود الفعل العدائية هذه و من ثمة التخلص منها ببعض الأمل في النجاح. بالرغم من هذا يتكلم الكاتب عن الرياضة كصمام أمان أمام العنف من أجل تصريفه بشكل غير محطّم، و كقيمة تربوية لضبط النفس بالاتصاف بالروح الرياضية، و بالالتزام بقواعد اللعب حتى في حال الانفعال الذي تخلقه المنافسة، و يتكلم أيضاً عن الفن و التربية و روح الفكاهة.²

الحل بالنسبة للبعض يكمن في الثقافة، ذلك أن الثقافة تقدم و تقترح أساليب و أنماط أخرى للسلوك و التعامل، و يعبر عن ذلك ميشو (Y. Michaud) الذي لا يرفض فكرة الغريزة لكنه ينتقد المواقف التي تبرر استحالة إلغاء العنف بفكرة الغريزة كما هو الحال مع لورنز و يعتبر أن الثقافة جاءت لتكمّل الغرائز، و انتهت بجعلها غير لازمة، ثم غير مجدية، و في الأخير خطيرة.³

¹ - Michaud Yves. La violence. 3^e éd. Op.cit., p. 101.

² - Konrad Lorenz. L'agression : une histoire naturelle du mal. Trad. Vilma Fritsch, Flammarion, Paris, 1969, p. 60.

³ - Michaud Yves. La violence. 3^e éd. Op.cit., pp. 78,79.

كون العنف تقلص، فيما يسمى سيرورة الحضارة، بتأثير التربية و الأخلاق و الضغط الممارس من محيط الأفراد، و بشكل مختلف أكثر أو أقل صعوبة حسب الطبقات الاجتماعية، فهذا دليل على أن العنف ليس ظاهرة فطرية تماما، إنها تختلف عن العدائية التي هي إمكانية للعنف، أو عنف كامن، و يمكن لقوتها المحطمة أن تُكبت بالحضارات، إذا قررت ذلك و لقيت انخراطا كافيا من المعنيين لفرض وجهة نظرهم. استمرار العنف في الطبقات المتواضعة ظروفها، عكس الطبقات المحظوظة، يمكن تفسيره بالشعور بالظلم أو بالإحباط الذي يُضعف لدى الأفراد، الذين ليس لديهم ما يخسرونه، الضوابط الأخلاقية فيما يتعلق بمنع القتل أو العنف، و التي تلقن للجميع من طرف مؤسسات التنشئة الاجتماعية.¹

العنف إذا من خلال المواقف المذكورة أعلاه هو نقيض للعقل، و للحضارة، و للأخلاق، و هو أيضا كما في تصور فيليب بروتون (Philippe Breton) نقيض للحوار و التعبير عن الرأي، حيث يفترض هذا الأخير أن "أخذ الكلمة"، و الرباط الاجتماعي الذي ينتج عنها، إذا جُعل في مركز العلاقات الإنسانية، يمثلان بديلا ممكنا لظواهر العنف تحت بعض الشروط، مع أنه يعتبر أن هناك جوانب من العنف غير تلك التي يعبر عنها بالسلوك غير الحضري، و هناك أشكال من التحضر غير أخذ الكلمة.²

بالنسبة لفرونسواز دولتو (F. Dolto) العلاج الأول للعنف هو الكلمة.³ تأثيرات أخذ الكلمة فيما يتعلق بالاستقلالية (autonomie) تسمح بتحقيق الأمان بالنسبة للأطفال و المراهقين، و لأسرهم و لمؤسساتهم التربوية، فقط على الراشدين أن يستقبلوا و يتقبلوا هذه الكلمة، و يلتزموا معا على طريق المسؤولية، فالكلمة ليست فقط كلمة الأشخاص الراشدين بل هي أولا كلمة الأطفال و المراهقين.⁴

¹ - Robert Muchembled. Une histoire de la violence, Op.cit., p. 21.

² - Philippe Breton. «violence, prise de parole et processus de civilisation», in : Revue des sciences sociales, 2002, n° 29, pp. 24-31, (<http://www.revue-des-sciences-sociales.com/>consulté le 29 fev. 2012).

³ - Françoise Dolto. Les étapes majeures de l'enfance. Coll. Folio/Essais, éd. Gallimard, France, 1994, p. 251.

⁴ - Alain Vulbeau, «Focus -Responsabilité plutôt qu'autorité : Françoise Dolto et la parole comme volonté éducative», in : Informations sociales, 2009/4, n° 154, pp. 116-119.

و تعتقد أليس ميلر أن المولود الجديد بريء، مهما كانت استعداداته فإنه لا يبدي حاجة لتحطيم الحياة، كل ما يريده هو أن يكون معتنى به، و محمي، و محبوب، و يحب هو نفسه، لكن إذا أسأنا معاملة الطفل بدلا من إشباع هذه الحاجات يتغير الحال. الكائن البشري لا يشعر بأنه مدفوع للتحطيم إلا إذا تعرضت روحه للتعذيب منذ فجر حياته. عندما نكبر محفوفين بالحب و الاحترام لا يكون لدينا رغبة في القيام بالحرب، الشر ليس بالضرورة مسجل في الطبيعة البشرية.¹

كنوع من التفاؤل تقول الكاتبة أنها فيما قرأت لم تجد أبدا الطفل الوحش، الطفل السيء الذي يعتقد المربون أنهم يربونه على الخير، وجدت فقط أطفالا دون دفاع تعرضوا لسوء المعاملة من أشخاص راشدين باسم التربية، و في الغالب لخدمة مثل عليا. تفاؤلها يرتكز على أمل أن الرأي العام يرفض أن تكون سوء المعاملة متخفية في التربية، عندما يفهم الرأي العام أن هذه التربية أساسا ليست لصالح الطفل بل لإشباع حاجات النفوس و الانتقام للمربين، و ليس فقط الطفل المساء إليه بل كلنا نقول، يمكن أن نكون ضحية لهذه التربية.²

الحل بالنسبة لها يكمن في الشخص المتقذ (témoin secourable) ليثبت للطفل أنه أسيئت معاملته، و في التخليّ النزيه عن كل تلاعب، و هذا لا يعني التخلي عن الطفل و تركه لنفسه، لأن الطفل بحاجة إلى المرافقة جسميا و أخلاقيا من شخص راشد، فهو بحاجة إليه لأقصى درجة، لكن حتى تسمح هذه المرافقة بنمو الطفل و تطوره يجب أن يتسم المرافق باحترام الطفل، و احترام حقوقه، و التسامح تجاه مشاعره و تحمّلها، و الإرادة في استخلاص معرفة ما من سلوك الطفل حول طبيعته مثلا. هذا الاستعداد حسب الكاتبة موجود و ممكن حتى لدى الأشخاص ضحايا هذه التربية، لكن التحرر من عراقيل و صعوبات بعمر قرون لا يتم في ظرف جيل واحد.³

بالنسبة للبعض لا يُطرح موضوع إمكانية إلغاء العنف فهو حتمي، فقط التمييز بين أفعال العنف بدلالة الفاعل لهذا العنف، أو إلغاء عنف فئة ما بالعنف و قبول عنف فئة أخرى، في هذا نذكر

¹ - Alice Miller. Libres de savoir : Ouvrir les yeux sur notre propre histoire. Flammarion, Paris, 2001, p. 67.

² - Alice Miller. C'est pour ton bien : Racines de la violence dans l'éducation de l'enfant. Trad. Jeanne Etoré, éd. Aubier, Paris, 1984, p. 278.

³ - Ibid., pp. 121, 122.

ييفس ميشو الذي يرى، بالرغم من نقده لفكرة الغريزة التي يفسّر بها لورنز ارتباط العنف بالمجتمعات البشرية، و بالرغم من اقتراحه للثقافة بديلا للغرائز، أن الكائن البشري هو كائن قادر على كل شيء، و أنه كائن أكثر من عنيف (ultraviolent)، و أنه لن يخرج من هذا العنف إلاّ بإخضاعه، بالترويض (domestication)، إذن بمقابل و هو القمع (répression)، و هو يسلم بأن هذا هو الجانب المأساوي في كلّ منّا.¹

يتميز ميشو بين نمطين من العنف، العنف كوسيلة لوصول الفرد إلى غاياته، أو البعد الأداتي في العنف، و الذي يُبين تاريخ الحروب كيف يظهر هذا في تطور الأسلحة، و المناهج الحربية، و مناهج الحكم (pouvoir) و الحفاظ على النظام، هذا البعد الأداتي يستلزم وجود تكنولوجيا العنف، و هندسة العنف، و تسيير العنف، و أخصائيي العنف. لكن العنف ليس فقط أداة، لأن هناك أيضا عنف للإخلال بالنظام (v. de désorganisation). نتصرف بطريقة متحكّم فيها حتى حين استعمالنا للعنف، إلى اللحظة التي لا يعد ممكنا لنا ذلك، عندها إذا يظهر عنف جديد، عنف عدم التكيف (v. de désadaptation)، إنه عنف شخص محاصر يصبح شخصا سيئا يعبر بالغضب و السخط الشديد عن عجزه في اتباع طرق تصرّف معيارية أو عادية (normales)، و يعطي ميشو كأمثلة عن العنف التعبيري ثورات الأقليات المقهورة (révoltes)، التي يصفها بالساخطة و يعتبرها غير أداتية، و أنها يمكن أن تكون ذات نتائج عكسية محطّمة (contre-productives)، أو بالعكس تأتي بنتائج لم تكن مرجوة و لا متوقعة، إنها في أي حال غير محسوبة، تأتي عندما تأتي.²

بالنسبة لماركس و إنجلز (F. Engels) صراع الطبقات هو محرك التاريخ، لا يمكن تجنب العنف إلا بالدخول في أوهام الطوبوية (Utopie)، و هما يميّزان بين عنف سلبي و عنف إيجابي حسب الأهداف التي يُستعمل من أجلها، أو حسب القوى التاريخية التي تدعمه. إنهما يميّزان بين العنف الممارس من طرف الطبقة المسيطرة، البرجوازية في هذه الحالة، التي تناقض القوى التاريخية، و العنف

¹ - Yves Michaud. «Violence et conflit», in : Yves Michaud (sous la dir.). Qu'est-ce que la société?, vol. 3, éd. Odile Jacob, Paris, 2000, p. 749.

² - Ibid., p. 750-751.

الممارس من طرف الطبقة المقهورة، البروليتاريا (Prolétariat) التي لا تمارس العنف إلاّ لمصلحة التحرير العام، و يستعمل جورج سورل هذه المقابلة للتمييز بين العنف الممارس من طرف الطبقة البرجوازية الذي يسمى قوة لأنه يكتسي طابع الشرعية، و القوة الممارسة من طرف الطبقة البروليتارية المسماة عنفا، يقول: القوة برجوازية و العنف بروليتاري.¹ يريد أن يقول أن البرجوازية تركز على مبدأ السلطة (autorité)، و على الحقوق المكتسبة، و على واجب الطاعة المفروض على الجماهير، البرجوازي ليس عنيفا، إنه يكتفي بالقوة المؤسّسة. الشعب ضحية لهذه القوة، إنه إذا ضعيف، و ككل الضعفاء فإنه يحلم بتحطيم القوة، هذا يقوده إلى العنف، لكن إلى العنف الصرف (v. pure) الصريح السخيّ، العنف الذي يحطم القوة و الذي يجعل في النهاية الحق الجيد (le bon droit) يتفوق.²

نفس الحال مع كل من جراهام (H. D. Graham) و روبرت جور (T. R. Gurr) اللذان يظهر في تعريفهما للعنف أنه يمكننا اعتبار أفعال عنف معينة جيدة، أو سيئة، أو لا هذا و لا ذاك، حسب من يبدأ ضد من.³ و أيضا بالنسبة لوايرتر (M. C. Whirter) حين يعتبر عنفا كل استعمال غير مرخص للقوة، و أن العنف الشرعي يسمى قوة.⁴

فكرة إمكانية تقييم العنف بدلالة شرعيته، أو حسب من يبدأ ضد من، هي فكرة محورية في بعض الاتجاهات النظرية التي ترى في العنف قوة محرّكة في المجتمع، أو وسيلة للحفاظ على توازنه البنائي الوظيفي، إنها وجهة النظر الشرعية أو القانونية، و التي تتفرع منها فكرتين أساسيتين؛ الأولى تتعلق بالثقافة، ثقافة المجتمع بما تتضمنه من قيم و معايير اجتماعية، بحيث تتيح و تبيح بعض السلوك و تعتبره عاديا، في حين تحرّمه و تمنعه ثقافة أخرى. مفهوم العنف إذا معياري نسبي ينظر إليه من خلال مدى مطابقته لقيم و معايير المجتمع ضمن ثقافة ما، بمعنى هل سلوك ما يُعتبر مقبولا اجتماعيا أم لا.

¹ - Jean-Marie Domenach. «L'Ubiquité de la violence», Op.cit., p. 763.

² - Françoise Héritier. «Réflexions pour nourrir la réflexion», Op.cit., p. 19.

³ - Yves Michaud. La violence. 3^e éd., Op.cit., p. 8.

⁴ - E. James Anthony, Colette Chiland. Op.cit., p. 559.

الفكرة الثانية تقودنا للحديث عن العنف من وجهة نظر قانونية في إطار الثقافة نفسها، أي ما هو ممنوع قانونا. و هي فكرة يلخصها في حالتها القصوى تعريف ماكس فيبر للدولة على أنها المحتكر الشرعي للعنف. فالدولة هي تلك الهيئة التي لها كل النفوذ على حياة الأفراد، ليس فقط بامتلاكها حق العقاب، بل بامتلاكها أيضا حق الدفاع الوطني، فالحرب هي تلك الوضعية أين يجد المواطن نفسه مجبرا من خلال التزامه مع دولته على اختيار أحد الأمرين، أن يقتل أو يُقتل، أن يقتل أو يكون مستغلا هي أيضا إحدى أوجه هذه الوضعية.¹

الأمر لا يتعلق بمحاولة تبرئة العنف، لكن العنف في كثير من الحالات يكون مرتبطا بتغيرات سوسيوثقافية حتمية، و ذات آثار حسنة على المجتمع ، تقبل هذه الازدواجية في العنف هو خطوة أولى ، لكن يجب الذهاب أبعد من ذلك، بالتحديد لأننا لسنا بصدد دراسة العنف كمفهوم عام بل شكلا خاصا من أشكاله، و بالتالي معرفة الطريقة التي يمارس بها هذا الشكل الخاص بالذات لمعرفة مواجهته.²

إنّ محاولات التمييز بين عنف عادي و آخر غير عادي، بين عنف طبيعي و عنف مرضي، كثيرة لكنها لا تضع حدودا واضحة بين هذين النوعين من العنف. يعترف البعض بهذه الوضعية، و يعتبر أن الحدود بين عدائية عادية و عنف مرضي صعبة التحديد، و هو موقف بواسوردان التي بالرغم من ذلك ترى أنه بالإمكان، بالتربية و بالتعارف أن نوقف عملية إنتاج العنف، و أن نؤسس مجتمعا هادئا سلميا، بالمقابل فهي تصرح بأن العدوان و العنف، مهما كانت حدودهما، مرتبطان بقوة بالانفعالية (Affectivité)، أن نملهما أو نحارهما أو نلغيهما فذلك يؤدي إلى نتائج غير محبذة و غير مرغوبة.³ و هي تعتبر أن العدائية يمكن أن تصبح مَرَضِيَّة عندما يمتد السلوك ليمس الآخرين، و يصبح بطريقة متكررة ومشددة تعبرا عن شكل من أشكال الاتصال أو التماس الفيزيقي المضرّ

¹ - Jean-Marie Domenach. «L'Ubiquité de la violence», Op.cit., p. 765.

² - Ibid., p. 763.

³ - Marie-Claude Boisbourdain. Op.cit., pp. 24-27.

بالآخر.¹ و هي بهذا تتقاطع نوعا ما مع موقف دوركهايم حول الجريمة، التي يعتبرها عادية لأن مجتمعا يقضي تماما على الجريمة غير ممكن، و لكنها يمكن أن تأخذ أحيانا معدلات أو نسباً مبالغة.²

صعوبة التمييز بين العنف و العدائية، بين عنف عادي مقبول و عنف مَرَضِي، هي مسألة مرتبطة بالحضارة الإنسانية عامة التي تعاملت مع التناقض في الموقف من العنف باستعمال غامض المعنى للمصطلح، و في نفس الوقت تقدمه بشكل عام كمنوع. في هذا المعنى يذكر ميشمليد في سياق حديثه عن المجتمعات الغربية، و عن ارتباط العنف بالذكور العزّاب، كيف أنهم إذا أرادوا حقاً البقاء في نظر الآخرين يجب عليهم أن يثبتوا بأنهم يمتلكون القوة الجنسية للتكاثر، لضمان استمرار دمهم و إسمهم، و لكن أيضاً القوة و الشجاعة اللازمتين للدفاع عن القرى أو للمحافظة على الجماعة، و كذلك الإنتقام العنيف في حال تعلق الأمر بالمساس بالشرف، و إلاً فالشخص المهان سيكون كما لو نُزعت منه ذكوريته و يصبح موضوع احتقار، هذا الميكانيزم لم يختفي أبداً في الوقت الحالي، لقد استمر في عمق المجتمعات، و هو ما جنّب هذه المجتمعات في نهاية الأمر أن تجد نفسها في وضعية ضعف، لأن منع العدائية يلحم الجماعة لكنه يجعلها ضعيفة في مواجهة المعتدين الخارجيين الذين يدعون إلى فضائل أخرى مخالفة (يذكر الكاتب ما حدث مع تراهومرا (Tarahumaras) الذين لم يكن بإمكانهم إلاّ الهرب عند مهاجمة الأباش (Apaches) لهم، لمنعهم العدائية بينهم، و هم هنود من شمال المكسيك، دون تنظيم قائم على الدولة التي تعطي الأوامر، يتعاونون جماعياً لخدمة الأرض، العلاقات بينهم هي أقرب إلى العاطفية، و هم غير متسلطين. إقصاء الأفراد الذين من شأنهم إثارة الخصومة كان له أثر سلبي عليهم، لأنه عندما هجم عليهم الأباش لم يكن بإمكانهم المواجهة). باختراعها مفهوم الحرب العادلة، الظرف الوحيد أين يصير القتل مشروعاً، بل ضرورياً، لم تبحث الدول عن إخماد القتل نهائياً بقدر ما بحثت عن تحويله على مواضيع أخرى، تحت تحكّمها التام.³

¹ - Ibid., p. 51.

² - Jean Etienne, Henri Mendras. Op.cit., pp. 144, 145.

³ - Robert Muchembled. Op.cit., p. 21 ; pp. 468-470.

الفصل الثاني: حال البحث حول موضوع العنف.

- تمهيد.

أولاً: أنواع الدراسات حول موضوع العنف.

1- الدراسات الوبائية الاستشفائية.

2- الدراسات الإمبريقية.

3- الدراسات الميكروسوسيولوجية.

4- الدراسات الوصفية.

5- الدراسات التجريبية.

ثانياً: العنف الموضوعي و العنف الذاتي، أو ارتفاع العنف أم ارتفاع الشعور بالعنف؟

1- ميشال فوكو (Michel Foucault).

2- نوربرت إلياس (Norbert Elias).

3- لورون موكيلي (Laurent Mucchieli).

4- جان كلود شيسني (Jean-Claude Chesnais).

5- فيرنر أكرمان (Werner Ackermann).

6- سيباستيان روشي (Sébastien Roché).

7- إرنست جيلنر (Ernest Gellner).

8- فيليب بروتون (Philippe Breton).

9- روبرت ميشمبلد (Robert Muchembled).

10- ميشال ناسيبي (Michel Nassiet).

- تمهيد.

تختلف الدراسات حول موضوع العنف بحسب مرجعياتها الفلسفية و النظرية، و مناهجها، و تقنياتها، و بحسب الجانب المحدد من الظاهرة الذي تريد أن تخصّه بالدراسة، إذ موضوع العنف له جوانب، و أشكال، و مظاهر كثيرة. مجمل الدراسات حول ظاهرة العنف عامة- الأمر مختلف بالنسبة للعنف ضد الأطفال تحديدا- هي امتداد للمحاولات الكلاسيكية الأولى المؤسسة للعلوم الاجتماعية، و التي مثّلت مرتكزات للبحوث التي تلتها فأخذت منها بطريقة أو بأخرى، و كلّها تطرقت إلى موضوع العنف، سواء بطريقة مباشرة أو من خلال تطرّقها لمفاهيم الدولة، و الصراع، و الأنماط الثقافية، و غيرها من المفاهيم. يبقى فقط بالنسبة لهذه الدراسات معرفة الموقف الذي تأخذه من الأعمال الكلاسيكية بالنسبة لموضوع العنف و الذي تم تناوله بشكل مختلف من حيث الأهمية التي أعطيت للمؤسسات، العنف الممارس من طرف المؤسسات يتجلى في الاكراه الممارس على المكانة الاجتماعية للفرد و الحدّ من رقيّه الاجتماعي، هذا الاهتمام بالعنف المؤسساتي يساوي في المعنى كلا من مفهوم العنف و الحضارة و الاستيلاء، ثم من حيث الأهمية المعطاة للأفراد أنفسهم، باعتبار أن وراء الدول و المؤسسات هناك دائما أفراد طبيعويون يأخذون قرارات تؤدي أو لا تؤدي للعنف، في هذا السياق تُطرح أولا الأسئلة المتعلقة بتأثير الجماعة: كيف يستجيب الفرد لنظام يدفع إلى العنف؟ ما هي الميكانزمات النفسية التي تجعل الفرد يقبل هذا النظام أو يرفضه؟ و في الأخير الاهتمام بالعنف الفردي: ماذا نعرف عن الميولات العنيفة أو العدوانية للفرد؟ هل هي ميولات طبيعية فطرية أم على العكس نتيجة للاضطرابات النفسية و الاجتماعية؟¹

أما عن العنف بالمفهوم الذي هو عليه الآن فلم يكن من المواضيع التي انشغل بها الفلاسفة الأوائل، هناك إشارات إلى العنف لكن في شكل مُعطى، كان يُنظر إليه كشيء بديهي و لم يكن يثير التساؤل، العنف إذا بالرغم من قدمه برز كموضوع جديد معاصر فقط في القرن الأخير، العنف كمفهوم لم يكن موجودا ثم تشكّل شيئا فشيئا، ما نسميه العنف حاليا تمّ التطرق إليه تدريجيا من خلال ثلاثة مناحي رئيسية: المنحى النفسي، بمعنى انفجار للقوة يأخذ أحيانا منحى غير معقول و قد

¹ - Régis Meyran. Op.cit., p. 11.

يكون قاتلا؛ المنحى الأخلاقي: بمعنى المساس بخيرات و حريات الأفراد؛ المنحى السياسي: بمعنى استعمال القوة للاستحواذ على النفوذ أو تحويله لأهداف غير مشروعة. المعنى الأخير هو الغالب في القرن العشرين، كما توحى به كثير من التعاريف: العنف هو الاستعمال غير الشرعي للقوة، أو على الأقل غير القانوني، و هو مفهوم ناتج عن تقدم الروح الديمقراطية و بروز الحرية كقيمة، في المجال السياسي أولا.¹

بالنسبة للعنف ضد الأطفال نجد موقفين، الموقف الأول يمثل الكتاب الذين يتطرقون إلى العنف كظاهرة جديدة، و يعتبرونه نتيجة مجموعة من العوامل: التغير في الحياة من ناحية التكاثر و التحكم في الخصوبة، حيث لم يعد الطفل قدرا محتوما؛ الطفل نفسه، اكتشافه و القيم التي ينقلها و المشاعر التي يحثها لها دون شك جانب إيجابي، و هو أن الناس يستثمرون في الطفل، لكن ينتظرون شيئا ما منه بالمقابل، و هو ما يؤدي إلى ردود فعل سلبية، حيث لا يجب الطفل المخطط له و المتوقع منه بالضرورة على المشروع الذي يمثل، إنه "الطفل الحِمل" «burden child» كما يسميه لوجان (R. D. Logan)، أو (l'enfant fardeau)، الذي يتم كرهه بقدر ما كان الاستثمار فيه كبيرا؛ تغير الحياة الاجتماعية المتسمة الآن بزيادة المنافسة، و بالإجهاد (stress)؛ الحياة في المدن الكبيرة، أين تؤسس العلاقات بين الناس أحيانا على العنف الذي أصبح لغة الاتصال الاجتماعي. المنتمون إلى هذا الطرح لا يفتقدون إلى البراهين، التي تتلخص في هذه التغيرات الأسرية و الاجتماعية السريعة و الهامة، التي تتجاوز في بعض الفترات إمكانيات التكيف بالنسبة للبعض.

الموقف الثاني و هو الممثل في اعتبار العنف حاليا بروز لظاهرة قديمة، العنف وُجد دائما، لكن أهميته و وجوده كانا خفيان، لأسباب هي أن الطفل لم يكن معترف به كفرد مستقل بنفسه؛ السلطة و النفوذ الذي كان يتمتع به الأب كان يعطيه كل الحق على أطفاله، بما فيه الحق في الحياة و الموت. و أن الضبط الاجتماعي المؤسسي القليل على الأسرة يجعل مما يجري داخلها مسألة تخصها وحدها فقط،

¹ - Jean-Marie Domenach. «La violence». in : UNESCO. La violence et ses causes. Paris, 1980, pp. 31-33.

العنف إذا وجد دائما، و بأي حال هو قليل وسط الأخطار الأخرى التي كانت تهدد صحة و حياة الطفل.¹

الدراسات حول مفهوم الطفولة مرتبطة تبادليا بما يسمّى اكتشاف الطفل، بمعنى أن اكتشاف الطفل أدى إلى زيادة الاهتمام بالدراسات حول الطفولة، و الدراسات نفسها سرّعت من هذا الاكتشاف و ساعدت على تأكيد الأهمية التي تمثلها هذه المرحلة من حياة الفرد، و بالرغم من هذا لم يتبلور العنف و سوء معاملة الأطفال كموضوع بحث إلاّ في مرحلة متأخرة، إذا اعتبرنا مثلا أنّه عند النصف الثاني من القرن الثامن عشر نظر روسو إلى الطفل كشخص له قيمته الخاصة به و جدير بالاعتبار ككائن مليء بالقوى الكامنة فيه، و التي يجب بذل جهد لمعرفة طبيعتها و احتياجاتها.

الطفولة المعرّضة للإساءة (maltraitée) لم تتشكّل كمسألة اجتماعية هامة إلاّ حديثا، في الولايات المتحدة أولا، ثم في الدول الأنجلوساكسونية، فالدول اللاتينية. في المرحلة الأولى انصبّ الاهتمام على الطفل المتعرّض للعنف الجسدي، ثم على الاعتداءات الجنسية، و على الأقل في بعض الدول لقي الإهمال الخطير أيضا اهتمام الباحثين و المتدخلين الاجتماعيين.²

الطفولة المساء إليها ظهرت كمسألة اجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية في الأوساط الطبية خاصة تحت تأثير أعمال هنري كامب (C. Henry Kempe)، بفضل تطوّر تقنيات الكشف بالأشعة، و قد سُمّي مجموع الأعراض المميّزة للحالة المرضيّة بأسماء أصحابها (Syndrome de Silverman et Kempe في 1962).³

في فرنسا استيقاظ الوعي بمشكل العنف ضد الأطفال يرجع إلى 1965، مع أعمال نايمان (Neimann) و مدرسة نانسي (Ecole pédiatrique de Nancy) لطب الأطفال.⁴

¹ - Michel Manciaux. «Ampleur du problème et facteurs de risques», in : Pierre Straus, Michel Manciaux, et collaborateurs. L'enfant maltraité. Préface de Henry Kempe, Coll. Pédagogie psychosociale, éd. Fleurus, Paris, 1982, p. 37-39.

² - Paul Durning. Education familiale : acteurs, processus et enjeux. Coll. L'Educateur, P.U.F., Paris, 1995, p. 159.

³ - Paul Durning. matière : «Maltraitance», in : Michela Marzano. Op.cit., p. 848.

⁴ - Caroline Mignot, Pierre Straus. «La place et le sort de l'enfant dans la société, de l'ancien régime à nos jours», in. Pierre Straus, Michel Manciaux et collaborateurs. L'enfant maltraité. Op.cit., p. 14.

فهرس البحوث الفرنسية المنجز من طرف الجمعية الفرنسية للإعلام و البحث حول الطفولة المساء إليها (AFIREM)، يؤكد غياب موضوع الإساءة للأطفال باعتباره خلل في النشاط التربوي، في الأعمال الفرنسية إلى غاية 1990.¹

المختص البريطاني سبنسر ميلهام (Spencer Milham) يتساءل حول كون كبار المعالجين للأطفال لم يصفوا في كتاباتهم موضوع الإساءة للأطفال، فالطفل المساء إليه لم يتم التطرق إليه من يياحي (Jean Piaget)، أو من هنري فالون (Henri Wallon)، و لا من فينيكوت (D. W. Winnicott)، أو بولي (John Bowlby)، أو أريك أريكسون (Erik Erikson)، و غيرهم، و في أعمال دولتو ليس قبل 1985.²

ربما السبب وراء هذا الظهور المتأخر للعنف و سوء معاملة الأطفال كموضوع بحث يرجع إلى انتشاره و ارتباطه بالأسرة و اعتباره من المسائل الشخصية و تمتعه بنوع من القبول في كل الأوساط الاجتماعية. يذكر لنا ناسبي مثلا كيف كان لرب الأسرة باستمرار واجب تصحيح أعضاء عائلته، الزوجة و الأطفال الصغار و الخدم بسبب أخطائهم، كان هذا بمثابة واجب تربوي، و أحيانا كحلٍ أخير في مواجهة شخص ما غير قابل للتصحيح، قد يصل الأمر إلى القتل أو التسبب في عطب ما كفعل جذري لإلغاء خطر المساس بالشرف. معاقبة أفراد الأسرة كان واجبا تربويا أكثر منه حق، كان يُعتقد أن التربية المتساهلة تقود إلى الكارثة.³

ليس فقط العقاب أو سوء المعاملة، بل قتل الطفل أو الزوجة كان ينظر إليه من طرف الفاعلين كأفعال مشروعة و حتمية، بدافع الحفاظ على شرف العائلة. هذا الفعل كان مفهوما من المجتمع و مُعفى عنه من الملك، كان يُرى كفعل لعدالة داخلية تخص الأسرة، عدالة خاصة، كما هو الحال مع الانتقام.⁴

¹ - Paul Durning. Education familiale. Op.cit., p.172.

² - Paul Durning. matière : «Maltraitance», in : Michela Marzano. Op.cit., p. 849.

³ - Michel Nassiet. La violence, une histoire sociale. France XVIe-XVIIIe siècles. Coll. Epoques, éd. Champ Vallon, 2011, pp.155-157

⁴ - Ibid., p.177.

ارتباط العنف على الأطفال بالحياة الشخصية و الخاصة هو ما جعل من الأسرة الوسط الذي يحمل المفارقة، فهي المكان الأول الذي يحدث فيه العنف، ما يحدث فيها يتعد عن المعرفة العمومية، روابط القرابة تدفع إلى التزام الصمت، سواء بدافع المحافظة على صورة العائلة أو بدافع الخوف من العقاب، فقط حالات العنف الظاهرة، بمعنى الأكثر وحشية أو الأكثر مرئية هي التي يتم كشفها.¹

نكون عرضة لخطر الاغتيال داخل الجماعة الأسرية أكثر مما نكون عليه في أي جماعة اجتماعية أخرى، إلا ربما الجيش و الشرطة. جرائم الأسرة هي أكثر الجرائم التي لا نعرف عنها إلا القليل، و بدون شك هي التي لا يتم تسجيلها بشكل جيد.²

الغالب على الدراسات و الأعمال التي اهتم أصحابها بالعنف أنها كانت بدافع الارتفاع الملاحظ للعنف، لكن منهم من اهتم تحديدا بتطور العنف، بالاتجاه الذي تغير فيه العنف، هل نحو الارتفاع أم نحو الانخفاض، و هي دراسات ديمغرافية أو على الأقل اعتمدت على معطيات إحصائية هامة لفترات تاريخية معتبرة، و مع ذلك لا تتفق كلها حول الإجابة عن هذا الانشغال، لكن بيّن معظمها انخفاض العنف و ارتفاع الشعور بالعنف، و هو ما عبرنا عنه في العنوان الثاني من هذا الفصل بالعنف الموضوعي و العنف الذاتي. قدمت هذه الدراسات قراءات مختلفة لهذا التطور، و هي تقف أيضا بالإضافة إلى موضوعها الرئيسي، على العوامل التي من شأنها تفسير العنف و تُقدم عناصر لتأويله السوسيولوجي. لا يمكن لهذه الدراسات أن تجيبنا عن السؤال حول الاتجاه الذي تطور فيه العنف في مجتمعاتنا، لسبب بسيط هو أنها تهتم بالعنف في سياق تاريخي مرتبط أساسا بالمجتمعات الأوروبية، لكن من شأنها أن تفيدنا في فهم العنف و تفسيره بالنظر إلى القراءات المميزة التي تقترحها لتفسير العنف و تطوره، و بالنظر أيضا إلى ثرائها من حيث العوامل التي تقترحها لذلك، و هو ما سيظهر من خلال عرضنا لهذه الدراسات، من مثل تأثير نظام الإنتاج و الوظيفة و القيمة التي يحتلها الإنسان فيه؛ الثورة الديموغرافية التي أدت إلى تقدير غير مسبوق للحياة الإنسانية؛ التغيرات الاقتصادية و الارتفاع العام لمستوى المعيشة و اختفاء الندرة؛ المعايير الاجتماعية الجديدة التي فُرضت على الفرد من الخارج و يعاد

¹ - Jean-Claude Chesnais. Histoire de la violence en Occident de 1800 à nos jours. Coll. Pluriel, éd. R. Laffont. Paris, 1981, p.100.

² - Ibid., p.102.

إنتاجها بالتالي بالضبط الذاتي؛ السلوك غير الحضري، و ارتفاع جنوح الأحداث، و استعمال الظواهر الإنحرافية كأداة في النقاش السياسي، و العرض الإعلامي المتكرر لهذه الظواهر، و التدخل المتزايد لوسائل الإعلام في الحياة الشخصية للأفراد، و الخلط في النقاش العام؛ الشعور بالأمن، الذي يتغذى بالخوف من الاعتداء، و من السخط على الإكراهات المرتبطة بالحياة الحضرية أو الإدارية؛ تعاضد وزن الدولة و أجهزتها القمعية و مؤسساتها الاجتماعية، و انخراط الفرد في الشرعية الممثلة في الدولة؛ تراخي الآليات التقليدية التي تؤمن الرقابة الاجتماعية و التضامن الجوّاري و توقفها عن أداء وظيفتها؛ تطور القيم، و تغير الاتجاهات في علاقات القرابة و في مفهوم الشرف.

أولاً: أنواع الدراسات حول موضوع العنف:

1- الدراسات الوبائية الاستشفائية:

بالرغم من محدوديتها فهي تسمح بمعرفة تكرار الظاهرة في المجموعات السكانية المختلفة، و تسمح بتتبع تطورها، و باقتراح فرضيات فيما يتعلق بالأسباب و الوقاية من الظاهرة.¹ و تكمن أهميتها أيضاً في كشف الخصائص ذات العلاقة بالعنف و سوء معاملة الأطفال، و من ثمة تقييم الخلل الأسري بناء على هذه الخصائص، و يساعدها على ذلك إمكانية تجميع المعطيات بشكل دائم حول حالات العنف التي تصل إلى المستشفيات، و يركز هذا التقييم على ثلاثة محاور هي: الخصائص المتعلقة بالطفل، و بالزوج (الوالدين)، و بالمحيط السوسيوثقافي.²

و تسمح الدراسات الاستشفائية النفسية بتحديد البنيات الذهنية للأشخاص المسيئي المعاملة لأطفالهم، حيث تكشف عن حالات مرضية، و أخرى يأخذ فيها السلوك شكلاً قد يفسّر بالعامل الاجتماعي، كارتباط بعضها بممارسة العنف تحت غطاء نظام تربوي متشدد في الصرامة، أو بمبرر الحفاظ على النظام و النظافة، أو الإخلال بترتيب الأغراض في المنزل، أو بتوسيعها، أو لأن الطفل

¹ - Michel Manciaux. «Ampleur du problème et facteurs de risques». Op.cit., p. 40.

² - Pierre Straus, Dominique Girodet. «Circonstances de découverte et diagnostic», in. Pierre Straus, Michel Manciaux, et collaborateurs. L'enfant maltraité. Op.cit., p. 89.

يُزعج، إنه طفل لديه لعب و ليس لديه الحق في لمسها.¹ كما تكشف أيضا عن حالات الإدمان على الكحول، و حالات من السلوك غير الملائم و غير المكثف مع الطفل نتيجة سفاهة بعض الآباء العاجزين عن تقدير نتائج أفعالهم.²

و من الدراسات الوبائية أيضا تلك التي توصف بالمتدة (longitudinales) و التي لها كهدف أول جذب الانتباه حول مشكل سوء معاملة الأطفال ليس فقط بسبب الألم و المعاناة التي يتعرض لها هؤلاء، و لكن أيضا للانعكاسات النفسية الاجتماعية على المدى البعيد على شكل اعتلال ذهني (débilité)، و عدم التكيف المدرسي، و انحراف، و اضطرابات ذهنية، و أيضا جريمة.³

من الدراسات الوبائية دراسة تحت إشراف هونريون (R. Henrion) شارك فيها عدد من الخبراء، بطلب من وزارة الصحة الفرنسية في 2001، و قد خصّص في تقرير الدراسة فصلا حول انعكاسات العنف بين الزوجين على صحة الأطفال و النساء، جاء فيه أن العنف ضد الطفل يبدأ بفترة الحمل التي تمثل فترة إطلاق أو زيادة حدة العنف بين الزوجين، إذ تمثل فترة أزمة علاقات زوجية، الإساءة الأولى تظهر في الرعاية السيئة و غير الكافية للوالدين بسبب انشغالهما بالعنف بينهما، مع عدم الرضا الذي يبديه الطفل لإشباع حاجاته، و تتحدث الدراسة عن إقحام الطفل في الصراعات الزوجية و نتائجها على صحة الطفل، المتمثلة في الأضرار الجسمية و الاضطرابات النفسية و اضطرابات في السلوك، و العنف و العدائية، و حالات الانحراف و الإدمان، و محاولات الإنتحار أو الإنتحار، هؤلاء الأطفال من شأنهم إعادة انتاج الأفعال العنيفة كأسلوب لحل الصراعات سواء في الحال أو فيما بعد في الحياة الزوجية.⁴

¹ - Michelle Rouyer. «Psychopathologie de la maltraitance», in. Pierre Straus, Michel Manciaux, et collaborateurs. L'enfant maltraité. Op.cit., p. 109.

² - Michel Manciaux. «Ampleur du problème et facteurs de risques», Op.cit., pp. 90-92.

³ - Pierre Straus, Michelle Rouyer. «Le devenir des enfants maltraités», in : Pierre Straus, Michel Manciaux, et collaborateurs. L'enfant maltraité. Op.cit., pp. 228, 229.

⁴ - Catherine Vasselier-Novelli, Henri Charles. «Les enfants victimes de violence conjugale», in : Cahier critique de thérapie familiale et de pratique de réseaux. 2006/1, n°36, p. 185-207.

2- الدراسات الإمبريقية:

اهتم هذا النوع من الدراسات أكثر بالعنف السياسي، و قدم معطيات كمية ثرية و مفصلة، من خلال دراسة و تحليل العلاقات بين أشكال العنف السياسي و مختلف المؤشرات المتعلقة بالوضعية الاجتماعية، و الاقتصادية بصفة خاصة، و هي بحوث ميدانية تستوحي أساسا من نظرية جون دولاو المعروفة بإحباط-عدوان، و قد عملت هذه الدراسات بوسائل إحصائية من أجل قياس الارتباطات الممكنة بين الأحداث العنيفة و المؤشرات الاجتماعية الاقتصادية. و نذكر في هذا السياق أعمال تاد روبرت جور (Ted. R. Gurr)، من بينها دراسة في 1981 على إنجلترا بين القرن الثالث عشر و التاسع عشر، اعتمد فيها على حوالي ثلاثين دراسة أضاف إليها إحصائيات لندن لبداية القرن التاسع عشر إلى تاريخ إنحاز دراسته، بيّن فيها تقلص نسب القتل إلى النصف إلى غاية 1600، ثم انهيار هذه النسب لتستقر حول واحد لكل مائة ألف في القرن العشرين، بالرغم من عودة محسوسة لتصاعد القتل في السنوات الأخيرة للملاحظة، يرى جور فيها تغير ثقافي أساسي في المجتمع الغربي، ناتج عن الحساسية المتزايدة للعنف، و عن تطور أشكال الضبط الداخلية و الخارجية للعدائية.¹ لكنّ تاد جور عرّف أكثر بمفهوم الحرمان النسبي (privation relative)، الذي يعني بالنسبة له الفارق بين طموحات الأفراد و نجاحاتهم الحقيقية. يربط جور الحرمان النسبي بحجم العنف من خلال عوامل اجتماعية محددة بدرجة شرعية النظام، و درجة التنظيم المؤسسي للمجتمع، و درجة تسهيل العنف بتقليد سابق أو بظروف حالية، و يفترض أن حجم العنف السياسي يزيد بدرجة معتبرة مع ازدياد شدة و سعة الحرمان النسبي الذي يعانيه أفراد جماعة اجتماعية ما. و تتقاطع هذه النتائج مع أعمال دوتوكفيل الذي يسجل أهمية التصاعد المستمر لمستوى الطموحات كعامل من عوامل الثورة.²

من جهته يقترح دافيس (James. C. Davies) تصورا آخر للثورة مشابه، مستوحي من أعمال كارل ماركس، و دوتوكفيل، و جون دولاو، و هو ما أسماه بالمنحى على شكل حرف J، فالثورات حسبه تنتج بعد فترة ممتدة من التطور الاقتصادي و الاجتماعي، عندما تحدث فترة قصيرة من الأزمة

¹ - Robert Muchembled. Op.cit., p. 66, 67.

² - Rasheeduddin Khan. Op.cit., p. 888.

و التقهقر. العنف الثوري ينتج عن الفارق بين منحيين، الأول يمثل الناتج الداخلي الخام، و الثاني يمثل طموحات الأفراد التي تأخذ منحى على شكل خط مستقيم، الفارق بين المنحيين هو ما يمثل الهوة بين الطموحات و الواقع و يخلق مؤشرا محتملا للعنف.¹

هذا التصور أعيد و أثري من طرف فيرابند (I. K. Feierabend) و (R. L. Feierabend)، الذين أكدوا على أهمية سرعة التغيرات الحاصلة في المجتمعات المتخلفة، و أهمية درجة القهر الممارس من طرف الدولة، و هما يميزان بين نمطين من النظام السياسي، النمط الأول هو الدولة العصرية المتطورة، أين التغير الاجتماعي ضعيف و مستقر، و النمط الثاني و هو الدولة سريعة التغير، و هي أقل عصرنة و العنف فيها مرتفع. استعمالا دليلا للإحباط (Indice de frustration) لأربع و ثمانين دولة، صَنَّفَا هذه الدول بحسب ملمحهم الأكثر أو الأقل إكراها، و اكتشفا أن العنف السياسي في مستوياته الدنيا موجود في الدول الأقل إكراها، و مرتفع قليلا في الدول الأكثر إكراها، لكن أكثر بضعفين في الدول المصنفة بين هذين المستويين.² و يعتبر البعض أن هذه الدراسات لم تأت بجديد، فهي فقط تعطي صيغة علمية لمعلومات إمبريقية جد عامة، و مع عموميتها يشك البعض في نجاعتها و صحة تنبؤاتها، إذ أن تطبيق نتائج هذه البحوث على وقائع سياسية ملموسة أعطى بصفة عامة نتائج مخيبة و خاطئة تماما.³

و من الدراسات الإمبريقية لمحاولة توضيح العلاقة بين العنف و العامل المادي (الأزمة الاقتصادية) دراسة سيباستيان روشي (Sebastian Roché)، التي يقارن فيها بين نسبة نمو كل من الثروة الوطنية من خلال الناتج الداخلي الخام، و الجنوح ضد الأملاك و ضد الأشخاص، مستعملا كل من متغيرات الدخل، و اللامساواة، و فرص الترقية الاجتماعية، و غيرها من المؤشرات، حيث بيّن أن الجزء الأهم من ارتفاع الجنوح، تماما كما ارتفاع الشعور بالأمن، حدث في فترة النمو الاقتصادي، الأزمة إذا ليست كافية لتفسير الحركة العامة لارتفاع العنف على مستوى المجتمع ككل.

¹ - Alan Newcombe. «Apports des sciences du comportement à l'étude de la violence», in : Revue Internationale des sciences sociales, Op.cit., p. 806.

² - Ibid., p. 807.

³ - Yves Michaud. La Violence. 3 éd, Op.cit., p. 98.

يعارض الكاتب من خلال هذا العمل نظرية العنف الخفي، التي تفترض أن الجنوح يزداد حدة مع تعزيز أشكال اللامساواة، و يعتبر الاعدالة الاجتماعية و الجنوح وجهين لعملة واحدة، بمبرر تزايد الجنوح مع ارتفاع فرص التوظيف و الترقية الاجتماعية، مع قبوله بعضا من الحالات كشعور فردي باللامساواة و ليس على منوال جمعي.¹

3- الدراسات الميكروسوسولوجية:

يهتم هذا النوع من الدراسات بالوحدات الصغيرة، بالمؤسسات الاجتماعية كالأسرة و المدرسة، و بسلوك أفرادها، و بالأحكام التي يحملونها عن العنف. و يتبين من خلال هذه الدراسات أن العنف منتشر بشدة في الواقع اليومي للأفراد. و تؤكد مثل هذه الدراسات على أهمية المعايير الثقافية الفرعية، و أهمية التنشئة الاجتماعية، كما تؤكد على عملية التفاعل في الحياة اليومية، و هو ما يصب في اتخاذ تدخلات ناجعة و عملية في تنظيم الحياة الاجتماعية. من بين الدراسات في هذا السياق نجد الأبحاث حول العنف داخل السجون، و العنف الممارس من طرف مصالح الشرطة، و الأبحاث حول العنف المدرسي، و العنف الأسري، و العنف ضد النساء. و تكشف هذه الدراسات عن عنف حاد و غير معقول داخل الأسر، و أن أغلب أحداث العنف تقع بين أشخاص يتعارفون بينهم. و تبين دراسات كل من وايت (L. F. Whyte) و كوهن (A. K. Cohen) أن للعنف قيمة للاندماج داخل مجموعات المنحرفين و العصابات و المهمشين.²

وحول موضوع العنف الأسري تبين دراسات كل من جيلس (R. J. Gelles)، و ستروس (M. A. Strauss) الأهمية التي يحتلها العنف داخل الأسر، حيث تقع أغلب الاعتداءات على الأطفال و الاغتياالات، و هما يذكران من بين أسباب ذلك: الاحتمال الكبير لحدوث صراعات مرتبطة بتعدد النشاطات المختلفة المسيّرة في إطار الأسرة، و وجود نوع من العنف المشرع، إذ تمنح الثقافة للأولياء الحق في معارضة و معاملة أبنائهم بالقوة. و يؤكد الباحثون على أهمية المحددات البنيوية لهذا المظهر من

¹ - Sébastien Roché. La société incivile, qu'est-ce-que l'insécurité?. Coll. L'épreuve des faits, éd. Du Seuil, Paris, 1996, p. 40-43.

² - Yves Michaud. La Violence. 3 éd, Op.cit., p. 109.

العنف، و للعنف الممارس ضد المرأة، ذلك أنه يظهر كاستجابات لمختلف أشكال الحرمان الذي يشعر به الفرد خارج المحيط الأسري.¹

و يقترح بلاك (J. Blake) افتراض الوظائف الأدائية للأطفال بحسب نمط الأسرة، و تقترب من هذا الافتراض أعمال نيل (A. Neal) و جروت (H. T. Groat) الذين يعتبران أن الطفل يمثل تعويضاً (compensation) للعائلات المتميزة بالعزلة و العجز الاجتماعي. و تتقاطع هذه الأعمال مع أعمال روسل (L. Roussel) الذي يفسر العنف الممارس على الأطفال بمكانة الطفل داخل الأسرة، و بالوظيفة المنتظرة منه من طرف والديه، إذ العنف ضده قد يكون تعبيراً عن الإحباط الذي يلقيه الآباء في حال فشل الطفل في تحقيق طموحات والديه المعلقة عليه.²

و من الدراسات ما يركز على الوضعية الاقتصادية و الاجتماعية للأسرة، ففي دراسة ميلتير (H. Meltber) حول الأساليب التربوية التي يعتمدها الآباء و اتجاهات أطفالهم نحوهم، بين أن أطفال المستوى الاجتماعي الاقتصادي المنخفض يمتاز شعورهم نحو والديهم بالتذبذب و العداء، و هم أقل شعوراً بالأمن من أطفال المستويات العليا. تختلف إذا اتجاهات الوالدين نحو أطفالهم و اتجاهاتهم نحو استخدام العقاب بحسب الطبقة الاجتماعية، و تؤثر الطبقة أيضاً على قيم الوالدين و أساليبهم في التنشئة، و هو ما ينعكس على الأطفال، فالذين يتمتعون مثلاً بالتدريب المبكر على الاستقلالية و شجعوا على الاعتماد على الذات و التحرر من الضغوط، يتمتعون بدافعية قوية للإنجاز و الإبداع و بمستويات عالية من الطموح، على العكس من هذا نجد قيم التوجيه و القهر التي يتلقاها الطفل في المستويات الاقتصادية الاجتماعية الدنيا تنعكس في أشكال من السلبية و الخضوع و الطاعة العمياء.³

¹ - Jean Kellerhals , P-Y. Troutot, E. Lazega. Microsociologie de la famille. Coll. Que sais-je?, 2 éd. P.U.F., Paris, 1993, p. 19.

² - Ibid., pp. 93, 94.

³ - العناني حنان عبد الحميد. الطفل و الأسرة و المجتمع. دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان الأردن، 2000، ص 77، 78.

و في بحث قام به روبرت مرتون و آخرون، أجري على الأسر المقيمة في سكنات بأجرة متواضعة (H.L.M)، وجدوا أن الآباء المحرومين هم بالتحديد الأقل قدرة على توفير الإمكانيات و وسائل النجاح لأطفالهم، و هم الذين يمارسون على أطفالهم ضغوطات أكبر من أجل نجاحهم، و يحملونهم بذلك على السلوك المنحرف.¹

4- الدراسات الوصفية:

يعتمد هذا النوع من الدراسات إلى رصد مختلف أشكال العنف، سواء بالملاحظة المباشرة لسلوك الأفراد و تسجيل مختلف أنماط العنف ثم تصنيفها، أو بالملاحظة غير المباشرة من خلال التحقيقات الميدانية أو تحليل المحتوى. و يسمح هذا النوع من الدراسات بكشف النسق القيمي للمجموعات الاجتماعية، و مواقف و اتجاهات الأفراد. مونتاني (Montagner) مثلاً استخراج أساليب العلاقات بين الأفراد بعد مقارنة السلوك العدواني، و ذلك من خلال الملاحظة المباشرة لأطفال الروضة. و ليبيرت (R. M. Liebert) درس أنماط العنف الممررة عبر وسائط الاتصال الجماهيري، و ذلك بتحليله لمحتوى برامج الأطفال المبتة عبر شاشة التلفزة.²

و نذكر التحقيقات التي قام بها إكهاردت (W. Eckhardt) و استخدم فيها الاستمارة كتقنية رئيسية معتمدا على التحليل العاملي للمعطيات، و أعمال كوبرسميث (Stanley Coopersmith) عن دور الوسط الذي تتم فيه تربية الأطفال في تحديد سلوكهم و مدى اقترانه بالعنف، و البحوث التي قام بها روبرت كان (Robert Kahn) عن مواقف الأفراد من العنف، و تحليل القيم لراف وايت (Ralph. K. White) كامتداد لتحليل المحتوى، و دراسات روكاش (Milton Rokeach) حول علاقة القيم بالسلوك.³

¹ - Robert King Merton. Elément de théorie et de méthode sociologique. Trad. Henri Mendras, Coll. U, éd. Armand Colin, Paris, 1997, p. 186, 187.

² - Gabriel Moser. Op.cit., p. 16, 17.

³ - Alan Newcombe. Op.cit., pp. 792-795.

تجدر الإشارة إلى أهمية الدراسات الأنثروبولوجية المعتمدة أساسا على الملاحظة المباشرة، أو الملاحظة بالمشاركة. في دراستها لقبائل من أمريكا الشمالية في 1934، و هي قبائل الزوني (Zuni) و الكواكيوتل (Kwakiutl)، وجدت روث بنديكت (R. Benedict) أن لكل قبيلة ملامح ثقافية مختلفة خاصة بها، الزوني يحترمون غيرهم و هم مسالمون، في حين الكواكيوتل فردانيون و عدائيين، و هي ما أسمته بالنموذج الثقافي الديونيزي، في مقابل النموذج الأول الأبوليوني، استنتجت بنديكت أن لكل ثقافة نمودجا (pattern) معيناً من السلوك، تشكيلة خاصة بكل مجتمع توحد سلوكيات أفرادها، و تجعلها مفهومة بالنسبة لهم.¹

قبائل الزوني من بويبلو (Pueblos) شعب مرتبط و منشغل كثيرا بالطقوس، يجعل فضيلة المسالمة (pacifisme) و الرزاة (sobriété) فوق كل الفضائل. الامتناع عن كل شعور بالغضب هو أحد الواجبات التي تترتب على رجال الدين أثناء المشاركة في الممارسات الدينية.² الضرب لا يستعمل أبدا مع الأطفال كطريقة للتصحيح، لكنهم يتعرضون لذلك أثناء طقوس الانتقال.³ السلطة الشخصية لدى الزوني ينظر إليها كشيء سيء. الإنسان الذي يبحث عن النفوذ أو المعرفة و يريد أن يسود شعبه بالتعالي لا يلقى إلا النقد من طرفهم. الرجل المثالي بالنسبة لهم هو الذي يبقى محترم و متواضع، لا يبحث أبدا عن فرض نفسه سيذا على قومه و لا يثير أبدا النقد من جيرانه، إنه شخص محبوب و مهذب، لا يُذكر بسوء، بإمكانه أن يُصلح بين الناس، و ليس شخصا عاطفيا. هذا لا يعني غياب العنف، فهناك قادة للحرب، و هناك حالات للصراع و العنف بين أفراد القبيلة، و هناك حالات من الاغتيال (homicide) الذي يمكن أن يُحلّ بتبادل المال بين عائلتي الشخصين.⁴ و هم يستخدمون العقاب القاسي مع الأشخاص الذين يختلفون عنهم ثقافيا، حيث يقدرون مثلا أنهم متعالين و متكبرين فيتهمونهم بالسحر و يعاقبونهم.⁵

¹ - Alain Beitone, et autres. Sciences sociales. Coll. Aide-Mémoire, 2 éd, Dalloz, Paris, 2000, p. 121.

² - Ruth Benedict. Echantillons de civilisations. Trad. Weill Raphael, Gallimard, 1950, p. 84-87.

³ - Ibid., p. 96.

⁴ - Ibid., p. 135-138.

⁵ - Ibid., p. 344.

لا تُترك أي فرصة يمكن أن تستدعي استعمال السلطة، فالطفل يكبر دون ميل للعصيان و التمرد ضد السلطة، عندما يكبر لا يملك أي دوافع تجعله يتخيل وضعيات تستدعي اللجوء للسلطة. طقوس الانتقال لا تشحن الطفل بالطموح في التمتع بقوة الشخص الراشد، إنها تعطي قيمة للطفل بإعطائه مكانة الجماعة. غياب فرص استعمال السلطة، سواء في المسائل الدينية كما المنزلية، يجتمع مع ملمح أساسي ثاني و هو أن المسؤولية و النفوذ موزعين دائما على الجماعة، الجماعة تعمل كوحدة.¹

لدى الدوبو (Dobu) في غينيا الجديدة كل رجل مستعد دائما للهجوم على آخر، ليس لديهم أي تنظيم سياسي، و هذا ليس لأنهم كما عند روسو رجل الطبيعة الذي لا يربطه عقد اجتماعي، بل لأن الأشكال الاجتماعية تعطي التفوق للأذية و الخديعة و تجعل منها القيم الحقيقية للمجتمع.² الحياة بالنسبة لهم ما هي إلا منافسة قاتلة، و ألا امتياز يمكن تحصيله إلا على حساب خصم منهزم. الصراع لدى الدوبو يبقى خفي و قائم على الخداع. الرجل النزيه، الرجل الناجح، هو الرجل الذي سلب آخر صلاحياته.³

الرجل الشجاع المقدام معروف و مقبول لدى الناس أنه سرق، و قتل أطفالا و شركاء بوسائل السحر، الرجل المنبوذ هو الذي لحقه أذى في ممتلكاته أو في جسمه خلال الصراع مع آخرين أثبتوا تفوقهم عليه. و في أقصى الإهانة يمكن للشخص من الدوبو أن يصب على نفسه الأذية و الرغبة في التحطيم، بالانتحار، و معروف عنهم قطع شجرة الفاكهة التي سرقت ثمارها. الشجاعة بالنسبة للدوبو تتمثل في اختيار ضحية و صب كل الشر عليها، الشر الذي ينسب للجنس البشري و لقوى الطبيعة حسب تصورهم للحياة. سوء الظن بالآخر و القسوة هما سلاحهم في الصراع الذي لا يظهر فيه و لا يُطلب أي عفو أو رحمة.⁴

¹ - Ibid., p. 140-143.

² - Ibid., p. 178,179.

³ - Ibid., p. 192.

⁴ - Ibid., p. 226-231.

في الساحل الشمالي الغربي لأمريكا، الكواكيوتل (kwakiutl) و غيرهم، موضوع كل تعامل هو إظهار التفوق على منافسيهم.¹ ما يميز رد فعل الكواكيوتل للإحباط هو العبوس و الأفعال التي تنم عن اليأس و الجزع. عندما يتلقى طفل ما عقابا من والده، أو أن طفل ما يتوفى، ينسحب الوالد إلى منزله و يبقى مستلقيا لا يأكل و لا يتكلم. عندما يحدّد الفعل الذي ينقذ به كرامته المهذّدة ينهض و يوزع بعض ثروته، أو يذهب لاصطياد بعض الرؤوس، فهم من أكلة لحوم البشر، أو ينتحر. الانتحار و وفيات كثيرة مرتبطة بالعار. حسب تصورهم للحياة، أسس الكواكيوتل كل شيء على الاعتداد بالشخصية، و عندما يُمسّ تصورهم لنفسه و شعوره المفرط بالعظمة، لا يعد لديه شيء للتمسك به فينهار مع انهيار كبريائه.²

الخصومة هي كفاح لا يتركز على المواضيع الحقيقية للنشاط، إنما لا تبقي نظرها على النشاط الأصلي كما المنافسة، بل على الرغبة في التغلب على الخصم، و هي تحظى بتقييم كبير لدرجة أن كل نجاح مؤسس على خسارة الخصوم.³

من جهتها لاحظت ميد (M. Mead) من خلال أعمالها حول قبائل غينيا الجديدة، أن بعضا من السلوك الذي يعتبر في الغرب عامة كظواهر عالمية أو كونية تقوم على أسس بيولوجية، لا يوجد بالشكل نفسه في كل الثقافات. في قبائل أراباش (Arapesh) الصفات التي تُنسب إلى الإناث في الثقافة الغربية مثلا كاللطافة، هي صفات مشتركة بين كل من النساء و الرجال على حد سواء. و في قبائل موندوجومور (Mundugumor) نسق التربية يحثّ على الخصومة، بل العدوانية للرجال و النساء أيضا، في حين هي صفات ذكورية ترتبط بالرجولة بالنسبة للمجتمعات الغربية مثلا. استنتجت ميد أن الشخصية لا تفسّر فقط باستعدادات شخصية، بل و خاصة بنماذج ثقافية تعمل على تحويل سلوك الأفراد بكيفية دائمة و عميقة، و ذلك بتنشيط أو بكبت هذه الاستعدادات الشخصية. الطبيعة البشرية تتميز بمرونة كبيرة و هي تستجيب لتأثير المجتمع.⁴

¹ - Ibid., p. 253.

² - Ibid., p. 289-294.

³ - Ibid., p. 326-327.

⁴ - Ibid., p. 206.

و من أشكال العنف الذي لقي اهتمام الأنثروبولوجيا أيضا ما يسمى بالعنف الطقوسي، حيث تتضمن طقوس الانتقال في الغالب مشاهد من العنف و الألم، و يتسائل الباحثون عن الغاية من هذه الطقوس هل هي رمزية أم بيداغوجية أم نفسية، و يعتبر بيير كلاستر (Pierre Clastres) بأن العلامات التي يتركها هذا النوع من العنف على أجساد الأشخاص الذين يخضعون لطقوس الانتقال هي بمثابة تسجيل فيزيقي و ليس ذهني للإكراه الاجتماعي في مجتمعات بدون دولة في حين يراها البعض كتعبير رمزي للأهمية التي تمثلها التحولات الحاصلة على إثر هذه الطقوس: الالتحاق بفئة الأشخاص الراشدين أو بمهنة معينة.¹

5- الدراسات التجريبية:

هذا النوع من الدراسات، سواء أجري في المخبر أو في الميدان، مبدؤه واحد و هو مقارنة سلوك الأفراد المعرضين لتعامل تجريبي: إثارة، منع، تعرض لنموذج عنف، مشاهدة نماذج عنف، بسلوك أفراد آخرين موجودين في نفس الظروف لكن غير مُعرضين لتعامل تجريبي.

يمكن للإجابات العدوانية أن تكون لفظية، أو سلوكية، و هي إما تلقائية على الميدان، أو مسجلة بواسطة آلة مخبرية (machine à agresser). إن المقارنة في هذه الحالة هي التي تسمح بكشف الفروق و تُمكن من الوصول إلى استنتاجات علمية. و تعتبر كل من تقنية بوس (Buss)، و نموذج بكوفيتز، و طريقة تايلور (C. L. Taylor) الطرق الأكثر شهرة في البحوث المخبرية.²

و من بين البحوث المخبرية نذكر أعمال والترس (R. H. Walters) حول السلوك بالحاكاة، و التي يؤكد من خلالها أن مشاهدة نماذج من العدوان تزيد من احتمال سلوك مماثل إذا كان النموذج المعروض مكافأ أو غير معاقب.³

¹ - Régis Meyran. Op. cit., p. 20.

² - Gabriel Moser. Op. cit., p. 23.

³ - Alan Newcombe. Op. cit., p. 792.

و في تجربة قامت بها ماري موريسون (Mary Morrisson) استنتجت منها أن الأطفال في عمر ما قبل التمدرس الذين يشاهدون برامج التلفزيون لديهم ميول إلى اعتبار العالم مكانا للعنف، و يفقدون اتجاهاتهم إلى اعتبار الآخرين مصدر و منبع محتمل للمساعدة و الدعم، و لا يرون فيهم إلا مصدرا للتهديد.¹

و من التجارب التي لقيت صدى كبير تجربة ستانلي ميلجرام (Stanley Milgram) حول الطاعة و الانصياع للسلطة كمبرر للعنف، حيث يتم استدعاء الأفراد إلى إطلاق شحنات كهربائية متزايدة الشدة على أشخاص آخرين، مشاركين متواطئين في التجربة، في حال إعطائهم إجابات خاطئة على أسئلة يتم طرحها عليهم، معظم المشاركين أطاعوا، باعتبار أن الأمر جائهم من شخص يمثل السلطة، و هو المبرر الذي يقدمه الأفراد للعنف كما بيّنته تجارب و أعمال أخرى أيضا.²

يميل علماء النفس الاجتماعيون إلى استخدام مثل هذه التجارب، و تركز معظم الدراسات في هذا السياق على مفهوم التعلم، و نذكر هنا دراسات باندورا (Alber Bandura)، و دوروثي روس (Dorothea Ross)، و شيلا روس (Sheila. A. Ross) حول العنف المبتّ عبر وسائط الاتصال الجماهيري، و إعادة إنتاجه من طرف الأطفال المشاهدين له، بالأخص الأطفال الذين يعانون الإحباط، اعتمدوا في دراساتهم على التحريب و الملاحظة لسلوك الأفراد الخاضعين للتحريب، مع استخدام المجموعات الضابطة للمقارنة.³

و تدخل في هذا النوع من البحوث إسهامات العلوم البيولوجية، و الفيزيولوجية، و الإيثولوجيا، و تعتمد الدراسات في هذا الإطار على التجارب المخبرية على أنواع الحيوانات، و استخدام المواد الكيميائية، و نشير إلى أن التقدم الذي حققته التقنية في العصر الحالي أدى إلى تطور سريع في ميدان البحوث البيولوجية و العصبية الفيزيولوجية، التي أعطت نتائج مثيرة للاهتمام حول الفروق و

¹ - Ibid, p. 793.

² - Otto Klinberg. «Les causes de la violence», in : Revue Internationale des sciences sociales, Op.cit., p. 124-126.

³ - Albert Bandura, Dorothea Ross and Sheila Ross. «imitation of film-mediated aggressive models», in: Terry F. Pettijohn. Sources : Notable Selection in Psychology. 2 ed., Dushkin/McGraw-Hill, U.S.A, 1997, pp. 137-144.

الخصائص المميّزة لكل من الذكور و الإناث مثلا، شكل الدماغ و الأجزاء المستخدمة منه، و تأثير ذلك على مواقف أفراد كل جنس، حيث يميل الذكور إلى استخدام العنف و العدائية، و يتميزون بالمنافسة و الخصومة، عكس الإناث اللواتي يتّجهن أكثر نحو التعاون فيما بينهن.

و من الدراسات أيضا دراسة فيليب زيمباردو، و هو مختص في علم النفس الاجتماعي من جامعة ستانفورد (Stanford)، أجرى عام 1969 تجربة في الحياة الواقعية، لاختبار "نظرية زجاج النافذة المكسّر" (théorie de la vitre brisée)، حيث قام بوضع سيارة في شارع برونكس (Bronx)، و هو حي فقير يسكنه السود، بعد أن نزع لوحة ترقيمها، ما جعل المارة يعتقدون أن السيارة لا مالك لها، فكان أن تم تفكيك السيارة و سرقة قطعها في يوم واحد. بعدها قام بنفس التجربة لكن في حيّ إقامي راق للبيض في كاليفورنيا، في بالو ألتو (Palo Alto)، بعد أسبوع لم يحدث شيء، فقام بتوجيه ضربات على السيارة، فكان أن تمت مساعدته من المارة، ثم تفكيك السيارة في بضع ساعات. الاستنتاج الذي توصل إليه هو أنه بمجرد أن يتم تجاوز الحدود الاجتماعية، أو المعايير الاجتماعية، فمن الصعب تحديد موقعها أو إعادة رسمها من جديد.¹

هذا العمل استوحى منه كل من ويلسون (J. Q. Wilson) و كيلينج (G. L. Kelling) الذين توصلا إلى أنّ سلوك التخلي أو الإهمال يؤدي إلى انهيار الضوابط الاجتماعية، التي لا يُقصد بها هنا معنى القمع فقط بل أيضا الرباط الاجتماعي، و أوضحا كيف أن حيّا يتسم بالهدوء يتحول إلى مكان للجريمة، و الميكانيزمات التي تقود إلى هذا التحول، كالشعور بتزايد العنف، و رحيل العائلات، و تفضيل الجيران عدم التدخل، و تغير سلوك الأشخاص المجرمين بتغير تفكيرهم لعلمهم بتخلي الأفراد و عدم تدخلهم. بمجرد أن تظهر دلائل التخلي، تظهر الفوضى. في غياب أشكال التنظيم الاجتماعي غير الرسمية يتحرّر السلوك.²

الأعمال الميدانية و الميكروسوسولوجية لوسلي سكوجان (G. Wesley. Skogan)، أخصائي في علم الإجرام، جاءت لتؤكد علميا أعمال كيلينج و ويلسون، أطروحته كالتالي: السلوكات غير الحضرية

¹ - Sébastien Roché. Op.cit., p. 122-123.

² - Ibid., pp. 123-124.

(incivilités) سبب في تطوّر الشعور بالأمان، أو الخوف من الجريمة بالتعبير الأمريكي، و خاصة سبب في الجريمة، و ذلك لأنها تتجسد للرأي في شكل فوضى و فقدان السيطرة.¹

ثانيا: العنف الموضوعي و العنف الذاتي، أو ارتفاع العنف أم ارتفاع الشعور بالعنف؟

1- ميشال فوكو (Michel Foucault):

في كتابه الذي هو دراسة عن السجون يمكن قراءته كتنبؤ بميلاد المجتمعات الحديثة القائمة على الرقابة و الانضباط، يعرض ميشال فوكو مثالين عن العقاب بين فترتين و يقارن بينهما، حيث يصف الأول بالتعذيب (supplice) و يصف الثاني بأنه برنامج أو جدول توقيت، ليعين كيف اختفى الجسم كدرية رئيسية للقمع العقابي (répression pénale). شيئا فشيئا لم تعد العقوبة تتم على مرأى من الناس، و كل ما كانت تحمله من عرض أصبح موصوما بالسلبية، كما لو أن وظائف مراسيم العقاب أصبحت تدريجيا غير مفهومة، و أصبح يُنظر إلى هذا الطقس الذي يختم الجريمة كأنه من نفس طبيعتها و مماثل لها، بل و يفوقها من حيث الوحشية التي يتم بها، و بأنه يُعوّد المتفرجين على الوحشية التي يراد صرفهم عنها، بإظهاره حجم و تكرار الجرائم، و يجعله الجلاد يشبه المجرم، و القضاة كقتلة، و بقلبه الأدوار في آخر المطاف، و يجعله الشخص المعذّب موضوع شفقة و إعجاب. يذكر الكاتب قول بيكاريا (C. de Beccaria): القتل الذي يصوّر لنا كجريمة شنعاء، نراه يتمّ ببرودة بدون تأنيب للضمير. تنفيذ أحكام القتل على مرأى من الناس أصبح ينظر إليه كمكان يتّقد فيه العنف و ينبعث من جديد.²

التعذيب على إثر حكم قضائي يمكن فهمه أيضا كطقس سياسي، إنه جزء و لو بسيط من المراسيم التي تظهر بها السلطة السياسية. المخالفة حسب قانون العصر الكلاسيكي، بالإضافة إلى الضرر الممكن أن تنتجه و القاعدة التي يمكن أن تخرقها، تسيء إلى من يضع هذا القانون. العقاب لا يمكن إذا أن يتمثل إلى تصليح الضرر الناتج أو أن يقاس إليه، في العقوبة هناك دائما جانب على الأقل متعلّق بالملك و بالانتقام. التعذيب له إذا وظيفة قانونية-سياسية، يتعلق الأمر إذا بمراسيم من أجل

¹ - Ibid., pp. 126-135.

² - Michel Foucault. Surveiller et punir : naissance de la prison. Gallimard, 1975, pp. 9-16.

إعادة الاعتبار للسلطة التي تم المساس بها للحظة. التعذيب لا يعيد الاعتبار للعدالة، إنه يعيد تفعيل السلطة.¹

يذكر فوكو موقف روش (Rusche) و كيرشهaimer (Kirchheimer) الذين رأيا في وجود التعذيب تأثير نظام إنتاج ليس لقوى العمل فيه، و بالتالي جسم الإنسان، لا الوظيفة و لا القيمة المرتبطة بالسوق و التي ستعطى لها في إطار اقتصاد من نمط صناعي في المجتمع الرأسمالي، لذلك يعرف الانضباط (discipline) الذي عوّض التعذيب في المجتمع الرأسمالي، بأنه الأسلوب التقني الذي بواسطته تُقلّص قوة الجسم كقوة سياسية، و يتم إعلاؤها إلى أقصى درجة كقوة نفعية (utile)، و هي فكرة قريبة من تصور جيلنر (Gellner). و يضيف أنه من المؤكد أيضا أن احتقار الجسد يرجع إلى موقف عام تجاه الموت، في هذا الموقف يمكن تمييز القيم المرتبطة بالديانة المسيحية و كذلك الوضعية الديموغرافية و في شكل ما البيولوجية: الأوبئة، و وفيات الأطفال، و الجوع، و غيرها، كل هذا يجعل الموت شيئا مألوفا و يخلق حوله طقوسا لإدماجه، و لجعله شيئا مقبولا و إعطاء معنى لعدوانه الدائم.² ابتداء من القرن الثامن عشر سُجل انخفاض معتبر في جرائم الدم، و بشكل عام في الاعتداءات الجسدية، و خلفت الجرائم ضد الممتلكات جرائم العنف، و من جرائم الجماهير إلى جرائم هامشية مرتبطة في جانب منها بمحترفين. كما لو حدث تفكيك للتوترات التي تسود العلاقات بين الناس، و ضبط أحسن للغرائز العنيفة، و كأن الممارسات غير المشروعة أرخت قبضتها على الجسم و توجهت إلى ذرايا أخرى. هذا التحول لا يمكن فصله عن عدّة عمليات تحكمه - يرجع فوكو في هذا إلى المؤرخ بيير شونو (Pierre Chaunu) و يذكر التغيرات الاقتصادية، و الارتفاع العام لمستوى المعيشة، و نمو ديموغرافي قوي، و كثرة الثروات و الأملاك و الحاجة إلى الأمن الذي هو نتيجة لذلك.³

الطبقات الأكثر فقرا لم يكن لها امتيازات، لكنها كانت تتمتع على هامش ما كان يفرض عليها من القوانين و العادات، بفضاء من التسامح تم امتلاكه بالقوة و الإصرار، هذا الفضاء كان بالنسبة لها شرط جد حتمي لبقائها بحيث كانت مستعدة في الغالب للثوران من أجل الدفاع عنه، تماما كما

¹ - Ibid., p. 58-59.

² - Ibid., p. 66 ; p. 258.

³ - Ibid., pp. 90, 91.

كانت محاولات تقليص الامتيازات تهيج النبلاء أو رجال الدين أو البرجوازية. الأعمال غير المشروعة التي تأخذ أشكالاً خاصة بكل طبقة اجتماعية، تسجل في سلسلة من التناقضات التي تنعكس في اللبس في مواقف الأشخاص: من جهة يتمتع المجرم بتقدير تلقائي بحيث يرون في عنفه صورة عن كفاحهم القديم، و لكن من جهة أخرى الشخص الذي يرتكب جرائم في حق هذه الطبقات الشعبية يصبح بسهولة موضوع كره خاص لأنه وجه ضد الأقل حظوة و امتيازاً سلوكاً غير قانوني كان مدججاً في شروط وجودهم، بهذا إذا يتشابك حول الجريمة التمجيد و التوبيخ.¹

العلاقات الأسرية، خاصة العلاقة بين الآباء و الأطفال خضعت إلى القيم و الآداب الاجتماعية بتشريها لأشكال خارجية: مدرسية، و عسكرية، ثم طبية، و طبية عقلية، و نفسية، جعلت من الأسرة الوسط المفضل الذي يتم فيه تعلّم ما هو سويّ و غير سويّ فيما يتعلّق بمسألة الأدب و التربية، لا يشرح فوكو كيف حدث هذا، و يكتفي بالتأكيد على أهميته توضيحه.²

2- نوربرت إلياس (Norbert Elias):

في طرح يمكن اعتباره بمثابة نظرية سيكوسوسيولوجية يظهر فيها تأثير فترتها، سنوات الثلاثينيات، تستوحي من التحليل النفسي الفرويدي للصراع بين عنف الغرائز الأساسية و أخلاق الأنا الأعلى، و من نموذج انتشاري وحيد الاتجاه للقيم الأرستوقراطية التي تنتشر تدريجياً في الطبقات الاجتماعية الدنيا،³ يشرح نوربرت إلياس كيف تطورت أخلاق البشر في المجتمع الفرنسي ابتداء من القرن السادس عشر، و الذي يعتبره فترة محورية في ما أسماه عملية تحضّر الأخلاق، بالانتقال من المجتمع الإقطاعي إلى مجتمع البلاط (société de cour)، هذا الانتقال رافقه تغير في قواعد السلوك، و انتشرت هذه القواعد فيما بعد تدريجياً لدى عامة الناس.

يهتم إلياس في عمله هذا بالسلوك اليومي البسيط المتمثل في الجلوس إلى المائدة للأكل، و المتعلق بنظافة الجسم، و كذلك التعبير عن العدائية، و يذكر في هذا تأثير الكتب المعالجة لهذه الجوانب من

¹ - Ibid., pp. 98, 99.

² - Ibid., p. 251.

³ - Laurent Mucchielli. L'invention de la violence : Des peurs, des chiffres, des faits. éd. Fayard, 2011, p. 211.

الحياة اليومية و التي تُقدّم إرشادات عملية للأفراد بغرض تهذيب سلوكهم، أهمها كتاب إراسم حول ما يمكن اعتباره تربية أخلاقية للأطفال (Erasme. De civilitate morum puerilium. 1530).

المعرفة العقلانية حسب إلياس لم تكن أبدا العامل المحرك لهذه العملية، و أنها تأتي فقط لتؤكد هذه الاختيارات. يتعلق الأمر أولا بالشعور بالانزعاج من بعض السلوك الذي لم يكن يثير أي شعور بالاستياء في القرون الوسطى و أصبح يثير لدى الناس ردود فعل أكثر فأكثر من الانزعاج و الضجر، و هو ما يتم تلقينه للأفراد بتدخل المؤسسات و الهيئات، و بين الآباء و الأبناء، إذ غرائز الطفل و سلوكه موجهان إلى درجة كبيرة بالنماذج من الوسط بالإضافة إلى الإكراه. المعايير الاجتماعية التي فُرضت على الفرد من الخارج يعاد إنتاجها بالتالي بالضبط الذاتي الذي يعمل بتلقائية إلى درجة ما، هكذا تُنجز على مستوى كل فرد اختصارا عملية دامت على مستوى التطور التاريخي و الاجتماعي قرونا، و التي كان مآلها تعديلات على معايير العفة (pudeur) و الاستياء (déplaisir).¹

بالمعنى السوسيولوجي التحضّر هو الحركية التي تؤدّي إلى بناء جدار لا مرئي من ردود الفعل العاطفية يقف بين الأجسام يدفعهم و يعزلهم عن بعضهم البعض.²

بصيغة أخرى يقول إلياس نشهد خلال سيرورة الحضارة هاته التشكل التدريجي لمجالين مختلفين من حياة الإنسان حيث الواحد سرّي و حميمي و الثاني مفتوح على الآخر، سلوك خفي و سلوك عام. هذا التمييز بين المجالين يعتاد عليه الإنسان لدرجة أنه لا يكاد يكون واع به. بهذا التمييز فإن بعض السلوكات تكون مسموحة في الوسط العام بينما الأخرى ممنوعة و محرّمة، البنية النفسية للإنسان تتعدّل أيضا. منع السلوك و تعزيز المنع بالعقوبات الاجتماعية يُفرض على الإنسان كنوع من الضبط الذاتي، و مهما تكن المصطلحات التي تستعمل للتعبير عن ذلك فإن السلوك الاجتماعي يُسجل في أعماق الطبيعة البشرية، بحيث يُصبح بشكل ما عنصرا مشكّلا للأنا الفردية.³

¹ - Norbert Elias. La civilisation des mœurs. Trad. Pierre Kamnitzer, éd. Calmann-Lévy, France, 1973, pp. 180-183.

² - Ibid., p. 100.

³ - Ibid., p. 276.

التغيرات الحاصلة على مستوى العدائية هي دليل التغير الحاصل على مستوى بنية الإنسان الكلية، باعتبار أن العدائية غريزة و أن البنيات العاطفية في الإنسان تشكّل كلاً متكاملًا. معايير العدائية تختلف حاليًا بين المجتمعات الغربية من حيث ملمحها و شدّتها، لكن هذا الاختلاف الذي قد يكون معتبر يزول و يفقد كل دلالة إذا قارنا عدائية الشعوب المتحضرة بالمجتمعات الواقعة على مستوى آخر من التحكّم في العواطف. عدائية الأمم من العالم المتحضّر تَمّت معالجتها ككل المظاهر الأخرى للغرائز بفعل تقسيم الوظائف، و بالاعتماد المتبادل الكبير بين الأفراد، و الاعتماد على الأجهزة التقنية. لقد تم تخفيفها و الحدّ منها بعدد لا متناهي من القواعد و الموانع التي تحوّلت إلى ضبط ذاتي، بهذا تم تهذيبها ككل الغرائز الأخرى منبع المتعة: إنّها لم تعد تظهر في قوّتها العنيفة و الهائجة إلّا في بعض الحالات التي نصفها بالمرضية.¹

في مجتمعات القرون الوسطى كانت أشكال العدائية تمثل جزءًا من ضروريات الحياة، و هي جزء من البنية الاجتماعية، و كان من العادي جدا رؤية الأقوياء يعدّونها من متع الحياة، أما في أيامنا فالقسوة و المتعة التي يمنحها تحطيم الآخر و إلحاق الضرر به، أو الشعور بالرضا الذي يمنحه تفوقنا الجسدي، يخضع إلى ضبط اجتماعي صارم و متحذر في تنظيم الدولة. كل أشكال المتعة، التي يوازنها في عصرنا هذا الشعور بالاستياء، لا يتم التعبير عنها إلّا بصفة مهذبة (affinée) أو بتحويلها.²

التغير في أخلاق البلاط يظهر في انتقال عتبة الشعور بما يمكن اعتباره مُخزي و مثير للاستياء، و الذي أدّى إلى ما نسميه الآن الحضارة، الأمر تمّ كما لو أن حركية اجتماعية ما أطلقت حركية نفسية تخضع لقواعد خاصة. هذه القيم الجديدة تنتشر شيئًا فشيئًا لتشمل طبقات أوسع من المجتمع، بفعل الرغبة في الانتماء إلى النخبة أو على الأقل التشبه بها، و بتأثير الفاعلين الاجتماعيين في غرس هذه النماذج الجديدة في الطبقات الدنيا من المجتمع.³

هذا التحول التاريخي للحياة العاطفية الذي عرّفه إلياس كتغير في عتبة الشعور و التحسّس من التجارب المؤلمة هو نتيجة لميكانيزم نفسي بسيط: مظاهر غريزية أو مُتّع تُعتبر غير مرغوبة من المجتمع،

¹ - Ibid., pp. 279-280.

² - Ibid., p. 281.

³ - Ibid., pp. 146-147.

من الآباء و غيرهم، تُقرن بالتهديد أو بالعقاب، ما يجعلها ترتبط بالشعور بالاستياء الذي يترسخ فيها بالتكرار. يبقى البحث عن أصل البنيات الاجتماعية التي أطلقت هذه الميكانيزمات النفسية و كذلك طبيعة الإكراهات الخارجية التي أنتجت حضارة المظاهر العاطفية و السلوك.¹

3- لورون موكييلي (Laurent Mucchielli):

يفضل موكييلي استعمال عبارة تهدئة الأخلاق (pacification) بدلا من تحضيرها، و يتحدث عن مخيال اجتماعي يفترض انهيار و تفسخ المجتمع. الخطاب حول الأمن عالق في شبكة من التصورات و المخاوف المتعلقة بالتطور العام للمجتمع، و الحديث لا يجري فقط حول مظاهر الانحراف أو اللأمن أو العنف، بل عن تجدد هذه المظاهر و نموها و ارتفاعها المتزايد، و هو مصدر للخلط في النقاش العام، بالإضافة إلى مصدر ثاني و هو عدم التمييز بين فهم الظاهرة أو تفسيرها و بين التأثير عاطفيا بها أو محاولة تبريرها أو البحث عن المتهمين أو الضحايا أو الاستياء منها، ثم ثالثا غياب التمييز بين اللأمن و الشعور بالأمن.²

النقاش حول اللأمن استقر بفعل ثلاثة عوامل، أولا ظاهرة انحراف الأحداث و انتشارها بأعداد كافية لتغذية الحديث اليومي عن الأحداث المتنوعة أو المنوعات، هذه الأحداث التي يتم تشويهها بإعطائها ملمحا دراميا، و عرضها على أنها ذات خطورة استثنائية، و أنها أكثر عددا، و أكثر عنفا مما هي عليه في الواقع، العامل الثاني هو استعمال الظواهر الإنحرافية كأداة في النقاش السياسي، ثم ثالثا وجود إخراج (mise en scène) أو عرض إعلامي يومي لهذا الانحراف، لدرجة أنه ينتقل بالتحول فجأة من حدث منوعات (faits divers) إلى حدث مجتمع (faits de société)، و بالتالي إلى حدث وطني، أو بالممارسة المتمثلة في نقل التأثيرات الناتجة عن التصريحات السياسية دون تحليلها، و من ثم منحها صدى دائم.³

¹ - Ibid., pp. 296-297.

² - Laurent Mucchielli. L'invention de la violence. Op.cit., pp. 09-11.

³ - Ibid., pp. 23-25.

لكن بالاعتماد على الإحصائيات على المجتمع العام (المجتمع الفرنسي) يتبين أنه لا يوجد ارتفاع عام لانحراف الأحداث، بل ارتفاع التكفل و الاهتمام القانوني بانحراف الأحداث، و الأمر مختلف.¹ يعتقد موكييلي أن الاحصائيات التي تقدّمها الشرطة أو القضاء لا تشكّل تسجيلًا لانحراف الأحداث الحقيقي، بل مقياسًا للمعالجة المؤسسية للظاهرة.²

الزمن الهادئ الذي يعمّه السّلم و الذي يتكلّم عنه أصحاب الخطاب المتبني لفكرة انحطاط المجتمع لم يوجد أبداً، بل على العكس من ذلك نشهد تراجعاً حاسماً للعنف بين الأشخاص، و للنزاع الشامل لشرعية اللجوء للعنف و أخذ الحق بالاعتماد على النفس، اختصاراً نشهد مستوى من الضبط غير معهود تمارسه الدولة، و لو أنه لا يتّصف بالكمال.³

مشكل العنف الاجتماعي و اللاأمن موضوعياً أقل خطورة الآن منه في الماضي، في حين أن تمثله يؤدي إلى الاعتقاد بعكس ذلك، إذا فهذا يعني أننا لا نتحدّث تماماً عن نفس المشكل، بعبارة أخرى المكانة الاجتماعية لهذا المشكل تحوّلت.⁴

التساؤل عن تطور السلوك العنيف في العلاقات بين الأشخاص يطرح مشكلين منهجين: الأول وحدة الفئة "عنف"، هل من الممكن الجمع بين أشكال مختلفة من السلوك: حالات قتل، قتل الأطفال، قتل الآباء، عنف بين الزوجين مختلف الحدة و الخطورة، عنف مرافق للسرقة، إغتصاب، زنا المحارم، عنف جنسي على الأطفال، عنف لفظي، هل يمكن جمعها و تأويلها معاً؟ من وجهة النظر العلمية لا، بالرغم من أن هناك شيء مشترك يجمع كل هذه الأشكال و هو المساس بعفاف الأشخاص الجسدي و المعنوي، لكن من ناحية الأسباب و الدوافع و الفاعلين، و الضحايا، و الأماكن و الظروف التي يتم فيها السلوك فالأمر مختلف تماماً. المشكل الثاني: عند التفكير في تطور

¹ - Ibid., pp. 53-59.

² - Laurent Mucchielli. «L'évolution de la délinquance des mineurs : Données statistiques et interprétation générale». Agora débats/jeunesses, 2010/3, n° 56, p. 87-101.

³ - Laurent Mucchielli. L'invention de la violence. Op. cit., p. 134.

⁴ - Ibid., p. 212.

السلوك العنيف عبر الزمن، نصطدم بتحول مكانته و معناه، من ناحية التصورات الاجتماعية و من الناحية القانونية، إذا كيف نفكر في تطور ظاهرة لا يتوقف تعريفها عن التطور و التوسع؟¹ الذي يحدث هو تحول في مكانة السلوك الذي كان دائما موجودا لكنه أصبح يُعتبر عنفا، ما كان يعتبر مسألة شخصية أصبح مشكلة عمومية. النظرة العمومية اقتحمت الأوساط التي كانت خاصة متستّر عليها من رئيسها (رب أسرة، رب عمل، مدير مدرسة، رئيس مكتب). مثال ذلك التعليمات ثم القوانين التي جاءت لتأطير و تنظيم طرق الإبلاغ، و عمل الجمعيات، و حملات التحسيس، نتيجة بناء مفهوم سوء المعاملة بمبادرة من الأطباء المختصين في معالجة الأطفال، من ثمة ارتفع عدد الأطفال المساء إليهم أو المبلّغ عنهم في حالة خطر، ليس لارتفاع العنف أو سوء المعاملة المتأكد منها، بل حالات الأطفال عرضة للخطر، و ذلك بفعل تطور أساليب التبليغ كنتيجة لتطور الممارسات المهنية للحماية الاجتماعية من الناحية القانونية، و تطور مفهوم عفاف الأشخاص ليتعدى الجسم إلى الكرامة، تطوّر مفهوم الضحية. حدث تحوّل في نظرتنا للعنف و استمرار هذا العنف في التراجع. اكتشاف هذه الأشكال الجديدة المزعومة للعنف و استمرار التنديد بها ، ما هو إلاّ تعبير عن القوة التي تمثلها عملية تحضّر الأخلاق لإلياس، التي يفضل موكيالي تسميتها بتهدئة الأخلاق.²

4- جان كلود شيسني (Jean-Claude Chesnais):

بالنسبة لشييسني العنف ليس جديدا، بالرغم من الخطاب المعاصر حوله، إذ أن مبدأ تراتب السلطة وجد دائما، و هو أقل صلابة اليوم عنه في الماضي، كما أن تبجيل السلطة انهار، و انتشرت الروح الديمقراطية، و أن العلاقة بين المعلمين و التلاميذ، و بين الآباء و الأطفال، و بين الرجال و النساء هي الآن أكثر مساواة و أقل توترا.³

تاريخ العنف يخالف المخيال الاجتماعي الدائم الرفض لقبول أبسط الحقائق، و المغدّى بالأحكام المسبقة و بالحنين إلى الماضي، في حين من المؤكد أنه حدث خلال القرون الأخيرة و العشرينات

¹ - Mucchielli Laurent. «Une société plus violente ? : Une analyse socio-historique des violences interpersonnelles en France, des années 1970 à nos jours». In : Déviance et société, 2008/2, Vol. 32, pp. 115-116.

² - Ibid., pp. 120-122.

³ - Jean-Claude Chesnais. Op.cit., p. 28.

الأخيرة أيضا تراجع معتبر للعنف الإجرامي (violence criminelle) بما فيه أثناء فترات الركود الاقتصادي.

عوامل عديدة ساهمت في هذا التراجع: أولا تعاظم وزن الدولة و أجهزتها القمعية و مؤسساتها الاجتماعية كالشرطة، و القضاء، و المدرسة، و الجيش. العنف الأسري الذي هو الملاذ الأخير للغرائز الإنسانية، لم يَسَلَمَ كلياً من تدخل الدولة؛ ثم الاختفاء البطيء للندرة، لأن البؤس هو ما يفسّر وحشية بعض الجرائم؛ و الثورة الديموغرافية، أو تقلص الوفيات، الذي أدى إلى تقدير غير مسبوق للحياة الإنسانية، فعندما يكون الموت حاضرا في كل مكان، و عندما يضرب في كل يوم، يميل الأفراد إلى احتقار الحياة. التهميش التدريجي للعنف في المجتمعات الغربية يمكن إرجاعه إذا إلى بروز العقلانية في المجال الأخلاقي و إلى الخضوع للقاعدة التي تضعها الدولة. لكن السياسة تتغذى باللاأمن، لأن اللاأمن هو الذي يمنحها السلطة و الشرعية.¹

تراجع العنف بين الأشخاص مرتبط أيضا بتعميم التعليم الذي مثّل امتيازا حاسما بالنسبة للأفراد و أعطاهم القدرة على النقاش، باعتبار أن العنف هو إخفاق في الحوار، يبدأ عندما ينتهي نفوذ الكلمة، القوة إذا تم تعويضها بالذكاء.² بالنسبة للعنف الجمعي، الذي يحرك الجماعات و الحشود، يعتبره الكاتب أكثر تعقيدا لأنه ليس نتيجة السلوك الفردي، بالرغم من ذلك فحركته مطابقة للعنف الفردي، بمعنى يتغير هو الآخر نحو الانخفاض.³

لا شيء أكثر عمقا و أكثر ذاتية من الشعور باللاأمن، الذي يتغذى بالخوف من الاعتداء، و من السخط على الإكراهات المرتبطة بالحياة الحضرية أو الإدارية، و من الخوف من المستقبل، و نادرا ما يكون ذو علاقة مباشرة بالعنف المعاش من الشخص نفسه أو أقاربه.⁴

عدة عوامل يمكن أن تساهم في تزايد الشعور باللاأمن: ارتفاع جنوح الأحداث؛ و التدخل المتزايد لوسائل الإعلام في الحياة الشخصية للأفراد؛ و تهيئة أجهزة أمن في كل مجالات الحياة اليومية (الضمان

¹ - Ibid., pp. 14-19.

² - Ibid., p. 409.

³ - Ibid., pp. 410, 442.

⁴ - Ibid., pp. 16, 17.

الاجتماعي، و التأمين على البطالة، و على الحياة) و التي كان لها كنتيجة خلق ردود فعل جديدة لطلب الأمن؛ ثم أيضا تقدم الروح الديمقراطية و الحريات. أحاسيس الناس تهدبت، و عتبه تحمّل العنف انخفضت بشكل معتبر مع التطور العام للتقنيات الطبية. وعي جديد بالعنف وُلد، و هو مؤسس على الشعور المتبادل، فالآخر مماثل، و على انخفاض العنف نفسه، يذكر الكاتب هنا مفارقة توكفيل: كلما تراجعت ظاهرة ما غير مرغوبة أصبح ما تبقى منها لا يطاق، هنا الفكرة المفتاح للنقاش حول العنف، و الفخ الذي يجب تجنب الوقوع فيه، و هو تحديدا أن تساوي بين ارتفاع الشعور العام بالأمن و ارتفاع العنف الحقيقي.¹

ينتقد شيسني و يرفض الكتابات و الخطاب الذي يتصور أن هناك عدائية جديدة تطبع العلاقات بين الأشخاص، و أن هناك تزايد للعنف، و أنه مرتبط بالمدن، لأنه و بشكل عام حالات العنف المباشر ضد الأشخاص، بمعنى العنف الحقيقي في بعده الفيزيقي المأساوي و اللفظي، في تقلص واضح مقارنة بالماضي، في الغرب بشكل عام و في فرنسا.²

الخطاب المعاصر حول العنف أكثر من كونه يميل إلى التحذير بالخطر فهو يُنذر بالكارثة، حسب هذا الخطاب لا يوجد ملمح من الحياة الاجتماعية إلّا و تغلغل العنف فيه، لكن الواقع شيء آخر، فالإنسان لم يسبق له أن التزم باتفاقيات و قواعد و قوانين تنظيمية بالشكل و الحجم الذي هو عليه الآن، كنوع من الحماية و السلم الاجتماعي. لكن كل هذا الصخب من القوانين الجديدة تأثيره ذو حدين، لأنه موضوعيا يُحرّر الإنسان، لكن ذاتيا يقيده أكثر فأكثر. يدفع الإنسان ثمن أمنه الموضوعي الكبير اللأمن الذاتي الكبير أيضا، إنه شعور بالأسر، و بالعنف، و بطحن حريته، لكن هذا العنف ليس ماديا، إنه رمزي. العنف الحقيقي هو العنف البربري، ذلك الذي يضرّ الأجسام و يزرع الموت. العنف الآن موجود لا يمكن نكرانه لكنه لا يقارن بالعنف في المراحل التاريخية السابقة، مع ذلك فالخوف موجود، إنه خوف لاعقلاني باق و مغذى من وسائط الإعلام. إن التحريف في المعنى عند استعمال مصطلح العنف الذي عرف رواجاً كبيراً لدرجة أنه أصبح يدل على كل ما يقع من حوادث

¹ - Ibid., p. 18.

² - Ibid., pp. 431-441.

غير ذات أهمية، هذا التوسيع المتزايد للمعنى هو الذي يجعل الأشخاص يظنون أن ظاهرة العنف نفسها تتفاقم بشكل لا يمكن مقاومته. الأمر نفسه على مستوى الأسرة التي عرفت تحولات هامة قللت منابع الموضوعية للتوتر داخلها، فالزواج التقليدي المفروض على الشخص اختفى، و تقاسم السلطة أصبح أقل اختلالا، و تم تحريم حق رب الأسرة في استخدام العقاب منذ فترة طويلة.¹

العنف ضد الأطفال في الوسط الأسري لم يختف، بل يحتفظ ببعدها، فهو متزايد بانتظام خلال عشريني الخمسينيات و الستينيات، هذا التصاعد يعبر أكثر عن انشغال متزايد بجرم قديم لم يعد يطاق منه عن تفاقم حقيقي للعنف، العنف لم يعد يشكل جزءا من الحياة اليومية، إنه مزاج مبدئيا من الأسرة و من المدرسة أيضا، أينما بقي صار موضوع استنكار.²

5- فيرنر أكرمان (Werner Ackermann):

بالنسبة لفيرنر أكرمان الشكل الأكثر انتشارا لخطاب اللاأمن يفسر هذا الأخير بالجنوح (délinquance)، يقر الكاتب بوجود علاقة بينهما لكنه يرفض أن تساوى المسألتين، هذه المساواة التي تعتبر كأمر مسلم به أن معالجة الجنوح تعني معالجة اللاأمن.³ و يفسر فيرنر الشعور باللاأمن بخطاب الدولة لتبرير تسلطها، و بتأثير وسائل الإعلام، و بالأزمة الاقتصادية. عبارات مثل "الشعور باللاأمن" و "دولة اللاأمن" ليست مستعملة للإشارة إلى واقع اجتماعي، إنها تعلن مسبقا التنظيم السوسيوسياسي و الاقتصادي للتحوّلات الحاصلة في الحياة الاجتماعية، الخاصة و الجماعية، بالاعتراف بالعلاقة المتبادلة بين الأزمة و اللاأمن. جعل الناس يقبلون "حالة اللاأمن" بمبرر اللاأمن الدائم و يقبلون "حالة اللاأمن" بمبرر الأزمة المتعددة.⁴

الشكل الحديث لللاأمن يظهر جيدا في الخطاب الذي يحاول عقلنة الخوف بإعطائه أسبابا و تأثيرات، هذه الأخيرة التي تدمج في حديث التبادلات الاجتماعية كما في الخطاب السياسي و الاقتصادي، و

¹ - Ibid., pp. 28-32.

² - Ibid., p. 421.

³ - Werner Ackermann, Renaud Dulong, Henri-Pierre Jeudy. Imaginaires de l'insécurité. Coll. Réponses sociologiques, éd. Librairie des Méridiens, Paris, 1983, p.10.

⁴ - Ibid., p.110.

تحتل المشهد الاجتماعي. علاقة سبب و نتيجة بين الأزمة و اللأمن لا تسمح إلا بالتبرير اجتماعيا و إضفاء الشرعية على "الشعور بالأمن" و على كل ردود الفعل التي يولدها. عندما هيئة سياسية ما لا يكون لديها رهان آخر غير استرداد نفوذها، عندما لا يكون لديها مشروع مجتمع بالمعنى الواسع، فإنها تفرط في استعمال خطاب اللأمن. إنها بمثابة حلقة مغلقة ينتهي فيها الأمر إلى عدم التمييز بين أعراض الخوف و الوسائل الأمنية. الآخر ملغى سواء بالممارسات المتعلقة باتقاء العنف و الدفاع عن النفس، أو بهاجس التعرض للاعتداء. الرياضات القتالية، و تقنيات الغلق الآمن، و التسلح الفردي كلها تُضعف التصور النشط لسياسة الحصار التي تجعل الآخر بمثابة تهديد دائم.¹

6- سياسيتان روشي (Sébastien Roché):

يهتم الكاتب بالسلوكات غير الحضرية (incivilités) أو (désordres civiles)، و هو يعتقد أنها تحفز الشعور بالأمن. في المجتمعات الأوروبية، المزدهرة و الديمقراطية، الميكانيزمات التقليدية التي كانت تؤمن الرقابة الاجتماعية و التضامن الجوّاري توقفت عن أداء وظيفتها. الميكانيزمات الاجتماعية لتعلم ضبط الذات و الاحترام المتبادل تراخت. يستشهد الكاتب بنظرية "زجاج النافذة المكسّر"، إذا غابت الضوابط الاجتماعية غير الرسمية و غاب التعايش و المؤانسة و التضامن الجوّاري، فإن السلوك غير الحضري يتحرّر.²

الجنوح لا يفسّر بدون السلوك غير الحضري، هذا الأخير في الواقع يُنظر إليه كترجمة لغياب الإرادة أو القدرة على الردّ فردياً أو جماعياً على اختلال النظام، كإشارة بأنه لم يعد هناك من قانون مشترك، و بأن لا أحد يبدي عناء في جعل النظام يُحترم. النظام المقصود هنا ليس القانون بقدر ما هو العرف و التقليد، فالشعور بأشكال السلوك غير الحضري يأخذ كمرجع الحياة الاجتماعية و ليس القانون، فمفهوم السلوك غير الحضري مفهوم سوسيولوجي و ليس قانوني، و يقصد به الخروقات للنظام في الحياة اليومية العادية، ما يعتبره الفاعلون الاجتماعيون قانوناً و ليس ما تصفه المؤسسات بالنظام:

¹ - Ibid., pp. 111-114.

² - Sébastien Roché. Op.cit., pp.10-13.

تخطيط علب البريد، رائحة البول في سلا لم العمارات، الضجيج، النوافذ المكسرة، مجموعات الصغار غير المهذبين و العدائين أحياناً المجتمعين عند أسفل المباني.¹

بالارتكاز على الإحصائيات يبين الكاتب أن مجموع المؤشرات تدل على أن العنف أكثر تكراراً اليوم، كل أشكال العنف المسجلة لا تتقدم بنفس الوتيرة، و لكنها تتطور كلها في نفس الاتجاه، نحو الارتفاع. الشعور بالأمان يرتفع بنفس وتيرة الجنوح و الجريمة، و ليست فقط الحساسية تجاه العنف هي التي ترتفع. الأطروحتين اللتين غالباً ما يتم عرضهما على أنهما متناقضتين، التي تقول بأن هناك ارتفاع للعنف، و التي تتحدث عن ارتفاع الحساسية تجاه العنف، يمكن أن تكونا صحيحتين معاً. الحساسية تجاه العنف ترتفع مع التحضر المتزايد للمجتمع و تهدّبه، و العنف يرتفع بالتوازي معها.²

و في دراسة لهوج لاجرانج (Hugues Lagrange) التحليل الميداني أدى إلى عكس الفرضية المتكررة جداً للخطاب حول العنف و التي مفادها أن الحساسية للعنف و صعود الشعور بالأمان ناتجين عن التجربة الشخصية مع العنف نفسه، و هو ما يفترض وجود ارتباط مباشر بين التجربة الشخصية للعنف و الشعور بالعنف. تحت الدراسة على التفكير في أن الشعور بالعنف تماماً كما إدراك المحيط العام هي مفاهيم أكثر عمقاً، إنطلاقاً منها يتم اعتبار التجربة الشخصية. و قد بين لاجرانج أن الشعور بالأمان يتغير حسب درجة الاندماج الاجتماعي للأفراد أو بعبارة أخرى حسب شدة الروابط الاجتماعية. نفس الظواهر ليست موصوفة بأنها عنيفة حسب فئة السن، و حسب فئة الجنس. هذه الحالة النفسية الاجتماعية التي هي الشعور بالأمان تحدّد إعادة تشكيل و وصف الأحداث المعاشة كحالات عنف. الشعور بالأمان هو ما يشكل الخلفية التي يقوم عليها إدراك و تأويل التجربة الشخصية كعنف.³

¹ - Ibid., pp.47, 48.

² - Ibid., pp. 25-28.

³ - Hugues Lagrange. «Perception de la violence et sentiment d'insécurité». In : Déviance et société, 1984/Vol. 8, n°4, pp. 321-344.

7- إرنست جيلنر (Ernest Gellner):

تصوّر آخر لتراجع العنف يقدمه إرنست جيلنر، و هو بروز نمط مجتمع جديد تراجع فيه سادة الحرب ليتركوا المجال للمهندسين، و المنتجين، و الميسيرين، نمط مجتمع يأتي الإنتاج و التجارة فيه قبل استعمال العنف لأن ذلك بكل بساطة أكثر عقلانية، و أكثر فاعلية، و سهل التسيير، و أقل مخاطرة.

يقدم جيلنر فكرة التغير في دور العنف في المجتمعات بتمييزه ثلاث مراحل أو عصور للعنف: في المجتمعات الأكثر بساطة، و يقصد هنا المجتمعات الصغيرة المعتمدة على الجني، ليس هناك إنتاج، و ما يتم الحصول عليه في هذه المجتمعات ليس ذو أهمية كبيرة من حيث الكمية، و هو قابل للتلف، ليس هناك إذا فائض للدفاع عنه، و العنف ليس مبدأ تنظيميا للمجتمع، و هو أقل كلما كان عدد الأفراد الممكن تسخيرهم لممارسته قليل. الوضعية تتغير مع المجتمعات الزراعية أين هناك إنتاج و فائض للتخزين، هذه المجتمعات تنتج الغذاء و الخيرات التي تخزن منها جزءا، لكنها لا تعرف نموا ناتجا عن التقنية، هناك سنوات أحسن من أخرى، و هناك بعض التجديد لكنه بطيء و مشّتت، مثل هذه الظروف ينتج عنها الحضور الدائم للعنف و الإكراه. لا يوجد مبدأ ما غير قابل للنقاش فيما يتعلق بتوزيع الثروة، و في كل الحالات لا يوجد أي مبدأ يمكنه أن يستمر في الغلبة بقوته كمبدأ بعد أن تم تبنيه. يجب إذا فرض نظام توزيع و الدفاع عنه، و هو في الغالب لصالح المدافعين عنه. في هذه المجتمعات من السهل أكثر الحصول على الثروة بالإكراه و بالنشالة منه بالإنتاج، لذلك فالحرب أسمى من التجارة، المحارب في هذه المجتمعات أكثر شرفا من المنتج، إنه أكثر شرفا من خادم الأرض، و من الحربي، و من التاجر صاحب المكانة الهامشية و المفقوتة في المجتمع.

العنف في المجتمعات الزراعية في الغالب وقائي، يتعلق الأمر بمنع ظهور خصوم محتملين، و منعهم من التسلح، أو ردعهم إذا وجدوا. ومنه تتركز الأسلحة و القوة العسكرية بأيدي فئة اجتماعية و أماكن معينة. إنسان المجتمعات الزراعية تحت سيطرة الملوك و المحاربين و أعضاء عشيرته. الأداء الاقتصادي أقل أهمية من المكانة أو الوضعية في نظام التدرج الاجتماعي و العشيرة. هذه المجتمعات بحاجة إلى الأراضي و السواعد، يُقدّر فيها الذكور و امتلاك الأرض. الغزو يسمح بالاستحواذ على الثروات و الأراضي و اليد العاملة المبتذلة.

هذا النظام بدأ في التطور و الضعف عندما بدأ الإنتاج في الارتفاع بانتظام، و هو ما قلب تماما القيم رأسا على عقب، و أصبح أكثر شرفا أن تكون تاجرا أو منتجا من أن تكون محاربا. هذا التحول أصبح ممكنا بظهور نمو مستمر و غير محدود قائم على قاعدة تقنية ثم تكنولوجية. أما فيما يتعلق بالوسائل العسكرية، فأصبحت بسرعة أكثر قوة و أكثر فتكا و تحطيمًا، بفضل الثروة و التقنية، لدرجة أنه يتوجب استعمالها باعتدال و حذر، أو عدم استعمالها تماما كي لا نخطم كل شيء. أطروحة جيلنر إذا هي أن بث السلم في الناس و في المجتمع تم بفعل النشاط المنتج الحديث، فالناس لديهم ما هو أحسن من الحرب ليفعلوه، بالإضافة إلى أن أسلحة الحرب نفسها مبروعة لدرجة أنها تقريبا غير قابلة للاستعمال.¹

تمديدا لتحليل جيلنر يمكن ذكر أطروحة هيرشمان (Albert Otto Hirschman) الذي يرى أنه ابتداء من القرن السابع عشر، ظهرت المصلحة في مقابل العواطف (passions). حب الشرف و المجد، و العواطف المحطمة و البطولية بدأ يحل محلها الحساب و العقلانية التي أصبحت تحمل معاني السلم في حين لم تكن لمدة طويلة مرادفة إلا للجشع و المكر. مونتيسكيو (Montesquieu) نشر هذه الفكرة عن محاسن التجارة أو نعومة التجارة، في كتابه روح القوانين. يقول هيرشمان كلمة "تجارة" ستحمل بذلك في معناها الإقتصادي معنى ضمني إضافي يشير إلى التحضر (civilité)، سلوك مهذب و بشكل أعم ضروري للحياة الاجتماعية.²

جيلنر شخص فقط نزعة عامة للتطور. بالنسبة إليه المنتج سيتفوق على المحارب، و نعومة التجارة لديها حظوظ وفيرة للتغلب على "عنف العنف"، و مع ذلك أشار هو نفسه في تحليله للصراع بين المنتجين و المحاربين إلى أن هناك مخاطر هامة باقية.

و يعتبر ميشو ييفس أننا بصدد نظامين (régimes) اثنين لعمل المجتمع: القائم على العنف، و القائم على المنفعة و الحساب، و يتكلم عن الخطر الممكن إلحاقه بالنظام القائم على التجارة من النظام القائم على العنف، و الذي يسميه أيضا بالبداي، و أن مستقبل العنف سيُلب على ما يميز بين الثمن الممكن تحمله و غير الممكن تحمله بتطور التقنية و انتشارها، حيث يمكن أن تقع في أيد

¹ - Yves Michaud. Changements dans la violence. Op.cit., pp. 180-182.

² - Ibid., p. 183.

غير مسؤولة، على المستوى الداخلي و الدولي، ثم يضيف احتمال عودة العاطفة لدى الفاعلين العقلانيين أنفسهم، يقصد الأفراد في النظام الاجتماعي القائم على المنفعة، بدافع الكرامة أو الشرف المثار.¹ يقول إلى غاية تفجيرات خريف 2001 كان يمكننا حقا أن نظن بأن هذه النزعة لا تقاوم، الانشغالات المنتجة، و النوايا السلمية، و الرغبة في الإحسان، و الخوف من المخاطرة، و الميل إلى الراحة و الرفاهية، و وسائل و تقنيات الردع التي تسمح بالتمتع بالسلم، كل هذا بدا لصالح عالم من السلم و لصالح تاريخ تمّ الفصل فيه، لكن هذا العالم أظهر ضعفه و هشاشته، فالأخطار المحتملة التي أشار إليها جيلنر هي التي ظهرت الآن، بطريقة قاتلة. في عالم متحضر، و مهذب، و مسالم، و مسير بالحساب و المعيار و القانون، تبرز العاطفة كنوع من التقهقر. يواصل ميشو تحليله للوضع، يقول إنها المواجهة بين المحارب و المنتج، و لكن أيضا بين المتخلف و المتقدم، بين المتطور و غير المتطور، و يتكلم عن العنف كأداة للفعل بسيطة بالنسبة لمستعمليها، و أنه أصبح أداة رهيبة بالنظر إلى قدرتها في إلحاق الضرر بالخصم، و أنه من الممكن عودة ظهور العواطف بالنسبة للفاعلين العقلانيين كانتفاض للشرف و الكرامة، هذه العواطف التي يمكن أن تتحد مع الغضب لتبعث الشجاعة من جديد للموت من أجل قضية.²

8- فيليب بروتون (Philippe Breton):

بالانطلاق من أعمال هيرشمان يقترح فيليب بروتون تصورا آخر للعنف بتوضيحه للعلاقة التي يمكن أن توجد بين العنف و الحوار، أو بعبارة هو ظاهرة "أخذ الكلمة" (prise de parole)، من خلال تحليله لشكلين من العنف اليومي بالنسبة لسيرورة الحضارة: "الخوف من الآخر"، الذي أصبح في تصوره ملمحا جديدا غالبا على المجتمعات المعاصرة، و العنف المحطّم الموجّه ضد المؤسسات و الخيرات و الأشخاص، و المرتبط غالبا بالجنوح.

العنف و "الحوار" بالنسبة لبروتون هما أحد الرهانات لسيرورة الحضارة كما يعرضها إلياس، هذه السيرورة التي تستمر معها ظواهر العنف التي تأخذ مكانها في الحياة اليومية. العنف هو أحد ردود

¹ - Yves Michaud. «Violence et conflit». in : Yves Michaud (sous la dir.). Qu'est-ce que la société?, Op.cit. pp. 756-760.

² - Yves Michaud. Changements dans la violence. Op.cit., pp. 186-193.

الفعل الممكنة في حال عدم الرضا بوضعية ما، بالإضافة إلى "التخلي" و "الحوار" الذين يقترحهما هيرشمان، و الذي يعرف "الحوار" على أنه كل محاولة تهدف إلى تعديل واقع غير مُرضٍ، سواء بتوجيه اعتراض فردي أو جماعي إلى المديرية المسؤولة، أو بالتوجه بالطلب إلى هيئة أعلى، أو باللجوء إلى أنماط أخرى من الفعل، كتلك التي تهدف إلى تحريك الرأي العام، أما التخلي فهو ترك المؤسسة، و إلى هاذين الموقفين يضيف بروتون إمكانية أخرى هي العنف.

ما يمثل الجوهر في أطروحة إلياس، حسب بروتون هو أن سيرورة الحضارة كان من نتائجها أساسا التراجع التلقائي و العام للعنف الاجتماعي، إلى غاية الفترة المعاصرة. كل معايير و قواعد التحضر ليس لها إلاّ هدف واحد أساسي هو الضبط و خاصة الضبط الذاتي للعواطف التي تؤدي إلى عنف غير مُتحكّم فيه.

كيف سيأخذ التحضر مكانه في المجتمع؟ حول هذه الفكرة يرى بروتون أن نموذج إلياس القائم على فكرة الانتشار يبدو ضعيفا، و أن ميشمبليد أكثر دقة في ما يتعلق بهذه المسألة عندما يتكلم عن تأثير النظام القضائي (système judiciaire) الذي أعطى معايير جديدة بإحداثه القطيعة مع عادات الانتقام الشخصي المنظّمة للحياة الاجتماعية المتميزة بالعنف. يجب ألاّ نرى في هذا التأسيس التدريجي للعدالة فقط جانبها القمعي، ما سمحت به العدالة (la justice criminelle) و أسسته ليس إلاّ "أخذ الكلمة" لا أقل و لا أكثر، بدلا من العنف. إذا نظرنا من قريب، سيرورة التحضر التي يصفها المؤرخون بعد إلياس، تتمثل في تعميم الكلمة كمجال يتم فيه ضبط العواطف، الكلمة التي تأخذ بالحسبان الآخر.¹

ضبط العواطف و الفصل بين الأفراد (séparation sociale)، هذا الجدار اللامرئي على حدّ تعبير إلياس، و الذي هو في أساس سيرورة الحضارة، ربما هو ما أدى تدريجيا إلى الخوف من الآخر. نحن مدفوعون إلى الابتعاد عن الآخر، إلى ضبط مبالغ فيه لعواطفنا، العنيفة و غيرها. الخوف من الآخر أصبح يعمل كمنظم للعلاقات الاجتماعية. الآخر أصبح يُنظر إليه من البعض كمصدر تهديد. مفارقة كبيرة نعيشها في المجتمع حاليا، "مجتمع الاتصال" القائم على الكلمة، لكن الكلمة التي ليس بإمكان

¹ - Philippe Breton. «violence, prise de parole et processus de civilisation». Op.cit., pp. 25-27.

الكثير التمتع بها و استعمالها. أصبحت الكلمة نفسها كنوع من التعدي على حميمية الناس نتيجة الضبط المفرط للعواطف. وسائط الاتصال نفسها ساعدت على هذا، حيث من السهل على الأفراد الاتصال بواسطتها عكس الاتصال وجها لوجه. لا شيء يبين أننا بصدد بداية انقلاب لسيرورة الحضارة الموصوفة من إلياس، على العكس من ذلك، الارتفاع الطفيف للجنوح، و حساسية الرأي العام المتزايدة لهذا الموضوع، مهما كان الاستغلال السياسي له، هي بلا شك علامة التمسك المتزايد للمجتمع بمسألة التحضر، كغيرها من المسائل التي تُعتبر كفضائح تثير الكثير من ردود الفعل العاطفية والاستياء.¹

السؤال الذي يُطرح حسب الكاتب هو لماذا جزء من المجتمع يُعتبر أنه غير معني بمعايير الحضارة؟ أو لماذا ليس لديه إمكانية للتمتع بهذه المعايير؟ يعتمد الكاتب للإجابة على هذا السؤال على أعمال ميشمبلد، إذ يعتبر أن سيرورة التحضر لم تدفع أبداً إلى تقاسم مجموع القيم المؤسسة للدولة من طرف الجميع. إنها تُقدّم حقاً نموذجاً، لكنه نموذج غير متاح لغالب الناس، لافتقارهم للوسائل الثقافية و الاقتصادية لذلك. الكل مدعو ليستوحي منه، مع العلم أن النخبة فقط يمكن لها التمتع بذلك تماماً. بث معايير التحضر تم باتباع نفس المنحى لأشكال اللامساواة التي ما زال المجتمع ينتجها. هنا أيضاً مسألة الكلمة مهمة، يلاحظ الكاتب كيف يفقد الأفراد في الأحياء المعنية بالجنوح إلى كل إمكانية لأخذ الكلمة، و أن الأفراد القليلين منهم القادرين على ذلك في الغالب يتبنون موقف التخلي. يبقى إذن في هذه الأحياء فقط الأفراد الذين ليس بإمكانهم التخلي. نحن إذا في الحالة الرابعة من تصنيفه هيرشمان للمنظمات، بحسب امتلاك إمكانية التخلي و الحوار، الوضعيات الكالانية (totalitaire) أو العصابات الإجرامية. المعادلة بسيطة، من دون إمكانية للتخلي و من دون إمكانية للحوار، يبقى العنف الوسيلة الوحيدة للتواجد. و الأمر هو أن مفارقة رئيسية أخذت مكانها مع بداية سيرورة التحضر بجعل التحضر علامة تميّز في سياق من اللامساواة الاجتماعية، تم قطع كل إمكانية لامتداده و عمومته على الكل. يذكر الكاتب كيف أن لا أحد يذهل أن تكون المدرسة أداة لإعادة الانتاج المعروف لدى المختصين في علم الاجتماع، بدلا من أن تكون أداة لإعطاء الكلمة للجميع، و لجعل

¹ - Ibid., pp. 28-30.

هذه الكلمة بمثابة طاقة لإحداث التحولات الاجتماعية، فلماذا نعجب من كون سيرورة التحضر غير مقسمة بالعدل بين الناس؟¹

9- روبرت ميشمبلد (Robert Muchembled):

عكس الشعور الغالب، يبين ميشمبلد أن العنف و القتل يعرفان انخفاضا ثابتا منذ القرن الثالث عشر. نظرية "تحضر الأخلاق" تبدو بالنسبة إليه مؤسّسة. الاحصائيات التي اعتمد عليها هي إحصائيات للقتل، و يستخدم ميشمبلد أحيانا تعبير العنف القاتل (violence meurtrière)، و الفظاظة (brutalité) للتعبير عن العنف.

كل الرجال كانت تتمّ تربيتهم في إطار "ثقافة عنف" تركز على ضرورة الدفاع عن الشرف الذكوري ضد المنافسين. عنف العلاقات الانسانية يشكّل أسلوبا للتخاطب أو شكلا من التواصل الاجتماعي الكوني الذي يُعتبر عادي و ضروري في الغرب إلى غاية القرن السابع عشر على الأقل. قبل أن يصبح مع مرور الوقت محتكرا من طرف الدولة كان العنف هو الذي يشكّل الشخصية الذكورية على النموذج النبيل للرجولة و المهارة في استخدام الأسلحة. ابتداء من عصر الأنوار، مجهود السلطات المدنية و الدينية للتخفيض من قيمة هذا النموذج و من اتجاه الناس إليه بدأ يعطي ثماره، ثقافة جديدة قائمة على طابوه الدم و رفض العنف بدأت تفرض نفسها مع الوقت. كون العنف القاتل مرتبط بالأوساط الشعبية و الفقيرة فهذا لا يبين فقط الاختلاف الاقتصادي و الاجتماعي، بل أيضا اختلافا ثقافيا كبيرا، لأن أشكال السلوك العنيف بالنسبة للطبقات العليا تمت إزاحتها بسرعة و بسهولة أكبر بالتربية، و بالأخلاق و بالضغط الممارس من المحيط.²

سيرورة تهذيب الأخلاق و إعادة تعريف الأدوار الذكورية و الإنثائية لم تدخل كل الطبقات الاجتماعية بنفس الشدة و لا بنفس السرعة. انتشار العنف بين نهاية العصر الوسيط و بداية العصر الحديث لا يعني بأن الأمر يتعلق بقانون الغابة لأن هناك مجموعة من القواعد و الطقوس و الشعائر تؤطر عنف و

¹ - Ibid., pp. 30-31.

² - Robert Muchembled. Op.cit. pp. 18-21.

فملاحظة العلاقات بين البشر. تاريخ العنف في أوروبا هو تاريخ تحوّل من ثقافة يملك العنف فيها تأثيرات إيجابية من شأنها أن تنظم الحياة الجماعية إلى ثقافة أخرى صَبِغَتْه بعمق بصبغة اللاشرعية. أطروحة اندثار أو أفول العنف المرتبط بالضبط المتزايد الذي حققته الدولة الحديثة يرجع على الأقل إلى هوبس. على خلاف إلياس الذي يدرجه في سيرورة محضرة تلقائية أوسع، بعض الكتاب يجعلون منه التفسير الوحيد لبروز مجتمع أكثر سلمًا، نتيجة لتعزيز القانون و تدخل السلطات المترجم في تطور الحكم بالإعدام. لكن نقطة الضعف في هذه البرهنة تكمن في أن انخفاض القتل ظهر في نفس الفترة على حدّ سواء في الدول المركزية المطلقة كالسويد و فرنسا، و في الدول التي لم تكن تتمتع ببنيات مركزية، مثل بريطانيا. ليس تطور وسائل الإكراه هو ما يفسر فعلا الظاهرة، بل يبدو من الملائم أكثر البحث عن السبب في مسألة انخراط الفرد في الشرعية الممثلة في الدولة، مهما كان شكل الدولة.¹ لدينا إذا من جهة تدخل الدولة و اهتمامها بالمسألة، و من جهة ثانية القبول الفردي للقيم السلمية.² الفرضية التفسيرية لهذا التحول لها علاقة بآليات إدماج الأجيال من الذكور و بالإضطرابات المرتبطة بفترات تتميز بانتقالات أكثر صعوبة في هذا المجال. الانخفاض الكبير الذي دام لقرون يبين الفعالية المتزايدة في تأطير الشباب الذكور من طرف المؤسسات. في بداية السيرورة، لم يكن عنف الأحداث الأكثر تطرفا مقبولا اجتماعيا فقط، بل مشجع لإنتاج خلق رجولي لدى سكان البادية، و خاصة لدى النبلاء، الذين لديهم نزعة ليصبحوا محاربين، لهذا السبب كان القتل أمرا عاديا و منتشر في كل الطبقات الاجتماعية.³ من العادي إذا أن يكون الذكور العزّاب أكثر عنفا، لأنهم يحاولون أن يتطابقوا مع التصور المثالي الذي يحدّده المجتمع الذي يودون بشدة أن يحتلوا مراتب فيه، هؤلاء الذين يقيهم الأشخاص الراشدون على الهامش لتأخير اللحظة التي يأخذون فيها أماكنهم بدلا منهم، هذا الإبقاء على الهامش يهدف أيضا إلى تحويل عنف الأحداث إلى الخارج، هذا العنف الذي يشتد حدة بفعل ما يشترطه المجتمع من إظهار للقوة القادرة على السيطرة، و من صالح الآباء أن يتحملوا و يكونوا متسامحين حيال ممارسة تسمح بتحويل عدائية أبنائهم، في انتظار أن يخلّفوهم، لتوجيهها خاصة على

¹ - Ibid., pp. 38-45.

² - Ibid., p. 330.

³ - Ibid., pp. 71, 72.

أشباههم، أحداث آخرين مثلهم. عنف الأحداث كان يساعدهم على تحمّل فترة الانتظار الطويلة التي تسبق نيلهم للحقوق كاملة كأشخاص راشدين.¹

تهذيب السلوك اليومي لا يقوم فقط على قوة الأفكار بل أيضا على أنماط من الضبط الجمعي. إلياس و فوكو اقتصر كل منهما على تحليل جانب من الجانبين الأساسيين للظاهرة التي لا يتضح كامل معناها إلا بشكل شامل.²

تقلّص القتل، مع بداية القرن السابع عشر ثم خلال القرن التاسع عشر، مرتبط بالانخفاض الكبير للمواجهات بين الذكور باستخدام السلاح الأبيض، هذا الانخفاض مسّ أولا الأرستقراطيين، قبل أن ينتشر ببطء و بغير التساوي في الطبقات الشعبية. في الحالتين هناك فئة من الشباب رفضت التخلي عن استعمال السلاح فرديا، التخلي الذي أرادت الملكيات تعميمه على البلاد كلها مدعومة بالكنيسة، و مع ذلك تقلص عددهم. العنف الفيزيقي غير المؤدّي للموت تقلص هو أيضا. اللجوء إلى القوة للفصل في الشجار أصبح ملغى بالقانون و بتطور الضبط الذاتي الذي ينظم العلاقات مع الآخر. هذه الوضعية ناتجة عن سيرورة لتسيير العدائية الرجولية فُرضت أولا من طرف السلطات لتهدئة العلاقات بين الناس في الأماكن العامة المفتوحة المقصودة كثيرا كالحانات مثلا، ثم تعمّت شيئا فشيئا. مؤسسات التنشئة، كالكنيسة، و المدرسة، و الجيش، ساهمت في إحلال السلم داخل الأسرة، لقد أصبح العنف شيئا فشيئا موضوع منع رئيسي بإسهام الدين، و الأخلاق، و التربية، و العدالة. ثقافة العنف اختفت تدريجيا، لتنتهي بتوجيه القوة الجسدية الذكورية و جعلها في خدمة الدولة حصريا.³

التطور الحاصل في تقلّص العنف لم يؤدّ إلى اختفاء كل العنف القاتل، لأن هذا العنف بلغ شدة استثنائية في مناسبات الاحتجاجات الاجتماعية، و الثورات، و الحروب التي ميزت أوروبا إلى غاية 1945، لكن سرّع من إزاحته من الفضاء العام و عن العلاقات الاجتماعية المعتادة.⁴

¹ - Ibid., pp. 87, 192, 193, 467.

² - Ibid., p. 310.

³ - Ibid., pp. 464-467.

⁴ - Ibid., p. 330.

10- ميشال ناسيبي (Michel Nassiet):

يسعى الكاتب من خلال عمله الذي اعتمد فيه على استغلال المعلومات التي تضمنتها رسائل العفو (lettres de rémission)، و هي وثيقة عفو يمنحها الملك لتبرئة الجاني، إلى محاولة تفسير التحول الهام الذي عرفه العنف الاغتيال في فرنسا خلال القرنين السابع عشر و الثامن عشر، حيث تقلص بنسب هامة، مع أن هذا التقلص لم يكن بكيفية خطية و هذا لتأثير عوامل منها تحسين الأسلحة، و الحروب الدينية، أو ما يسميه نماذج أو محركات العنف، كتكرار الحروب و مجاورتها، و العنف النبلاء و محترفي الحرب، و العنف التعذيب و العقوبات القانونية، حيث تحرر الحرب الغرائز الجنسية و غرائز الموت، و تخلق عوامل اجتماعية للعنف، إذ تجعل الناس يعتادون عليه و تطبع علاقاتهم بالفظاظة.¹

ينطلق الكاتب من نقد أطروحة نوربر إلياس، التي يراها مختلة للواقع لاعتبارها العنف فرديا، و أن مستوى العنف في المجتمع لا يتوقف إلا على الضبط الذي يظهره الأفراد لهذا العنف، و يتبنى تصور دوركهيم الذي يرى أن الاغتيال ينخفض لأن أسبابه تتراجع، هذه الأخيرة التي يجب البحث عنها في ارتباط الفرد بالجماعات، جماعة الأقارب و المجموعات الدينية. و يعتبر الكاتب أنه بالانطلاق من هذه الفرضية فإن عمله هذا هو بمثابة تأريخ لعملية تحرر الفرد من الإكراه الجمعي (processus d'individuation).²

يرى ناسيبي أننا جعلنا من كل عنف فيزيقي تدنيسا أو تعديا على ممنوع، و هو ما جعل كُتابا مثل إلياس يعتبرون الانتقال إلى العنف الجسدي نوعا من العجز عن ضبط النفس لاحترام هذا الممنوع. لكن في القرن السادس عشر العنف الجسدي إذا لم يكن خطيرا جدا لم يكن يُعتبر كله ممنوعا، و من ثمة لا يستدعي ضبطا ذاتيا. العنف كان بمثابة شكل من الفعل المرمز و المنظم اجتماعيا و ثقافيا، و هو يتسم بنوع من الشرعية يمنحها الخطاب. الفاعلون الاجتماعيون يمتثلون إلى نموذج سلوك يخضع لمراحل معروفة جيدا، و بعيدا عن أن يكونوا متوحشين و همجين، فهم يدافعون عن قيمة بارزة و محدّدة اجتماعيا، و هي الشرف. ثقافة الانتقام واجب مرتبط بمجموعات القرابة، و هي معترف بها و معززة بالخطاب و بالدولة من خلال مؤسساتها، يُستنتج من هذا منطقيا فرضية تراجعه نتيجة إضعاف

¹ - Michel Nassiet. La violence, une histoire sociale. Op.cit., p. 57.

² - Ibid., pp. 5-9.

علاقات القرابة. كل هذا يتناقض مع الأهمية التي يعطيها إيلياس للعنف كغريزة لحظية و للعجز عن ضبط الذات.¹

حسب ناسبي دراسة العنف و الجريمة لا ينبغي أن تجعلنا نعتقد أن المجتمع لم يكن إلّا صراع و اختلال في النظام، الرباط الاجتماعي مُشكّل من علاقات يساهم محتواها في التلاحم، كالتعاون، و التضامن، و الصداقة، و أعمال الخير الموجهة للآخر.² بشكل مجمل، الرباط الاجتماعي كان متنوعا و كثيفا، الجوار يخلق تعاونا متكررا، و القرابة كانت تبعث على التضامن كواجب قاهر و ذو أولوية مقارنة بأي علاقة أخرى، و كانت تفرض نفسها كمقياس لتحديد الأعباء.³

يتناول الكاتب موضوع العنف في علاقته بمفهوم الشرف و القرابة، الشرف رأسمال عائلي و جمعي، و هو رأسمال رمزي، و في القرن السادس عشر لم يزل ينتمي إلى الجماعة، الجماعة العائلية، جماعة القرابة، و هو مؤسس على مبدأ فضيلة أعضاء الجماعة و تطابق سلوكهم مع المعايير التي تملّيها الأخلاق و تملّيها مكانتهم، و بما أن الشرف يستلزم تطابق السلوك مع المعايير و القواعد القانونية فإنه يساهم من حيث المبدأ في الضبط الاجتماعي، و يمكن أن نرى فيه العنصر الأكثر أهمية في إطلاق العنف.⁴

لم يكن كاف مسح ما لحق من إهانة بالجماعة العائلية من طرف الأشخاص الأجانب، بل يجب أيضا الحرص على ألاّ يتعرّض شرف الجماعة العائلية إلى المساس من أحد أعضائها، رب العائلة كان يمارس نوعين من العنف، الموجه للخارج و الموجه لأفراد الأسرة. لا نستنتج من العنف العائلي الممارس من الآباء ردّ الاعتبار للعائلة أو الحفاظ على شرفها أن هؤلاء الآباء كانوا يفتقدون للحب و الرحمة و التعاطف، لكن هذه المشاعر فيهم كانت مغلوبة بهذا المطلق الذي لا يقبل التنازل أو النقد و الذي

¹ - Ibid., p. 124.

² - Ibid., p. 59.

³ - Ibid., p. 91.

⁴ - Ibid., pp. 205-206.

هو الشرف العائلي. نظام تراتب القيم هذا هو الذي تغير مع نهاية القرن السادس عشر و بداية القرن السابع عشر.¹

يعتقد ناسبي أن التفسير بسيرورة الحضارة محدود جدا، و أنه يجب علينا البحث في جانب تطور القيم، و العملية التي أصبح بها الشرف مسألة نسبية، و في إشباع الطموحات الشخصية.² في القرن السابع عشر و الثامن عشر تراخت بالمرّة قوة علاقات القرابة، ما عدا العلاقة الزوجية، و الميزة الجمعية للشرف.³ الشرف العائلي أصبح نسبي بطرق شتى، بالحرية المتزايدة للمرأة، و بنزعة علاقات القرابة عبر قرون عديدة إلى فقدان قوّتها، هذا مرتبط بتنامي قوة الرباط الزوجي. ما حصل إذا عبارة عن سيرورة معقدة، ضمّت تطورا للاتجاهات في العلاقات العائلية، و تطورا في مفهوم الشرف، بهذا حدث تحطيم للمبدأ الأساسي الذي مفاده أن قيمة الشرف تساوي أو أكثر قيمة الحياة، و منه فكرة القتل للحفاظ على الشرف.⁴

البحث عن السعادة بالحب في إطار العلاقة الزوجية يكشف عن الأهمية المعطاة للنجاح الشخصي. الشرف تحول من رأسمال جمعي إلى رأسمال فردي، هذا التحول كان له نتائج على ممارسة الاغتتيال، من جهة لأن الفرص التي يتوجب فيها على الأفراد أن يدافعوا على شرف العائلة أقل تكرارا، و من جهة ثانية، بمجرد أن أصبح الفرد وحده معني بإساءة ما، أصبحت مسألة القتل أقل إلزاما بكثير مما كانت عليه عندما كان شرف الجماعة هو الذي على المحك.⁵

¹ - Ibid., p. 327.

² - Ibid., p. 317.

³ - Ibid., p. 261.

⁴ - Ibid., pp. 330, 331.

⁵ - Ibid., pp. 353-357.

الفصل الثالث: العنف في النظرية.

- 1- التصور الإيثولوجي.
- 2- وجهة نظر التحليل النفسي.
- 3- أطروحة روني جيرارد (René Girard).
- 4- المقاربة الوظيفية.
- 5- المقاربة النسقية.
- 6- المقاربة الماركسية.
- 7- نظرية الإحباط و العدوان.
- 8- نظرية التعلم و التنشئة الاجتماعية.
- 9- المقاربة السيكوبيداغوجية.
- 10- نموذج ميشال فييفيورك (Michel Wieviorka).

1- التصور الإيثولوجي:

الإيثولوجيا علم يهتم بدراسة سلوك الحيوان في وسطه الطبيعي، إلا أن هناك من العلماء و الباحثين من وسّع هذا العلم ليشمل دراسة السلوك الإنساني، أمثال: لورنز (K. Lorenz)، و تنبرجن نيكولاس (Nicolaas Tinbergen)، و أيبيل أيسفيلد (Eibl Eibesfeld)، و هو ما يسمى الإيثولوجيا البشرية (Ethologie humaine)، و تعني الدراسة البيولوجية لسلوك الإنسان، و هو علم يحاول كشف خصوصيات السلوك الإنساني بمقارنته بسلوك الحيوان.¹

تهتم الإيثولوجيا بموضوع العدائية، أو غريزة العراك (Instinct de combat) لدى الحيوان و الإنسان، الموجهة ضد أفراد من نفس النوع، و فرضيتها هي الدور الذي يؤديه السلوك العراكي في المحافظة على النوع.²

سواء عند الإنسان أو عند الحيوان، فإن العدوان بالنسبة للإيثولوجيا الكلاسيكية استعداد فطري داخلي التكوين و تلقائي ككل الغرائز الأخرى، يحمل دلالة بيولوجية و يمثل ميزة تكيفية.³ فعل ما غريزي هو ردّ فعل في حال ما إذا حدث بتأثير مثير خارجي أو غريزة أخرى. و يعتقد لورنز أنه ليس نادرا و لا جديدا في الفيزيولوجيا أن نجد وظيفة في حد ذاتها تلقائية تكون مدفوعة بمثير خارجي. إنها لا تظهر تلقائيتها إلا في غياب مثل هذه المثيرات.⁴

يتم إطلاق هذه الغريزة العدائية بمثيرات خاصة (stimulus spécifiques) تنشّط لدى الفرد المستقبل لها ميكانزمات فطرية للعنف. تحت هذا المنظور فإن الفرضية الأساسية للإيثولوجيا البشرية فيما يتعلق بسوء معاملة الأطفال، أو العنف الممارس من طرف والديهم، تقوم على اعتبار أن المميزات الخاصة بالطفل، كالمميزات الجسمية أو الفيزيولوجية، و الخصائص المتعلقة بالمظهر، و تشكيلة

¹ - Michaud Yves. La violence. 3^e éd. Op.cit., pp. 76, 77.

² - Konrad Lorenz. Op.cit., pp. 5, 6.

³ - Jacques-D. Delannoy, Pierre Feyereisen. Op.cit., pp. 59-62.

⁴ - Konrad Lorenz. Op.cit., p. 101.

الملامح و الحركات التعبيرية للطفل، تمثل مثيرات تعمل بطريقة تلقائية على إطلاق ميكانزمات فطرية متعلقة بمختلف أشكال النشاط الأمومي. في ظروف فيزيولوجية عادية، و إيكولوجية نظامية (régulières) فإن هذه المميزات المذكورة تنشّط السيورورات البيولوجية الخفية لدى كل من الطفل و الأم من أجل تحفيز التكيف المتبادل الأفضل بينهما.¹ أما في الحالة العكسية، أي في ظروف فيزيولوجية غير عادية، فإنها تثير ردود فعل غريزية مؤلمة للعدائية. و تبين الدراسات في هذا الإطار أن الأطفال المعاقين و المتخلفين الذين يعانون اضطرابات في تطوّرهم، أو الذين ينظر إليهم آباؤهم على أنهم مختلفين، يمثلون خطرا حادا من حيث احتمال تعرّضهم للعنف و سوء المعاملة.²

يظهر العدوان ضمن نفس النوع (intra-spécifique)، كاستعداد للهجوم على الفرد من نفس النوع، و الذي يُعتبر في الغالب خصما و منافسا في عملية التزاوج، أو تقسيم المجال، أو الترتيب الاجتماعي (hiérarchie sociale).³ و يُعتبر أصحاب هذا الاتجاه أن غريزة العنف في الإنسان كما في الحيوان لها وظائف إيجابية في تكيف و تطوّر النوع، و تعمل هذه الغريزة حسب لورنز، على مستوى تطور النوع، المستوى الفيلوجيني (phylogénétique)، على بناء العلاقات الاجتماعية من خلال جعلها تتطور نحو التبادل و الاتصال، إنما غريزة حياة تنظم العلاقة بين الأحياء من خلال المواجهة بينهم.⁴

وظيفة المحافظة على النوع أكثر وضوحا في كل أنواع العراك بين الأنواع المختلفة، منها في حالة العراك بين أفراد النوع الواحد. العدوان داخل نفس النوع، الذي هو العدوان بالمعنى الضيق للكلمة، له هو أيضا وظيفة لمصلحة النوع، و علينا أن نطرح في شأنه السؤال لماذا، على طريقة دارون، أي السؤال عن الوظيفة.⁵

¹ - Jean-pierre Pourtois. Op.cit., pp. 44, 45.

² - Ibid., p. 45.

³ - Jacques-D. Delannoy, Pierre Feyereisen. Op.cit., pp. 59-62.

⁴ - Michaud Yves. La violence. 3^e éd. Op.cit, pp. 76, 77.

⁵ - Konrad Lorenz. Op.cit., pp. 33-38.

انطلاقاً من هذا الطّور الاتجاه الإيثولوجي منظورا وظيفيا، و هو يعتبر أن للعنف ثلاث وظائف هي:

- الوظيفة الإيكولوجية: و تأخذ في الحسبان التوزيع المتوازن للأشخاص و الأشياء في المكان المتوفر، و هنا فإن العنف المنزلي (v. domestique) ذو علاقة قوية مع حجم الأسرة، و مع ضعف المستوى الاقتصادي للأسرة، و الذي ينعكس على المسكن: الاكتظاظ، و عدم توفر شروط الصحة.

- الوظيفة الانتقائية: و تتمثل في انتقاء العناصر الأكثر كفاءة من أجل التكاثر و إعادة إنتاج النوع، و في هذا الإطار تندرج أطروحة هاجسكي (Hadjisky) الذي يعتبر أن الآباء الذين يسيئون معاملة أطفالهم يشعرون بطريقة أكثر أو أقل وعيا بأنهم يمثلون مخلفات (déchets) المجتمع، إن مصير المخلفات هو الاختفاء و بالتالي فإن العنف و الأضرار التي يسلطونها على أطفالهم تشكل نوعا من الانتحار: نهاية سلالة (fin de descendance).

- الوظيفة التنظيمية: و تتعلق بتوزيع السلطة، و إدخال مبدأ التسلسل في الترتيب الاجتماعي، فالمعتدي يعمل على إبقاء النظام داخل جماعته من خلال السلوك العدواني. دراسات كثيرة تبين أن نسبا عالية من حالات سوء المعاملة و العنف الممارس على الأطفال، خاصة من طرف والديهم، تتم في سياق تأديبي (context disciplinaire)، فالآباء الذين يعتفون أطفالهم يبرزون في كثير من الحالات سلوكياتهم العنيفة بنيتهم و إرادتهم في الإبقاء على النظام.¹

من المسلّم به، حسب لورنز، أن الحياة المنظمة في مجتمع ما لا يمكن أن تتطور بدون مبدأ للتراتب الاجتماعي يمنع أعضاء الجماعة من الاقتتال بينهم.² و هو يتساءل لماذا في الغالب لا يؤدي العدوان وظيفته الحقيقية لدى الإنسان؟ و يحاول الإجابة عن هذا السؤال مع الاعتراف بصعوبة ذلك، فهو يعتبر أن فهم عناصر نسق ما تامّ لا يمكن أن يتم إلا في مجموع هذه العناصر و إلا فلا، و أنه كلما كان النسق معقدا زادت الصعوبات التي على الباحث تجاوزها، و أن بيان الأفعال و أنماط السلوك

¹ - Jean-pièrre Pourtois. Op.cit., p. 46.

² - Konrad Lorenz. Op.cit., p. 53.

الغريزية، أو المكتسبة من الثقافة، التي تشكل الحياة الاجتماعية للإنسان، هي بلا شك و للأسف النسق ربما الأكثر تعقيدا الذي نعرفه.

في الشروط الطبيعية تساهم العدائية ككل الغرائز في الحفاظ على الحياة و على النوع، لكن لدى الإنسان الذي غيّر بأفعاله بسرعة شروط حياته، غريزة العدائية تُنتج في الغالب آثارا سلبية، و الأمر نفسه مع الغرائز الأخرى حيث لها نتائج مطابقة مع أنها أقل مأساوية.¹

العراك بين الخصوم، خاصة بين الذكور، يساعد على الانتقاء الطبيعي، بمعنى انتقاء العناصر الأفضل و الأقوى، هذه الأخيرة تسمح بالدفاع عن الصغار. الانتقاء فقط داخل النوع ينتج أشكالا من السلوك ليست فقط دون أي قيمة، بل يمكنها أيضا أن تضرّ مباشرة بالمحافظة على النوع. لذلك فالدفاع عن العائلة، الذي يمثل شكلا من المواجهة مع الوسط خارج النوع، أنتج الكفاح بين الخصوم، و هذا بدوره أنتج الذكور المحاربين، لكن إذا كانت الخصومة من أجل الجنس وحدها تنتقي في اتجاه ما دون أن تكون الشروط الخارجية تعمل لصالح النوع، يمكن أن نجد أحيانا إنتاج أشكال غريبة غير نافعة للنوع، هنا الانتقاء نفسه هو الذي قاد إلى هذا الاتجاه بدون منفذ، مثل هذا الحظ السيئ يحدث دائما عندما يتم الانتقاء فقط بالمنافسة بين أفراد النوع الواحد دون أي علاقة بالوسط خارج النوع.

و يعطي لورنر كمثال لما أنتجه الانتقاء فقط داخل النوع في الغرب، وتيرة العمل للإنسان المتحضر، بالنظر إلى نتائجها السلبية على الإنسان و المحيط، و هو يصفه بأنه الإنتاج الأكثر غباءا، و الذي كان من الممكن تجنبه على الأقل نظريا. لأسباب يمكن فهمها إذا، الإنسان معرّض بوجه خاص للتأثيرات السلبية المضرة للانتقاء داخل النوع، و هو عكس الأنواع الأخرى، استطاع أن يتحكم في كل القوى المعادية للوسط خارج النوع، إنه أصبح فعلا عدو نفسه.²

إنه أكثر من محتمل أن يكون هذا القدر المضّر من العدائية التي ما يزال جزء منها مكنون في الإنسان إلى النخاع، آت من انتقاء داخل النوع أثر على أجيال من البشر لآلاف السنين، ما إن وصلت البشرية إلى مستوى يسمح لها بفضل أسلحتها و ألبستها و تنظيمها الاجتماعي من إخضاع الأخطار

¹ - Ibid., pp. 6, 7.

² - Ibid., pp. 48-51.

و التهديدات الخارجية، حتى ما عادت هذه الأخيرة تمثل العوامل الأساسية للانتقاء، عندها بدأ انتقاء داخل النوع ضارّ. العامل الانتقائي أصبح من ثمة هو الحرب بين الجماعات المجاورة من البشر الأعداء، هذه الحرب أثارت انتقاء حادا لكل ما يُزعم أنه فضائل المحارب (vertus guerrières) التي لسوء الحظ، تبدو للكثير منا مثالا (idéal) يقتدى به. الواقع أن قدرا هائلا من العنف يدخل تحديدا في الروابط الأكثر حميمية و الأكثر شخصية التي يمكن أن توجد بين الكائنات الحية.¹ تعلمنا مثالا احترام بعض الشخصيات التي تصرفت بشكل مناقض للعقل و للتفكير السليم، بمعنى بعنف، و اعتبرناهم كرجال عظماء.²

العدوان داخل نفس النوع، عكس ما يراه التحليل النفسي على أنه مبدأ تخطيطي، هو بدون شك جزء أساسي من تنظيم الغرائز من أجل المحافظة على الحياة، يمكن له أن يتحول ليعمل على تخطيط الحياة، لكن هذا صحيح عمليا مع أي وظيفة أخرى لنسق ما. تغيير صغير جدا في شروط الوسط يمكن أن يزعزع توازن كل ميكانزمات السلوك الفطري.³ من المؤكد ميكانزمات السلوك الغريزي لم يكن بمقدورها مواجهة الشروط الجديدة التي لا يمكن تجنبها و التي أوجدتها الثقافة و الحضارة المادية. العدوان خصوصا، و الغرائز بشكل عام، يمكن لها أن تخفق.⁴

الإنسان المتحضر اليوم، حسب لورنز الذي يترك ذلك لعلم النفس و التحليل النفسي لفحصه، يعاني بشكل عام من العجز عن التخلص (abréaction) - يستعمل هذه العبارة تحديدا للإشارة إلى معنى محدد أيضا و هو رد فعل وجداني يتحرّر به المريض، بواسطة حركات أو كلمات، من نزعات مكتومة في اللاوعي أو من هوس ناتج عن صدمة عاطفية قديمة - من غرائزه العدوانية، إنه أكثر من محتمل أن تكون النتائج المضرة لغرائز العدوان لدى الإنسان، و التي أراد فرويد تفسيرها بغريزة الموت، متأنية ببساطة من كمية الغرائز العدائية التي تطورت لدى الإنسان في فترات ماضية بعيدة بفعل الضغط

¹ - Ibid., pp. 52, 53.

² - Ibid., p. 252.

³ - Ibid., pp. 58, 59.

⁴ - Ibid., pp. 251-254.

الناتج عن الانتقاء داخل نفس النوع، هذه الغرائز التي لا يجد لها متنفسا، أو صمامات أمان ملائمة في المجتمع الحالي.¹

تكمّن الصعوبة المبدئية للإيثولوجيا في أنها تحاول ملاحظة الحيوان في وسطه الطبيعي، الأمر الذي ليس له معنى بالنسبة للإنسان، لأن الوسط الطبيعي لهذا الأخير مضاعف بوسط آخر ثقافي و تقني. كل الصعوبة تكمن في تقدير مكانة السلوك الاجتماعي و الثقافي، هل هذا السلوك يأتي ليكمّل الطبيعة و في نفس الوقت يفقدها توازنها، أم أن الإنسان ذو طبيعة اجتماعية و ثقافية يمكن لغرائزه أن تبدّل و تعوّض بأخرى مصنّعة، بمعنى من طبيعة ثقافية و اجتماعية.²

بمفهومه الإشارة المطلقة للسلوك (signal déclencheur) و افتراض وجود بيانات مشكّلة مسبقا (schémas préconstruits) أسّس لورنز تصوره حول العلاقة بين الفطرية (innéité) و التعلّم، أين يجعل من هذا الأخير وظيفة للأخرى. تعميم هذا النموذج على النوع البشري، بالنظر إلى الحيز الكبير الممنوح للوراثة و الدور الضعيف جدا المتروك للتعلّم أثار الكثير من الجدل حول مسألة الفطري و المكتسب.³ لذلك فهو محلّ نقد من طرف السلوكيين يتعلق بفكرة الغريزة الفطرية و العدوان التلقائي، و ذلك من خلال فكرة التعلّم، و كذا نظرية الإحباط و العدوان التي سنعرضها لاحقا.

يوجه لابوريت (Laborit) نقدا في أساس النظرية الإيثولوجية، هذا الأخير الذي يهتم بالميكانيزمات البيوفيزيولوجية و العصبية الفيزيولوجية، درس العدوان عند الحيوان ثم عند الإنسان، يبين أن العنف لا يقتصر على العلاقات بين الأفراد فحسب، إنه ينظّم أيضا السلوكات الجماعية داخل الجماعة الواحدة، و بين الجماعات و الدول، و هو يرى أن العنف ليس من جوهر الإنسان، أي أنه ليس غريزة فيه بل سلوكا متعلما، فالمولود الجديد لا يبدو لنا أن بإمكانه أن يكون عدوانيا.⁴

¹ - Ibid., p. 53.

² - Yves Michaud. La violence. 6^e éd., Op.cit., pp. 69-73.

³ - Raymond CAMPAN, «LORENZ KONRAD-(1903-1989)», Encyclopædia Universalis.

⁴ - Henri Laborit. La colombe assassinée. Op.cit., p. 16.

يعتقد لا بوريت أن الكثير من العلماء وقعوا في الخطأ بإتباعهم الرأي السائد الذي يمثله موقف الإيثولوجيين، فهم يشاهدون سلوكا حيوانيا و سلوكا إنسانيا، و بمجرد ما يجدون بعض التشابهات (analogies) يستنتجون أنه بما أن سلوك الحيوان فطري، و هو أيضا محل نقاش، إذن سلوك الإنسان أيضا فطري، دون أن يأخذوا في الاعتبار أن عقل الحيوان الأكثر تطورا، مثلما هو الحال بالنسبة للأنثروبويد (anthropoïdes)، يختلف عن عقل الإنسان.¹

في الأنظمة المعقدة (systèmes hypercomplexes)، و يقصد بذلك الجهاز العصبي المركزي، لا يتعلق الأمر بإيجاد الأسباب لسلوك ما، السببية هنا لا يمكن أن تكون خطية (linéaire)، أي على شكل سبب - نتيجة، بل يجب أولا اكتشاف التنظيم الداخلي لمعرفة طريقة عمل هذا النظام. و يعتبر لا بوريت أن هذا الاتجاه هو مثال الخطأ الذي ينتج عن جهل الميكانيزمات التي يعمل بها الجهاز العصبي المركزي للإنسان. إكتشاف تطابق بين سلوك حيواني و سلوك إنساني يجعلنا نظن أن الأمر يتعلق في الحالتين بنفس الميكانيزم (homologie)، بينما لا يتعلق الأمر إلا بتطابق وظيفي (analogie fonctionnelle)، مع ما قدمه هذا الاتجاه من إضافة للعلوم الإنسانية.²

حسب لا بوريت لا يمكن للفرد أن يوجد خارج محيطه المادي و البشري، و يبدو أنه من غير المعقول و من غير المقبول اعتبار الفرد و المحيط منفصلين، دون تحديد الميكانيزمات التي يعمل بها النظام الذي يسمح لأحدهما بالفعل حيال تأثير فعل الآخر عليه، النظام العصبي.³

و يرى فان كانجهم (D. Van Caneghem) أن لورنز يبدو من خلال تصورات فطري (innéiste)، و دينامي، و بنيوي، قريب من تقليد نجده عند هيجل و سارتر: قوة فطرية للمواجهة تنظم الحياة، كما يعبر هو نفسه عن ذلك حين يعتبر أن الشر جيد لبعض الأشياء.⁴

¹ - Ibid., p. 93.

² - Ibid., p. 21.

³ - Henri Laborit. «Les mecanismes biologiques et sociologiques de l'agressivité», in : UNESCO. La violence et ses causes. Op.cit., p. 53.

⁴ - Michaud Yves. La violence. 3^e éd., Op.cit, p. 78.

تصور لورنز مرفوض أيضا من الباحثين الذين يقدّرون أن الغريزة العدائية ليست المبدأ المنظّم للمجتمعات الإنسانية، وإلاّ لكانت قادت إلى مأزق بيولوجي و قضت على النوع، و أن الخصائص الجوهرية للنوع هي التعاون و التضامن.¹

و هو أيضا محل نقد و تشكيك حول وجود ميول عدواني تظهر تجلياته مستقلة عن كل سياق، فكل إطلاق تلقائي للعدوان لا يمكن ملاحظته إلاّ في اقترانه بتنشيط استعدادات أخرى كالجنس، و الجوع، و هو موقف العلماء الذين يعتبرون أن العدوان غريزة ثانوية (sous-instinct) تعمل على إشباع غرائز أخرى رئيسية.²

المقاربة الوظيفية التي يطورها هذا الاتجاه لا تعني مدح المبدأ المحطّم للحياة، فهناك مبررات كافية لاعتبار العدوان داخل النوع كأشدّ الأخطار في الوضعية الثقافية التاريخية و التكنولوجيا الحالية للبشرية، و لكن بالنسبة للورنز الفرصة في مواجهة العنف لا تتحسن أبدا إذا قبلناه كشيء ميتافيزيقي لا يمكن محاربتة، و من الأحسن تتبع تسلسل أسبابه الطبيعية، لأنه دائما بفضل فهم هذا التسلسل للأسباب الطبيعية استطاع الإنسان التحكم في الظواهر الطبيعية.³

بالرغم من هذا يعتقد البعض أن حدود هذا الاقتراب تكمن في كونه ينطلق من التسليم بوجود غريزة للعدوان، و هو بذلك يعترف بعدم إمكانية التدخل، أو التأثير على الأسباب التي تطلق هذا العدوان، إضافة إلى هذا فإن الاتجاه الإيثولوجي مشوب بنظرة مَرَضِيَّة، إذ يستلزم العنف حسب هذا الاتجاه إعاقة وظيفية لأحد الأعضاء في ثنائية مبدئيا محضرة و مهينة بيولوجيا للدخول في علاقة بطريقة منسجمة.⁴

التصورات القائمة على فكرة الغريزة وحدها، و التي يفترض أن تكون عامة و مشتركة بين أفراد نفس النوع، مناقضة للملاحظات الممكن جمعها في إطار المقارنة بين الثقافات. الدراسات حول العنف

¹ - Robert Muchembled. Op.cit., pp. 22, 23.

² - Jacques-D. Delannoy, Pierre Feyereisen. Op.cit., p. 64.

³ - Konrad Lorenz. Op.cit., p. 39.

⁴ - Jean-pierre Pourtois. Op.cit., pp. 46, 47.

الممارس على الأطفال المعاقين، و المتخلفين، و تصوّر إعاقاتهم و ميّزاتهم الجسمية و المظهرية كسبب للعنف الممارس عليهم من طرف والديهم، مناقضة للحالات الكثيرة التي يمكن ملاحظتها في الواقع، حيث زيادة التعاطف و الاعتناء بهذه الفئة من الأطفال من طرف والديهم و ذويهم و من طرف أشخاص و مؤسسات أخرى غير الأسرة. لماذا تعمل هذه المميزات الجسمية إذا بطريقتين مختلفتين بل متناقضتين، أحيانا كمثيرات للعنف، و أحيانا أخرى كمثيرات للرعاية و للعطف؟ إن الفرق هنا يتعلق بعوامل تتجاوز التصور الإيثولوجي، و حتى في حال تقبّل فكرة تأثير الخصائص الجسمية في إطلاق العنف، فإنه لا يمكن الجزم بأن ذلك يتم بطريقة الإطلاق التلقائي، فقد يكون بمؤثرات ثقافية، كأن لا تستجيب هذه الخصائص لتوقعات الوالدين، التي تعتبر أولا نتاج الثقافة.

2- وجهة نظر التحليل النفسي:

قبل فرويد كان الاتجاه العام للدراسات يميل إلى اعتبار الطفولة مرحلة سعادة كاملة، و لم تكن أبدا الاضطرابات التي تشوب هذه المرحلة تؤخذ بجديّة، و أن المظاهر التي تأخذها الصعوبات التي تعترض هذه المرحلة لم تكن تلقى إلا تفسيرات فيزيولوجية، مع فرويد بدأت شيئا فشيئا تتضح تعقّدات الحياة العاطفية للطفل و عمق الصراعات التي تمثّلها هذه المرحلة.¹

اعتبر فرويد (S. Freud) في بداية أعماله العنف ردّ فعل للإحباط (frustration) الذي يمنع إشباع الحاجات اللبّيدية، و هو ما طوّره دولار (J. Dollard) فيما بعد في نظريته المعروفة باسم إحباط-عدوان. فيما بعد ميّز فرويد بين غريزة الجنس التي تتجاوز الفرد بحمله على تحقيق غايات النوع من جهة، و من جهة أخرى غريزة الأنا (Moi) التي تتبع الحفاظ على الذات، من وجهة النظر هذه فإن الحب و الكره ليسا متناظرين، فالحب يَنَتِج عن غريزة الجنس، بينما الكره، و بالتالي العنف و العدوان، فينتج عن غريزة الأنا للحفاظ على الذات. فيما بعد أدخل فرويد مفهوما جديدا و هو غريزة الموت (Thanatos) المكملّة لغريزة الحياة (Eros)، و تعمل غريزة الموت هذه حسب فرويد على تفكيك الوحدات الحية بتحويلها إلى حالة لاعضوية، و تتخذ هذه الغريزة عدة مظاهر، فقد تبقى

¹ - Mélanie Klein. Envie et gratitude, et autres essais. Trad. Victor Smirnoff et collaborateurs, Gallimard, 1968, p. 97.

داخلية، و هو ما يمثل المازوشية (masochisme) و سلوك التخطيم الذاتي (conduites autodestructives)، و قد تتحول إلى الخارج، و هو ما يعرف بالسادية (sadisme) عندما تتحد بالغرائز الجنسية، و قد تعمل بطريقة معزولة فتظهر كميول للتخطيم و العدوان. و يعتقد فرويد أن سيرورة الحضارة و التنظيم الاجتماعي اللذان يعملان لخدمة غريزة الحياة تستفيد من غريزة الموت بتحويلها إلى عدوان موجه ضد الغرباء، و منبع وحدة بالنسبة للجماعة، إذ تمنع العنف من الأفراد فيما بينهم. ضمان الحياة و أمنها يكلف منع الغرائز و قهرها، هذا القهر تنتجه الحضارة أولا بواسطة السلطة بالإكراه، ثم يتم استدخاله بعد ذلك في الأنا العليا (surmoi).¹

من جهتها تعتبر كلاين أن الصراع الفطري بين الحب و الكره، غريزة الحياة و غريزة الموت، أو القدرة على تحمّل و إظهار مشاعر الحب و الكره في نفس الوقت، هي صفة مجبولة في الإنسان، مع أنها تختلف في حدتها من شخص لآخر، و يمكن أن تتأثر منذ البداية بالظروف الخارجية المتعلقة بالمحيط، و الذي يتمثل أساسا بالنسبة لكلاين في مواقف الأم المتعلقة بالرعاية (attitudes maternelles).²

ترى كلاين أنه بالتركيز على التفاعل بين العوامل الفطرية و تأثير الوسط يمكن التحكم أحسن في الطريقة التي تتطور بها الملامح الشخصية للطفل.³ و هي تعتبر أن الحركات العنيفة الأولى الموجهة نحو الموضوع الخارجي مرتبطة بشعور قوي و متأجج بالمضايقة و الاضطهاد الذي يجب التحكم فيه و السيطرة عليه، هذا الشعور بالسيطرة يكون مدعما أو معاقا من طرف المحيط من خلال المواقف و الإجابات التي يقدمها.⁴

و تعتقد كلاين أنه مهما كانت مشاعر الطفل جيدة تجاه الأم و الأب فإن العدائية و الكره أيضا يقيان نشيطين. إن الوالد المتميز بالصرامة الشديدة المفرطة، أو الذي يفتقد للحب و التفهم، يؤثر

¹ - Yves Michaud. La violence. 3^e éd. Op.cit., pp. 89-91.

² - Mélanie Klein., Op.cit., p. 97.

³ - Ibid., p. 16.

⁴ - Jean Bergeret. La colombe assassinée. Op.cit., p. 203.

بالتماثل (identification) في تكوين ملامح شخصية الولد، و يمكن أن يحمله فيما بعد على إعادة ما كان يتحمّله هو، و لهذا نجد بعض الآباء يستعملون تجاه أطفالهم نفس الأساليب الخاطئة التي استعملها آباؤهم تجاههم.¹

و يتضمن حب الأم لطفلها كما تبين هيلين دوتش (Hélène Deutch) في أعمالها، ظاهرة مهمة و هي التماثل المزدوج (double identification)، أي تماثل الأم لأُمها، و تماثلها لنفسها كطفلة في علاقتها بأُمها. إن هذا التصور المزدوج للتماثل يشكل العنصر المحوري في أغلب البحوث الحديثة في ميدان التحليل النفسي المتعلقة بالعنف و سوء معاملة الآباء لأطفالهم، و التي تؤكد التاريخ الشخصي المضطرب لهؤلاء الآباء، و أن ملاحظتهم الشخصية نجدها لدى الأبناء المعرّضين لهذا العنف كنتائج نفسية للعنف الممارس عليهم.

هذا، و يؤكد التحليل النفسي الحديث على جانب آخر، و هو التصور الذي يحمله الآباء عن الطفل، أو استثمار الطفل في مشروع الآباء، في هذا الصدد فإن الآباء الممارسين للعنف يعتقدون في الغالب بأن الأطفال موجودين لتلبية حاجاتهم كأباء، و أنهم ينتظرون من أطفالهم أن يتصرفوا كراشدين. هذا العجز في فهم احتياجات الطفل و إمكانياته هو ميزة غالبية الآباء الممارسين للعنف على أطفالهم.²

الفكرة نفسها التي نجدها عند كلاين عن تأثير الآباء على الأبناء و تناقل الأساليب بينهم نجدها عند فروم إريك (Erich Fromm) الذي يتكلم عن ميل للتخطيط (passion de détruire)، و تأثير ملامح الآباء على تكوين شخصية الطفل، فالحب و السعادة التي يعيشها الآباء تصل إلى الطفل كما تصل المشاعر الأخرى كالقلق و الكره.³

يصنف أريك فروم أشكال العنف البشري في مجموعتين، الأولى تنتمي إلى العادي (le normal)، و هو العنف الذي يعبر عنه في اللعب أو الذي يهدف إلى ضمان المحافظة على الوجود، بدافع خوف،

¹ - Otto Klineberg. Psychologie sociale, textes fondamentaux. Trad. A. Lévy, tome 1, Coll. organisation et sciences humaines, Dunod, Paris, 1972, p. 59.

² - Jean-pierre Pourtois. Op.cit., pp. 58- 60.

³ - Otto Klineberg. Psychologie sociale, textes fondamentaux. Op.cit., p. 39.

أو إحباط، أو رغبة، أو غيرة، لكن أيضا مع جرعة مرضية بدافع الرغبة في الانتقام أو فقدان الأمل، المجموعة الثانية هي العنف المرضي (pathologique)، الموجه بدوافع الموت، و تتضمن العنف التعويضي (v. compensatoire) لدى الأفراد الذين يعانون الضعف و العجز، و السادية، و التعطش للدم، و هو يصفه بأنه راسخ في القدم (archaïque)، و يؤكد أن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على قتل و تعذيب أفراد من نوعه دون أي مبرر أو سبب، فقط بدافع المتعة.¹

يحاول فروم أن يصلح بين الماركسية و التحليل النفسي، فالمجتمع الصناعي الحديث في تصويره حرّر الفرد من الروابط (liens) التقليدية و من الأنظمة الاقتصادية السابقة، لكن هذا التحرر لا يعيشه الأفراد بشكل إيجابي، بسبب الانعزال المتزايد و بسبب "خوفهم من الحرية". المجتمع الصناعي الحديث مريض لأنه لا يسمح بإشباع بعض الحاجات الفردية المتعلقة بالهوية، و بالاستقرار، لذلك نرى ظهور و تطور بعض الاضطرابات العقلية. المجتمع الحديث في عجز عن مواجهة ذلك، باعتبار أن ميزة الملمح الاجتماعي، أي ما هو مشترك بين أعضاء جماعة ما، هو الاغتراب (aliénation)، الانسان أصبح غريبا بالنسبة لعمله، و للآخرين، و لنفسه هو.²

بالانطلاق من نقد كتابات فرويد و المفاهيم التي قدمها هذا الأخير، يعتقد جان برجوري أن العنف يمس أساسات كل بنية للشخصية مهما كانت هذه البنية، و يدخل في تركيب شخصية الإنسان، ما جعله يُطلق عليه اسم العنف الأساسي (v. fondamentale).³ أساسي لأنه من المستوى النرجسي و هو دافعي فطري.⁴ و يتمثل تصويره فيما يلي:

¹ - Robert Muchembled. Op.cit., p. 21, 22.

² - Alain Beitone, et autres. Sciences sociales. Coll. Aide-mémoire, 7^e éd., Dalloz, Paris, 2012, p. 167.

³ - Gabriel Moser. Op. cit., p. 9.

⁴ - Alain Braconnier, «Entretien avec Jean Bergeret», in : Le Carnet PSY, 2004/7, n° 93, pp. 33-41.

- العنف الأساسي يتمركز حول جهد موجّه لبناء هوية ابتدائية نرجسية، فالموضوع الخارجي لا يكتسي إلا أهمية ثانوية في المرحلة الأولى، عكس العدائية التي تتعلق بموضوع أوديبي و جنسي، حسب مفاهيم فرويد، حيث ترتبط بالغريزة الجنسية .

- العنف الأساسي يهتم قبل كل شيء بالفاعل نفسه، بالمحافظة عليه، أما ما يلحق بالموضوع كنتيجة تلقائية للعنف فيبقى دون أهمية كبيرة بالنسبة للفاعل، عكس العدائية التي تهدف إلى إلحاق الضرر بالموضوع المستهدف منها بصفة خاصة، إلى تحطيمه.

- العدائية في المنظور الفرويدي ينظر إليها كنتيجة للارتباط بين غرائز الحب و الميولات العدوانية، أو الحاقدة (الكراهة)، فهي إذا أحد مركبات العواطف المتضاربة (Ambivalence affective)، بينما العنف الأساسي لا يمكن أن يأخذ في الاعتبار هذه التراكيب أو الأمزجة من العواطف، فهو لا يرتبط بعواطف الحب و لا بعواطف الكراهة، إذ يقع في مرحلة سابقة لهذه العواطف، مرحلة ما يسمى بالهيامات الأولى (fantasmes primitifs) التي تظهر في العلاقات مع المحيط الخارجي، فالعلاقة بين المولود الجديد و والديه لا تتضمن أي مشاعر من الحب و الكراهة، بل تتلخص باختصار في عنف جذري تضمنه قاعدة أنا أو الآخر (Moi ou l'Autre)، هذا العنف الجذري هو ما يسميه بالعنف الأساسي، و هو يعتبره عنفا طبيعيا فطريا في الإنسان و مشترك بين جميع البشر، هذا الافتراض يقود إلى اعتبار ظاهرة صراع الأجيال ظاهرة وظيفية حتمية لا يمكن تجنبها. و يذكر برجري في سياق هذه الفكرة، أعمال سورل (G. Sorel) حول موضوع العنف، و كيف أنه درس جوانب مختلفة للكفاح العنيف من أجل الحياة دون حب و دون كراهة.

- العنف الأساسي يبقى من ضمن الإطار النرجسي لغرائز الحياة، لا يمكن أن يرتبط بغريزة الموت، لا يمكن إذا الخلط بين ما يسميه فرويد غريزة الموت، و دينامية العنف الأساسي الذي هدفه الأول الحياة لا الموت.

- العدائية لا يمكن فهمها أو تصورها، حسب فرويد، إلا في ارتباطها أو تفصلها مع الجنس، بينما العنف الأساسي يظهر كمرحلة قبل الجنس، العنف و الجنس يظهران بصفة طبيعية بشكل غير متزامن، العنف بهذا المعنى سابق للعدائية.¹

في موقف يحاول الجمع بين فرويد و فكرة العنف الأساسي لبرجوري، كغريزة للحفاظ على الذات، بمعنى غريزة (pulsion) للحفاظ على الرغبة، مستعدة لتحطيم كل ما يعيق تحقيق الرغبة، تربط كريستيان أوليفي (Christiane Olivier) بين العنف و التربية، و هي تعتقد أن فهم العنف يتطلب التطرق إليه في بدايته، في غياب التماثل (identification) للآخر، مع آباء لا يؤدون دورهم التربوي، أو لا يعتبرون الطفل كشخص. تعطي أوليفي أهمية كبيرة للبعد التربوي، و الأسري، و الاتصال، فتعتبر أن العنف، و تسميه البدائي (primitive)، هو العنف الذي يفلت من عملية تحويل الأنا (Moi)، و يبقى دائما إلى جانب الذات (ça) الذي يوجد قبله، بكل خصائصه، الإلحاح لإشباع الحاجات الوحشية و الأنانية: إنه يتدخل حصريا لحماية الفرد، متجاهلا كل الآخرين. نكون إذا أكثر عنفا بقدر ما نكون أقل إنسانية (peu humanisé)، و أقل تربية من آباء غائبين، أو غير مثقفين (incultes)، لا يعرفون شيئا عن التربية، أقل تربية في الاتصال مع الآخر، أقل تماثلا مع آباء متساهلين (laxistes) أو غائبين لا يعبرون عن رغباتهم في مواجهة رغبة الطفل.

المشكل اليوم يبدو بالنسبة لها آت من جهة آباء يغفلون عن الكلام و عن إعطاء المفاتيح و الإجابات الضرورية للحياة النفسية لأبنائهم. قد يكونون أكثر اهتماما بإطعامهم و بإسكانهم، مستجيبين بذلك إلى الأنا الأعلى (Surmoi) للمجتمعات المعاصرة التي تؤكد على الهناء (bien-être) الجسمي، بدلا من السهر على تطوّر الحياة الخيالية و العاطفية للطفل.

أطفال اليوم لديهم أنا (Moi) ضعيف لغياب التربية، و بالتالي ذات (ça) يأخذ أكثر فأكثر أهمية، و الذي يجب تغذيته بدون توقف. العنف حاليا هو عنف أشخاص ليس بإمكانهم أن يتطوروا ثقافيا، حبسي الرغبة في الامتلاك (désir d'avoir) و الامتلاء (désir de se remplir) مهما كانت الوسائل. التفتح على العالم، و على الآخر، بالتربية، و بالقراءة، و بالشعر، و بالموسيقى، أي بما

¹ - Jean Bergeret. La violence fondamentale. Op.cit., pp. 216-236.

تسميه الكاتبة التسامي (sublimation) لم يتم بالنسبة لهؤلاء، و تعني بها التحول عن حاجة ما مادية نحو إشباع للعقل و للروح.¹ أو تحول عن حاجة ابتدائية نحو اهتمام أكثر فكري، و لكنه ضروري للحياة أيضا.²

الطفل الذي يعامله والداه كأنه وجد لتحقيق رغباتهم يحتفظ من معاملة والديه بغير وعي بأثر محطّم، إنه لم يكن مناسباً لرغبة الآخر، إنه غير مُرضٍ، عندما يصبح شخصا راشدا سيشترط بدوره من طفله أن يكون مُرضياً، هذه هي سلسلة العنف و سوء المعاملة الأسرية المستمرة بغير انقطاع.³

و في قطيعة تامة مع التحليل النفسي السائد تحاول أليس ميلر الكشف عن المعاناة في الطفولة الصغرى المبكرة من خلال عرض ما تسميه "البيداغوجيا السوداء" و التي تقصد بها الأساليب التربوية التي تربي بها الآباء و الأجداد. تعتقد ميلر أن طرق التربية التي تعرّضنا لها تظهر في علاقتنا بأطفالنا و معاملتنا لهم، و أن المعرفة بقوانين النمو بالنسبة للطفل لا تجعلنا في منأى عن عدم الرضا و عن الغضب في حال كان سلوك الطفل لا يوافق تصوراتنا المثالية و لا يوافق حاجتنا.⁴

موقفها ضد البيداغوجيا ليس موجها ضد نوع من التربية بل ضد التربية في حد ذاتها حتى في حال كانت ضد التسلط. هذا الموقف حسب ميلر ليس له من شيء مشترك مع موقف روسو لأنها لا تتصور نمو الطفل في هذا المجرد الذي يمثل "الطبيعة"، بل في المحيط الحقيقي المشكّل من الأشخاص الذين يمثلون المرجعية، اللاوعي لهؤلاء الأشخاص يؤثر بشكل معتبر في نمو الطفل، ثم لأنها تعتبر أن بيداغوجية روسو هي أيضا متلاعب (manipulatrice) بالطفل لأقصى درجة.⁵

عناد الطفل و رغباته و عنف مشاعره هي التي كانت دائما تطرح المشاكل أكثر بالنسبة للمربي، تعتمد أليس ميلر على الكتب التي تعنى بتربية الطفل، تقول يتم فيها دائما و بدون كلل التذكير بأن

¹ - Christiane Olivier. L'Ogre intérieur, Op.cit., pp. 29-35.

² - Ibid., p. 53.

³ - Ibid., p. 40.

⁴ - Alice Miller. C'est pour ton bien. Op.cit., p. 16.

⁵ - Ibid., p. 118.

تعلّم الطاعة يجب أن يبدأ في وقت مبكر قدر المستطاع. التربية التقليدية هي تحطيم إرادة الطفل لتجعل منه كائنا مطيعا و مُنصاعا.¹

البيداغوجيا السوداء هي نقل معلومات و آراء خاطئة من البداية يتم تناقلها بين الأجيال، مفادها ما يلي: الأشخاص الراشدين هم أسياد الطفل المعتمد عليهم و ليسوا خدمه، و أنهم يقررون الخير و الشر و يفصلون فيه كآلهة، و أنه يجب باكرا قدر المستطاع سلب إرادة الطفل، و أن الآباء يستحقون الاحترام لمجرد أنهم آباء، و الأطفال لا يستحقون الاحترام، و أنه لا يجب الرضوخ لمطالب الطفل، و أن الآباء دائما محقّين.²

الضرر الذي تمثله التربية يتمثل في كون كل النصائح لتربية الطفل تعكس بشكل أكثر أو أقل وضوحا حاجات للراشدين تلبيتها ليست حتمية لنمو الطفل و تطوّره، و بالتالي تعيقه، هذا حتى في حال نزاهة الراشد و إخلاصه في أنه يعمل لصالح الطفل. من بين الحاجات تذكر ميلر الانتقام للمعاناة التي تحمّلها و الإهانات التي تعرّض إليها. هذا لا يعني أن الطفل بإمكانه أن ينمو في حالة الوحشية، إنه بحاجة لكي يتطور للاحترام من الشخصية المرجعية له، للقبول و التسامح مع مشاعره، و الشعور بحاجاته، و للملمح الحقيقي لشخصية والديه، و أن حريتهم هي التي تحدّد حرية الطفل. حرية الوالدين الشخصية هي التي تفرض على الطفل حدودا طبيعية، و هذه الأخيرة هي ما يخلق مشاكل كبيرة للوالدين و المربين، وذلك لأنهم تعلّموا إهمال مشاعرهم الخاصة في وقت مبكر و عدم أخذها بجديّة، احتقارها و السخرية منها يخلق لديهم مشاكل حقيقية في علاقتهم بطفلهم، يعوضونها بمباديء تربية، مثلا عدم إظهار حناهم خوفا من تدليل الطفل، أو عدم إظهار أنهم أسىء لهم.

آباء لم يتعلموا أن يدافعوا على مصالحهم الخاصة و الشعور بحاجاتهم يستمر تأثير هذا مدى الحياة، الطفل هنا يكون معرّض لللاأمن و يمكنه التوجه للسادية أو المازوشية. مثلا والد تعلّم مبكرا الطاعة يتوجب عليه في بعض الحالات أن يبدو فظا و عنيفا ليحبر طفله على الطاعة، هكذا يكون قد أمكنه لأول مرة فرض حاجته للاحترام، أحيانا أخرى يحدث العكس يتحمل الوالد كل شيء لأنه لم يتعلم أبدا كيف يدافع عن حدوده في التسامح و التحمل، و تحت شعور التأنيب بعد عقاب ولده ينزع إلى

¹ - Ibid., p. 23.

² - Ibid., pp. 77, 78.

التسامح غير المحدود، النتيجة هي أن الطفل لا يتحمل أنه لا يعرف الوجه الحقيقي لوالده و هو ما يدفعه لأن يكون عدوانيا أكثر ليدفع والده ليفقد صبره، هذا النوع من الوضعيات المعبر عنه بعبارات مثل "الأشياء تجاوزت الحدود كثيرا" يستعمل من المربي كحجة إضافية لضرورة الانضباط و العقاب.¹ بما أن الطفل يُستعمل أحيانا من طرف الوالدين كبديل لوالديهما فهو موضوع عدد لا متناهي من الرغبات و الآمال المتناقضة التي لا يمكن إشباعها في أي حال. في الحالات القصوى الانتحار أو الإدمان هو الحل، و في غالب الحالات هذا العجز يؤدي إلى العدوانية الحادة التي تؤكد في نظر المربي الحاجة إلى إجراءات أكثر صرامة.

ينتهي الأمر إلى وضعية مطابقة في إطار التربية "ضد التسلطية". في سنوات الستينات عندما تم ترويض أطفال على تبني سلوك كان آباؤهم يتمنوه لأنفسهم قديما و اعتبروه من ثمة مرغوب فيه عامة، خلال هذا الوقت الحاجات الحقيقية للطفل تم تجاهلها، مثال هذا تشجيع طفل على كسر كأس في حين كل ما كان يحلم به هو الجلوس على ركبي أمه. عندما يشعر أطفال ما بأنهم غير مفهومين و متلاعب بهم يسقطون في الغموض و يؤدي بهم هذا إلى العدائية. لا ترى الكاتبة أي معنى إيجابي لكلمة "تربية" لا ترى فيها إلا دفاع الأشخاص الراشدين، طريقة تلاعب للهروب من اللاأمن و من غياب الحرية، الممكن تفهمها و لكن لا يمكن تجاهل أخطارها. تقول نحن بحاجة إلى فهم كيف تُبنى شخصية الطفل حتى نتمكن من فهمه و دعمه و حبه. من جهة ثانية الطفل بحاجة إلى حريته في الحركة حتى يتمكن من بناء شخصيته بالشكل الصحيح. بعبارة أخرى حتى نتعلم ما هو طفل نحن بحاجة إلى القدرة على الإحساس به، و الإحساس به يزيد كلما زاد ما نعرفه عنه. موقف المربي الذي يريد أن يستحوذ على الطفل، أو يعتقد بأن عليه ذلك، و يحاول جاهدا قولبته على صورته يقف موقفا ضد ما سبق، إنه يمنع الطفل من بناء شخصيته و يضيع فرصة التعلم. هذا ينطبق على العلاقات بين الشركاء و بين البشر و ليس فقط المربي.²

¹ - Ibid., pp. 118-120.

² - Ibid., pp. 121-123.

إن التصور الذي يقدمه التحليل النفسي حول موضوع العنف يتمتع دون شك بتماسك داخلي، لكنه يخلق صعوبة التأكد و الاختبار الإمبريقي.¹ إنه إذا مبدأ تفسيري غير قابل للاختبار الإمبريقي، فرويد نفسه انتقل في محاولة تقديمه نظرية حول الاندفاعات الغريزية من تصور لآخر، في كل مرة نجده يقابل ما يعتبره طاقة الإنسان الأساسية (libido) بغريزة أخرى، غرائز المحافظة (pulsions de conservation)، ثم غريزة الأنا (pulsion du moi)، و في الأخير غريزة الموت (pulsion de mort) التي تقابل غريزة الحياة.

التطبيق الميداني للأفكار التي جاء بها هذا التصور أعطى نتائج عكس المتوقع، نقص الاتصال الاجتماعي و خاصة فقدان الحب حسب فرويد يؤدي إلى الاستعداد للعنف و يُسهّله، هذا الاعتقاد أدى ببعض المختصين الأمريكيين في علم النفس إلى تبني ما كانوا يسمونه الطفولة غير المعرضة للإحباط (non-frustration children) ظنا منهم أن الأطفال الذين نجبنهم كل إحباط و نخضع لهم دائما و أينما كانوا، يصبحون أقل غضبا و أحسن تكيفا مع وسطهم الاجتماعي و خاصة أقل عدائية. هذا المبدأ تم تبنيه في منهج أمريكي للتربية مؤسس على هذه الفرضية، لكن تبين فقط بأن غريزة العدوان ككثير من الغرائز الأخرى تبرز تلقائيا من قلب الإنسان، نتيجة هذا المنهج في التربية كانت أطفالا لا يُطاقون، عديمي الاحترام و العكس كليا لمعنى غير عدائيين.²

التصور التحليلي بالنسبة لفرويد يقوم أساسا على فكرة الغريزة، و قد كان محل انتقاد من طرف بعض تلامذته، أمثال فروم (Fromm)، و هورمي (Horney) اللذان يعتبران العدوان ظاهرة اجتماعية، و انعكاس لظواهر أخرى.³

يأخذ المحيط الخارجي بالنسبة للفرد عكس ما هو الحال بالنسبة لفرويد، أهمية كبيرة بالنسبة لكلاين، إلا أنه يقتصر على مرحلة الطفولة الأولى في علاقة المولود بأمه، و لا يأخذ في الاعتبار العوامل الاجتماعية و الثقافية الأخرى، في حين يولي فروم اهتماما بالمعطيات الثقافية حين يأخذ في الاعتبار،

¹ - Jean-pierre Pourtois. Op.cit., p. 62.

² - Konrad Lorenz. Op.cit., p. 60.

³ - Gabriel Moser. Op.cit., p. 70.

بالإضافة إلى الملامح الشخصية للوالدين، تأثير الأسرة التي يعتبرها العامل النفسي للمجتمع، و التي من مهامها نقل متطلبات المجتمع للطفل، و كذا عامل الأساليب التربوية المعتادة في ثقافة ما، هذه العوامل التي من دونها يبقى المنظور التحليلي عاجزا عن تقديم تفسير واضح للأسباب التي تؤدي إلى ظهور العنف، ففكرة التماثل التي يقترحها، تماثل الأبناء للآباء ثم ممارستهم للعنف على أطفالهم، تعني فقط جانبا أو مظهرا من مظاهر العنف، و هو المتناقل بين الآباء و الأبناء، بغض النظر عن الكيفية التي يتم بها هذا التناقل للعنف، لكنها لا تقدّم تصورا لمنشأ هذا العنف، كيف نشأ في البداية ليتم تناقله فيما بعد؟ الجواب لا بد أن يكون بمعطيات اجتماعية و ثقافية تتجاوز علاقة الآباء بالأبناء، هذه المعطيات التي يظهر تأثيرها في الأشكال الأخرى للعنف، و في زيادة حدته في أوقات و أوضاع دون أخرى.

3- أطروحة روني جيرارد (René Girard):

تعتبر أعمال روني جيرارد بالنسبة للبعض بمثابة نظرية عامة للثقافة.¹ لكن جيرارد نفسه يصرح في كتابه "العنف و المقدس" أنه لا يمكنه الادعاء بالانتساب إلى أي من التخصصات المعترف بها، فهو مؤرخ تحوّل اهتمامه إلى النقد الأدبي، ثم إلى الأنثروبولوجيا، أنثروبولوجيا تهدف إلى تفسير أصل الدين، و إلى الأخذ في الاعتبار الصراع في التاريخ الإنساني، ثم إلى تفسير النصوص الدينية (la Bible)، أو شرح التاريخ المعاصر على ضوء النصوص الدينية.

تظهر أهم ملامح نظريته من خلال مؤلفيه (Mensonges romantique et vérité) (la violence et le sacré) و (rivalité mimétique) و افتراض في الثاني العلاقة بين الأسطورة و العنف. ينطلق جيرارد من فكرة أنه لا أحد يمكنه أن يتجاوز القدرة على التقليد (hypermimétisme) التي يتمتع بها البشر لاكتساب السلوك الثقافي و للاندماج بشكل صحيح في ثقافتهم، هذا التقليد

¹ - Gil Bailie. Op.cit., p. 22.

هو أساس ما نسميه التعلّم و التربية.¹ و يستخدم جيرارد للتعبير عن ذلك مصطلح ميميزيس (mimésis) باليونانية و معناه التقليد (imitation)، إلاّ أن هذا الأخير يستلزم بعدا إراديا، أي البحث إراديا عن التقليد، و هو ما لا يحتويه المصطلح اليوناني، الرغبة الناتجة عن التقليد تتم وفق هذا المعنى بشكل تقريبا غير واع.² بمعنى أن الفرد لا يعرف ما الذي يرغب فيه، و أنّه ليس سيد ما يجذبه بل يلجأ إلى تقليد نموذج ما، و يستعمل جيرارد مصطلح (interdividuelle) للتعبير عن ذلك.

يفضل جيرارد الحديث عن "رغبة العنف" (désire de violence). الطقوس تسمح للمجتمعات بتجنّب العنف، و ذلك بتوجيهه إلى مواضيع أخرى، ضحية بديلة، ضعيفة و سهلة المنال.³

حتى نفهم فكرة الرغبة، حسب جيرارد، يجب و يكفي أن نقبل بأن كل شيء يبدأ من المنافسة من أجل الموضوع، يتحول الموضوع إلى موضوع متخاصم حوله، و هو بهذا يؤدي إلى حدّة الرغبة التي يوقظها عند هذا و ذاك في الحصول عليه.⁴ هذه الفكرة نجدها عند هوبس توماس (T. Hobbes): إذا رغب شخصان في نفس الشيء و بإمكانهما الحصول عليه يصبحان عدوين، و بمواصلة سعيهما لنفس الهدف فإنهما يجبران نفسيهما على تحطيم أو إخضاع أحدهما الآخر، إلاّ أن جيرارد يجد لهذه الخصومة مخرجا و هو طرف ثالث.⁵ و هي فكرة موجودة أيضا عند جورج سيمل عندما يذكر، في سياق حديثه عن الصراع، ذلك الشعور الذي يتوسط الغيرة (jalousie) و الحسد (envie)، و هو الغيظ (dépît)، يصفه بأنه رغبة موضوع ما، مشوبة بالحسد، ليس لأن هذا الموضوع مثير للرغبة بشكل خاص بالنسبة للشخص، بل فقط لأن شخصا آخر يمتلكه.⁶

قيمة الموضوع تزداد ارتفاعا مع ارتفاع المقاومة التي تعترض الفرد في الحصول عليه. موضوع الرغبة إذا هو الموضوع الممنوع، ليس من القانون (la loi) كما يعتقد فرويد ، بل من الشخص الذي يُعيّنه لنا

¹ - René Girard. Des choses cachées depuis la fondation du monde. Grasset, Paris, 1978, pp. 314, 315.

² - Gil Bailie. Op.cit., pp. 69 ; 136, 137.

³ - Lucien Faggion, Christophe Regina (sous la dir.). Op.cit., p. 16.

⁴ - René Girard. Des choses cachées. Op.cit., p. 319.

⁵ - Bernard Dagenais. Op.cit., p. 203.

⁶ - Georg Simmel. Le conflit. éd. Circé, France, 2003, pp. 65-71.

كموضوع مرغوب فيه، عندما يرغب فيه هو نفسه. هذه العناصر ليست تشكيلة ثابتة، فهي تؤثر على بعضها البعض، الخطوة التي يتمتع بها النموذج، و المقاومة التي يبديها، و قيمة الموضوع، و قوة الرغبة التي يوحى بها، كل هذا لا ينفك يتعزّز في عملية تأثير متبادل إيجابي.

المواضيع الممنوعة قانونيا تتوجه إلى الناس جميعا أو إلى فئات كاملة، و هي لا تجعلنا نشعر بأننا أصغر شأنًا كأفراد، أمّا المنع الناتج عن منافسة التقليد فإنه لا يتوجه إلّا لشخص خاص، هذا الأخير ينزع إلى فهمه كمنع موجه ضد مصلحته. حتى في حال تبين للفرد أنه مظلوم و مضطهد، فإنه يتساءل حتما عمّا إذا كان للنموذج مبررات مقبولة لرفضه الموضوع، جانب مهمّ منه يستمر في تقليد النموذج، و من ثمة يقف إلى جانبه، و يبرّر المعاملة السيئة التي لقيها منه.¹

يرتكز نموذج جيرارد (schème) على تصور للرغبة الإنسانية لا يرجع إلى فرويد بل إلى سارتر و خلفه هيجل. الرغبة لا تأخذ في الحسبان فقط شخصا راغبا و موضوع مرغوب فيه: الموضوع يكتسي قيمته المرغوب فيها بفضل توسط نظرة آخر، رغبة هذا الأخير في الموضوع تعمل كنموذج للشخص الذي يقلّده.

النموذج متبنيّ لأنه يظهر ككائن سامي، تقليد رغبات هذا النموذج وسيلة لاكتساب هذا السموّ. الخصومة حول الموضوع نابعة من "رغبة التقليد" من البداية، و مع ذلك فعندما ينفجر الصراع يبدو بدون هدف (motif). يفترض جيرارد أن التطابق (identité) يؤدي إلى الانسجام، في حين التطابق في الرغبة (identité du désir) مآله الصراع. شخصان يرغبان في نفس الموضوع يمثل كل منهما عائقا للآخر. كل تقليد فيما يتعلق بالرغبة ينتهي آليا إلى الصراع. فقدان الاختلاف هذا، بدلا من الاختلاف نفسه، هو الذي يؤدي إلى الصراع. النظام، و السلام، و الخصوبة ترتكز على الاختلافات الثقافية. ليست الاختلافات بل فقدانها هو الذي يؤدي إلى الخصومة بين البشر من نفس العائلة أو من نفس الثقافة.²

¹ - René Girard. Des choses cachées. Op.cit., p. 320.

² - J. M. Coetzee. «Erasmus. Folie et rivalité», in : Laurence Tacou (sous la dir.). Les Cahiers de l'Herne : René Girard. Editions de l'Herne, Paris, 2008, p. 77.

كلّ مجتمع إنسانيّ مؤسّس على العنف، لكنّه عنف تمّ منعه، و معبّر عنه في شكل آخر مختلف على الصعيد الديني. الحدث العنيف المؤسّس للمجتمع و للثقافة سيكون محطّما تماما إذا لم يبحث الناس عن طرد العنف و تصريفه إلى الخارج، بتوجيهه على ضحيّة مكلفة بذلك (victime émissaire). توجد علاقة بين الأشكال الطقوسية و نزعة البشر جميعهم إلى تحويل قلقهم (angoisses) و صراعاتهم على ضحايا يتم اختيارهم بطريقة تحكّمية.¹ و هو ما تستعمل للدلالة عليه عبارة كبش الفداء.

المجتمعات القائمة على الأسطورة و الطقوس لا تسلم هي الأخرى من الاضطهاد، كل الأساطير تجد جذورها في عنف جماعي حقيقي و ضد ضحايا حقيقيين.²

بما أن الناس غير قادرين على التخلّي عن العنف، لم توجد أبدا إلى غاية اليوم مجتمعات إلّا بفضل الميكانيزم الأسطوري الطقوسي (mythico-rituel) الذي يُنتزع منّا أكثر فأكثر- يقصد هنا المجتمعات ذات التقليد اليهودي المسيحي (judéo-chrétiennes).³ يهتم روني جيرارد بما يسميه الاضطهاد الجماعي، أو ذو صدى جماعي، يقصد بالأول العنف المرتكب مباشرة من حشود مستعدة للقتل، يعطي جيرارد مثالا لهذا الإبادة الجماعية لليهود خلال ما عرف بالطاعون الأسود، و يقصد بالثاني أشكال العنف من نمط مطاردة السحرة، و الذي هو شرعيّ من حيث الشكل لكن عموما مشجّع عليه برأي عام جدّ مثار. التمييز بين النوعين غير جوهري، الاضطهاد الذي يهّم الكاتب يجري في فترة أزمت تؤدي إلى إضعاف المؤسسات العادية و تساعد على تشكّل الحشود، أي تجمعات شعبية تلقائية، قابلة لتحلّ كلّيا محلّ المؤسسات الضعيفة أو أن تمارس عليها ضغطا حاسما.⁴

مع انهيار الثقافي، المقصود هنا الوضع المتأزم الذي يهدّد بزوال المجتمع، يشعر الناس بأنهم لا حول لهم و لا قوة، لا يخطر ببالهم أن يهتموا بالأسباب الطبيعية، فكرة أن بإمكانهم التصرف حيال هذه الأسباب و التأثير عليها بفهمها و التعرّف عليها تبقى فكرة شبه غائبة. بما أنّ الأزمة قبل كل شيء

¹ - René Girard. Des choses cachées. Op.cit., pp.153-154.

² - René Girard. Le bouc émissaire. Grasset, Paris, 1982, pp. 38-41.

³ - René Girard. «Lettre à Pierre Pachet sur La violence et le sacré», in : Laurence Tacou (sous la dir.). Op.cit., p. 61.

⁴ - René Girard. Le bouc émissaire. Op.cit., p. 23.

هي أزمة اجتماعية فهناك نزعة قوية لتفسيرها بأسباب اجتماعية و خاصة أخلاقية. العلاقات بين الأفراد في نهاية الأمر هي التي ستمسّ بهذه الأزمة، و أن الأفراد أطراف هذه العلاقات لا يمكن أن يكونوا غرباء تماما عن الأزمة، لكن الناس بدلا من أن يوبخوا أنفسهم فإنهم يوبخون إمّا المجتمع ككلّ، و هذا لا يُلزمهم بشيء، أو أن يوبخوا أفرادا آخرين يبدون لهم بصفة خاصة كمصدر ضرر، لأسباب يمكن تمييزها بسهولة، هؤلاء المشتبه بهم متّهمون بجرائم من نوع خاص.

للهولة الأولى تبدو التهم متنوعة، لكن من السهل تحديدها، فهناك أولا جرائم العنف الذي موضوعه الأشخاص الذين يجرّم أكثر العنف ضدهم، الملك و الأب، رمز السلطة الأعلى، و أحيانا أيضا في المجتمعات الحديثة، الأشخاص الأكثر ضعفا، الأطفال الصغار بشكل خاص، و هناك أيضا جرائم الجنس و الاغتصاب و زنا المحارم، ثم الجرائم الدّينية من مثل تدنيس المقدسات.¹

كل هذه الجرائم تبدو أساسية (fondamentaux) لأنها تستهدف أساسات النظام الثقافي، التفاوتات أو التمايزات الأسرية، و التفاوتات المتعلقة بتراتبية السلطة، و التي لا وجود للنظام الاجتماعي من دونها، أساسية لأنها لا تكتفي فقط بإضعاف الرّباط الاجتماعي بل تؤدي إلى تحطيمه كليّا.

ينتهي المضطهدون دائما إلى الاعتقاد بأن عددا قليلا من الأفراد، أو فردا واحدا بالرغم من ضعفه النسبي، يمكن أن يكون بالغ الضرر بالنسبة للمجتمع كلّ- لا يهتم الكاتب بالأسباب النهائية لهذا الاعتقاد، كفكرة الرغبة أو الغرائز اللاواعية كما في التحليل النفسي، أو فكرة إرادة القهر كما لدى الماركسيين، همّة آلية الاتهام و الارتباط بين التصورات و أفعال الاضطهاد. الرّعب المستوحى لدى

¹ - Ibid., pp. 26, 27.

الناس من انخيار الثقافي و حالة اللبس العام الذي يُترجم في الظهور المفاجئ للحشد، هذا الأخير يبحث عن الفعل، لكن لا يمكنه التصرف على الأسباب الطبيعية، فيبحث بذلك عن سبب يكون في متناوله يُشبع به شهيتة للعنف. إن أفراد حشد ما هم دائما مضطهدون يتمتعون بالقوة، لأنهم يحملون بتخليص المجتمع من العناصر غير النقية، و من الخونة الذين يفسدونه، كل الاتهامات هنا تتناقل في شكل نماذج منمطة (stéréotypes). الأقليات الإثنية و الدينية تستقطب ضدها الأغلبية.

يسعى جيرارد إلى إظهار وجود شكل (schéma) متجاوز للثقافات يتم وفقه العنف الجمعي و الذي من السهل رسم ملامحه الأساسية. هناك مقياس نسبي للانتقاء كضحية خاص بكل مجتمع لكنه متجاوز للثقافات (transculturel) في مبدئه. لا توجد أبدا مجتمعات لا تُخضع أقلياتها و جماعاتها غير المندمجة أو المختلفة إلى أشكال من التمييز و ربما الاضطهاد.

إلى جانب المقاييس الدينية و الثقافية هناك مقاييس فيزيقية: المرض و الجنون و التشوهات الجينية و العطب نتيجة الحوادث، و كلها تستقطب المضطهدين ضد من اتصف بها، كل شخص يعاني صعوبات في التكيف: الأجنبي، و رجل البادية، و اليتيم، و ابن العائلة الثرية، أو الذي يصل أخيرا يمكن أن يُنظر إليه كضعيف و ناقص يحمل علامات الضحية (signes victimaires)، و هذا لا يصدق فقط في الجانب الفيزيقي، فالحالات غير العادية (anormalités) يمكن أن توجد في كل مجالات الحياة و كل أشكال السلوك. المتوسط هو الذي يحدد المعيار، كلما ابتعدنا عن المتوسط، أو عن المكانة الاجتماعية الأكثر اشتراكا بين الأفراد، في الاتجاهين، زاد خطر التعرض للاضطهاد.¹

كلما وصلتنا شهادة عن حالة من العنف الجمعي بشكل مباشر أو غير مباشر، تساءلنا عما إذا تضمنت أيضا: أولاً وصفا لأزمة اجتماعية و ثقافية، بمعنى حالة من اللبس العام (une indifférenciation généralisée)، ثانيا جرائم (indifférenciateurs)، ثالثا إذا كان الأشخاص المعيّنين كمرتكبي هذه الجرائم يمتلكون علامات للانتقاء كضحية (marques paradoxales d'indifférenciation)، هذه ثلاثة نماذج منمطة للاضطهاد (stéréotypes persécuteurs)، و هناك رابع و هو العنف نفسه. ليس من الحتمي أن تجتمع هذه النمطيات كلها، و حضورها يقودنا إلى تأكيد أن أولا العنف حقيقي، ثانيا الأزمة حقيقية، ثالثا الضحايا تم

¹ - Ibid., pp. 30-33.

اختيارهم ليس للجرائم التي تُنسب إليهم، بل للعلامات التي تجعل منهم ضحية، و رابعا المعنى من هذه العملية هو أن يُرمى على عاتق الضحايا مسؤولية الأزمة و أن يتم التصرف حيالها بتحطيم هؤلاء الضحايا أو على الأقل بإقصائهم من الجماعة التي لوّثوها.¹

لكي يتحرّك الناس بناء على نفس الاعتقاد بقدرة الضحية على الشرّ و الأذى، يجب أن تستقطب فعلا هذه الأخيرة كل الشكوك و التوتّرات و أشكال القمع التي تسمّم العلاقات بين الأفراد، يجب أن تشعر الجماعة بأنها أُفرغت من هذه السموم، و بأنها تحرّرت، و بأنها تصالحت مع نفسها. هذا ما يمكن فهمه ممّا تخلص إليه أغلب الأساطير، إنها تُظهر لنا عودة حقيقية للنظام المهّدّد و المعرّض للخطر في ظل الأزمة، و في كثير من الأحيان ميلاد نظام جديد، في وحدة دينية للجماعة التي بُنيت فيها الحياة من جديد بفعل المحنة التي تعرّضت إليها.²

الارتباط الدائم في الأسطورة بين ضحية متّهمة و نهاية عنيفة و محلّصة في نفس الوقت، لا يمكن تفسيرها إلّا بالقوة الخارقة التي يتميّز بها ميكانيزم "كبش الفداء". هذا الافتراض يحلّ السرّ الأساسي لكل الأساطير: النظام المهّدّد من "كبش الفداء" يتعافى أو يتأسس من جديد بتوسط هذا نفسه الذي أدى إلى اضطرابه. إن "كبش الفداء" لا يشفي لا من الأوبئة الحقيقية و لا من الجفاف و لا من الفيضان، و لكن البعد الرئيسي في كل أزمة هو الكيفية التي تؤثر بها على العلاقات الإنسانية. "كبش الفداء" لا يؤثر إلّا على العلاقات الإنسانية المختلة التوازن و المزعزعة بفعل الأزمة، لكنه يعطي انطبعا بأنه يؤثر أيضا على الأسباب الخارجية الموضوعية. تأثير "كبش الفداء" يقلب تماما العلاقات بين المضطّهدين و ضحيّتهم، و هذا القلب هو الذي يُنتج المقدس و الآباء المؤسسين، و الألوهية (divinité). إذا أرجع الناس التغيرات الحاصلة على علاقاتهم، الأزمة و الخلاص منها، إلى الضحية فإنهم يخلّصون إلى الاعتقاد بالقوة المتسامية للضحية و يقدّسونها. العنف عند جيارارد هو أساس كل الطقوس أي أساس كل فكر ديني، و كل نظام ثقافي، بمعنى في أساس كل مجتمع.³

¹ - Ibid., p. 37.

² - Ibid., p. 64.

³ - Ibid., pp. 65-67.

روني جيرارد يذكّرنا بأن بنية الرغبة هي المفتاح لفهم ظاهرة القربان (sacrifice). أنا أرغب فيما ترغب فيه أنت، و أتمثل بالتقليد إلى رغبتك، و الطريقة الوحيدة للخروج من هذه الحلقة المميتة هي أننا أنا و أنت نتصالح ضد طرف آخر نقوم بإقصائه.¹

لا يوجد حب ممكن في هذا النظام التفسيري الذي يقدمه جيرارد، يوجد فقط الكره و الرغبة، و ما يترتب عنهما من نتائج مفرغة. جيرارد يعتبر أنّ الخصومة تنتهي حتما إلى العنف، و هو لا يذكر المنافذ الأخرى الممكنة لها: السيطرة المفروضة أو المقبولة، الهبة (le don) التي تخلق حالة من الدّين متبادلة (الموضحة مثلا في أعمال مارسيل موس (Marcel Mauss) عن التنافس في العطايا (potlatch) كنموذج لممارسة الصراع ضد العنف. كتعبير عن المنافسة يجب تجاوز الآخرين بوفرة الهبات التي تساهم في إبطال العنف)، إنّه يعترف بمنطق الهبة لكنّه يزيحه، لأنّ بالنسبة إليه التعريف الوحيد للإنسان هو ذلك الكائن الذي يخاف من نفسه و من أفعاله، و أنّ كل المجتمعات مؤسسة على هذا الخوف. مرّة واحدة فقط في كتاب من ستمائة صفحة (Des choses cachées..) يذكر وجود أشخاص أعزّة على المرء مهدّدين بالعنف، يفترض إذا وجود علاقة غير العنف و مهدّدة به، لكنّ جيرارد يُهمّل كل الوضعيات أين يمكن أن تظهر النتائج الإيجابية للرغبة، أو الحاجة إلى الحب، و كل العناصر التي تتعارض مع منطق العنف، و ذلك لصالح عناصر ثانوية تؤكد فرضيته القائمة على آراء لا أخلاقية. في حُكم سليمان (Le jugement de Salomon)، واحدة من المرأتين اللتين ادّعت كلتا هُنَّ أنّها أم الطفل رفضت منطق العنف و ذهبت إلى حد التخلّي عن طفلها لصالح خصيمتها، حتى تنقذه. إنّه عكس تماما الرغبة بالتقليد (désire mimétique) التي يتحدّث عنها جيرارد. إنه منطق الحب، لكن على ماذا يقوم هذا المنطق الآخر غير الجيراردي الذي ترتكز عليه حكمة الملك سليمان؟ بكل بساطة على حب الأم، أي هذه الظاهرة العامة لكل المجتمعات، و التي وجدت دائما، و التي تتجاوز دائما منطق العنف بالتقليد.²

¹ - Paul Ricœur. «Le religieux et l'espace symbolique», in : Laurence Tacou (sous la dir.). Op.cit., p. 147.

² - Jacques T. Godbout. «L'amour maternel et le jugement de Salomon», in : Laurence Tacou (sous la dir.). Op.cit., pp. 156-157.

يعترف جيرارد، في رده على جودبوت، بعموم الحب الأمومي كظاهرة، لكنه يؤكد على عموم الرغبة بالتقليد. نقطة الانطلاق بالنسبة له، ليست العنف، بل التقليد. التقليد هو في أساس التعلم، و لكن نفس الميل للتقليد الذي لا غنى عنه للتطور الأخلاقي يولد الصراع عندما يمتد إلى رغبة الأشياء أو المواضيع غير القابلة للاقتسام.

ما يهم حسب جيرارد هو الآخر، و لكن ليس فقط لأنه يريد نفس الشيء مثلي يجعلني مهوس به، لأنه يجعلني مهوس به فإنني أرغب في نفس الموضوع الذي يرغب فيه هو. في مرحلة ثانية فقط ينتهي هذا العناء بالآخر إلى العنف. و لا يترك العنف بين الخصوم مكانه لعنف بالإجماع ضد ضحية مكلفة بذلك إلا في زمن ثالث. هذا الشكل الأخير للعنف حسب الكاتب، هو المؤسس للمؤسسات الإنسانية. هذا لا يعني بأن العنف مؤسس للعلاقات الإنسانية، بل فقط على المؤسسات أن تمنع العنف الناتج عن التقليد كتأثير ثانوي. و أول هذه المؤسسات هو بدون شك القربان.

حسب جيرارد، التضحية بالأطفال هي مؤسسة كانت موجودة حقيقة. ما هو مهم في كتاب (Des choses cachées...) هو إظهار كيف أنّ الديانات الكتابية تحرّرت من التضحية بالبشر. أولا إبراهيم أخذ إسحاق من أمّه، أمام الأمر بالقربان حب الأم لم يكن لديه أي وزن. في اللحظة الأخيرة تم تعويض الطفل بحيوان، و وضع حدّ للتقرب بالأطفال. لنفهم جيدا و بدقة قصة سليمان، يعتقد جيرارد أنه لا يجب أن نبعد عن نظرنا السياق التاريخي، فأسبقية حب الأم، الذي يبدو لنا اليوم جدّ طبيعي، لم يكن دائما مضمونا.¹ حكمة سليمان أظهرت من هي الأم الحقيقية، تلك التي تخلّت عن رغبتها لإنقاذ طفلها، الأم المدّعية هي تلك التي تركت نفسها تتبع عدائية التقليد لدرجة التضحية بالطفل. الأم الجيدة أساسية مطلقا، و لكن السيئة هي التي تنتصر غالبا في هذا العالم. الأم الطيبة تحوّلت من التضحية بالآخر إلى التضحية بنفسها، إنّا تتخلى عن حقوقها ليعيش طفلها.²

نقدا لفكر جيرارد يؤكد لوك دو هوش (Luc de Heusch) على حتمية الاستماع إلى ما يقوله الناس حول ما يفعلون، فإذا أردنا فهم الممارسات المرتبطة بالقربان، بدلا من الحكم عليها من الخارج

¹ - René Girard. «Réponse à Jacques Godbout sur le jugement de Salomon», in : Laurence Tacou (sous la dir.). Op.cit., p. 158.

² - Jacques T. Godbout. «L'amour maternel et le jugement de Salomon», Op.cit., p. 159.

انطلاقاً من وجهة نظر ربما بعيدة كل البعد عن المعرفة بالموضوع، يجب البدء بالاستماع إلى الخطاب، و التفسيرات، و تعليقات الأشخاص أنفسهم الذين ما يزالون يشاركون للآن في هذه الطقوس، لا يمكنني يقول دو هوش إلا أن أوافق الأنثروبولوجيين على هذا الموقف، لكن هناك أيضاً ما لا يقال، و اللاوعي، و الدهاء. و هو يعتقد أن جيرارد أخطأ في جعله عملية تقديم الأضاحي القلب الوحيد لكل الطقوس.¹ أشكال عنف القربان الذي يأخذ مظاهر الطقوس هي أكثر سياسية مما نظنّ، بمعنى متعلقة بفرض السلطة.² المجتمع ينتظم حول جسم الضحية، ثم يعلن بأن تحطيم الضحية وفق الطقس منحه النظام الذي كان بحاجة إليه. ليس القربان هو الذي ينتج النظام في الجسم الاجتماعي، بل الجماعة هي التي تنتظم بعنفها و تستعمل المراسيم كشهادة على قوتها الكالائية (totalitaire).³ القربان يريد أن يجعل الناس يعتقدون بتلاحم سوسيوثقافي، في حين هو أساساً منوال للنفوذ السياسي مكلف بقمع كل بذرة احتجاج تعتبر كمسبب للفوضى و الاضطراب.⁴

الفعل المؤسس للبدل الرمزي، بالنسبة للديانات الثلاث التي تعتقد بوحدانية الله، اليهودية و المسيحية و الإسلام، هو عدم التضحية بإسحاق (في القرآن اسماعيل) من طرف إبراهيم، بمعنى الرفض التام للتضحية بالطفل.⁵

المشهد الدرامي لهذا القربان الذي تمّ وقفه و تحويله إلى فرحة، لا يعني وجود مشكل علائقي عويص بين الأب و ابنه، لأنه قيل خذ إذا ولدك، الوحيد، ذلك الذي تحب، إسحاق. إسم الولد سبقته شهادة بالحب، كأنّ حب الوالد يضع أساسات وجود الطفل، بلاء إبراهيم رهيب تحديداً لأنه يحب ولده.⁶ إنه بهذا الفعل يجرّم ضمناً حقه في حياة أو موت طفله، بعدم قتله، تحت غطاء ديني، فإنه يغامر كنتيجة لذلك بتقليص سلطته الأبوية، بمنحه الحق في القتل في شكل طقوسي ذريته، فإن الأب

¹ - Bernard Lempert. Critique de la pensée sacrificielle. Coll. La couleur des idées, éd. Seuil, 2000, pp. 24, 25.

² - Ibid., p. 29.

³ - Ibid., p. 43.

⁴ - Ibid., p. 55.

⁵ - Ibid., p. 72.

⁶ - Bernard Lempert. Désamour. Coll. La couleur des idées, éd. Seuil, 1994, p. 38.

يؤكد نفسه كسيد للولد، لأنه يعتقد أنه خالق الولد، لكنه لم يعد سيد الولد. التضحية بالبشر طقس للنفوذ السياسي، و هي أيضا طقس للنفوذ الأسري، بمعنى الأبوي (patriarcal). تحريمه يدلّ إذا على ثورة في المجال التربوي، فالطاعة لم تعد مطلقة. بدأ الحوار بين الأب و الابن، التفاوض زعزع الأسس العائلية التي انتظمت على الهيمنة. قتل الطقس حرّر الذرية من فرض الخضوع.¹ بين الاعتقاد في طقوس الدم و الرفض التام و المطلق للتمثيلات التقليدية للعالم، هناك مكان لفضاء رمزي واسع أين يمكن للثقافات المختلفة أن تتفتح، فضاء يشجّع الحوار بينهما.²

لقي تصور جيرارد نقدا ساخرا من طرف روني بومبي (René Pommier) في كتاب خصصه لذلك، حيث اعتبر هذا الأخير أن جيرارد كان ينتقي فقط من الأمثلة و النصوص ما يؤكد فرضيته و تجنب ما ينفي ذلك، بل و لجأ إلى تحريف بعض العبارات في النصوص الأصلية التي اعتمدها. اعتبر بومبي أن تصور جيرارد يمكن دحضه بالعقل و العقلانية كما بالمواجهة مع الواقع، فنظريته للرغبة بالتقليد تصدم الملاحظات في الواقع، حيث يحدث أيضا أن يكون لدينا رغبات تلقائية، و ليس عجيبا أن يكون لعدة أشخاص رغبة في نفس الموضوع إذا وجدوا فيه نفس الصفات، و هذا لا يدل على أن كل واحد منهم يرغب في الموضوع لأن الآخر يرغب فيه، مثال ذلك رجل صناعة يستحوذ على اختراع خصمه ليس نتيجة رغبة تقليد لاواعي، بل هي الاستراتيجية الأكثر عقلانية للاستحواذ على السوق. يتساءل بومبي عما إذا كان جيرارد يخلط بين الرغبة و المنافسة. منطقيا إذا كان الشخص لا يرغب إلا فيما يرغب فيه الآخر فهذا يعني غياب أو عدم إمكانية وجود رغبة أولى، تفسير جيرارد للعنف غير متماسك لأنه يركز على تصور خاطئ للرغبة الناتجة عن التقليد.³

النقد الأهم لتصور جيرارد ليس هذا المتعلق بتماسك تصوره بل مضمون هذا التصور، أو على الأقل أحد المضامين التي يمكن أن نجدها في القراءات لهذا التصور، و التي تميز بين الثقافات أو المجتمعات ذات التقليد اليهودي المسيحي و المجتمعات الأخرى، و تبرّر العنف الجماعي ضد هذه الأخيرة

¹ - Bernard Lempert. Critique de la pensée sacrificielle. Op.cit., pp. 199-201.

² - Ibid., pp. 209, 210.

³ - Fedi Laurent. «René Girard : le Darwin des sciences humaines ou un allumé qui se prend pour un phare, de René Pommier. éd. Kimé, Coll. détours littéraires, 2010», in : Le philosophe, 2010/2, n° 34, pp. 117-122.

حفاظا على تماسك المجتمع و تجنباً للعنف بين أفرادها، ففي تصور جيرارد الاضطهاد الجماعي يخلص الجماعة، لكنه يقوم بذلك على حساب عنف رهيب يأخذ كدريئة له ضحية بريئة، الضحية متهمه خطأً بكونها سببا في الأزمة. مثال هذه القراءات جيل بايلي - يذكر في كتابه بعض المشاهد المأخوذة من الجرائد، معبرا عن موقفه ضد التعاطف الذي تعرضه هذه المشاهد مع الضحايا من الثقافات الأخرى، و يعبر عن أمله في أن يُظهر بشكل ملموس أهمية نظرية جيرارد، و هو يعترف بأنه لا يدّعي علمية عمله، و أنّ طريقته في اختيار النصوص لا تستحق تسمية "البحث" - الذي يتوقف من العنف على اعتباره مؤسس للثقافات، حيث يؤكد جيرارد أنه لم يكن للإنسانية أن توجد بدون الأضحية (sacrifice)، لأن هذه الأخيرة هي التي تحمي الإنسان من عنفه.¹ و يركز على الفرضية التي يقوم عليها تصور جيرارد في اعتبار أن التعاطف مع الضحايا نتيجة لتأثير الإنجيل، يعطلّ عملية "كبش الفداء" الذي يتوقف عليها التلاحم الاجتماعي للإنسانية، لأن الوحي الإنجيلي لا يلغي بما فيه كفاية ميل البشر لحلّ التوترات الاجتماعية على حساب ضحية تعويضية.²

و يقف بايلي على التمييز بين العنف المقرّر (المقدس)، و العنف غير المتحكّم فيه (المدنّس)، يقول: لا يمكن التمييز بين هاذين النوعين من العنف إلاّ بطريقة تحكّمية، لكن هذا التمييز له نتائج إيجابية تجسدها الديانة بتقديسها أشكالاً من العنف المقبول اجتماعياً يمكن للثقافة الرجوع إليها لتفادي عنف أكثر تحطيماً.³ و هو يرى بأن إيقاظ التعاطف مع الضحية حطّم ما استطاعت الثقافات التقليدية قديماً تحقيقه مما يبدو من سلم و إجماع اجتماعي على حساب الضحية. العنف الوحيد الذي يمكنه أن يضع حداً حقيقياً للعنف هو العنف المقدس، في حين الوحي الإنجيلي جعل تدريجياً غير ممكننا تقديس العنف.⁴

¹ - Gil Bailie. Op.cit., p. 5.

² - Ibid., p. 75.

³ - Ibid., p. 22.

⁴ - Ibid., pp. 41-43.

4- المقاربة الوظيفية:

يقدم المنظور الوظيفي تصوره للعنف انطلاقاً من دوره في النسق الاجتماعي، و الوظائف الاجتماعية التي يقدمها لهذا النسق. من أبرز الأعمال في هذا الاتجاه إسهام جورج سيمل (Goerg Simmel) الذي اعتبر الصراع واحداً من أشكال التفاعلات الحية أو الأكثر حيوية بين البشر. أسباب الصراع كثيرة و هي تؤدي إلى انقطاعات في الحياة الاجتماعية، و المفارقة هي أن هدف الصراع هو إعادة تأسيس ما تم قطعه. الصراع الذي يبدو كنموذج مثالي للوضعية ضد الاجتماعية يجب أن يُنظر إليه و يُفهم كشيء ليس فقط حتمي بل ضروري للتلاحم الاجتماعي.¹

الصراع ليس حدثاً مرتبطاً بظروف طارئة، بل هو جزء من الحياة الاجتماعية، إنه شكل من التنشئة، بمعنى أن المجتمع يحى و يستمر لأنه يتضمن بالضرورة صراعات.² في الواقع أسباب الصراع: الكره، و الحسد، و البؤس، و الرغبة في التفرد بالأشياء، و الاستحواذ عليها، هي العناصر الحقيقي للانقسام، عندما ينفجر الصراع لواحد من هذه الأسباب فهو في الواقع طريق للوحدة، مهما كانت و لو على حساب أحد أطراف الصراع و تحطيمه، الصراع في حد ذاته هو حل للتوترات بين الأضداد.³ و ليس من الحتمي بتاتا أن يعمل و يؤثر ما هو سلمي و ضارّ و محطّم بين الأفراد بنفس الشكل داخل مجموع العلاقة، بمعنى المجتمع ككل، و يعطي سيمل مثالا لذلك المنافسة الاقتصادية.⁴

الوظائف الاجتماعية للصراع تتمثل أساساً حسب كوزر (L. Coser)، أحد ممثلي هذا الاتجاه أو ما يسمى بالداروينية الاجتماعية، فيما يلي: وظيفة التكامل بالنسبة للجماعة، تشكيل قيم جديدة، حل التوترات و خلق توازنات جديدة، خلق متنفس أو صمام أمان للجماعة. العنف يمكن أن يؤدي دور الإنذار بالخطر، و هو وسيلة لحلّ المشاكل و الصراعات بنجاح، و وسيلة لجعل مطالب الجماعات الهامشية تؤخذ بعين الاعتبار، و بالتالي الوصول إلى نجاحات ذات دلالة. و يؤكد بورجس (E. W.

¹ - Alain Beitone, et autres. Sciences sociales. 7^e éd., Op.cit. pp. 240, 241.

² - Georg Simmel. Op.cit., pp. 7, 8.

³ - Ibid., pp. 19, 20.

⁴ - Ibid., p. 23.

(Burgess) على وظائف التجديد في الصراعات و الحروب، و يعتبر أن الجماعات الاجتماعية في تطورها تبدي تكاملا و استقرارا متزايدين يمنحانها ضمانا لعملها و أداء وظائفها، لكن بالمقابل تبدي أيضا قدرة أقل على التطابق مع المحيط، في هذه الحالة فإن الصراعات و الحروب هي بمثابة الموت بالنسبة للجسم المسن الذي صار غير قادر على التأقلم مع المحيط بمعطياته الجديدة.¹

الصراعات داخل جماعة معينة يمكن حسب كوزر أن تكون نافعة في تأسيس أو إعادة تأسيس الوحدة و التلاحم في حال ما إذا كانا مهددين بمشاعر الحقد و الخصومة بين الأفراد، لكن امتيازات من هذا النوع لصالح بنية اجتماعية ما لا تتأتى من أي نوع من أنواع الصراع، أو لأي جماعة اجتماعية، إنما ذلك يتوقف على نمط المسألة التي تشكّل مادة الصراع، ثم على نمط البناء الاجتماعي.² الصراعات الاجتماعية الداخلية التي تعني قيم و مصالح لا تتناقض مع المبادئ الأساسية التي تقوم عليها العلاقات الاجتماعية لها تأثير إيجابي على البنية الاجتماعية، مثل هذه الصراعات تجعل من الممكن تصحيح و تعديل المعايير و موازين القوى، فهي تقوم بإحياء المعايير الموجودة، أو خلق أخرى جديدة، و تكييف المعايير مع الظروف الجديدة داخل الجماعة طبقا للاحتياجات التي يشعر بها الأفراد و الجماعات الفرعية التي تشكل أطراف الصراع، أما الصراعات الداخلية أين الأطراف المتصارعة لا تتقاسم القيم الأساسية التي تقوم عليها شرعية النظام الاجتماعي فتهدّد بتحطيم و تفجير البنية الاجتماعية.

دراسات كثيرة مهتمة بالعوامل الأسرية للعنف وصفت ظهور حالات سوء المعاملة و العنف عندما لا يمنح نسق ما لأعضائه سياق حياة بل سياق للبقاء على قيد الحياة، في مثل هذه الحالة الممكن وصفها بالأزمة، تصبح العملة هي "لِينْج من استطاع" بدلا من "الأطفال و النساء أولا"، قانون البقاء للأقوى هو الذي يحلّ. الطاقة الموجهة في الظروف العادية للوظائف الرمزية للوالدين يتم تحويلها لغايات أخرى تبدو أكثر حيوية و استعجالية لصالح الأشخاص الأقوى في النسق (الأسرة) أي

¹ - Yves Michaud. La violence. 3^e éd. Op.cit., pp. 100, 101.

² - Otto Klineberg. Psychologie sociale, textes fondamentaux. Op.cit., p. 412.

الأشخاص الراشدين. الأسرة لا تستمر في البقاء إلا لصالح الزوج حتى لا تهدد العلاقة الزوجية. الأطفال يصبحون كأشياء، وكأدوات في الصراع بين الزوجين.¹

إنّ فرص الصراع توجد في كل أشكال البناء الاجتماعي، لأن الأفراد و الجماعات الفرعية مستعدة دائما للشكوى و التذمر من نقص الموارد، و الخطوة، و النفوذ.² و يرتكز ميرتون (R. Merton) في تناوله لموضوع الانحراف على معاينة الاختلالات الداخلية، و يؤكد أن الترقية الاجتماعية غير المرضية لبعض الجماعات الاجتماعية أو لأطراف من المجتمع، أو غلق إمكانية الوصول لبعض الأهداف أو القيم المشروعة يمكن أن يؤول إلى الانتفاض و الثورة. عندما تشعر جماعات اجتماعية ما بأنها مقصاه أو مهمشة، و خائبة في توقعاتها، و غير سعيدة بوضعيتها بالنسبة لسلم الرضا الاجتماعي، فالعنف يمكن أن يظهر.³

يرى ميرتون أن العنف أحد أنماط التكيف، بمعنى أحد المواقف التي يمكن للفرد أن يتبناها، و هو اختيار من بين خمسة اختيارات ممكنة، حيث كل مجتمع يحدّد أهدافا و غايات مشروعة، و في نفس الوقت يحدّد و يراقب الوسائل المشروعة التي تمكّن الفرد من الوصول إلى هذه الغايات. و يمكن للبنية الاجتماعية أن تعطي قيمة لبعض هذه الغايات دون أن تعير اهتماما بالوسائل التي تتيح الوصول لتحقيقها، و هو ما يخلق حالة من اللامعيارية (Anomie) المتزايدة. و يمكن أن تتحول الوسائل نفسها إلى غايات نظرا للأهمية التي تكتسبها في تحقيق الأهداف المحددة، في وضعية كهذه فإن الأفراد يمكنهم أن يتبنّوا مواقف مختلفة حسب قبولهم أو رفضهم للغايات و الوسائل، كالتالي: الامتثال (conformisme)، أي قبول الغايات و الوسائل معا؛ التجديد (innovation)، أي قبول الغايات و تجديد الوسائل، و هو ما يعتبر موقفا منحرفا بالنسبة لمعايير المجتمع، لاستعماله وسائل مرفوضة من طرف هذا الأخير؛ موقف هروب (évasion) بترك الغايات و الوسائل و التخلّي عنها

¹ - Catherine Vasselier-Novelli, Charles Heim, «Les enfants victimes de violence conjugale», in : Cahier critique de thérapie familiale et de pratiques de réseaux. 2006/1, n° 36, pp. 186-189.

² - Jean Etienne, Henri Mendras. Op.cit., pp. 181-184.

³ - Bernard Dagenais. Op.cit., p. 204.

معا و العيش خارج المعايير؛ التمرد (rébellion) و هو البحث سياسيا عن إنتاج بنية اجتماعية أين يكون التلاؤم و التطابق غايات-وسائل أكثر ضمانا، برفض القيم الرئيسية سواء فيما يخص الغايات أو الوسائل، و الإبقاء على بعضها مع إدخال أخرى جديدة؛ الموقف الأخير ما يسميه بالطقوسية (ritualisme) و هو رفض الأهداف مع الإبقاء على الوسائل.¹

أطروحة ميرتون تشير من جهة إلى أن مجتمعا ما إذا أكد بشكل مبالغ على النجاح المادّي، فإن عددا متزايدا من الأفراد سيشعرون بالإحباط و سيتوجهون نحو التجديد، و من جهة ثانية، الوفرة في مجتمع ما لا تضمن بالضرورة انخفاض الجريمة، لأنه في حال وجود الخيرات بكميات كبيرة فإن المنافسة للحصول عليها ستشتد و تصبح الوسائل أكثر صعوبة، النتيجة هي أن عددا كبيرا من الأفراد، مع أنهم يقبلون الغايات، لا يتوصلون إلى تحقيقها بالوسائل المتاحة لهم. العديد منهم سيشعر بالإحباط و بعضهم لن يتراجع أمام حلول غير مشروعة. إنها مقارنة يمكن تسميتها بالقائمة على الإحباط أو اللامساواة.²

و يمكن للأفراد الانتقال من نمط تكيف لآخر في مختلف مجالات النشاط الاجتماعي، ذلك أن هذه المواقف ترجع إلى سلوك الفرد بدلالة الدور الذي يؤديه في وضعية معينة و ليس إلى شخصيته. إنها أنماط من ردود فعل الأفراد، و ليست نماذج من الشخصية.³

و يرى بارسونز (T. Parsons) أنه لا يوجد نسق اجتماعي متكامل تماما، لأسباب عديدة و متنوعة يوجد دائما فوارق بين توقعات الأدوار و الكيفية التي تؤدي بها فعليا هذه الأدوار من طرف الأفراد، نتيجة هذا التكامل غير التام هو عدم الثبات الذي يسمح بالتغير. و يعتبر بارسونز أن القوة و العنف طريقة و أسلوب للتفاعل الاجتماعي الذي يهدف إلى الردع (dissuasion)، أو العقوبة، أو

¹ - Otto Klineberg. Psychologie sociale, textes fondamentaux. Op.cit., p. 393.

² - Judith Lazar. La violence des jeunes : Comment fabrique-t-on des délinquants?. Flammarion, France, 2002, p. 55.

³ - Robert King Merton. Op.cit. p. 172.

التعبير عن السيطرة و الهيمنة، و القدرة على التصرف، إنها الأداة النهائية للقهر و الإرغام، إنها الوسيلة النهائية للسلطة.¹

يقدم الاقتراب الوظيفي للعنف شرحا لوضعية موجودة، بتقديم تصور لهذه الوضعية من حيث الدور و الوظيفة التي يؤديها العنف فيها، دون تقديم تفسيرات للأسباب التي تؤدي إلى نشوءه، فهو يبرر بالوظيفة التي يؤديها. الفرد في إطار هذا التصور يُنظر إليه كعميل (agent) في وضعية سابقة له، فهو لا يتصرف إلاّ تحت تأثير الوضعية التي تحكمه. و نجد بعضا من الإشارات إلى أسباب العنف لكنها لا تمثل محورا أساسيا ضمن الاقتراب الوظيفي، كوزر مثلا يتكلم عن موقف الأفراد و الجماعات الفرعية التي يعتبرها دائما مستعدة للشكوى و التذمر من نقص الموارد و النفوذ، و يشير أيضا إلى مفهوم الإحباط في تطوّقه لأنواع الصراعات الواقعية و اللاواقعية، حيث يعتبر الأولى نتيجة للإحباط، متعلقة بتقديرات معينة للنجاح من طرف المشاركين في الصراع، و يكون هذا الصراع موجها نحو مصدر الإحباط.²

أطروحة ميرتون تصلح لتفسير العنف الأداتي فقط و هي لا تنطبق للعنف الغائي، و لكن هل نستطيع احتزال العنف في جانبه الأداتي أو الاستراتيجي، فقط؟ العنف مورد لكن ليس ككل الموارد الأخرى، و لا يمكن أن نختصره فقط في حساب التكاليف و الأرباح، فهو مشبع بالدلالات، و كلما كان العنف فظيلا و متطرفا، كلما أصبح من غير الممكن اعتباره فقط من زاوية المنفعة التي قد يمثلها بالنسبة للذين يستعملونه كأداة.³

¹ - Yves Michaud. La violence. 3^e éd. Op.cit., p. 102.

² - Jean Etienne, Henri Mendras. Op.cit., p. 184.

³ - النقد نفسه ينطبق على النظرية المسماة "تعبئة الموارد" (mobilisation des ressources) و المطورة ابتداء من الستينيات بالارتكاز على أعمال المؤرخ شارلز تيلي (Charles Tilly)، و التي يرى أصحابها في العنف موردا و وسيلة مستخدمة من طرف فاعلين لغايات معينة. في الغالب هذه الفكرة تستعمل لتفسير كيف أن فاعلين اجتماعيين مقصيين من الحقل السياسي يستعملون العنف للدخول في هذا الحقل و البقاء فيه. العنف هنا ليس ردّ فعل، بل هنا الفاعل العنيف واع برهانات فعله، هذا الفعل نفسه يخلق معنى. تيلي شارلز مع فكرة عدم فصل العنف أثناء التحليل عن الصراع الأكثر عموما أين يظهر هذا العنف. (Michel Wiewiorka. «Détruire, se détruire dans la perspective sociologique du «Sujet»», in : Revue française de psychanalyse, 2009/4, Vol. 73.

و تجدر الإشارة إلى أن بعضا من المحاولات المقدمة في هذا الاتجاه تتطرق إلى العنف في سياق حديثها عن موضوع الصراع، فالعنف هنا تابع للصراع أو مصاحب له، و بما أن موضوعنا العنف و ليس الصراع، نورد للتوضيح موقف بول كون (Paul. H. Conn) حول العلاقة بين العنف و الصراع، حيث يعتبر هذا الأخير أن العلاقة بين العنف و الصراع أكثر من مؤكدة، فاستعمال مصطلح الصراع المطبق خاصة على الأنساق السياسية يستحضر و يستدعي في الغالب العنف الفيزيقي، و الردع، و الشغب، و أشكال أخرى من السلوك المخطم. إنه يستلزم التصادم: كفاح بين الأفراد و الجماعات التي تحمل مبادئ، أو معايير، أو أهداف مختلفة، مع أن صراعا ما يمكن أن يكون عنيفا أو غير عنيف.¹

5- المقاربة النسقية:

في مواجهة التقلبات و التغيرات الخارجية يقوم نسق ما بتغيير حالته، تغيير الحالة عبارة عن تغيير في توازن النسق (système) بانتقاله إلى حالة جديدة، و إلا فإنه سينهار و يحلّ مكانه نسق آخر. في هذا المنظور العنف ملازم للتعديلات التي يقوم بها نظام ما عند تعرضه لمضايقات تهدد ثباته و ديمومته.²

يقترح جالتونج (J. Galtung) نموذجا بنائيا للعنف. العنف المباشر، في تصوره، ليس إلا واحد من أشكال العنف، هناك أشكال أخرى أكثر تخفيا و أكثر صعوبة إذا أردنا تحديدها، لكنها ليست أقل إلحاقا للأذى و الضرر من العنف المباشر. العنف البنوي هو ذلك العنف المدمج في عمق البنيات الاجتماعية. يوجد هذا العنف عندما يتأثر الأشخاص بشكل يجعل إنجازاتهم الجسمية و الذهنية أقل مما يفترض أن ينجزوه بالنظر إلى قدرتهم. العنف في تعريفه الأكثر عمقا و وضوحا هو الفرق بين ما يمكن أن يكون و ما هو كائن: في كل مرة يموت أناس من الجوع في حين كان يمكن تفادي ذلك بتبني نظام مختلف لتوزيع الثروة، و في كل مرة يموت شخص في حين كان بالإمكان علاجه، يمكن الحيث عن العنف البنوي. إمكانية تفادي العنف ميزة أساسية فيه.

¹ - Rasheeduddin Khan. Op.cit., p. 896.

² - Yves Michaud. La violence. 3^e éd. Op.cit., pp. 103, 104.

في حين يرتبط العنف المباشر بصفة محدّدة بوجود فاعلين، ضحية و مرتكب للعنف، العنف البنيوي لاشخصي، ضحاياه لديهم نزعة لعيش حياة مُشكّلة من الاضطهاد و الاستغلال و الإذلال، دون أن يكونوا بالضرورة قادرين على تحديد الجاني، و في العديد من الحالات لا يبحثون عن فاعل لأنهم لا يتصورون وضعيتهم بمفهوم العنف. تصور جالتونج يعطي أهمية للنتائج و ليس للقصد الذي لا يهدف إلاّ الأشخاص المسؤولين عن حالات العنف المباشر، و بالتالي هو تصور لا يهمل البنيات.

بعد هذا أدخل جالتونج فكرة ثالثة، بالإضافة إلى العنف المباشر و العنف البنيوي، و هي العنف الثقافي. معايير العنف الثقافي تعمل كعوامل لإعطاء شرعية للعنف المباشر و العنف البنيوي، بإخفاء تأثيراتهما، و يجعلهما يبدو أن كأتهمما جيّدين، أو على الأقل غير سيئين. يمكن لنماذج منمطة تحمل العنف البنيوي أن تكون متضمنة في الخطاب الديني، و في الإيديولوجيا، و الفن، و اللغة، و العلم. العنف المباشر، و البنيوي، و الثقافي، هي زوايا مثلث العنف، حيث كل أنماط العنف يغذي الواحد منها الآخر، و أن العنف يعاد إنتاجه في كل الأبعاد. العنف المباشر هو حدث، و العنف البنيوي سيرورة، و العنف الثقافي معطى دائم و مستقر.

فئات العنف يمكن أن تختفي الواحدة في الأخرى: فعل ما فردي عنيف و مباشر ليس نتيجة إرادة شخصية فقط، بل أيضا نتيجة توقعات منبثقة عن معايير ثقافية مرتبطة بمكانة الفاعل. من هذه الأنماط الثلاثة للعنف يمكن للعنف المباشر أن يكون الأقل سوءا، في بعض السياقات، على الأقل على المدى البعيد.¹

يولي هذا التصور أهمية للعلاقات المتبادلة بين أفراد الأسرة، التي ينظر إليها كنظام يتمتع في نفس الوقت بالاستقرار و بالقدرة على التحول، فهي تبحث عن ضمان بقاءها و تكيّفها مع القواعد التي تحكم تطورها، و هو يعتبر أن العنف إنما يتطور في إطار بعض أنماط الاتصال و أشكال العلاقات داخل الأسرة، فالأسر حيث يظهر العنف تتميز بالصراع في مجمل سلوكياتها التفاعلية، بينما التفاعلات الحميمة قليلة بين أفرادها.² عندما يصبح العنف هو نخط العلاقات الوحيد داخل الأسرة: عنف الزوج

¹ - Valeria Izzi. Matière : «Johan Galtung», in : Michela Marzano. Op.cit., pp. 223-228.

² - Jean-pierre Pourtois. Op.cit., pp. 63, 64.

على الزوجة، عنف الإخوة على الأخوات، عنف الأطفال فيما بينهم، عنف الآباء على الأطفال، فالعنف يحلّ مكان الكلمة، أو ببساطة يحلّ مكان شرح ما هو مخطور، و يصبح هو المبدأ، إنه لغة التحاور في غياب حوار آخر، و هو مرتبط بأقل قدر من الإحباط في غياب ضبط المشاعر، إنه الإجابة الفورية لعدم الشعور بالرضا، للتمت و التعصب، إنه ترجمة في أفعال ما لا يمكن ترجمته في كلمات.¹

و يولي الاقتراب النسقي اهتماما بالأدوار داخل الأسرة، فالأطفال المعاملين معاملة سيئة و المعرضين للعنف يشاركون في العنف الممارس عليهم بمكاناتهم في الأسرة و بالمعاني و المدلول الذي يمثلونه بالنسبة لبقية أفرادها، أكثر مما يشاركون بميزاتهم التي يتفردون بها. في هذا السياق و من منظور نسقي تحليلي، يصف ستيرلي (N. N. Stierli) الطفل بأنه ممثل (délégué) الأولياء في تقوية و تدعيم الأسرة، هذا الطفل يلعب دور "كبش الفداء"، و يصبح ضروري للأسرة لأنه يشارك مباشرة في إبقاء التلاحم بين أفرادها. نفس الفكرة تقريبا نجدها عند كل من سبارك (J. M. Spark) و زالبا (S. R. Zalba) اللذان يعتبران أن الصراع بين الزوجين يتحول إلى الطفل.²

و يرى بلاك (J. Blake) أن الأطفال يؤدّون وظائف أداتية جد مهمة، فإذا كانوا لا يشكّلون استثمارات اقتصادية مباشرة، فإنهم يؤدّون وظيفة ضمان و تأمين المكانة الاجتماعية للآباء و للأسرة عامة، هذه الوظيفة الأداتية غير المباشرة تزيد أهمية مع تدني المكانة السوسيواقتصادية للأسرة، و هو موقف كل من نيبيل (A. Neal)، و جروت (H. T. Groat) اللذان يعتبران الطفل بمثابة تعويض (compensation) للأسر المتميزة بالعزلة و العجز. و يتبنّى روسل (L. Roussel) موقفا قريبا من هذا عندما يصرّح بأن للطفل مهمة تحقيق أهداف اجتماعية فشل الآباء في تحقيقها.³

¹ - Abdessalem Yahyaoui, et collaborateurs. Op.cit., p. 74.

² - Jean-pierre Pourtois. Op.cit., p. 65.

³ - Jean Kellerhals, P-Y. Troutot, E. Lazega. Microsociologie de la famille. Op.cit., pp. 93, 94.

تصور جالتونج كان محل نقد في جانب الاهتمام بالبنيات دون الفاعلين، لكن موقفه صريح في هذه المسألة، فهو يعتبر أن مجهوداته هي للتحرّر من المنظورات المهتمة بالفاعلين الاجتماعيين، مع ذلك تبقى هناك المخاطرة بإهمال القدرة على الفعل التي يتمتع بها الفاعل، بالإضافة إلى صعوبة أو عدم إمكانية قياس العنف البنيوي، وكذلك التعريف الموسّع للعنف الذي يمكن أن يخلق صعوبات في التحكم بالموضوع، لكن إذ يوضّح جالتونج الخطأ في التركيز فقط على العنف المباشر فهو لا يقترح الطريقة العكسية، أي التركيز فقط على العنف البنيوي، بل محاولة تناول الأبعاد الثلاثة جميعها.¹

يبحث الاقتراب النسقي عن دمج السلوك العنيف في نسق سبي يتمتع بالتماسك الداخلي، فهو يبحث فيما يخص العنف المنزلي عن تماسك الأسرة كمؤسسة يتم في إطارها السلوك العنيف.² وبالرغم من اقتران مصطلح العنف بالمصطلحات الأخرى التي يرى أصحاب هذا الاتجاه أنها مهمة لفهم ظاهرة العنف، فإنه لا يبدو مجدياً كمفاهيم الصراع الاجتماعي، أو مفهوم السلطة، أو المعايير الاجتماعية.³

إن تبرير العنف الممارس على الأطفال في إطار الأسرة بكونه يمثل عامل تماسك بالنسبة للأسرة، و بأنه يؤدي وظيفة التماسك بين أفرادها، هو تصور ناقص لأن الدراسات الميدانية الكثيرة تبين أن العنف أحد الأسباب الرئيسة و عاملاً مهماً من عوامل التفكك الأسري، و أن التماسك الأسري و الالتحام بين أفراد الأسرة الواحدة إنما يقتزن بأساليب أخرى من الاحتكاك و التفاعل غير العنف، كالحوار مثلاً. بالإضافة إلى أن العنف الأسري ليس له كموضوع الطفل فقط، فهو لا يستثني باقي أفراد الأسرة، كيف إذا و لصالح من يلعب الطفل دور "كبش الفداء" إذا كان باقي أفراد الأسرة لا يسلمون هم أيضاً من العنف؟

¹ - Valeria Izzi. Matière : «Johan Galtung», in : Michela Marzano. Op.cit. pp. 225-227.

² - Jean-pierre Pourtois. Op.cit., pp. 70, 71.

³ - Rasheeduddin Khan. Op.cit., p. 905.

هذا، و يهمل تناول النسقي لموضوع العنف الأسري أهمية التغير، فهو يدرس الأسرة و يهتم ببنيتها في وقت واحد من تاريخها، إنه يركز على الوقت الراهن و لا يعطي أهمية لتطور هذه المؤسسة الاجتماعية، فهو يتعرّض لموضوع العنف كتفاعل يتم في حينه و مكانه.¹

6- المقاربة الماركسية:

الاتجاه الماركسي واحد من المدارس الفكرية التي تصوّر المقاربة المادية أو الاقتصادية للعنف، بمعنى أن العنف يمكن أن يتأتى من الذين هم مستعدون بكل الوسائل لأن يصبحوا أغنياء، العنف بين الجماعات أو العصابات الإجرامية مثال ذلك. لكن العنف يمكن أيضا أن يأتي من اللامساواة التي يخلقها النظام الاقتصادي. و هي الأفكار التي نجدها أيضا في نقد العولمة أو ما يسمى بالرأسمالية المتوحشة، هذا النظام الاقتصادي الذي يخلق حالات من التهميش بفعل البطالة المطوّلة، العولمة تُعمّم وضعيات التهميش هذه و معها الاستعداد للعنف، و في نفس الوقت حركات غضب. النظام الليبرالي يُنشّط الثروة، لكن يخلق أيضا شكلا من الفقر مصدر الثورات و الاحتجاجات و العنف.²

يتكلّم الماركسيون عن تحوّل بنائي أساسي في العلاقات السوسيو-اقتصادية، و عن بنية فوقية سياسية تعكس هذا التحوّل و الثورة السوسيواقتصادية التي ينظر إليها على أنها تغيير أساسي، و جذري، و شامل، تغيير عميق يستلزم إلغاء الاستغلال و اللامساواة.³ يربط ماركس (Karl Marx) فكرة التغيير بفكرة الصراع، و يربط هذا الأخير بفكرة العنف. فصرع الطبقات بالنسبة له هو محرك التاريخ: لا يمكن تفادي و تجنب العنف إلا بالدخول في أوهام الأوتوبيا و الدين. يعتبر ماركس الدولة وسيلة قهر في يد الطبقة المسيطرة لإبقاء الطبقات المستغلة في وضعية خضوع. و هو يميّز بين عنف الطبقة المسيطرة، و عنف الطبقة المقهورة، التي لا تمارس العنف إلا لفائدة التحرير العام. و يرى في العنف المنظم جيدا، في بعض الظروف، الطريق الأكثر اختصارا بين نقطتين.⁴

¹ - Jean-pièrre Pourtois. Op.cit., p. 70.

² - Bernard Dagenais. Op.cit., pp. 208-210.

³ - Rasheeduddin Khan. Op.cit., pp. 890, 891.

⁴ - Ibid., pp. 896-899.

إن العنف و الثورة السياسية متداخلين، و إن الثورة السياسية لا تُحدث تغيرات بنفسها، إنها تعبر فقط عن الانتقال من نظام اقتصادي لآخر. العنف إذا بالنظر الماركسية جانب مهم في التاريخ لكنه ثانوي، فليس العنف هو الذي ينتج التحولات الاجتماعية، بل التحولات الاجتماعية تمر عبر العنف. و يرى إنجلز (F. Engels) أن الفعل العنيف وحده لا يُنتج التغيير، بل يجب أن تكون الظروف الاجتماعية و الاقتصادية مجتمعة، فكل عنف سياسي يركز أولاً على شروط اقتصادية.¹ و يعتبر إنجلز أن العنف السياسي يحدث عندما لا تتطابق البنيات السياسية مع الظروف السوسيواقتصادية، العنف هنا يظهر كمحرك للمجتمع مرتبط بالتغير الاجتماعي. الدولة في تصور إنجلز ماهي إلا أداة قهر طبقة لطبقة أخرى. السلطة السياسية يمكن أن تلجأ لاستعمال أي شكل من العنف من أجل مصالح الطبقة المسيطرة. و يؤكد إنجلز على أن كل حالات السيطرة أو الاستعباد التي حدثت في التاريخ كانت لأهداف غذائية أو اقتصادية، فالعنف ما هو إلا وسيلة، بينما الفائدة و الامتيازات الاقتصادية هي الهدف.²

إن الاعتبارات التي ذكرناها عن التصور الماركسي للعنف تتعلق أكثر بالجانب السياسي المرتبط بالدولة و بالصراع على السلطة، أما عن العنف المنزلي فيرى إنجلز أن النزاعات و الخلافات الأسرية بين الزوج و الزوجة، و الأب و الأبناء، أو فيما بين الأبناء، أمر طبيعي ناتج عن عدم المساواة في الحقوق و الواجبات. من هذه الرؤية أطلق إنجلز تعميمه بأنه لا توجد أسرة خالية من نزاعات و خلافات، و أنه حتى إذا ما مرّت على الأسرة فترة معينة تغيب فيها المشاحنات و النزاعات فإن ذلك لا يعبر عن سعادة و هناء الأسرة، بل إنها حالة عابرة و طارئة تعقبها مشاحنات قادمة.³

من خلال هذا العرض يتضح لنا أن فكرة العنف بالرغم من أهميتها في التصور الماركسي تبقى فكرة ثانوية إلى جانب أفكار أخرى من مثل اللامساواة، و التغير الاجتماعي، التي لا تمثل مفاهيم خاصة بالتصور الماركسي.

¹ - Yves Michaud. La violence. 3^e éd. Op.cit., pp. 104, 105.

² - Bernard Dagenais. Op.cit., p. 208.

³ - معن خليل عمر. علم اجتماع الأسرة، دار الشروق، الأردن، 1994، ص 44، 45.

إن فكرة اللامساواة نجدها لدى أقدم المهتمين بالسياسة، أرسطو مثلا في كتابه السياسة يعتبر اللامساواة السبب في التمرد و الثورة، و هي فكرة لا نجدها فقط لدى الكتاب الراديكاليين، أو الذين يرون في العنف و الثورة ضرورة لإحداث التغيير، بل نجدها كذلك لدى تيار نقيض تماما بالنسبة لاستعمال العنف كأداة للتغيير، غاندي مثلا الذي ارتبط اسمه بمصطلح اللاعنف (Non-violence) يعتبر الاستغلال الشكل الأعلى للعنف.¹

و في تصور سارتر (J.-P. Sartre) أصل الصراع الندرة، و أنه بالقضاء على الندرة نقضي على العنف و آثاره السلبية، ما دامت الندرة باقية فالعنف سيبقى دائما، يقول سارتر أن الإنسان عنيف عبر كل الأزمان، إلى حين إلغاء الندرة إذا كان ذلك ممكنا، و إذا تم هذا الإلغاء في ظروف معينة، ما دامت الندرة فكل واحد يجب أن يختار عنفه، إنه لا يمكن له أن يختار اللاعنف إلا إذا خرج من التاريخ، أو إذا لم يأبه بمصيره و مستقبله.² لكن الندرة ليست صفة ملازمة للحياة، بل هي نتيجة للاستغلال، و الاستحواذ على السلطة و الثروة، و التوزيع غير العادل لها.

و نجد فكرة اللامساواة في تحليل جالتونج للعنف البنيوي، و منها اللامساواة في توزيع السلطة، على أنها السبب العام وراء العنف البنيوي، و يعطي كمثال لهذا العنف البنيوي نظام الطبقات المغلقة (système de castes)، و المجتمع العنصري، لكنه عكس ماركس و التيار الماركسي الذي يقوم على تصور لاطبقي للمجتمع، يطور فكرة اللامساواة كالتالي: إن العنف البنيوي يولّد غالبا العنف البنيوي، و إن العنف الشخصي يولّد غالبا العنف الشخصي، لكن المشكل في دراسة ظاهرة العنف هو التقاطع بين النمطين. يمكن أن نفترض أن بناء اجتماعيا ما لا يقوم على المساواة هو ميكانيزم مُدمج يسمح بالتحكّم في الصراعات لأنه يقوم على نظام تراتبي (hiérarchique)، و أن بناء اجتماعيا ما يقوم على المساواة يؤدي إلى تفجير صراعات خفية.³

¹ - Rasheeduddin Khan. Op.cit., p. 900.

² - Raymond Aron. Histoire et Dialectique de la Violence. Coll. : les Essais, éd. Gallimard, France, 1973, p. 102.

³ - Rasheeduddin Khan. Op.cit., p. 905.

و نجد تصورات أخرى كثيرة تربط العنف بالتغير الاجتماعي، لكن كنتيجة له و ليس كسبب. يرى كون (P. H. Conn) أنه عندما تتغير الظروف في مجتمع ما أو في جماعة اجتماعية ما، فإن بنية العلاقات الاجتماعية و الاقتصادية تتغير أيضا، هذه التغيرات تلائم و تدعم جماعة اجتماعية ما دون أخرى، أو على الأقل تهيئ الأرضية للأفراد و الجماعات لطرح مطالب معينة، هؤلاء الأفراد يرون أن التغيرات الحاصلة غيرت وضعيتهم الاجتماعية، الصراعات مرتبطة كثيرا بالتغير الحاصل.¹

و هناك كتاب و نظرين للعنف و الثورة من غير الاتجاه الماركسي، داهرنдорف (R. Dahrendorf) مثلا، يربط فكرة العنف بالتغير الاجتماعي، و يعتبر أن الثورة هي بمثابة تغير اجتماعي و سياسي سريع. و هو يبحث عن تأسيس علاقة ارتباط بين العنف و التغير الاجتماعي، و يطرح لذلك عددا من الاقتراحات تتعلق بما يلي: الشروط السياسية لتنظيم الجماعات المتصارعة؛ تراكم الصراعات المتعلقة إما بتقسيم وضعيات السلطة، أو بتوزيع الوضعيات الاجتماعية؛ الحراك الاجتماعي نفسه، حيث شدة العنف و التوتر تزيد مع انخفاض الحراك الاجتماعي؛ الحرمان الاقتصادي و الاجتماعي، الذي يصفه بالمطلق و الذي يرافق الإقصاء من وضعيات السلطة.²

النظريات التي تطرقت للعنف و علاقته بالصراع و بالتغير الاجتماعي أهملت جانبا مهما و ظاهرة مست كثيرة من المجتمعات هي الاستعمار. هذه الظاهرة و كيفية التخلص منها يطرحها فانون (Frantz Fanon) في إطار تصوّر جذري للتغير الاجتماعي الذي يتم بالعنف.

يقترن اسم فانون باسم سورل لأن كلاهما يهتم بذاتية الأفراد الفاعلين للعنف للتفكير في موضوع العنف. العنف بالنسبة لسورل مؤسس للفاعل المحتج (acteur contestataire)، إنه بذلك يمتلك بعض الفضائل. يقترح سورل نظرية تركز على التقدير الكبير للعنف، يبدو العنف حسبه كشيء جميل و بطولي، إنه في خدمة المصالح ذات الأولوية بالنسبة للحضارة، إن العنف يمكن أن يخلص

¹ - Ibid., p. 896.

² - Ibid., p. 907.

العالم من البربرية.¹ و هما من المناصرين الأكثر علانية للعنف من حيث أهميته بل ضرورته و وظيفته في تخليص الشعوب المقهورة و المستعبدة، و من حيث هو منشط (catalyseur) للتغيير. يعلن سوريل بأن طبقة ما يمكن أن تولد بالعنف، و يعلن فانون بأنه يمكن للأفراد و الشعوب أن تتعافى بمشاركتها في سياسة عنيفة. و إذا كان العنف في التصور الماركسي تابع للصراع، فإنه في تصور فانون محوري: إن إزالة الاستعمار هي التقاء قوتين فطريا متخاصمتين (congénitalement antagonistes)، إنَّ عنف المستعمر يوحد الشعب، و إنَّ العنف يخلص المستعمر من عقدة الشعور بالنقص، و يعيد له الاعتبار في نظره هو لنفسه، إنَّ الإنسان المستعمر يتحرر في العنف و بالعنف.²

العنف بالنسبة لفانون مرادف للسلم، و للعدالة، و للحرية، و للتوازن بين الفرد و عالمه النفسي الاجتماعي. إنه العلاج العام الحقيقي للإنسان المذلّ و المهان و المستغلّ. العنف بالنسبة لفانون تطهير للروح (catharsis)، إنه فعل لإعادة الاعتبار للإنسان.³

7- نظرية الإحباط و العدوان:

يُعتبر دولار (John Dollard)، ممثل هذه النظرية، أن العدوان سلوك انعكاسي (réactif)، بمعنى أنه متعلق بشروط ظرفية خاصة متعلقة بالوضعية التي يتم فيها العنف تعمل على إطلاق هذا السلوك، و قد افترض دولار ما يلي: كل عدوان هو نتيجة للإحباط، و كل إحباط يولد شكلا من العدوان. و يعرف دولار الإحباط (frustration) بأنه كل فعل يمنع الفرد من الوصول إلى هدف كان قد حدّده.⁴ أو هو تعطيل سلوك موجه نحو هدف.⁵ هذا المنع أو التعطيل هو الذي يسميه دولار إحباطا، لكن أيضا حالة الشخص المعرض لهذا المنع.

¹ - Michel Wieviorcka. La violence. Coll. Voix et regards Eds. Balland, Paris, 2004, p. 40-44.

² - Rasheeduddin Khan. Op.cit., p. 896.

³ - Abdelghani Megherbi. Le monde musulman de la naissance à la renaissance. Librairie-Edition du Parti, Alger, 1977, p. 191.

⁴ - Gabriel Moser. Op.cit., p. 73.

⁵ - Ibid., p. 80.

تندرج أعمال دولار ضمن ما يسمى السيكلوجيا الدينامية، و هو يُعتبر أنه كلما كان الحرمان قويا كانت شدة الإحباط كبيرة و قوية. و يكون العدوان موجها ضد منبع و مصدر المنع، و قد يتحول في حالة الكبت إلى عدوان ضد الذات، و يُعتبر العدوان في حد ذاته عملية تنشيط، أو تطهير النفس من الإحباط، أو تصريف الانفعال (Catharsis).¹

إن العلاقة إحباط-عدوان في تصور دولار، علاقة خطية، بمعنى أن شدة الاستجابة العدوانية تتناسب مباشرة طردا مع شدة الإحباط، و تتعلق شدة الإحباط بالأهمية التي يكتسيها النشاط المحاصر أو الهدف الممنوع بالنسبة للفرد، و بشدة الحصار، و تزيد عندما يكون الحافز قويا بالنسبة للفرد للوصول إلى الهدف، و عندما ينتظر هذا الأخير إشباعات (gratifications). و تقترح هذه النظرية ثلاث فرضيات تكميلية:

- كبت العدوان (inhibition de l'agression): إن كبت العدوان لا يُنقص و لا يقلل نهائيا من الاستعداد للعدوان، و نلاحظ في هذا الصدد مثلا، أن الأطفال الذين يلجأ آباؤهم لاستعمال العقوبة الجسدية عدوانيين بشكل استثنائي، فكلما كانت العقوبة أو التهديد بالعقوبة كبيرين كان الكبت كبيرا أيضا، دون أن ينقص ذلك من استعدادهم للعدوان.

- انتقال العدوان (déplacement de l'agression): يكون العدوان موجها بصفة عامة ضد العامل المسبب للإحباط، و قد يتحول العدوان في حال عدم وجود أو عدم وضوح العامل المسبب للإحباط، أو في حالة الخوف من العقوبة، ليكون موجها ضد عوامل أخرى، و قد يوجّه ضد الذات فينتج نمطا آخر من العدوان.² و قد يكون تحويل العدوان نحو هدف آخر غير المصدر المتسبب في الإحباط، لكونه أقل خطورة بمعنى أن احتمال الردّ أو الانتقام ضعيف، أو أيضا لأن العدوان على هذا المصدر البديل أكثر قبولا اجتماعيا.

¹ - Yves Michaud. La violence. 3^e éd. Op.cit., p. 85.

² - Gabriel Moser. Op.cit., pp. 74, 75.

- مبدأ تصريف الانفعال (la catharsis): يعتقد دولاّر أن هناك أساليب و سلوكات أخرى يمكن التقليل بها من الاستعداد للعدوان، و أنه ليس من الضروري الاعتداء على الآخرين، مثل هذه السلوكات الرياضية، و الضرب باليد على الطاولة.¹

و تعتبر نظرية دولاّر هاته موضوع تطبيقات عديدة تم خلالها تعريف الإحباط إجرائيا بعدة طرق و كفاءات: وجود موانع مادية أو نفسية؛ تقليص أو انعدام الإيجازات و المكافآت؛ تهديد؛ إهانات و عقوبات مختلفة؛ الإخفاق بعد المنع، أين كان بالإمكان تحقيق هدف معين أو حل مشكلة ما؛ المؤثرات المزعجة و المؤذية كالضحيج و الحرارة الزائدة. و هي كلها تعاريف تخرج عن تعريف دولاّر للإحباط: منع أو تعطيل سلوك موجه نحو هدف.² لكنّها مهمّة من حيث أنها تولي الأهمية إلى كل ما من شأنه التأثير على الفرد من مثيرات خارجية، ليست معلومة المصدر (الفاعل) بالضرورة، لكنها تجعل الفرد يعيش حالة الإحباط التي يتولّد عنها العنف. و يذكر سليمان مظهر في تحليله للعنف الاجتماعي و الجسدي في الجزائر، كيف أن الغضب المستمر للأفراد لا يعلن عن استعدادهم للصراع أو العراك الجسدي، بقدر ما يعبر عن عجزهم على التحكم في الأوضاع المزرية التي يتسبّبون فيها و يعانون منها في نفس الوقت، بصفة متواصلة. العنف مستمر، و منتشر في كل الميادين و على كل المستويات، الكلّ يتسبّب فيه و الكلّ يعاني منه، إنه يتم بواسطة المواقف و لمحات الوجه و النظر و النطق و استعمال الألفاظ الصلبة أو ذات المعاني المتضاربة، و يتمركز العنف الاجتماعي من خلال صيغ عديدة، يذكر من بينها الكاتب الضحيج، و الرشوة، و القلق.³

في محاولة لنقد أعمال دولاّر اعتبر بركوفيتز (Léonard Berkowitz) أن الإحباط ليس شرطا كافيا لتحسيد العدوان، و أنّه يولّد ردّ فعل وجداني هو الغضب (colère)، الذي يعتبره حالة استعداد عاطفي (disposition émotionnelle) للدخول في سلوك عدواني، و لكي يكتمل الفعل العدواني يشترط وجود مثيرات (stimulus) خارجية متّحدة مع العنصر المحرّض في الإحباط.

¹ - Ibid., p. 76.

² - Ibid., p. 80.

³ - سليمان مظهر. نظرية المواجهة... مرجع سابق، ص 13-15.

و يكون احتمال الغضب أكبر بصفة خاصة إذا ما توفّر للشخص المسبب للإحباط إمكانية للسلوك بكيفية مغايرة. و يعتبر بركوفيتز أن تخفيض الحالة الوجدانية المولّدة عن الإحباط لا يمكن أن يتم إلا إذا كان العامل نفسه المسبب للإحباط موضوعا للعدوان، عكس ما يعتقد دولا ر من وجود أساليب أخرى للتقليل من الاستعداد للعدوان.

يلغي بركوفيتز العلاقة الآلية المباشرة بين الإحباط و العدوان و يدخل عنصرين جديدين، العنصر الأول هو شرط داخلي متعلق بالفرد، رد الفعل الوجداني للإحباط؛ و العنصر الثاني شرط خارجي متعلق بالوسط حيث يتواجد الفرد، و هو المثيرات الخارجية. من خلال جملة الانتقادات هاته كوّن بركوفيتز نموذجا جديدا لتصوير العدوان، و هو ما يعرف باسمه.¹

وحول الفرق بين الإحباط و الحرمان (privation)، يرى بركوفيتز أن شخصا ما يُعتبر محروما عندما لا يكون لديه شيء ما يعتبره الناس عامة شيئا مرغوبا فيه، و يُعتبر محبطا عندما يكون قد توقع المتعة التي يلقاها من ذلك الشيء و لم يستطع تحقيق هذا التوقع.²

إنّ فكرة الحرمان النسبي الذي يمثل متغيرا نفسيا، فكرة موجودة قبل النظرية و بعدها في كتابات عديدة، لكنها أخذت مكان المحور الرئيسي في النظرية. أفلاطون مثلا يعتبر أن الفقر لا يتمثل في قلة الخيرات، إنما في كثرة الشراهة و الجشع. الفكرة نفسها نجدها عند ماركس عندما يعتبر أن منزلا ما يمكنه أن يكون صغيرا أو كبيرا بمجرد ما تكون البيوت المجاورة أيضا صغيرة، لكن يكفي أن يرتفع قصر أمام المنزل ليتحول هذا الأخير إلى كوخ.³

باختصار الفقر هو نوع من الاضطهاد. الفقر ليس معناه العوز. ليس شنيعا أن تسكن خيمة إذا لم تكن أوتادها مضروبة في أرض تظهر في أفقها قصور. في الصحراء ليس لدينا أي شيء، لكن البدو الرّحل ليسوا فقراء: إنهم لا يقارنون أنفسهم بأي شخص. الفقر نسبي و مرتبط بالمدينة. الفقر نسبي

¹ - Gabriel Moser. Op.cit., pp. 76, 77.

² - David G. Myers, Luc Lamarche. Op.cit., p. 369.

³ - Ibid., p. 373.

إلى الغنى الذي يقيه في هاجس الشعور باليأس. هذا الشعور الذي يتحول إلى تحميل المسؤولية الأشخاص الذين يتمتعون بكل شيء، و من ثمة اللجوء للعنف، تحطيم المنشآت مثلا.¹

اعتُبرت نظرية الإحباط و العدوان محل انتقادات و محاولات تعديل كثيرة، رغم أنها حققت شهرة كبيرة في سنواتها الأولى و كانت محل تطبيقات عديدة. انتُقدت فيما يخص مبدأ تصريف الانفعال من طرف الباحثين الذين ينتسبون لنظرية التعلم (Apprentissage)، و انتقدت أيضا من طرف ميلر (N. Miller) الذي اعتبر أن الإحباط لا يولّد مباشرة العدوان، بل يولّد استعدادا للعدوان، و أن الإحباط يمكن أن يولّد عددا من الاستجابات المختلفة، و العدوان هو فقط إحدى هذه الاستجابات.²

نظرية الإحباط و العدوان تنطبق أكثر على الأفراد و الجماعات الصغيرة المتجانسة منه على الجماعات الاجتماعية الكبيرة غير المتجانسة.³ و تأتي لتفسّر العدوان الحاقق (hostile)، أو العنف العَرَض و ليس العنف الأداة الذي يكون بمحض إرادة الفاعل لتحقيق هدف ما، فهي إذا بهذا الشكل لا يمكن أن تقدم وحدها تفسيراً للأشكال المختلفة الأخرى للعنف.⁴ فمن غير المعقول اختزال كل أشكال العنف المختلفة في صورة ميكانيزم عام مشترك بين البشر، كما لو أن كل أشكال السلوك العنيف لها نفس التفسير. تقوم هذه النظرية في نظر البعض، على نوع من الحتمية الفقيرة، على ميكانيزم أولي سطحي، و على سيكولوجيا لا تتيح إلاّ مساحة صغيرة للعلاقات الاجتماعية، و لا تهتم بفهم المنطق الذي يقود الفاعلين الاجتماعيين إلى اللجوء للعنف بدافع قناعات معينة مثلا. هذه الحتمية ليست سوسيولوجية إلاّ في جزء صغير منها، و يمكنها أن تؤدي إلى تفسير السلوك الانساني تفسيراً بيولوجيا طبيعيا، و هو ما آل إليه اهتمام و فكر أحد أبرز المطورين لهذه النظرية (James C. Davies) الذي انصبّ اهتمامه فيما بعد بتوجهات لاجتماعية و لاتاريخية و كان هدفه ما يمكن للبيولوجيا أن

¹ - Albert Memmi. Ce que je crois. Grasset, Paris, 1985, p. 58.

² - Gabriel Moser. Op.cit., pp. 76, 77.

³ - Rasheeduddin Khan. Op.cit., p. 891.

⁴ - David G. Myers, Luc Lamarche. Op.cit., p. 368.

تُسهّم به في فهم و توضيح الصراع الاجتماعي أو السياسي، حيث اعتبر أن كل سلوك إنساني، بما فيه سلوك الصراع، هو نتاج التفاعل بين الجسم العضوي (organisme) و المحيط.¹

و من بين التطبيقات الإمبريقية لنظرية الإحباط و العدوان مفهوم الحرمان النسبي (privation relative) الذي استعمله روبرت جور (T. R. Gurr) في دراساته حول العنف السياسي، و الذي يعرفه على أنه الفارق الذي يدركه الفرد بين توقعاته و إمكانياته، و تتمثل التوقعات في الخيرات المادية و شروط الحياة التي يعتقد الناس أن لهم الحق فيها، و تتمثل الإمكانيات في الخيرات و الشروط التي يقدّرون أن بإمكانهم الحصول عليها و اقتنائها، بالنظر إلى الوسائل التي يضعها المجتمع في متناولهم.²

مفهوم الحرمان النسبي استعمل من طرف الباحثين الذين درسوا الرضا (satisfaction)، أمثال مرتون، و كيت (Kitt)، و ستوفر (Stouffer)، الذين وجدوا أن طموحات الجنود ترتفع أكثر من إنجازاتهم، فالفارق بين الطموحات و الانجازات يؤدي إلى زيادة شدة الإحباط مصدر النزاعات العدوانية. و نجد دوتوكفيل (Alexis de Tocqueville) يستعمل مصطلح الإحباط النسبي (frustration relative) حين يعتبر أن الثورات لا تحدث بالانتقال من السيئ إلى الأسوأ، بل إن شعباً ما تحمّل دون أن يشتكي القوانين الأكثر إرهاباً و إذلالاً كأنه لا يشعر بها، يرفضها بمجرد ما يخف ثقلها، و أن الشر الذي يمكن أن نعانيه كشيء محتوم، يبدو غير مطاق بمجرد ما نشعر بفكرة التخلّص منه.³

و يقترح فاي جروسبي (Faye Grosby) نموذجاً للحرمان النسبي يتركز على خمسة شروط تمهيدية: إرادة شيء ما؛ ملاحظة أن آخرين يمتلكون هذا الشيء؛ الحكم بأننا لدينا الحق في امتلاك هذا الشيء؛ الاعتقاد بأنه من الممكن امتلاكه؛ الشعور بأننا لسنا مسؤولين عن كوننا لا نملكه.⁴

¹ - Michel Wieviorcka. La violence. Op.cit., pp. 154, 159.

² - Ibid., p. 888.

³ - Jean Etienne, Henri Mendras. Op.cit., pp. 175, 176.

⁴ - David G. Myers, Luc Lamarche. Op.cit., p. 374.

بإخضاع هذا النموذج للمعطيات التي تضمنتها النظرية نرى أن ملاحظة امتلاك الآخرين للشيء تأتي في المرحلة الأولى، ثم اشتراط إدراج هذا الشيء ضمن الأهداف الشخصية للفرد قبل إرادة تحقيقه، و تأتي محاولة تحقيقه كهدف، ثم الفشل في ذلك كمرحلة ما قبل أخيرة، بعد هذه الشروط يتم التعبير عن الحرمان النسبي أو الإحباط، الذي قد يترجم في العنف.

إننا إذا وافقنا دولار في أن كل إحباط يوّلّد عنفا، و أن كل عنف نتيجة إحباط، فإننا نلغي دور التنشئة الاجتماعية في ظهور السلوك العنيف، و نلغي شكل العنف الأداتي المتعلّم، الإحباط إذا يمكن أن يوّلّد استعدادا للعنف، لكن أيضا سلوكات و مواقف أخرى محتملة: إعادة المحاولة؛ المحاولة في مجال آخر؛ الانسحاب.

و حول مفهوم الغضب الذي يعتبره بركوفيتز عاملا انفعاليا بين الإحباط و العدوان، كتبت نفيسة زردومي عن الطفل الجزائري تقول أنه ليس فقط ككل أطفال العالم يميل إلى العقوق و العصيان، إنه منذ صغر سنه يميل إلى الغضب، و أن التربية التي يتلقاها الأطفال لا تدفعهم للتحكم و السيطرة على انفعالاتهم، هذه العادات و الممارسات التي يتلقاها الطفل في طفولته تظهر لدى الراشدين. يتظاهر الرجل في تصرفاته و في كلامه بالغضب و التحدي، يصرخ ليثبت رجولته. الطفل الصغير لديه هنا نموذجا للعنف التعبيري.¹

الغضب إذا، رغم أنه يظهر كنتيجة للإحباط و الشعور بالألم، أي أنه عامل نفسي، أو انعكاس انفعالي، يأخذ وجها آخر غير العامل النفسي، إذ يتعلق الأمر بالتعبير عن الغضب، فهو يترجم في سلوكات متعلّمة عن طريق التربية التي لا تحفّز التحكم في الانفعالات، و أيضا من خلال نماذج، فهو سلوك متعلّم يستعمل كأداة لتحقيق أهداف معينة، خاصة إذا قوبل بالتعزيز من طرف المجتمع، و يظهر هذا الجانب مثلا في مقارنة سلوك الذكور بسلوك الإناث فيما يتعلق بالكيفية التي يصرف بها كل منهم هذا الانفعال.

¹ - Nefissa Zerdoumi. Enfants d'hier. L'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien. Coll. Domaine Maghrébin, éd : François Maspero, Paris, 1982, p. 168.

8- نظرية التعلم و التنشئة الاجتماعية:

خلافًا للنظريات التي تعتبر العنف غريزة فطرية في الإنسان، فإن التصورات التي تندرج في إطار نظرية التعلم و التنشئة الاجتماعية تعتبره سلوكًا متعلما، و ليس ظهورا لغريزة عدائية أو رد فعل و انعكاس لمثيرات خارجية. و هي لا تعتبر العنف سلوكا خاصا له تفسيرات يتفرد بها، بل تتناوله كباقي السلوكات الأخرى، بمعنى أنه مكتسب، و مثبت، و منجز، و هي نقطة أساسية في إطار هذا المنظور مهما اختلفت التصورات حول مفهوم عملية التنشئة الاجتماعية، أو طريقة اكتساب السلوك، و الميكانزمات التي يتم بها.

يؤكد برجويس (R. Bergius) أن العدائية مكتسبة من خلال المعايير و السلوكات الاجتماعية المنقولة عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية: الطاعة العمياء، الكره، العدا، الخوف من الآخر (xénophobie)، و الأحكام الاجتماعية المسبقة مصدرها السياق الاجتماعي، و يعطي نموذجا للعدوان في أربع نقاط: إدراك لوضعية متأزمة؛ اللجوء إلى نمط سلوك مقدم عن طريق التربية على أنه ملائم للوضعية؛ الكبت؛ الإجازات الاجتماعية لهذا السلوك المعتبر ملائما للوضعية.

التنشئة الاجتماعية لا تتضمن فقط أنماط و نماذج السلوك، بل أيضا منظومة القيم و التصورات التي تعطىها الثقافة لعنصر ثقافي أو سلوك ما. حسب لاكي (G. Lakey) مثلا عندما صورة الآخر تعرضه على أنه لاإنساني، بمعنى بلا قيمة، فهي تبرر استعمال العنف ضده و استغلاله.¹ و هو ما تؤكد فرونسواز هيريتي (F. Héritier) حين تلاحظ، بعد عرضها بعضا من الأحداث التاريخية العنيفة، كيف أن هذه الأحداث لها كقاسم مشترك: إلغاء الإنسانية في الآخر الذي تُبَيِّدُه.²

و تعبّر ميد عن فكرة تأثير نسق الأفكار و التصورات، التي هي نتيجة للتنشئة الاجتماعية الأسرية و غيرها، في سياق حديثها عن مشكل الطلاق في الأسر الأمريكية، حين تعتبر أن التزايد المستمر للطلاق و حالات إعادة الزواج، و الحال نفسه بالنسبة للمشكلات الأسرية الأخرى، يعكس كم هي

¹ - Alan Newcombe. «Apports des sciences du comportement à l'étude de la violence», in : Revue internationale des sciences sociales. Op.cit., pp. 792, 793.

² - Françoise Héritier. «Réflexions pour nourrir la réflexion», Op.cit., p. 16.

غامضة تصوراتنا عن أحسن طريقة للعيش مجتمعين، و كم هي محتشمة التزاماتنا في العلاقة الأكثر أهمية في حياتنا في مرحلة الرشد.¹

و تبين روث بنديكت كيف أن اتجاهاتنا نحو أطفالنا دليل على تقاسمنا لنفس الهدف الثقافي. إنهم يمثلون مسؤوليات من نوع خاص كممتلكاتنا الأخرى التي تصنع اعتزازنا أو شعورنا بالعار، حسب الحالة. إنهم أساسا امتداد لشخصيتنا بمنحنا فرصة من نوع خاص لإظهار سلطتنا. هذا لا يرتبط أساسا بالعلاقة بين الآباء و الأبناء. إنه محكوم بالدوافع الرئيسية لحضارتنا.²

و يعتقد باندورا (A. Bandura) أن النماذج العدوانية في الحياة اليومية توجد في أغلب الأحيان في الأسرة، و في الثقافة الفرعية، و في وسائل الإعلام. فالأطفال الذين يستعمل آباؤهم العدوان الفيزيقي كوسيلة للتأديب لديهم نزعة لاستعمال أساليب مشابهة في التصرف مع أطفال آخرين، و أولياء الأطفال المعرضين للعنف هم أيضا أطفال لآباء كانوا يؤدبونهم باستعمال كثيف للعقوبات الجسدية.³ و يصبح السلوك العدواني سهلا، حسب باندورا، بمحاكاة هذه النماذج.⁴

و يستعمل باندورا بالإضافة إلى مفهوم المحاكاة، مفهوم التعلم الأداتي (apprentissage instrumental)، أو ما يعرف بالمحاولة و الخطأ، فالفرد يمارس سلوكا عدوانيا يدغم و يعزز إيجابيا، سواء بنتائجه أو بواسطة النموذج المحاكى حتى يتم التعلم، و يؤكد أيضا أن الفرد يمكنه أن يكتسب نماذج جديدة للسلوك العدواني دون أن يقوم هو نفسه بالسلوك العدواني، بل فقط بواسطة الملاحظة للآخرين، و هو ما يسمى بالتعلم بالملاحظة، أو التعلم البديل (apprentissage vicariant).⁵ فالأطفال سواء كانوا ضحايا مباشرين للعنف، أو فقط ملاحظين له في أسرهم يتعلمون السلوك

¹ - Mead Margaret, Métraux Rhoda. Aspects du présent. Trad. Faure-cousin Jeanne, éd. Denoel/Gonthier, Paris, 1982, pp. 91, 92.

² - Ruth Benedict. Echantillons de civilisations. Op.cit., p. 324.

³ - David G. Myers, Luc Lamarche. Op.cit., p. 377.

⁴ - Yves Michaud. La violence. 3^e éd. Op.cit., p. 84.

⁵ - Gabriel Moser. Op.cit., p. 93.

العنيف كأسلوب للتعامل و طريقة لحل مشاكلهم، هذه النظرة لتعلم العنف بالملاحظة تسمح بتصور العنف الأسري كظاهرة تتعدى العلاقة الثنائية بين المعتدي و المعتدى عليه، لتشمل الملاحظ لهذا العنف.¹

حتى إن وُجدت عوامل أخرى للعدائية، يبقى التعلّم بالنسبة لأصحاب هذا الاتجاه العامل الأكثر أهمية، الولد يتماثل لأبيه و يقلده، فكثير من الدراسات بينت أن التماثل للأب و قيمه يُشكل عاملاً مهماً في تعلم أنماط السلوك العدائي، و هذا صحيح بصفة خاصة في الثقافات أو الثقافات الفرعية التي يُنظر فيها إلى هيمنة الأب كميزة عادية بل كمثّل أعلى. الميل إلى اللجوء للعنف كأداة يكون أكبر إذا كان العنف أداة فعالة و إذا كان هذا العنف مكافئاً.²

و يعتبر أصحاب هذا الاتجاه أن الآباء المسيئي المعاملة و الممارسين للعنف على أطفالهم، هم أكثر ممارسة للعقوبات و الإكراه، هذا السلوك العقابي الذي قد يُقصد منه التربية و التأديب، هو نفسه يمكن أن يصبح نموذجاً للعنف. إنّ عدم فعالية التقنيات المستعملة من أجل تغيير سلوك الطفل تزيد على المدى البعيد من احتمال سوء المعاملة، ذلك أن كثرة استعمال العقوبات و قلة التعزيز الإيجابي (renforcement positif) هو ما يميز إجابات الآباء الممارسين للعنف على أطفالهم، و هو ما يتعارض مع مبدأ الفعالية (principe d'efficacité)، الذي يقتضي بأن كل تدخل يهدف إلى التقليل من احتمال سلوك ما، يجب أن يكون منسّقاً مع التعزيز الإيجابي للسلوك الذي يُرغب في تأسيسه و تكريسه في المقابل ، أو السلوك البديل.³

إن الحديث عن التنشئة الاجتماعية لا يمكن فصله عن مفهوم الثقافة، لأن عملية التنشئة التي هي أساساً عملية تعلم و تكوين، و عملية إكساب الفرد أو تشريبه ثقافة مجتمعه، تتأثر في الوقت نفسه بثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه، و بالثقافة الفرعية التي تحدّد اتجاهات و قيم أسرته، و فلسفتها في

¹ - Jean-pierre Pourtois. Op.cit., p. 77.

² - Otto Klinberg. «Les causes de la violence.. », in : UNESCO. La violence et ses causes. Op.cit., p. 119.

³ - Ibid., pp. 75, 76.

الحياة، و خبراتها، بالإضافة إلى الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها، و المستوى الاقتصادي للأسرة، و بالخصائص الشخصية لكل من الأب و الأم، و باقي أفراد الأسرة، و نمط العلاقات السائد بينهم، و بمؤسسات التنشئة الأخرى مع تفاوت أهميتها، و بالأنساق الاجتماعية عامة.¹

من أبرز الأعمال في هذا الإطار إسهامات روث بنديكت (Ruth Benedict)، التي أوضحت أهمية التطابق للنماذج و القواعد المتبعة في إطار ثقافة ما. منذ الولادة، عادات المجتمع هي التي تشكل تجربة الفرد و سلوكه وفق نماذج معينة.² السلوك ثقافي، و هو خاص بجهة معينة، و من إنتاج البشر، و يمكن أن يمثل أنواعا لا متناهية، كما أنه في تطور دائم. كل ثقافة تمثل نموذجا للتفكير و للفعل (modèle de pensées et d'actions)، و لها أهداف تميزها توجه الأفعال، و هي تنتقي كل الملامح الممكنة، و تعدّل بعضها بحسب الهدف الذي حددته.³

إذا كنا مهتمين بتصرفات الإنسان، فعلينا قبل كل شيء فهم المؤسسات التي يتمتع بها كل مجتمع، لأن السلوك الإنساني يأخذ الأشكال التي توحى بها هذه المؤسسات، و مع ذلك تبقى الوحدة السوسيولوجية ذات الدلالة ليست المؤسسة بل التشكيلة الثقافية (configuration culturelle)، التي تحدد أهداف و حوافز الأفعال.⁴

مسألة القيم الاجتماعية تبدو ذات علاقة كبيرة بالأنماط التي نجدها في الثقافات المختلفة.⁵ في الواقع، الفرد و المجتمع ليسا متخصصين، هناك توافق بين نمط الحضارة و النفسية الفردية. غالبية الناس مشكّلين على شاكلة حضارتهم، بسبب الليونة الكبيرة لطبيعتهم الأصلية. إنهم قابلين للتشكّل بتأثير المجتمع الذي ولدوا فيه. الغالبية الكبرى للأفراد الذين يولدون في حضارة ما في مجتمع ما يقبلون تلقائيا الشكل الذي يُعرض عليهم، و يتبنون دائما السلوك الذي يملئ عليهم من ذلك المجتمع.⁶

¹ - سميرة أحمد السيد. علم اجتماع التربية ، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 50.

² - Ruth Benedict. Op.cit., p. 09.

³ - Ibid., pp. 67, 68.

⁴ - Ibid., pp. 313-320.

⁵ - Ibid., p. 325.

⁶ - Ibid., pp. 333-337.

إن الأخذ في الاعتبار البعد السوسيوثقافي في إطار نظرية التنشئة الاجتماعية يطور نظرة تؤيد الفرضية التي تعتبر أن ملاحظة السلوك وحده لا تسمح بتحديد مدلول العوامل المتعلقة بالسياق الذي يتم فيه هذا السلوك، و التي تؤثر على التفاعل بين الآباء و الأبناء، عكس المنظور السلوكي للعنف، الذي يعتمد على النموذج مثير-إجابة، و الذي يتميز بالاختزال و الآلية و التبسيط المفرط للوقائع الاجتماعية، و لا يأخذ في الحسبان التعقد المميز للحقائق الأسرية، و السياق العام الذي تحدث في إطاره التفاعلات الأسرية، مع أنه ذو تأثير كبير على طبيعة و شكل هذه التفاعلات. و من بين العوامل التي تدخل في هذا السياق: الوسط السوسيواقتصادي، و العزلة الاجتماعية، أو المحيط الأسري الممتد، بالإضافة إلى كل ما يسبب الضغط أو الضجر من المحيط.¹

رغم التقدم الكبير الذي حققته الدراسات في هذا المجال إلا أنها تبقى غير دقيقة فيما يتعلق بتوضيح معنى التعلم، و كيف يتم بالضبط؟ و ما هي ميكانزماته؟ و ما هي المراحل التي تتوسط النموذج السلوكي المعروض و السلوك الناتج عنه؟ و هل تؤثر عملية التعلم في أجزاء خاصة بعينها من السلوك معزولة، أم في كامل الشخصية؟ و ما هي العوامل المؤثرة في عملية التعلم، و كيف تؤثر مجتمعة؟

معظم الدراسات في هذا المجال أجري في الولايات المتحدة الأمريكية و أوروبا الغربية، التي تختلف من حيث حجم و طبيعة العنف المشاهد، الأمر الذي يقلل من صحة تعميم نتائجها على واقع مجتمعا، و هي تقوم على تصور المشكل في مفاهيم المحاكاة و زيادة العنف، و هي مواقف تقليدية، مؤسسة على فهم غير كاف للعنف، و سيرورة الاتصال، و طبيعة المجتمع.²

حول تأثير النماذج المعروضة عبر وسائط الاتصال الجماهيري مثلا، يعتقد البعض أنه يكون فقط على الأفراد ذوي الاستعداد المسبق للعنف، كما قد يكون بطريقة إطلاق للغرائز العدوانية، و ليس نتيجة تعلم. و يرى البعض أن عروض العنف التي تقدمها وسائل الإعلام و السلوك العنيف الذي يديه الأفراد المشاهدون لهذه العروض هو نتيجة لسبب مشترك آخر، فهي نتائج و أعراض على حد سواء لوضعية أكثر عموما. إن البرامج التي يشاهدها المنحرفون لا تختلف بصفة محسوسة عن تلك التي

¹ - Jean-pierre Pourtois. Op.cit., p. 80.

² - Yves Michaud. La violence. 3^e éd. Op.cit., pp. 85.

يشاهدها غير المنحرفين من نفس الوسط الاجتماعي و الاقتصادي، لماذا يقوم إذا البعض بتقليد و محاكاة النماذج المعروضة دون البعض الآخر؟

إنه من الصعب تحديد الكيفية التي ترتبط بها المؤشرات التي تقدمها الدراسات في هذا الاتجاه بالعنف، و تحديد الظروف التي تكون فيها هذه المؤشرات سببا أم نتيجة للعنف، أو هي و العنف معا نتيجة متغيرات و وضعيات أخرى أعم. ظاهرة العزلة الاجتماعية مثلا، و التي يقدمها البعض على أنها سبب في ظهور السلوك العنيف توجد لدى غالبية الأطفال المعرضين للعنف، و يبدو أن هؤلاء الأطفال يتعاملون مع الآخرين بطريقة سلبية تجعلهم يقللون من البحث عن الاتصال و الاحتكاك بالآخرين، إذ يميلون إلى اعتبار العالم من حولهم مكانا للعنف، و يفقدون قدرتهم على اعتبار الآخرين مصدرا ممكنا للدعم و المساعدة، بل تهديد لهم، فهل العزلة في هذه الحالة سبب للعنف أم نتيجة له؟

حتى في حال اعتبار الارتباط بين المؤشرات المختلفة من جهة و العنف من جهة أخرى، ارتباط سبب بنتيجة، فإنه من الصعب تحديد الكيفية التي يتم بها هذا الارتباط، و ما إذا كان نتيجة عملية تعلم أم لا، فالدراسات الكثيرة التي تعتبر أن الآباء الممارسين للعنف على أطفالهم تعرضوا هم أيضا للعنف في مرحلة طفولتهم من طرف آبائهم، لا يمكن أن تؤكد إن كان هذا الارتباط نتيجة تعلم أم يقوم على أساسات جينية وراثية، و هو مجال لمحاولات أخرى من غير النظرة التنشئية أو نظرية التعلم.

9- المقاربة السيكوبيداغوجية:

يمثله موقف مجموعة من الكتاب و الباحثين من مركز البحث و التجديد في السوسيوبيداغوجيا الأسرية و المدرسية (C.E.R.I.S) التابع لجامعة مونس هينو (Mons-Hainaut). يرى هؤلاء الكتاب ذووا الاهتمام بتصوير متعدد المرجعيات (pluriréférentielle) أنه من الأنفع و الأجدر أن يتوفر لدينا منطلق و مرجعية نظرية لا تحمل ما هو موجود للملاحظة، بل بالعكس تأخذ في الاعتبار مجموع الأبعاد المتعلقة بالكائن البشري في محيطه حيث يتواجد، خاصة أن الأمر يتعلق بموضوع جد معقد، سوء المعاملة.

يفضل أصحاب هذا الاتجاه استعمال مصطلح سوء المعاملة (maltraitance) بدلا من العنف، ذلك أن الأمر يتعلق بما يسمى العنف المنزلي الممارس بالأخص على الأطفال، و العنف المدرسي، و

ليس بالأشكال الأخرى للعنف.¹ يعتبر أصحاب هذا الاتجاه أن تحليل سوء المعاملة بكل تعقيداتها يشكل رهانا أساسيا بالنسبة للبيداغوجيا الأسرية، ذلك أن الأسرة التي تشكل البوتقة التي يتفتح فيها الطفل و ينمو، يمكن أن تصبح بمفارقة عاملا قويا للعنف. و يظهر الاهتمام السيكوبيداغوجي من خلال التعاريف التي يعتمدها أصحاب هذا الاتجاه حول العنف الممارس ضد الطفل، أو سوء المعاملة. حيث يعرفها بورتوا (Jean-Pierre Pourtois) على أنها كل سلوك والديّ يعرّض للخطر حاجة أساسية للطفل. و هو تعريف مستمد من تعريف دوتاجليا (L. Detaglia)، الذي يعتبر أن كل حاجة للطفل معرضة للخطر هي شكل من سوء المعاملة.²

و يورد بورتوا تعريف سوء المعاملة المتبنى في المؤتمر الرابع حول الإجرام المنعقد بستراسبورج في 1978: الأفعال (actes) أو التقصيرات (manquements) التي تؤدي إلى اضطراب الطفل، و تمسّ عفافه الجسدي، و تطوره الفيزيقي، و العاطفي، و الفكري، و الأخلاقي، هذه المظاهر ناتجة عن الإهمال و/أو أضرار جسمية، و/أو نفسية، و/أو جنسية من طرف قريب، أو أشخاص آخريّن يتكفلون بالطفل.³

هذه التعاريف المذكورة جاءت لتعبّر عن شكل محدّد من أشكال العنف: العنف الممارس على الطفل. تعريف دوتاجليا لم يأخذ في الاعتبار الفاعل الذي يقوم بالعنف، لكنه انطلق من احتياجات الطفل، في حين نجد بورتوا يحدّد بدقة الطرف الفاعل للعنف: الوالدين (parents) أو أولياء الطفل، فهو بهذا يقصد مجال محدد هو العنف المنزلي، و يعتبر مسؤولية الوالدين أو الأولياء تجاه الطفل، لكن باقي أفراد الأسرة، كالإخوة، و الأخوات، أو الأقارب المتواجدين في نفس المنزل يدخلون في كثير من الحالات في دائرة الأفراد الممارسين للعنف على الأطفال. إن الاقتراب السيكوبيداغوجي للعنف لا ينطلق من دراسة السلوك العنيف نفسه، و لا يبحث في الأسباب التي تنتج العنف، فهو لا يقترح تفسيراً للعنف إنما يعتمد و يستفيد من المقاربات و النظريات المختلفة، ليستخلص بعد ذلك المؤشرات المرتبطة

¹ - Jean-pièrre Pourtois. Op.cit., p. 11.

² - Ibid., pp. 18, 90.

³ - Ibid., p. 5.

بظاهرة العنف الممارس على الطفل. و هو اتجاه ينطلق من نتائج العنف، من احتياجات الطفل التي يمكن أن تمسّ، أو تعرّض للخطر بالعنف، و هو يأخذ في الاعتبار السلوك العنيف في المقاربة الإيجابية و السلبية للفاعل، إذ يهتم بالأفعال كما يهتم بالتقصير في الفعل.

و إذ ينطلق أصحاب هذا الاتجاه من احتياجات الطفل فهم يحدّدونها في أربعة محاور، ينقسم كل منها إلى ثلاث حاجات أساسية، كالتالي: الحاجات العاطفية: التعلّق؛ القبول؛ الاستثمار؛ الحاجات الإدراكية: التنشيط؛ التحريب؛ التعزيز؛ الحاجات الاجتماعية: الاتصال؛ الاعتبار؛ التنظيم.¹ الحاجات الإيديولوجية: قيم الخير؛ قيم الحقيقة؛ قيم الجمال.²

إن النظرة متعددة المرجعيات التي يعتمد عليها أصحاب هذا الاتجاه، تسمح باستغلال نتائج البحوث و الدراسات التي تمت في إطار المقاربات المختلفة الأخرى، و بالتالي استخراج المؤشرات المرتبطة بالسلوك العنيف الممارس على الطفل، سواء المتعلقة بالأسرة، أو بالطفل، أو بالخصائص الوالدية، أو بالعلاقة بين الأولياء و الأطفال، هذه المؤشرات التي تمثل مجموع عوامل التنبؤ، كالتالي:

الخصائص الأسرية: علاقات أسرية و علاقات زوجية صعبة، سوء معاملة الزوجة، مستوى سوسيواقتصادي متدني، مسكن مكتظ، فقدان أحد الوالدين، العزلة و فقدان الدعم الأسري؛ خصائص الطفل: خديج، العلاج في سن مبكر، علاج متكرر، اضطرابات في النمو، إعاقات، ولادة مبكرة؛ الخصائص الوالدية: صغر السن و عدم النضج، تقدير ضعيف للذات و للكفاءة، ضحية عنف و سوء معاملة و إهمال في الطفولة، تصور سيء عن الطفل، علاقات صراع مع الأب و الأم، توقعات غير عادية للطفل، و غياب مشروع واضح عنه، صور صراعية عن الوالدين، ضعف المستوى التعليمي، ضعف في الذكاء، العدائية، و الخمول؛ خصائص التفاعل أم/طفل: اتصال محدود، ارتفاع ذو دلالة لردود الفعل السلبية تجاه بكاء الأطفال كالغضب، انخفاض ذو دلالة لردود الفعل الإيجابية كالتجاوب مع الابتسامات، ندرة التماس البطني؛ خصائص التفاعل والدين/طفل: اتصال محدود،

¹ - Ibid., pp. 35, 36.

² - Anne-Marie Fontaine, Jean-Pierre Pourtois. Regards sur l'éducation familiale, Représentation-Responsabilité-Intervention. éd. DeBoeck Université, Belgique, 1998, p. 110.

تفاعلات صراعية و إكراهية، القسوة، استعمال العقوبات الجسدية، التعزيز السلبي المتكرر، و غياب التعزيز الإيجابي.¹

10- نموذج ميشال فيفيوركا (Michel Wieviorka):

ينطلق فيفيوركا في محاولته بناء نموذج جديد لتصوير العنف، من نقد أنماط المقاربات الكلاسيكية للعنف، و التي يصنفها في ثلاثة اتجاهات أو مجموعات: تلك التي ترى في العنف سلوكا مرتبطا بوضعية أزمة، أو إجابة عن تغيرات في وضعية الفاعلين داخل نظام معين أو في وضعية معينة، نتيجة احتلال في النظام أو احتلال وظيفي يقوم الفاعلون بردود فعل لا سيما بالإحباط؛ أو تلك التي تعتمد على نمط تحليل ثاني مختلف تماما، و هو الذي يؤكد على الميزة العقلانية و الأداتية للعنف، بما فيها أبعاده الجماعية؛ أو نمط مقارنة ثالث، واسع و متنوع، ينطلق من فكرة وجود علاقة بين الثقافة و العنف، أو الحضارة مقابل العنف، أو ثقافة العنف بالتنشئة و التربية. هذه المقاربات حسب الكاتب تترك جانبا بعض الأبعاد مع أنها جوهرية، و التي يمكن طرحها بالرجوع إلى مفهوم "الفرد الفاعل" (Sujet). العنف إذا لا يمكن اختزاله لا في حسابات الفاعل (acteur) و عقلانيته، و لا في رد فعله تجاه وضعية أزمة، و لا بنمط شخصية.

يعتقد فيفيوركا أنه في كل ميادين البحث في العلوم الاجتماعية، أصبح "الفرد الفاعل" فئة تحليلية محورية و حاسمة. "الفرد الفاعل" في العلوم الاجتماعية المعاصرة يعرض وجهين، الأول دفاعي (face défensive): إنه يقاوم كل منطق للسيطرة، أو للإقصاء، ضد من يملك السلطة المطلقة (souverain)، ضد الإله، ضد المعايير و الأدوار، في النهاية إنه يكافح من أجل بقائه (بمفهوم برجوري Bergeret)، الوجه الثاني إيجابي (positive)، إنها القدرة على التصرف (capacité d'agir)، الابداع (créativité). لكن "الفرد الفاعل" (Sujet) ليس الفاعل (acteur)، فلديه فقط القدرة على، أو ميال لأن يكون فاعلا.²

¹ - Jean-pierre Pourtois. Op.cit., pp.48, 63, 72, 80, 85.

² - Michel Wieviorka. «Le retour du Sujet», in : Journal français de psychiatrie, 2007/1, n° 28, pp. 43, 44.

يحدد فيفيوركا مفهوم الصراع في تصور قريب من تصور زميل الذي يميز بين العنف و الصراع مع إمكانية الالتقاء أو التقاطع أحيانا، حيث يعتبره: علاقة (rapport) غير متساوية بين شخصين، أو جماعتين، أو مجموعتين تتعارضان داخل نفس الفضاء حيث هدف كل طرف ليس إلغاء الخصم، و معه العلاقة نفسها، بل تعديل هذه العلاقة و تعزيز وضعيته بالنسبة لهذه العلاقة.

يوجد دائما مجال أو إمكانية للعنف لأن في الصراع هناك دائما مسائل غير قابلة للتفاوض، لكن مع هذا فإن الفرضية التي يقدمها فيفيوركا هي أن الصراع لا يمكن أن يتطابق مع العنف، بل أكثر من ذلك فهو يؤول إلى أن يكون مضاد للعنف الذي يغلق النقاش و يمنع التبادل، و يعمل لصالح القطيعة.¹

مع هذا لا يجعل من المعارضة صراع/عنف قاعدة مطلقة، فهناك وضعيات حيث العلاقة الصراعية بين الخصوم لا تقصي العنف، و حيث يبدو العنف كموّلد للصراع الهاديء، العنف لديه مكان على هامش الصراع.

يعتقد فيفيوركا أن هذا الطرح الجديد تمليه المتغيرات الحاصلة على المستوى العالمي، و المتمثلة في انتهاء الصراع في جانبه الاجتماعي و الجيوسياسي، أي الصراع العمالي أو صراع الطبقات، و الحرب الباردة، بالإضافة إلى الظروف الجديدة المعبر عنها بمفهوم العولمة، و إضعاف الدولة الأمة، حيث لم يعد الصراع يعمل كمبدأ لتنظيم و هيكلية الحياة الاجتماعية، كما لم يعد يسمح في عدد لا متناهي من الوضعيات نتيجة لتجزئة الصراع و انتشاره، بالحد من فضاء العنف.²

في محاولته التنظير للعنف يجعل فيفيوركا "الفرد الفاعل" (Sujet) في قلب التحليل. و هو يبحث عن إمكانية التفكير في العنف في علاقته بالمعنى، و بالدلالات التي توجه هذا العنف، و التي لا هي خارجية تماما بالنسبة للفرد و لا هي فردية تماما أيضا. يجعل "الفرد الفاعل" في صميم التحليل للعنف، يقف الكاتب بعيدا عن المقاربات السيكولوجية و السوسيوسيكولوجية التي تسعى لتوضيح علاقة العنف بنمط الشخصية، و بعيدا أيضا عن المقاربات التي تسعى لتفسير العنف بالسياق، و بالشروط الملائمة، و بالوضعية، لأن ما هو في الحسبان بالنسبة لافتراض وجود علاقة بين العنف و "الفرد

¹ - Michel Wieviorcka. La violence. Op.cit., pp. 24, 25.

² - Ibid., 44, 45.

الفاعل"، هو من طبيعة أخرى: العنف هنا يتعلق، بالنسبة للشخص الواحد كما للجماعة، إما بالقدرة، أو غياب القدرة، أو تقليصها أو منعها على التشكل كفرد فاعل، أو التصرف كفرد فاعل، و إما بميكانيزمات لنفي "الفرد الفاعل" (désubjectivation)، و إما أيضا بتعبير ضد "الفرد الفاعل" (anti-sujet)، و كلّها نقاط يمكن أن تحفّز بالشخصية و بالوضعية، و لكن أيضا تمرّ بعمليات أين تتشابك كل أشكال المنطق، شخصيا كان أم اجتماعيا أم سياسيا أم ثقافيا.¹

يعتمد فيفيوركا على الأعمال السوسيولوجية التي أولت اهتماما بالفرد الفاعل (sujet)، يوجد "فرد فاعل"، أو ذاتية للفرد (subjectivité)، عندما يتمكن الفرد من انتاج اختياراته الخاصة، و من اتخاذ القرارات، عندما لا يكون تابعا، أو على الأقل ليس تابعا تماما للمعايير أو لمحددات ثقافية مثلا، عندما يمكنه أن يبنى نفسه بنفسه. "الفرد الفاعل"، يقول هانس جواس (Hans Joas)، هو الميزة الخلاقة في الكائن البشري. لكن فيفيوركا لا يتوقف عند هذا الجانب المضئي الذي تقدمه العلوم الاجتماعية المعاصرة، بل يقف على الجانب المظلم منه، و المتمثل في الوضعيات التي لا يتمكن فيها هذا "الفرد الفاعل" من أن يتحول إلى الفعل و أن يؤكد ذاته، و في الوضعيات التي يبنى فيها هذا "الفرد الفاعل" أفعاله على معاني مشوّهة، و هي الحالات التي يصبح فيها التمتع بالعنف و تحطيم الضحية هو الغاية من العنف، أو العنف من أجل العنف. يوجد شروط محفزة لهذا النوع من العنف، لكن ما يهم هنا هو مفهوم "الفرد الفاعل" و كيف يمكن أن يكون مفيدا في التطرق للعنف.²

يمكن أن يكون للعنف جوانب توحى بمنطق فقدان المعنى (logique de perte de sens): عندما يعبر الفرد عن معنى مفقود، أو غير ممكن، و يكون عنيفا، مثلا لأنه لا يستطيع بناء الفعل الصراعى (action conflictuelle) الذي كان سيسمح له بالدفاع عن مطالبه الاجتماعية أو توقعاته الثقافية أو السياسية، لأنه لا يوجد لها معالجة سياسية. العجز أو فقدان المعنى لا يقود بالضرورة إلى الفراغ، إلى غياب المعنى، إنه يحث في الغالب أيضا على سيورات لصنع معنى جديد مقطوع عن الواقع، يؤدي إلى تحميل إضافي للمعنى (surcharge) - يعطي الكاتب كأمثلة الحالات التي يتركز

¹ - Ibid., p. 288.

² - Michel Wiewiorka. «Détruire, se détruire dans la perspective sociologique du «Sujet»», Op.cit., pp. 1026- 1035.

فيها العنف على إيديولوجيا و ينجر عنها، و يجد فيها معنى بديل، و في حالات أخرى يعتمد على الأسطورة، هنا العنف يتشكل أو يتطور عندما تنهار الأسطورة، لكن في العالم الحالي يأتي الدين ليقدّم معنى لفعل عنيف، معنى متجاوز للسياسة.¹

فقدان المعنى هنا يتعلق بالفرد، و بالطريقة التي يتصور و يسيّر بها تجربته الخاصة، و مساره، و وضعيته، و ليس بالنسبة للنظام سواء حاله أو تحولاته. العنف هنا ليس هو اللامعنى (non-sens)، بل بالعكس إنه ينشيء معنى أو بإمكانه فعل ذلك.²

اللامعنى (non-sens) ينفي المسؤولية عن الفاعل. "الفرد الفاعل" هنا خاضع و متلقٍ للأوامر، إنه بعيد كل البعد عن كل منطق للفرد المدرك لذاته (logique de subjectivation)، إنه ليس "فردا فاعلا"، بل هو عميل (agent).³

خمس حالات ممكنة يوافق كل منها نمط من الذاتية (type de subjectivité) يمكن أن يرتبط بالعنف:

- الفرد المتقلب (Sujet flottant)، و هو الذي عندما لا يتمكن من أن يصبح فاعلا (acteur)، ينتقل إلى العنف.
- الفرد-الفرط (Hyper-Sujet)، الذي يعوّض فقدان المعنى بالتحميل الزائد للمعنى، بالإفراط، بمنحه معنى جديدا لوجوده، إيديولوجي، أو أسطوري، أو ديني مثلا. العنف هنا لا يمكن فصله عن القناعات، إنه التزام مُثَقَّل بمعنى يتخطى كثيرا الوضعية التي يتم فيها، إنه يهدف أبعد كثيرا من الوضعية.
- اللا-فرد (Non-Sujet) يتصرف بطريقة عنيفة دون أن يُلْزَم ذاتيته، على الأقل ظاهريا، بالاكْتفاء بالطاعة، كما في تجارب ستانلي (Stanley) الشهيرة، عنفه لا يحمل معنى من وجهة نظره، إنه ليس أكثر من شكل من الخضوع لسلطة شرعية.

¹ - Michel Wieviorka. Neuf leçons de sociologie. Coll. Le monde comme il va, éd. Robert Laffont, Paris, 2008, pp. 226-228.

² - Michel Wieviorka. La violence. pp. 221, 222.

³ - Ibid., p. 239, 240.

- ضد-الفرد (Anti-Sujet) هو ذلك الجانب من الفرد الذي لا يعترف للغير بحقهم في أن يكونوا أفراداً، و الذي لا يمكنه أن يتشكل إلا في إنكار إنسانية الآخر. هذه الحالة توافق بُعد القسوة في العنف أو التمتع بالعنف الخالص، الذي أصبح غاية في حد ذاته. الضحية هنا نُزعت عنها صفة الإنسانية (déshumanisée)، و شُيِّتت، أو جُعِلت كأُنْها حيوان، إنها الضد تماماً للفرد الفاعل (Sujet).

- الفرد قيد الحياة (Sujet en survie)، و هو الموافق للحالة حيث يمكن لفرد ما ، قبل كل عدائية، أن يشعر عن خطأ أو عن صواب، بأنه مهتد في وجوده، فيتصرف بطريقة عنيفة من أجل ضمان بقائه.

هذه التيبولوجيا، حسب الكاتب، ميزتها أنها تساعد على التطرق لما هو أكثر خفية و أكثر أهمية في العنف: ليس حالات الإحباط التي يمكن أن تكشف عنه، و لا الحسابات الأكثر أو الأقل عقلانية للشخص الذي يعتمد عليه في التصرف، و لا حتى الثقافة من أين ينبثق، بل منطق فقدان المعنى أو الإفراط فيه، و الذي يحدث أن يتشكل العنف في خلاله، جانب الإفراط فيه أو التفریط، أو الذاتية المشوّهة التي تجعله ممكناً.¹

العجز في إمكانية الصراع الاجتماعي هو دائماً عامل لللامعيارية و العنف. في الواقع عندما لا تتحول التوقعات الاجتماعية إلى نقاش و إلى صراع بين الفاعلين، فإنها تتحول إلى تهكم و انتهاك للقواعد الاجتماعية و الأخلاقية، و إلى القُدْرَة و الخضوع من جهة، أو إلى عنف. الفرضية العامة التي يمكن أن تعمل كقاعدة للتحليل هي أن فضاء العنف يتسع عندما تتقلص، أو تقل، أو تختفي إمكانيات جعل المشاكل الاجتماعية في شكل نقاش، أو في شكل صراع، و يتقلص عندما يسمح صراع ما مؤسس بمعالجتها بالتفاوض، و لو في ظروف من التوتر الكبير بين الفاعلين. العنف ليس هو الصراع، بل هو نقيضه، يتجلى بسهولة أكبر عندما لا يجد فاعل ما أيّ محاور له ليحاول ممارسة ضغط ما اجتماعي أو سياسي، عندما لا يوجد لديه أي طريق للتفاوض المؤسسي. هذا الافتراض

¹ - Michel Wieviorka. Neuf leçons de sociologie. Op.cit., pp. 230, 231.

يجب أن يُعتبر كأداة للتحليل، و ليس كقاعدة مطلقة، هناك وضعيات و تجارب و سياقات يكون فيها الصراع و العنف معا.¹

يركز النموذج على مفهوم "الفرد الفاعل"، الكاتب نفسه يعتبر أن المفاهيم التي يقترحها هي محاولة أولى، و يعترف بافتقاده للمفردات العلمية التي يمكنها أن تحدّد هذه الأشكال بشكل أوضح و أدقّ و أكثر ملائمة، و مع ذلك فهي محاولة تسمح بالتفكير في العلاقة بين العنف و الفرد.²

بالرغم من أن النموذج يركّز على المفاهيم الممثّلة في التصنيف للحالات الممكنة لهذا "الفرد الفاعل" التي تعبّر عن فقدان المعنى أو الإفراط فيه أو تشوّهه، فإن الأفكار الأساسية فيه موجودة قبل النموذج، كالتمييز مثلا بين العنف و الصراع، أو التمييز بين العنف الأداتي و العنف الغائي، لذلك فإن الجانب التفسيري في النموذج مستوحى من مواقف نظرية مختلفة موجودة أصلا، تلك التي انطلق فيفيورك من نقدها، و هو ما يجعل نموذجه يبدو كردّ فعل للمعطى "الجديد" في العنف الذي هو جانب البشاعة فيه، و وصف لهذا الجانب نتيجة للانبهار به.

¹ - Ibid., pp.238-239.

² - Michel Wieviorcka. La violence. Op.cit., p. 291.

الفصل الرابع: العنف و الطفولة.

- تمهيد.

1- إكتشاف الطفل.

2- العنف في علاقته بعدم المعرفة بخصائص الطفولة و أساليب التعامل مع الطفل.

3- نتائج العنف الممارس على الطفل.

4- العنف الممارس من الطفل، أو إعادة إنتاج العنف.

5- مكانة الطفل في الإسلام و الموقف من العنف ضده.

- تمهيد.

المعلومات المتوفرة غير كافية لتقديم صورة كاملة عن وضعية الطفل في الفترات التاريخية المختلفة في المجتمع الجزائري، و ربط مكانته بالعوامل الديمغرافية أو السوسيوثقافية لكل فترة، و تفسير التغيرات التي حدثت مع الوقت في البنية الأسرية و في المجتمع عامة، و في مكانة الطفل و التصورات حول مفهوم الطفولة.

تبقى الأسرة إذا على حد تعبير مصطفى بوتفنوشت، مؤسسة لا نعرف عنها كثيرا، كل واحد يعرف أسرته الصغيرة أو الممتدة، لكن قليل هم الذين يعرفون ما يربط مجموع الأسر الجزائرية فيما بينها، خاصة و أن الأسرة هي نتاج اجتماعي يعكس المجتمع الذي تتطور فيه، لأنها تتطور بالتوتيرة و تحت شروط تطور المجتمع.¹

الدراسات حول المجتمعات الأخرى قد تفيد في اعتماد مقاربات حول المجتمع الجزائري على شاكلة المقاربات التي اعتمدتها هذه الدراسات، و قد تفيد أيضا بالنظر إلى التقاطعات التي تبديها هذه المجتمعات مع المجتمع الجزائري، ثم لأن النموذج الغربي فيما يتعلق بتصور الطفولة هو النموذج الذي يتم التسويق له في كل المجتمعات الأخرى.

1- إكتشاف الطفل:

شهدت العقود الأخيرة اهتماما فائقا بالطفل، و لا يرجع هذا الاهتمام لكون الطفولة من أهم المراحل في حياة الإنسان، بل لكونها اعتبرت كذلك ابتداء من فترة زمنية معينة، نتيجة لتحولات اجتماعية معينة أيضا، و هو ما يُطلق عليه "إكتشاف الطفل".

هذا الاكتشاف للطفولة، و محاولة وضع هذه المعرفة الجديدة في خدمة التربية، تعتبره ميد (M. Mead) أهم إنجاز في زمانها، رغم أن الدراسات آنذاك لم تكن تشكل إلا بداية، على حد تعبيرها، يمكن للأجيال القادمة البناء على أساسها.²

¹ - Mostefa Bouteftouchet. La famille algérienne, évolution et caractéristiques récentes, 2^e éd. SNED, Alger, 1982, pp. 7, 19.

² - Margaret Mead, Rhoda Métraux. Op.cit., p. 107.

مفهوم الطفولة إذا نتاج ثقافي، بمعنى أنه نتاج ثقافة معينة ابتداء من فترة زمنية معينة. مصطلح طفل باللاتينية مثلا معناه الذي لا يتكلم، ذلك أن مرحلة الطفولة في المجتمع الذي أنتج هذا المصطلح، لم يكن يُنظر إليها بالمفهوم الحالي على أنها مرحلة لها خصوصياتها، فالفرد بمجرد اكتسابه القدرة على الكلام يندمج في مجتمع الراشدين، و يشاركهم أعمالهم، و يحذو حذوهم في الحياة.

يشير مصطفى بوتفنوشت في سياق اهتمامه بالعائلة الجزائرية إلى أهمية توضيح جانبين أساسيين من الحياة الأسرية و هما وضعية الطفل و وضعية المرأة، لفهم الأهمية التي تلعبها البنيات الأسرية في بنيات المجتمع. دراسة الطفل تسمح بتوضيح بعض جوانب الثقافة الجزائرية، و ذلك بتوسط التربية و نظام التعلم الاجتماعي الذي يخضع له الطفل، لأن التربية و الثقافة مفهومان لا يمكن فصلهما.¹

و تظهر ملامح التربية التقليدية في اتجاهات الناس و مواقفهم، و في طرق تعبيرهم، و في الأمثال و الحكم. تذكر نفيسة زردومي هذا في سياق اهتمامها بالطفل في الحياة الأسرية التقليدية في المجتمع الجزائري، و تشير إلى تأثير الثقافة على الطفل و تطوره، هذا التأثير الذي هو نتيجة إسهام كل العلاقات الانسانية للجماعة أين يعيش الطفل و أسرته، و التي تظهر في المؤسسات و القيم الأخلاقية و اللغة و المستوى المعيشي و الوسط عامة. فالأدب الشعبي و تحليل الخطاب الموجه من الراشدين للطفل أو المستعمل من طرفهم حول موضوع الطفل، و الحكايات، و الألغاز، و الأغاني، و أغاني المهد، و الطقوس المرافقة لنمو الطفل و التي تهدف إلى دمجها في المجتمع، و الممنوعات، كلها تحمل إيديولوجيا كاملة تميز وضعية الطفل في المجتمع التقليدي الجزائري.²

يحظى الطفل باهتمام المجتمع، و ذلك ابتداء من مرحلة انتظاره، بالاهتمام بالمرأة الحامل من خلال المعتقدات الدينية و التقاليد.³ يظهر هذا الاهتمام من خلال الاستقبال المخصص للطفل، و في العلاقة بين الطفل و أمه، و المتصفة بالحب و العطف المترجم أيضا في العبارات و الأقوال الشفوية.⁴

¹ - Mostefa Boutefnouchet. La famille algérienne, Op.cit., pp. 67-69.

² - Ibid., p. 59.

³ - Nefissa Zerdoumi. Op.cit., pp. 65-69.

⁴ - Ibid., pp. 74-115

المكانة التي يحتلها الطفل و الاهتمام به لا يمنعان من إمكانية التعرض للعقوبات التي يسلطها كل من الأم و الأب على الطفل.¹ بل العقوبات نفسها قد تفهم على أنها من قبيل هذا الاهتمام. الوالدان يؤثران تأثيراً محدداً على بناء شخصية الطفل، هذا التأثير ليس فقط ظاهرة اجتماعية لأنه يجد منبعه في العقيدة الإسلامية. الطفل ينحني أمام إرادة والديه دون مناقشة، هذا الاتجاه يتم تلقينه منذ الطفولة الأولى. كلما كان الاحترام من الأبناء ظاهراً كلما كان الوسط جديراً بالاحترام. الطفل ينادي أباه سيدي، و الأم تقول سيده عند الحديث عن والد الطفل. هناك قواعد يُعوّد عليها الطفل، و أوامر يجب طاعتها مباشرة.²

في الأسرة في الشكل التقليدي، يتم تناقل العادة بشكل دائم يوماً بعد يوم، فالطفل يقلد الحركات و الأفعال التي يراها، و يسمع الأقوال و الحكايات و الأمثال و النصائح، و يسجل الممنوعات التي تشكل التصورات العائلية، و هو يشارك في الأعياد و في كل الطقوس. الطفل إذا بفضل العائلة يتشكل، دون أن يشعر، في قالب الجماعة. هذه التربية الأولية هي تعلم تلقائي يؤدي إلى تلقين القواعد الأخلاقية المطابقة لمعايير الجماعة و تعلم مهارات الحياة التي تشكل القاعدة الجوهرية للتربية.³ و يذكر سليمان مظهر في حديثه عن نوع العنف الجسدي كيف أن هذا الأخير يمارس في الوسط العائلي ضد الصغار عندما يخالفون ما يحثهم عليه ذوهم، بمعنى عندما لا يشاركون في التفاعلات المحبذة في المحيط الاجتماعي، العنف هنا هدفه إخضاع الأشخاص للضغط الاجتماعي حتى يستجيبوا له، كما يكون دوره تربيوا و اجتماعياً. الشخص الصغير يلقن بالتنشئة و التربية طرق السلوك و التعامل الاجتماعي، و يُضرب إن خالف ما ينتظره منه ذوه، حتى يتفطن لضرورة الامتثال للشروط الاجتماعية (القيم، و العادات، و التقاليد) التي تقوم عليها جماعته العائلية و تفرضها عليه.⁴

يعطي بوتفنوشت خصائص العائلة الجزائرية، و التي تبدي بعض التشابهات مع العائلة في مجتمعات أو حضارات أخرى، حول الحوض المتوسط خاصة، ثم يصف العلاقة بين الأب و الإبن و التي تتميز

¹ - Ibid., pp. 180-182.

² - Ibid., pp. 161, 167.

³ - Ibid., p. 174.

⁴ - سليمان مظهر. نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية. مرجع سابق، ص 15.

بعدم التكافؤ، و بتبعية الإبن لسلطة الأب، المنحى الديني الإسلامي يُبرز أكثر سلطة الأب، بطاعة الإبن للأب التزاما بالقواعد القرآنية و بالحديث. هذا التباين في العلاقة تمليه متغيرات عديدة منها السن الذي يفرض تراتبية بين الأجيال، و هو أيضا العامل وراء التمايز في العلاقات بين الأبناء أيضا، ثم كون الأب هو الضامن في نقل قيم الأجداد، و هو الوصي و المالك للإرث المادي كالأرض مثلا، و كونه الممثل بالواجب الديني المقدس. أهمية الاحترام الذي يتميز به الأب و درجة الخضوع التي يملئها على الإبن تجعل منه عائقا بالنسبة للإبن لا يمكنه التحرر منه إلا بالعصيان.¹

و يذكر بورديو كيف أن رب العائلة الأبوية يتمتع بالحشية من طرف أفراد الأسرة، لأن لديه القدرة على إلحاق اللعنة بالذي يعصيه، هذه اللعنة التي تظهر في عقوبة إلهية تلحق به.²

الطفل هو "دم و لحم" الوالدين، هذه العلاقة القوية يشعر بها الوالدان و يتعلمها الطفل و يتقبلها. ينتظر الأب من الطفل أن ينتمي إليه بشكل حصري، و أن يكون تابعا له، و يتوجب على الطفل أن يُظهر بأنه فخور بالنسب الذي ينتمي إليه، و يحترم سلطة الأب في كل الظروف و أن يخدم عائلته طبقا للقيم التقليدية للعائلة، كما يتوجب عليه أيضا أن يكون "إبن عائلة"، بمعنى أن يأخذ على عاتقه الدفاع عن العائلة و رفع شرفها. توقعات الأب من الطفل هي أن يكون حذقا كفاية فيما يتعلق بالحياة، و أن يكون "ذراعه الأيمن" المعترف به من الأب، و أن يكون الداعم لوالديه عند الكبر، و الضامن لاستمرار العائلة.³

مكانة الطفل الحفيد تتميز بكونه مركز اهتمام جمعي، من الأب و الأم و الجد و الجدة، و موضوع نزاعات كبيرة بين الآباء و الأجداد، هذه الوضعية ليست مرتبطة بمجيئه كمولود جديد فقط، بل بطموح والديه في أن يحظى بأحسن تربية ممكنة، في حين نجد فيما يتعلق بالتربية النفسية و الاجتماعية و العاطفية للطفل ثلاثة مواقف مختلفة في العائلة التقليدية، هذه المواقف هي موقف الأب الذي يرغب

¹ - Mostefa Bouteftouchet. La famille algérienne, Op.cit., pp. 62, 63.

² - Lahouari Addi. «Femme, famille et lien social en Algérie», in : Azadeh Kian-Thiébaud et Marie Ladier-Fouladi (dir.). Famille et mutations sociopolitiques, L'approche culturaliste à l'épreuve. éd. Maison des sciences de l'homme, Paris, 2005, p. 72.

³ - Mostefa Bouteftouchet. La famille algérienne, Op.cit., pp. 78.

في تربية من نمط الرجولة بتجارب خشنة سواء للولد أو للبنات، و موقف الأم التي قد تريد تربية أكثر رهافة و حسية، و موقف الجد و الجدة اللذان يرغبان في تربية من نمط تقليدي أكثر.¹

في الأسرة المعاصرة الطفل هو طفل-ملك، و هو أكثر من الزوجة نقطة الضعف العاطفية الحقيقية بالنسبة للرجل، الذي لا يمكنه أن يرفض للأطفال ما يرفضه للزوجة أحياناً، لأن الطفل موصوف بالبراءة و النقاء النفسي. الأب يرى نفسه في الطفل، الطفل هو دمه، و وريثه، و هو الذي سيستمر فيه اسمه و نسله. الأب في البنية العائلية التقليدية مستعد لتقديم تضحيات كبيرة لأطفاله، فالعطف الأبوي علاقة أساسية، و لو قائمة على تراتبية سلطوية بين الأب و الإبن، و الإبن يعلم ذلك جيداً ليحترم أباه مهما كان عمره. الشعور بواجب تضحية الأب من أجل ولده يستمر أكثر في البنية الأسرية المعاصرة. المسؤولية المتزايدة و الفردية للأب في تربية أطفاله، و وعي الأب و الأم بأن تربية أطفالهما ملقاة على عاتقهما شخصياً و ليس على الجماعة السوسيوعائلية عامة، على الطريقة التقليدية، تجعل العلاقة والدين/أطفال أكثر حساسية.

الأب في البنية الأسرية المعاصرة يمكن أن يقدم تضحيات على الأقل بنفس الأهمية أو ربما أكثر من الأب في البنية العائلية التقليدية. عند نجاح الأب في تربية ابنه يكون قد حقق نتيجة أولى على الصعيد الذاتي. افتخار الأب و الأم دافع قوي يسهّل التضحيات المادية و غيرها، و الرضا الذاتي للوالدين عامل قوي في تحفيز التربية الجيدة للأطفال و تحفيز التضحيات الممنوحة.²

يتناول فليب أرياس موضوع الأسرة بدلالة الطفل، فيميّز بين الأسرة قبل الطفل و الأسرة بعد الطفل. و هو يعتبر أن اكتشاف الطفل، أو الشعور بالطفل كمرحلة متميّزة تحظى بالأولوية، ظاهرة مرتبطة بالأسرة البرجوازية، و بالمجتمع البرجوازي المتصاعد، هذا الانتقال تم حسب أرياس، بوتيرة بطيئة بين القرن السابع عشر و العشرين، ضمن نقلة ثقافية كلية.³

¹ - Ibid., p. 226.

² - Ibid., p. 257.

³ - Maurice Crubellier. L'enfance et la jeunesse dans la société française 1800-1950. Armand Colin, Paris, 1979, p. 25.

الأطفال الصغار أصبحوا محبوبين كأفراد و ليسوا مداعبين كحيوانات صغيرة، لم يعد الأطفال يعاملون كراشدين صغار، بل كأفراد باحتياجات خاصة. يرى أرياس أن العلاقات العاطفية في الخلية الزوجية لم تكن أبدا كثيفة، و أن تنشئة الطفل كانت تتم بالجماعة الاجتماعية الواسعة. ظهور الشعور بالطفولة يُسجّل في انحصار الزوج على نفسه: الإحساس بين الزوجين و بين الآباء و الأطفال لم يكن حتميا لوجود و توازن الأسرة، فالتبادلات العاطفية و الاتصالات الاجتماعية كانت تتم خارج الأسرة، يضمناها وسط حارّ و كثيف من حيث العلاقات، مكّون من الجيران، و الأصدقاء، و الخدم، و الأسياد، و الأطفال، و كبار السن من النساء و الرجال. اكتشاف الطفل يترافق إذا مع صعود مشاعر الحب التي يتأسس عليها الزوج.¹

العلاقات الأسرية في الأسرة قبل الطفل لم تكن كثيفة، و كانت التنشئة الاجتماعية تؤدّي من طرف الجماعة الأسرية الممتدة و ليس فقط من طرف الأب و الأم. الأسرة المعاصرة بالنسبة لفليب أرياس مرتبطة باختراع مشاعر جديدة، تلك المتعلقة بالطفولة، و بالحياة الشخصية. بدلا من الاهتمام بنقل تراث أو إسم، تهتم الأسرة و تنكب على الخلية الزوجية التي تصبح مكانا لتنشئة الطفل.²

الاهتمام بالطفولة لا يقتصر فقط على مواقف الأفراد في الحياة الأسرية، بل يظهر أيضا على مستوى الدولة و مؤسساتها، إذ لم يعد بإمكان الدولة عدم الاكتراث لوفيات الأطفال مثلا، فهم يمثّلون ثروة وطنية، الطفل هو مواطن المستقبل، و جندي المستقبل، و عامل المستقبل، الطفل أصبح إذا رهانا هاما بالنسبة للدولة، و أصبح ينظر إليه و إلى مستقبله بمنظور جمعي. في هذا المنظور ظهرت الدراسات حول وفيات الأطفال و الأطفال المهملين. في الأسرة كما في المجتمع تطوّر الشعور بأن الطفل يمثّل رأسمال مهمّ، قليل من الأطفال لكن بصحة جيدة، و بأحسن تربية: استراتيجيات إعادة الإنتاج البيولوجي، و الاستراتيجيات التربوية تتمفصل مع استراتيجيات إعادة الإنتاج الاجتماعي.³

¹ - Martine Segalen. Sociologie de la famille. 4e éd., Armand Colin, Paris, 1996, pp. 149, 150.

² - Ibid., pp. 10, 11.

³ - Ibid., pp. 157, 161.

الأسرة قبل الطفل وظيفتها المزدوجة ضمان و تأمين استمرار التراث و احترام الآداب، الطفل هنا لا يمثل أي اهتمام إلا في الحالة التي يشارك فيها في المشروع الوالدي، أما عن عدد الأطفال فلم تكن هناك حاجة تستدعي التحديد، فالأسرة كانت كثيرة الخصوبة، و لم يكن الأطفال يشكّلون عائقا أو عبئا كبيرا في تربيتهم، على الأقل في مرحلة طفولتهم الأولى، و لم يكونوا يشيرون إلا القليل من الاهتمام لدرجة أنه لم يكن هناك داعٍ لِعَدّهم، بعد الطفل أصبحت الأسرة تنتظم بدلالة هذا الأخير و مستقبله، إنّها تابعة للطفل بعدما كان تابعا لها. إن النوعية أصبحت تسبق العدد، هذا هو التحوّل الحاصل.¹

إن ما يميز تصور أرياس هو الموقع المحوري الذي يتمتع به الطفل ضمن الأسرة، و الذي يجعل هذه الأخيرة تنتظم بدلالته، و هو ما يجعل من الأهمية معرفة مكانة الطفل في الأسرة، و التصورات التي يحملها أفرادها عنه، لفهم سلوك هؤلاء تجاهه.

الشعور بالطفولة لم يكن موجودا، هذا لا يعني أن الأطفال كانوا مهملين، أو متخلّين عنهم، أو منبوذين، فالشعور بالطفولة ليس هو العطف عليهم، إنه يوافق الوعي بخصوصية الطفولة، هذه الخصوصية التي تميّز بصفة أساسية الطفل عن الشخص الراشد مهما كان شابا.²

التعامل مع الطفل ككائن ظريف ترافق مع تصور للطفولة كمرحلة قصيرة، أما الشعور بالطفل فيعبر عن الوعي ببراءة و ضعف الطفولة، و بالتالي بواجب الأشخاص الراشدين في الحفاظ على براءته و بتقويته و تسليحه حتى لا يبقى ضعيفا.³

عوامل مختلفة أدت إلى انتشار التخلّي عن الأطفال و التقليل من شأنه، من بينها اشتداد البؤس و الفقر، و كذلك وضعية الطفل الحديث الولادة في المجتمع، و النظرة التي يحملها الأفراد عليه، و ما كان يلقاه من عدم الاهتمام. التفسير الذي يُقدّم عادة لتبرير الظهور المتأخر للشعور بالطفولة هو النسب المرتفعة لوفيات الأطفال، لا يمكن للناس أن يسمحوا لأنفسهم بالارتباط كثيرا بكائن صغير

¹ - Maurice Crubellier., Op.cit., p. 26.

² - Philippe Ariès. L'Enfant et la vie familiale sous l'Ancien Régime. Editions du Seuil, Paris, 1973, p. 134.

³ - Ibid., p. 368.

يعرفون أنه مهدّد باختفاء سريع، نوع من عدم الاهتمام تجاه الأطفال وحده يسمح للآباء بتجاوز الألم المتكرر، لكن نقص الرعاية نفسه، كما يؤكد فلاندران (Jean-Louis Flandrin) مع شورتر (E. Shorter)، هو سبب كثرة الوفيات، بالإضافة إلى الفقر، و انتشار الأوبئة، و غياب النضافة، و رفض الإرضاع في الطبقات الميسورة، و ارتفاع إهمال الأطفال في كل الطبقات الاجتماعية، هذه الوفيات كان ممكن أن تُقلّص لو أن الأولياء كانوا أكثر اعتناء بصحة أبنائهم. هذا الطرح طُوّر من بادينتر (Elisabeth Badinter) التي تقف ضد فكرة التطور المستمر و المتزايد للشعور بالطفولة، و تبين على العكس من ذلك تغيرات هذا الأخير مع الوقت، و تعاقب فترات إيجابية و أخرى سلبية، و غموضه إلى يومها هذا.¹

أطروحة أرياس تُظهر المكان الجديد الذي أخذه الطفل و الأسرة في المجتمعات القائمة على التصنيع. ابتداء من نهاية القرن السابع عشر، تغيّر معتبر حدث في حالة الأخلاق و الممارسات الاجتماعية، حيث حلّت المدرسة محلّ التعلّم كأداة للتربية، بمعنى أن الطفل لم يعد ينضم إلى الأشخاص الراشدين، و لم يعد يتعلم الحياة مباشرة بالاحتكاك بهم. أصبحت الأسرة مكانا للعطف الضروري بين الزوجين و بين الوالدين و الأطفال، هذا العطف الذي يُعبّر عنه خاصة بالمكان المعترف به للتربية. لم يعد إنجاب الأطفال يتم فقط بدلالة الخيرات المادية و الشرف. شعور جديد تماما: يهتم الوالدون بدراسة أطفالهم و يتابعونهم باهتمام و إلحاح. أصبحت الأسرة تنتظم حول الطفل، و تعطيه من الاهتمام ما يجعله يتمتع بشخصية ما، و تعتبر أنه من الأحسن تقليل عدده للتمكن من الانشغال به.²

حدثت إذا أخلقة حقيقية للمجتمع: الملمح الأخلاقي للذين بدأ يتغلب تدريجيا في ممارسات الأفراد على الجانب المقدّس أو العقّدي، و منه أهمية التربية. هذا التأثير جعل الآباء يعلمون أنهم مسؤولون أمام الله على أطفالهم من الناحية الجسمية و الروحية. الآباء الذين يعتنون بتربية أطفالهم لهم شرف أكثر من الذين يكتفون بإنجابهم، لأنهم لا يعطونهم الحياة فقط، بل حياة جيدة و مقدسة.³

¹ - Caroline Mignot et Pierre Straus. «La place et le sort de l'enfant dans la société, de l'ancien régime à nos jours», in : Pierre Straus, Michel Manciaux, et collaborateurs. L'enfant maltraité. Op.cit., pp. 05-08.

² - Philippe Ariès. Op.cit., pp. 3, 4 en préface.

³ - Ibid., pp. 463, 464.

2- العنف في علاقته بعدم المعرفة بخصائص الطفولة و أساليب التعامل مع الطفل:

المبّرر في اعتبار الطفولة مرحلة بحد ذاتها هو تميّزها عن باقي المراحل بخصائصها. من جهة أخرى الطفولة في تعريفها هي المرحلة من الولادة إلى المراهقة، رغم أن هذه المرحلة تُظهر اختلافا واضحا من حيث الخصائص المرتبطة بالنمو، و من حيث احتياجات كل مرحلة جزئية، السمة الأساسية المميزة إذا لكل المراحل الجزئية للطفولة، و التي تجعلها تندرج تحت نفس التسمية، هو العجز و الإعتماد، فالطفولة هي المرحلة التي يمرّ بها الفرد من العجز و الاعتماد المطلق على الآخرين إلى الاعتماد على النفس. يرى البعض أنه من المهم أن يُنظر إلى تطور الطفل على أنه سيروية مساعدة و تعاون بين الطفل من جهة و الشخص الراشد الذي يمثل المهارات السابقة، كوسيط، أو مرافق و منظم، حسب ميسيني (P. M. Mesnier)، الذي يعتبر بأن دور الشخص الراشد تنظيم عمل الطفل نحو التعلم، و هو ما يحفزه على الاستقلالية.¹ و هو ما يضمن حاجة من الحاجات الأساسية للطفل و هي التحفيز، و يتناقض مع مبدأ الإتكالية التي تتولّد لدى أطفال الأسر المتميزة بالتسلّط، و الفرض المفرط للسيطرة، و العقاب الجسدي، بدلا من الإقناع و الحوار.

كل ثقافة تُكيّف انطلاقا من الصورة التي تحملها عن الحياة الإنسانية سيروية النمو في كل المراحل التي تعتبرها مهمة. كل مجتمع يحمل صورة محددة عن الطفل عند ولادته، هذا ما يحمل الناس على الاعتقاد بأنهم على علم بما يتوقعون، و بأنهم يعرفون كيف يربّون طفلا.² هذه الصورة المثالية عن الإنسان على حد تعبير دوركهايم، على ما يجب أن يكون عليه من الناحية المعرفية، و الجسمية، و الأخلاقية، و التي هي في شكل ما نفسها لكل أفراد المجتمع، و تختلف إلى حد معين من وسط اجتماعي خاص لآخر، و من ثقافة فرعية لأخرى، هي التي تمثّل قطب التربية (le pôle de l'éducation).³

¹ - Pourtois Jean-Pierre. Op.cit , p. 32.

² - Mead Margaret, Métraux Rhoda. Op.cit., pp. 108- 109.

³ - Emile Durkheim. Textes, 2. religion, morale, anomie, Coll : le sens commun, éd : de minuit, paris, p. 50.

العنف المنزلي الممارس على الطفل ينشأ أحيانا في علاقة بالخصائص المميزة لكل مرحلة من مراحل الطفولة، سواء المتعلقة بالنمو أو ما يميزها من خصائص اجتماعية أيضا، من مثل توسّع دائرة علاقات الطفل بالمحيط الاجتماعي، و في علاقته أيضا بعدم معرفة الوالدين بهذه الخصائص، و عدم معرفتهم باحتياجات الطفل في كل مرحلة. العنف ينشأ إذا من العجز، فالسلوك العنيف للمربين ينتج عن عجز في تسيير استفزات الأطفال دون الدخول في حلقة جحيم مشكّلة من عقوبة و قمع و تمرد، و هذا لغياب استراتيجية تربية واضحة و غياب نماذج نظرية تسمح ببناء و تبرير الممارسات التربوية.¹ أو الاختلاف حول النماذج الموجودة لاختلاف التصورات حول التربية باعتبار أن المسألة ثقافية أولا، فالاستثمار في الطفل كحاجة أساسية يسجّل في سياق المشروع الوالدي، و الذي يتمثل في مجموع التصورات التي يحملها الوالدان عن طفلهما، و عن مستقبله (الطفل المثالي)، بالإضافة إلى التماثل لوالديه.²

في المرحلة الأولى من الطفولة، من الميلاد إلى العام الثاني، حيث يعتمد الطفل كلياً على أمه في إشباع حاجاته للطعام و الراحة، تعتبر الأم ممثلة المجتمع و حاملة ثقافته، فتعاملها مع طفلها بحب و حرارة و عطف يجعل الطفل يطوّر مشاعر الثقة بالعالم المحيط به، أما إذا تلقى الطفل من أمه معاملة تتسم بالجفاء، و الإبطاء في إشباع حاجاته، أو عدم تنظيم هذا الإشباع فإن الطفل سيطور مشاعر عدم الثقة في العالم المحيط به، و يتطور هو وفقاً لهذه المشاعر في المستقبل، و هو ما يعبر عنه أحيانا بالبكاء، و قد يمثل ذلك مصدر إزعاج للأم التي لا تدرك أن تدمر طفلها في هذه الحالة ظاهرة صحية تقتضيها طبيعة نموه، و ليس ظاهرة مرضية تدل على تدليل الطفل مثلاً أو الرضوخ المفرط لطلباته، فتقابل بكاء طفلها بالشدة، و بالاستياء.

و تعتقد كريستيان أوليفي أن على الآباء تلبية حاجات الطفل في العام الأول من عمره عند طلبها منهم بالبكاء و الصراخ، و عدم تأجيلها لأن ذلك يعتبر بمثابة اجتياز العتبة الأولى للعنف. ما ينبغي

¹ - Paul Durning. Education familiale. Op.cit., p. 177.

² - Pourtois Jean-Pierre. Op.cit, p 32.

على الآباء تأمينه للطفل هو تأسيس ثقة الطفل، و التدريب على الكلمة.¹ التربية الوالدية في هذه المرحلة تتمثل من جهة في الاستماع و محاولة فهم طلبات الطفل و إشعاره بأنه يمثل جزءا من مجموعة عائلية تحبه، و تساعده على التحكم في عجزه الأساسي، و من جهة أخرى وضع حدّ للقوة المطلقة لرغبة الطفل في مقابل رغبة الآخر لتأسيس علاقة تبادل و اتصال تفضي إلى سلطة متقاسمة، موزعة حسب السن و المكانة في الأسرة. في مرحلة ثانية يوجد موقف واحد صحيح من وجهة نظر تربوية، هو التفاوض الذي يفضي إلى الوعي بتضارب المشاعر، ما يجعل الطفل يفهم بأن طلبه مسموع لكن ليس بالضرورة مستجاب، و أن عليه التخلي عن جزء من رغباته، و في نفس الوقت يفعل الوالد نفس الشيء حفاظا على الحب بينهما. ما يجمله الآباء اليوم أكثر، حسب الكاتبة، هو أن التربية لا تتم دون اجتياز الصراع الذي يكشف عن وجود إرادتين مختلفتين و فرديتين. لارتباطهما الكبير بالطفل المرغوب فيه، يرفض الوالدان أحيانا الدخول في صراع مع الطفل و يفضلان تجنب المأساة بالاستسلام إلى رغباته.²

في مرحلة النمو الممتدة من ثلاثة إلى خمسة أعوام، و التي تمثل مرحلة نمو سريع في كل من الوزن و الطول ينعكس على زيادة نشاط الطفل و حركته، و هو ما يشكل مصدر إزعاج للوالدين، إذ يتوجب عليهما مضاعفة جهودهما لمراقبة الطفل، و مع أن الطفل يكون قادرا على استعمال اللغة، فهو لا يستطيع أن يستوعب وجهة نظر الآخرين، أو أن يدرك ما بين وجهة نظره و وجهة نظر الآخرين من اختلاف، في حين يتدخل الآباء عادة لمنع بعض سلوكياته التي يقدرون أنها غير لائقة أو مصدر إزعاج أو ضرر للطفل، معتمدين في ذلك على إصدار الأحكام الأخلاقية أو القيمية من مثل: لائق، غير لائق، حلال، حرام، معتقدين أن مستوى تطور اللغة عند طفلها سيسمح له باستيعاب معاني هذه الأحكام. و تتكرر لدى الطفل ثورات الغضب بشكل واضح، نتيجة لما يلاقه من إحباط بسبب محاولة كبح جماحه، أو التأخر في تلبية رغباته، و يصبح العدوان المظهر الأساسي لسلوكه، ما يجعله عرضة للشدة و التعنيف من طرف والديه.

¹ - Christiane Olivier. Les parents face à la violence de l'enfant. éd. Fayard, France, 2000, p. 48.

² - Christiane Olivier. L'Ogre intérieur. Op.cit. pp. 51- 53.

و يعاني الطفل في هذه المرحلة كثيرا من المشكلات الانفعالية الناتجة سواء عن خصائصه النفسية البيولوجية، إذ هو غير قادر على المحاكمة العقلية الموضوعية، و هو صغير الجسم إذا قاس نفسه بغيره من الأشخاص من حوله، الذين كثيرا ما يصادفهم فيعاقب، غير قادر على مقاومة العدوان لو وقع عليه ممن هو أكبر منه، أو من معاملة الوالدين الذين كثيرا ما يعمدان إلى تخويف طفلهما عند عجزهما عن كبح نشاطه و منع سلوكاته غير المرغوبة، بإيهامه بوجود كائنات خيالية يمكن أن تلحق به الأذى إن هو استمر في سلوك ما. الطفل في هذه المرحلة لا يمكنه التحكم في انفعالاته أو التخفيف منها، و لا يعرف الوالدان كيف يواجهان هذه الحالة فيتوقعان منه أكثر مما يستطيع فعلا، و يعاملانه أحيانا كراشد، كل هذا يخلق جوا من التوتر و الإحباط، بدلا من الهدوء و الاستقرار، و النتيجة هي الثورات الانفعالية الجارفة من ناحية الطفل، كالخوف و الغضب.¹

في المرحلة اللاحقة من حياة الطفل من ستة أعوام إلى اثني عشرة عاما، أبرز ما يميز حياة الطفل هو التحاقه بالمدرسة كأول مؤسسة رسمية بعد الأسرة بالنسبة لأغلب الأطفال، باستثناء هؤلاء الذين مروا برياض الأطفال أو بالمدارس القرآنية. التحاق الطفل بالمدرسة هو بمثابة اتّساع هام في المجال الاجتماعي للطفل، و فرصة لإقامة علاقات جديدة، و الاحتكاك بأشخاص جدد مختلفين إلى حدّ ما، و هو ما يتيح للطفل مجالا للتعلّم و اكتساب خبرات جديدة. و يختلف تجاوب الأطفال مع هذا المجال الجديد فيتراوح بين الرفض الذي يقابل أحيانا بالقسوة و الإرغام من طرف الوالدين العاجزين عن الوصول إلى حل لمشكلة طفلهما، لأنهما يجهلان سبب هذا الموقف من طفلهما و كيفية التصرف حياله، و بين القبول من طرف البعض الآخر من الأطفال الذين سيحملون ذكرى طيبة عن أول يوم التحاقهم بالمدرسة كبداية هامة في رسم مسار حياتهم المستقبلية.

إن التحاق الطفل بالمدرسة يعني قضاء ساعات طويلة يوميا تقريبا خارج الأسرة، بعيدا عن أفرادها، و هو ما قد يجنّب الطفل أحيانا الاصطدام معهم و التعرّض إلى إساءتهم و تحمّل نتائج إحباطاتهم، لكنه قد يضع الطفل في صميم الصراع و التضارب بين الأسرة و المدرسة، إذا تعارضت و تناقضت قيم كل مؤسسة مع الأخرى، و يتحمّل الطفل نتيجة هذا التباين في القيم، في مرحلة يميل فيها إلى

¹ - محمد عودة الرماوي. في علم نفس الطفل. دار الشروق، 1998، ص263، 264.

الاستقلالية التي تنعكس عليه بتلقائية نتيجة للنجاح الذي يشتهه بالتحاقه بالمدرسة و تنقله بمفرده بين البيت و المدرسة ذهابا و إيابا دون اعتماده على والديه و أفراد أسرته. و يصاحب هذه الاستقلالية و التوسع في المجال الاجتماعي للطفل تهافت الكثير من التساؤلات على ذهنه، هذه الأسئلة التي يطرحها على أفراد أسرته باعتبارهم الطرف الأكثر ثقة و حميمية، و المصدر الوحيد للخبرة في مرحلة طفولته الأولى، و أسئلته في هذه المرحلة أكثر عمقا و تعقيدا من ذي قبل، و هو ما يحتاج إلى إجابات مقنعة تلبي حاجته إلى معرفة المزيد عن نفسه و عن العالم من حوله، و قد لا تلقى هذه الأسئلة، لشعور الوالدين بالعجز عن الإجابة أو لعدم وعيهما بضرورة الإقناع و مخاطبة العقل في مثل هذه المرحلة من حياة طفلهم، إلا شبه إجابات خرافية لا تزيد الطفل إلا غموضا و حيرة و تعقيدا لمشكلاته، في حين أن اعتراف الوالدين بالعجز عن الإجابة قد يكون أفضل، إذ يشعر الطفل بمحدودية الأسرة فيكون ذلك عاملا محفزا على الاستقلالية و الاعتماد على النفس في محاولة تحصيل ما عجزت الأسرة عن تقديمه، لكن هل يرغب الوالدان فعلا في استقلال طفلهم عنهما؟

يحرز الطفل في هذه المرحلة تقدما واضحا في نموه الانفعالي، حيث يصبح أكثر قدرة على التحكم في انفعالاته، و يميل إلى كسب احترام الكبار و تقوية ثقتهم به، و تزداد حساسيته تجاه ما يوجه إليه من نقد أو ما يتعرض إليه من سخرية و استهزاء، و قد تكون بعض مواقف الكبار عاملا حاسما في رسم مسار حياته مستقبلا، فتضعف لديه الميل إلى الاحتكاك بالآخرين و التفاعل معهم، و تتولد لديه الكراهية و حب الانتقام. اتساع المجال الاجتماعي للطفل هو مصدر لاكتساب خبرات جديدة تكون لصالح الطفل أو تعمل لغير صالحه.¹

يزداد اتساع المجال الاجتماعي للطفل أكثر في مرحلة المراهقة، مع إمكانية التحاقه بمؤسسات اجتماعية أخرى، و يزداد أيضا وزن هذا المجال بالنظر للأهمية التي يمثلها بالنسبة له، في هذه المرحلة يتسع إذا القاموس اللغوي للطفل، بحيث يتعلم الطفل من المفردات ما يسمح له بتحسس و استشعار معظم الحالات النفسية و الوضعيات الاجتماعية التي يختبرها، و تزداد في هذه المرحلة الأسئلة التي تفرضها حاجته للتعرف أكثر على العالم المحيط به و التعرف على نفسه، و على جسمه، بالنظر إلى

¹ - محمد عبد الرحيم عدس. مع الأطفال في طفولتهم. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، عمان الأردن، 1997، ص 35.

التغير الفيزيولوجي الهام الذي يطرأ على هذا الأخير بوتيرة سريعة، الفرق هذه المرة هو أن المراهق في الغالب ليس بإمكانه طرح أسئلته على والديه أو أفراد أسرته. و يصاحب هذه التغيرات اتجاه المراهق نحو الاستقلالية أكثر، إذ يشعر أنه لم يعد صغيراً، هذه الاستقلالية لا تتوقف على موقف المراهق فحسب، بل ترتبط أساساً بموقف الوالدين و بمستوى فهمهما لطفلهما و لمميزات المرحلة التي يمرّ بها، بالإضافة إلى كون المراهق مادياً في حالة اعتماد كلي على أسرته في الحالة الغالبة. إن إصرار المراهق على تأكيد ذاته و استقلاليته بشخصيته المتفردة لا يصطدم فقط بإرادة والديه، بل أيضاً بأفراد آخرين من دائرة علاقاته الاجتماعية، و هو ما ينعكس عليه في انفعالات الغضب، و العدوان، و الإحباط، نتيجة محاولة إطالة اعتماده، و عدم إتاحة الفرصة له ليتحمّل مسؤولياته كراشد، و قد تكون هذه الانفعالات نتيجة لشعور المراهق بعجزه و محدودية إمكانياته في تحقيق طموحاته و رغبته في الاستقلالية.

3- نتائج العنف الممارس على الطفل:

التطرق إلى العنف كظاهرة ذات أهمية يبرز بالنتائج و الانعكاسات السلبية التي يمكن أن يتركها هذا العنف في حياة الفرد و المجتمع على حد سواء. و تكتسي هذه النتائج أهمية أكبر إذا تعلّق الأمر بالطفل، لما ذكرناه من أهمية مرحلة الطفولة في تكوين شخصية الفرد ليندمج في المجتمع الواسع، من هنا فإن آثار العنف و نتائجه تأخذ منحنيين: على المدى القريب و على المدى البعيد. و يتعلّق الأمر بالحاجات الأساسية للطفل، مع الإشارة إلى أن استعمال صفة الأساسية يعني أن هذه الحاجات تدخل في أساس تكوين و نمو و تطور الطفل بشكل سوي، و أن كل إعاقة أو اختلال في إشباع هذه الحاجات يؤدي إلى اختلال في توازن شخصية الفرد، و هو ما ينعكس على سلوكاته و مواقفه.

تظهر نتائج العنف الممارس على الطفل على مستويات مختلفة ذات أهمية كبيرة في حياة الفرد، و في تحديد مستقبله: على مستوى تكوين الملامح الشخصية، و التي تنعكس على المسار الدراسي للطفل، و على الجانب العلائقي له، و على مستوى ظهور السلوك الانحرافي و أشكال الجنوح و الجريمة.

إن الحديث عن الشخصية يعني الحديث عن ملامح و مميزات مستقرة إلى حد ما، مع تطورها عبر مراحل حياة الفرد، و المتعلقة بتصوراته، و سلوكاته، و طريقة تجاوبه مع الوضعيات المختلفة التي

يتواجد فيها، و الظروف التي يواجهها. لا يمكن الخلط إذا بين عنف انعكاسي ناتج عن إحباط معين، فهو رد فعل متعلق بظرف محدد، و بوضعية محددة، و بين عنف مترجم لملامح شخصية، أو عنف ناتج عن تعلم، فهو يمثل نمطا من السلوك يلجأ إليه الفرد للتجاوب مع وضعيات معينة. إن التأثير الحاصل على مستوى شخصية الفرد قد يظهر مباشرة في صور من السلوك العنيف، و أشكال الجنوح و الجريمة، هذه السلوكات تعبر عن ميول شخصية للفرد الذي يسعى لتحقيق أهداف شخصية، و يحاول عن طريق الجنوح حل التناقضات بين مصالح المجتمع و مصالحه الخاصة، الجنوح في هذه الحالة أداتي. و يمكن للأفعال نفسها أن تأخذ صفة الغاية بمعنى أنها لا تفسر بدوافع الغيرة، أو الانتقام، أو الجشع، الدافع اللاعقلاني للسلوك العنيف و الأفعال الجانحة في هذه الحالة يمكن أن يكون توتر عصبي حاد، أو وضعيات متأزمة و صراعات داخلية عميقة في تطور شخصية الجانح.¹

و تأخذ نتائج العنف الممارس على الطفل مظاهر أخرى أقل ظهورا و صراحة و أقل وضوحا لكنها تهدف هي الأخرى إلى التحطيم، و هي ملامح شخصية ذات أهمية في تحديد مستقبل الطفل من خلال تفاعله السلبي مع الوسط الاجتماعي. و تبين الدراسات العيادية أن الطفل الذي يمارس عليه العنف باستمرار يتبلد لديه الحس، و يصبح قليل التأثر بالأحداث التي يعايشها، و التي تستثير انفعال الآخرين ممن لم يمارس عليهم العنف، كما يتولد لديه الإحساس بالدونية نتيجة لمشاعر العجز و الخوف المرسخة مرة بعد مرة.² و تتشكل لدى الأطفال الذين يعايشون و يشاهدون العنف القائم بين الوالدين بأشكاله المختلفة، شخصية ضعيفة و غير واثقة و تائهة بين الوالدين الذين يفترض أن يقدموا للأبناء الثقة، و القدوة، و الثبات.³

و يعاني الأطفال ضحايا العنف الجسدي عواقب و آثار على عدة مستويات: تخلف في بنية الجسم؛ تخلف ذهني؛ صعوبات في الكلام؛ صعوبات في تسيير العدائية، انفجارات غير متحكم فيها للغضب،

¹ - V. Shupilov. «la violence vue sous l'angle de la criminologie: problèmes méthodologiques», in : Revue Internationale des sciences sociales, Op.cit., p. 911.

² - خليل وديع شكور. العنف و الجريمة. الدار العربية للعلوم، 1997، ص 113.

³ - نفس المرجع، ص 121.

أو غياب كلي له؛ سوء تقدير الذات؛ مشاكل سلوكية في المدرسة. و يُظهر الأطفال ضحايا العنف المنزلي ميولا لإلصاق إخفاقاتهم بعوامل و أسباب خارجية غير ممكن التحكم فيها، هذا النوع من المواقف يؤثر سلبا على تطوّر الذكاء، و على تدرس الطفل.¹

ويذكر ابن خلدون في مقدمته كيف أن الشدة على المتعلمين، لاسيما في أصاغر الولد، مضرة بهم لما تطبعه عليهم من طباع و أخلاق فاسدة، و أن ينبغي للمعلم في متعلمه و الوالد في ولده أن لا يستبدا عليهما في التأديب، فإنه «من كان مرباه بالعسف و القهر من المتعلمين... سطا به القهر و ضيق على النفس في انبساطها و ذهب بنشاطها و دعاه إلى الكسل و حمل على الكذب و الخبث و هو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه و علّمه المكر و الخديعة لذلك و صارت له هذه عادة و خلقا و فسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع و التمرّن و هي الحماية و المدافعة عن نفسه أو منزله و صار عيالا على غيره في ذلك بل و كسلت النفس عن اكتساب الفضائل و الخلق الجميل فانقبضت عن غايتها و مدى إنسانيتها فارتكس و عاد في أسفل السافلين».²

و على المستوى العلائقي، يعاني الأطفال المعرضون للعنف صعوبات في إقامة علاقات ناجحة مع الآخرين، فهم يتّصفون بالعزلة، و تقوم علاقاتهم في الغالب على أنماط عدائية، سواء مع الراشدين أو مع زملائهم، و هم يميلون إلى اعتبار المجتمع مصدرا للضرر و الخطر و ليس مجالا للتعاون، ما يجعلهم أكثر ترددا في إقامة علاقات مع الآخرين.³

و من النتائج على هذا المستوى تلك التي تظهر في مراحل متقدمة في علاقاتهم بالجنس الآخر، حيث تتشكل لديهم تصورات صراعية عنيفة عن الحياة الزوجية، كنتيجة لما عايشوه من عنف الأب على الأم مثلا، و قد يصل هذا التأثير لدرجة الامتناع و العزوف عن الزواج.⁴

¹ - Pierre-André Doudin, Miriam Erkohen-Markus. Op.cit., p. 22.

² - عبد الرحمان ابن خلدون. المقدمة ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت، 2003، ص 558، 559.

³ - Pierre-André Doudin, Miriam Erkohen-Markus. Op.cit., p. 23.

⁴ - خليل وديع شكور. مرجع سابق، ص 121.

و من نتائج العنف على الطفل في إطار الأسرة تحطيم الأسرة نفسها بتشتت أفرادها. إنّ ترك المنزل في سن الطفولة من أشكال التفكك الأسري، أو تحطيم الأسرة، و له آثار دائمة على نفسية الفرد، و تبين دراسة قامت بها مؤسسة منع الإساءة بمدينة نيويورك الأمريكية، أن حوالي مليون طفل يهربون سنويا من أسرهم ليلتحقوا بجماعات أو عصابات على أمل أن توفر لهم ما هم بحاجة إليه.¹

و في دراسة قام بها المركز الوطني للدراسات و التحاليل من أجل السكان و التنمية (CENEAP) حول أطفال الشارع، تبين ارتباط وجود الأطفال في الشارع بالعنف المنزلي، و تبريره بالتسلط المفرط من طرف والديهم و غياب الحنان و التلاحم بين أفراد الأسرة.²

4- العنف الممارس من الطفل، أو إعادة إنتاج العنف:

عنف الأحداث يكشف عن حالة من الاستياء العميق، لأن الطفل في الغالب رمز البراءة و المستقبل الأفضل، هذا النوع من العنف يبدو إذا كدليل ملموس لخلل وظيفي خطير يعرفه المجتمع.³

كل عنف بحاجة لأن يُعبّر عنه، لأن كل عنف له جانب رمزي، و يتم التعبير عنه في مختلف المراحل العمرية بطرق و أوجه قد تختلف لكن تعبر كلّها عن حاجات معينة. عنف الطفل، الذي يبدو في مجمله نتيجة و ردّ فعل للعنف الممارس عليه، يأخذ عدّة أشكال، فإن لم يعبر عنه حركيا فسيعبّر عنه جسميا، و إذا لم يعبر عنه في الجسم فسيعبّر عنه دماغيا، في هذه الحالة فإن اللاعدائية هي التي تجعل الطفل متخلفا ذهنيا، تخلف الطفل هو عدائية لم يستطع التعبير عنها، لا بطريقة لفظية، و لا بطريقة حركية (motrice).⁴

إنّ العدائية التي تبدو ملازمة للإنسان يمكن إذا أن تتبع عدة مسارات، من بينها السلوك العنيف الذي يمثل التظاهرة الأكثر صراحة و وضوحا لهذه العدائية، إنها عدائية استطاعت أن تهزم حاجز الخوف

¹ - نفس المرجع، ص 112.

² - CENEAP. Mutation de la famille algérienne, lettre du CENEAP, n° :52, Dec. 2000.

³ - Judith Lazar. Op. cit., p. 17.

⁴ - Françoise Dolto. Les étapes majeures de l'enfance. Coll. Folio/Essais, éd. Gallimard, France, 1994, pp. 251, 252.

من الآخر الممارس للعنف، لكن العدائية لها وجهها الخفي الأكثر خطورة لأنه مجهول و غير واضح، و غير صريح، و الذي يظهر لدى الأطفال في أشكال عديدة من السلوكات السلبية (passifs)، أو التفهقرية (régressifs): سلس البول، فقدان الشهية للطعام، و غيرها من أشكال السلوك التي تهدف إلى التخطيم لأنها لا يمكنها أن تكون مسموعة بطريقة مباشرة، و هنا يطرح مشكل الاتصال بين الطفل و الراشدين،¹ و مستوى معرفة الآباء و الأولياء بصفة عامة بهذه المظاهر الخفية للعدوانية، و بأسبابها، و بكيفية التصرف حيالها، لا بالعنف و العقاب إذ هي نتيجة شكل ما من أشكال العنف، إنما بطرق مناسبة و ناجحة و ذات فعالية. إنّ الطفل الذي يفتقد للاتصال مع الراشدين يكون عنيفا، و هو كذلك أكثر فأكثر إلى أن يأتي الحوار. إنّ السلوكات العنيفة الموجهة من طرف الطفل على الآخرين هي بحث عن الاتصال، و هي كذلك العدائية التي تظهر من طرف الطفل على الأطفال الآخرين في المراحل الأولى من الطفولة، و التي ينظر إليها على أنها بحث عن الاتصال بالآخر، إنها طريقة للتعبير و ليس للتوبيخ، لكن هناك أشكال أخرى لهذه العدائية مبالغ، ما يمكن تسميتها بالعدائية المرضية. العلاج الأول لهذه العدائية هو الكلمة، إنها المفاوضات عندما تكون هناك خصومة أو نزاع، و هي الكلمة عندما يتعلق الأمر بالتعبير عن مشاعر قوية أو التعبير عن رغبة ما.²

إن العدوانية حسب فينيكوت (Winnicott) تبدو كبيرة و خطيرة في المجتمعات المعاصرة، ليس لأن هناك أناس عدوانيون، بل لأن المجتمع لا يسمح للأفراد بالتعبير عن عدوانيتهم بشكل طبيعي و سليم، إذ يلاحظ مثلا أن نسبة الاكتئاب ترتفع أكثر عند الأشخاص الذين لا يستطيعون التعبير عن انفعالاتهم و مشاعرهم إزاء وضعية من الإحباط و الهوان، و هنا يرتد العدوان على الذات.³

لكن الاتصال بالآخر أو العلاقة به يمكن أن تأخذ شكل اعتماد، و هو شكل من أشكال العنف ضد الطفل، يشعر به و يحاول في مقابل ذلك استعمال العنف للسيطرة و التحكم في وضعية الارتباط

¹ - Marie-Claude Boisbourdain. Op.cit., p. 27.

² - Françoise Dolto. Les étapes majeures de l'enfance. Op.cit., pp. 245-251.

³ - خليل وديع شكور. مرجع سابق، ص 115.

هذه التي يراها خطيرة إذ تهدد استقلاليته، و هو شكل من العنف يعني خاصة مرحلة المراهقة أين
تناقش الارتباطات بالآخر، ابتداء بالوالدين.¹

و هناك شكل آخر من العنف و هو المرتبط بالشعور بعدم الاعتراف بالذات، إنه شعور بالتهديد ضد
الهوية، ضد نرجسية الفرد، سواء كان هذا التهديد حقيقيا أم مجرد توهم، هذا الشكل من العنف على
علاقة مباشرة بالمحيط: مواقف و استجابات الأفراد الممثلين لهذا المحيط. إنّ المساس بالهوية و بصورة
الذات هو الذي يطلق العنف لدى المراهقين، و هم الذين عرفوا نقائص و تصدعات فادحة في
تكوين أو تنظيم نرجسيتهم، و التي تؤدي إلى نقص في تقدير الذات، هذه التصدعات نتيجة لعجز
المحيط أو البيئة التي نمت فيها الطفولة الأولى، و نتيجتها تفجير غرائز العدائية في الفرد، هذا العنف و
إن كان ينتج في المراحل الأولى من حياة الفرد، يمتد إلى مراحل متقدمة منها أيضا.²

و يظهر لدى الأطفال الاندفاعيين (impulsifs) نوع من العدائية المفرطة في شكل حالات من
الغضب العنيف، كرد فعل لأدنى حد من الإغاضة، هؤلاء الأطفال يميلون إلى اعتبار الآخرين، و
خاصة الوالدين، أدوات موضوعة لخدمتهم، إنهم لا يتحملون أيّ تأخر في إشباع و إرضاء حاجاتهم و
طلباتهم، و للعامل التربوي هنا دور مهم في تكريس و ترسيخ مثل هذا السلوك، و هو العامل وراء
مواقف الأطفال العنيفة هذه التي تظهر أحيانا بطريقة انتقائية، أي أنها لا تظهر إلا بحضور أشخاص
معينين، كأحد الوالدين مثلاً. و أكثر حدّة هو السلوك العنيف غير الانتقائي، حيث يتصرف الطفل
بعنف كرد فعل لكل إحباط بالشكل نفسه مع كل الأشخاص دون تمييز، و يأتي هذا النوع من
السلوك في الغالب في أسر تبدو فيها العلاقة بين الوالدين غير جيدة، أو متصدّعة و غير تلقائية، بحيث
تكون سلطة الوالدين معرّضة للسخرية، و أين يكون نمط التفاعل بين أفراد الأسرة قائم على الابتزاز.³

¹ - Abdessalem Yahyaoui, et collaborateurs. Op.cit., p. 13.

² - Ibid., pp. 10, 11.

³ - Daniel Marcelli. Enfance et psychopathologie. Coll. Les âges de la vie, 6 éd., Masson, Paris, 1999, p. 226.

و هناك نوع آخر من السلوك العنيف يظهر لدى فئة الأطفال قبل المراهقة في شكل تحطيم للأغراض المادية، و يخص أيضا عصابات المراهقين، و يظهر في الغالب ملازما لأوضاع سوسيواقتصادية غير ملائمة، و هو سلوك اندفاعي غير مصمّم له مسبقا، يبدأ على شكل لعب، أين عواقب و نتائج هذا السلوك لا تبدو واضحة، و هي غير مقصودة، و في حالات أخرى يبدو الأمر متعلقا بعنف منظم ذو معنى أعمّ و أبعاد مخالفة للمجتمع بشكل واضح، مثل السرقة مع التهديد، مثل هذا السلوك يمكن اعتباره إجراءات للانتقام و الثأر من مجتمع راشد يرفض إعطائهم المكانة اللائقة بهم،¹ الخطر بالنسبة لفئة السن هذه هو الدخول المبكر في دائرة الجنوح، أو ما قبل الجنوح، بكل ميكانزمات الإقصاء التي يميزه، و بالتعزيز للسلوك الأكثر مرضية.²

و من أشكال السلوك العنيف التي يمكن أن تظهر لدى الأطفال، السلوك الاغتيالي، يضاف إليه حالات قتل الأب أو الأم (parricide)، و هو سلوك يترافق مع عدم النضج العاطفي، و الاندفاعية، و فقر السياق الأسري عامة. إن المعنى الذي يحمله الموت بالنسبة لهؤلاء الأطفال هو "التخلص من" أكثر منه الاختفاء إلى الأبد.

و يظهر الكبت الخطير للعداية أو ما يعرف بالمازوشية في تجنّب بعض الأطفال لكلّ وضعية عدائية، هذا التجنّب أبعد ما يكون بدافع الخوف من الضرب أو العقوبة، و يتّصف هؤلاء الأطفال بالهدوء و الخضوع، إنهم لا يحتجّون، و لا يظهرون حالات من الغضب، و لا يعبرون عن مشاعر الخصومة، و في الحالات القصوى نرى هؤلاء الأطفال يحاولون باهتمام و شغف أن يكونوا موضوعا للاضطهاد و الظلم: الإقصاء، السخرية، تضييع متكرر للأغراض الشخصية، و يصبح الاضطهاد شكلا من أشكال العلاقات الأساسية، كل اعتداء جديد يعمل على تأكيد الاضطهاد الذي يعتبر بالنسبة لهؤلاء الأطفال حاجة توهيمية (besoin fantasmatique)، و تعتبر مثل هذه المواقف المازوشية الابتدائية بمثابة الوسيط الذي يؤدي إلى السلوك العدواني الموجه مباشرة ضد الذات.³

¹ - Martine Segalen. Sociologie de la famille. Op.cit., p. 173.

² - Daniel Marcelli. Op.cit., p. 227.

³ - Ibid., pp. 227, 228.

بالإضافة إلى السلوك الانتحاري الذي يرتبط بمعطيات و ظروف صعبة متعلقة بالسياق الأسري، و بالعنف الفيزيقي، و بالمشاكل الصحية المزمنة، و بالطلاق، و بالوضع السوسيواقتصادية المتدنية، هناك شكل آخر من أشكال العنف ضد الذات، و هو تشويه الذات أو الجسد بالقيام بجروح أو حروق متعمدة في الجسم باستعمال أدوات حادة (automutilation)، و تبدو هذه السلوكيات كإجابات لإحباط معين؛ أو نداء و محاولة إثارة انتباه و اهتمام المحيط؛ أو توجه ضد الذات بعد تفاعل عدواني مع المحيط؛ أو سلوك لتنشيط الذات (autostimulation)، و هناك سلوكيات مشابهة لكنها تختلف عن الأولى بكونها اندفاعية، تظهر أثناء هيجان قوي يتبع الإحباط، و يترجم ترمّت قوي للطفل و عدم تحمّل لهذا الإحباط.¹

الطفل لا يعيد إنتاج فقط العنف الممارس عليه، بل أيضا الممارس بين الزوجين في الأسرة، حيث يكون في زمن أول متفرج لهذا العنف، بعدها يتعلم الطفل العنف كأداة لحل الصراعات، يظهر عليه الضجر و الشرود، و يعتدي على زملائه في القسم، و كمفارقة يتماثل لعنف والده بالرغم من أنه يصرّح قولا أنه يرفض هذا العنف الممارس من طرفه، في الحالات القصوى يمكن أن يؤدي به الحال إلى قتل الأب.²

إن الأطفال العدائين بشكل مزمن هم أطفال لآباء يعانون الكبت بسبب الكتمان (inhibés par refoulement)، إن طفلا يعيش مع أشخاص كهؤلاء يصبح عدائيا و لا يمكنه الكلام، إنه إذا تكلم يثير لدى هؤلاء مشاعر كثيرة غير مرغوبة يعلم أنه من الأفضل عدم إثارتها، عندها إذا يصمت، و هو ما ينعكس على جسمه فيصبح جد هائج.³

الأطفال العنيفين ليسوا دائما أطفالا لآباء عنيفين، على العكس من ذلك الأطفال العنيفين هم أحيانا أطفال لآباء تقوم حياتهم الأسرية على أسطورة "ممنوع أن تمنع"، سواء كانوا واعين بذلك أم لا، أدنى منع يُعتبر بالنسبة لهم عنفا، و خرقا للأسطورة يستحق العقوبة. بسبب الإخفاق في عملية التعبير

¹ - Ibid., pp. 229, 230.

² - Catherine Vasselier-Novelli, Charles Henri. Op.cit., pp. 186-189.

³ - Françoise Dolto. Les étapes majeures de l'enfance. Op.cit., p. 252.

رمزيا، فإن العلاقات تتأسس على الانتقال للفعل العنيف من فاعل يتمتع، فعليا أو تصوريا فقط، بسلطة التصرف على الآخر بالقوة و الإكراه، في هذه الحالة الطفل، لكن هذا مشترك بين الأسر التي يكون الفاعل للعنف فيها هم الوالدون. في النهاية العنف هو الذي يشكل الرباط و فقط العنف: الطفل يُثبت تعلّقه بوالديه بممارسة العنف، و الوالدان يثبتان تعلّقهم بالطفل بتلقيهم للعنف، العنف يبيّن و ينظم العلاقة. هذا الوضع يمكن أن يفسر بافتراض دور الطفل في الإبقاء على العلاقة الزوجية، حيث يتّحد الوالدان في مواجهة عنفه، و الافتراض الثاني هو عقيدة الأولياء بعدم المنع، و أن كل منع هو عنف.¹

و تظهر نتائج العنف الممارس في مرحلة الطفولة في مراحل متقدمة من حياة الشخص، تشرح أليس ميلر (Alice Miller) ذلك في دراستها للمسارات التي يأخذها العنف في مواجهة الإكراه الذي يمارسه آباء و مربّون تتضمن طريقتهم في التربية أحيانا رغبة في إخضاع الآخر مبكرا، ابتداء من الأيام الأولى من حياة المولود الجديد، إذا تم إقصاء ردود الفعل المناسبة للإهانة و العنف المتعرّض إليه، لا يمكنها أن تُدمج في شخصية الفرد، لا يملك العنف إلا أن يتراكم خلال الطفولة، ليظهر من جديد في مرحلة المراهقة. أو كما في تصور فرويد العنف المكبوت ينتظر عدوا آخر، و يوما آخر، و مكانا آخر غير الأسرة، ليتصرف كيفما شاء.²

الأطفال الذين يعاملهم آباؤهم بنوع من محاولة الإخضاع لرغباتهم، في وقت لاحق إما يكونون مازوشيين في مواجهة سادية آبائهم، أو عنيفين بشدة لأنهم أدمجوا عنف آبائهم و تشبعوا به كنمط سلوك و اتصال. لا حاجة للكلام، بل اللجوء مباشرة للضرب، و للقتل.³

و تذكر أليس ميلر بعض مظاهر هذا العنف في الحالات التي قدمتها كأمثلة، و التي تتميز كلها بما يلي: قدرة قصوى على التحطيم؛ هذه النزعة إلى التحطيم تبدو كتفريغ للكره المتراكم و الذي تم كتمانها في الطفولة و كتحويل لهذا الكره على مواضيع أخرى أو على الذات؛ المعنيون بهذا تمت إساءة معاملتهم و إهانتهم بعمق في طفولتهم و ذلك بكيفية مستمرة، و عاشوا في جو من الفظاعة و كبروا

¹ - Pierrette Witkowski. ««Il est interdit d'obéir» ou les dictatures familiales dont les tyrans sont des enfants...», in : Cahiers critiques de thérapie familiale et de pratiques de réseaux, 2005/1, n° 34, p. 53-67.

² - Christiane Olivier. L'Ogre intérieur, Op.cit., pp. 26, 27.

³ - Ibid., p. 41.

فيه؛ ردّ الفعل الطبيعي و الصحي لهذا النوع من المعاملة هو غضب نرجسي شديد، لكن في نظام تربوي تسلطي هذا الغضب يتم قمعه بشدة؛ خلال طفولتهم و شبابهم لم يتلقى هؤلاء الأشخاص شخصا ما راشدا يمكنهم إفشاؤهم و إفصاحهم معه عن مشاعرهم و خاصة مشاعر الكره؛ لديهم حاجة دافعة للتعبير عن معاناتهم؛ في غياب إمكانية للتعبير عن هذه المعاناة يتم التعبير عنها بشكل لا واعي؛ هؤلاء الأشخاص لم يعرفوا الحنان إلّا كمواضيع ملك لآبائهم، أبدا ليس كأشخاص.

إذا لم يكن باستطاعتنا الحديث عن الفظاعة التي تحملناها لأننا عشناها في طفولة مبكرة لا تصل إليها الذاكرة، يجب استعراض هذه البشاعة، إذا كان لدينا أطفال فيمكن لاستعراض البشاعة أن يتم عليهم دون عقاب و دون علم الرأي العام، أو يتحول على المجتمع ككل. تعطي الكاتبة أمثلة لشخصيات معروفة و تعتبر أن الأسباب الحقيقية للحروب التي قادوها موجودة و مفهومة في طفولتهم.¹ عندما نُقنع طفلا بأننا عندما نُهينه أو نعذبه فذلك لمصلحته فإنه سيحتفظ بهذه القناعة مدى حياته، و بالتالي سيسيء معاملة أطفاله ظنا منه أنه على الطريق المستقيم.²

في غياب ما تسميه ميلر الشخص المنقذ (témoin secourable) ليثبت للطفل أنه أسيئت معاملته، فالطفل في خطر كبير، باعتبار أن التعذيب الذي تعرّض له و تحمّله كمعاملة مناسبة، أي لمصلحته، سيمارسه هو نفسه فيما بعد على أشخاص آخرين دون أي شعور بالاستياء أو تأنيب للضمير.³

5- مكانة الطفل في الإسلام و الموقف من العنف ضده:

أولى الإسلام اهتماما و عناية بالطفل، و اعتبره أحد مقاصد الزواج، و يبدو هذا الاهتمام بداية بالحثّ على الزواج، و الحث على انتقاء الزوجة، التي يُنظر إليها على أنها أم الطفل الذي سيولد من

¹ - Alice Miller. C'est pour ton bien. Op.cit., pp. 276, 277.

² - Alice Miller. Libres de savoir. Op.cit., p. 66.

³ - Ibid., pp. 68, 69.

الزواج، جاء في الحديث: «تَحَيَّرُوا لنطفكم ..» (رواه ابن ماجه و الحاكم)، و جاء أيضا: «تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» (رواه أبو داود و النسائي و الحاكم).

و الإسلام إذ يحث على الإنجاب و الإعداد له، فإنه يصوّر مشاعر الأفراد تجاه الأبناء، و يصفهم بأنهم زينة الحياة الدنيا، و نعمة تستحق الشكر: «المال و البنون زينة الحياة الدنيا و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا و خير أملا» (الآية 46، سورة الكهف)، لكن يصفهم كذلك بأنهم فتنة، و أن العمل الصالح هو العملة التي يمتلكها الفرد للخلاص، فالعبرة إذا بصلاح الولد الذي يتوقف أساسا على مدى أداء الوالدين لمسؤوليتهما في التربية و الرعاية، لدرجة أن الإسلام يعتبر الولد من عمل الوالدين، يستمر بعد وفاتهما، و يجازا عليه الأجر و الثواب إذا اتّصف بالصالح: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (رواه مسلم)، لكن الاستمرار لا يعني التبعية، فالناس يولدون أحرارا في تصور الإسلام الذي يقوم على اعتبار المسؤولية الشخصية للأفراد، و إذا كانت من علاقة بين الوالدين و أطفالهما فهي أولا علاقة مسؤولية الطرف الأول عن الثاني، أي مسؤولية الوالدين عن الأطفال، الحديث: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» (رواه ابن حبان)، و قال: «...و الرجل راع في أهله و هو مسؤول عن رعيته، و المرأة راعية في بيت زوجها و مسؤولة عن رعيتهما» (رواه البخاري و مسلم). مصطلح المسؤولية هذا، الذي حلّ محل مصطلح السلطة الوالدية في اتفاقية حقوق الطفل، لا يتناقض مع صفة العلاقة بين الأطفال و والديهم، أي الكيفية التي تكون عليها من حب، و احترام متبادل، و طاعة.

إن العلاقات تقوم على أساس الحقوق و الواجبات، أما الواجبات فلا تكون لغير المكلفين، لذلك فإن العلاقة بين الأطفال و الوالدين تقوم على أساس مسؤولية الوالدين عن أطفالهم، أي واجباتهم، أما حقوقهم على أطفالهم فلا يمكن الحديث عنها إلا ببلوغ الطفل و اكتسابه صفة التكليف، و ما يلاحظ في الواقع هو الخلط بين مفهومي الأبناء و الأطفال. في مرحلة الطفولة لا يمكن الحديث عن واجبات الأطفال إلا من باب تربيتهم، و غرس الصفات المرغوبة فيهم، و تكريس السلوك الواجب التحلي به، لينشأ الأطفال عليه و يسلكوا به و هم أشخاص راشدون، و هو ما يظهر في علاقاتهم

بوالديهم، و خاصة عند بلوغ الوالدين الكبر، حيث يصبحان في شيء من الضعف و الحاجة إلى الرعاية و القيام على مصالحهما و خدمتهما، و هو سلوك يتبلور في مستقبل الطفل بصفة تلقائية إذا تلقى هذا الأخير الرعاية التامة من طرف والديه، و العطف، و الودّ، و التربية على الأخلاق النبيلة و السلوك المقبول اجتماعيا، هذه التربية التي أوصى بها الإسلام و اعتبرها خير ما يمكن للوالدين تقديمه لطفلهم: «ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن» (رواه الترميذي)، و أيضا «اعملوا بطاعة الله و اتقوا معاصي الله و مروا أولادكم بامثال الأوامر و اجتناب النواهي فذلك وقاية لكم و لهم من النار» (أخرجه ابن جرير و ابن المنذر).

وقد أوصى الإسلام بالرفق و حدّر من العنف، في الأمر كلّ: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق و يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف و ما لا يعطي على ما سواه» (رواه مسلم)، و أوصى بالعطف على الأطفال، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قبل رسول الله صلى الله عليه و سلم الحسن و الحسين ابني علي رضي الله عنهم و عنده الأقرع بن حابس التميمي فقال الأقرع: إن لي عشرة ما قبّلت منهم أحدا قطّ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال: «من لا يرحم لا يُرحم»، و عنها أيضا قالت جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه و سلم، فقال إنكم تقبلون الصبيان و ما نقبلهم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك»، و روي عنه أنه كان يداعب الحسن و الحسين رضي الله عنهما فيمشي على يديه و ركبتيه و يتعلقان به من الجانبين فيمشي بهما و يقول نعم الجمل جملكما و نعم العدلان أنتما. و في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «إني لأدخل في الصلاة و أنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي».

لكن ما يلاحظ في الواقع الاجتماعي لا يتطابق مع النصوص المذكورة، بل نجد أحيانا تصورات و أشكال من السلوك مناقضة تماما لمعاني هذه النصوص، فالعلاقة بين الوالدين و الأطفال في الغالب لا يتم التطرق إليها في الخطاب المتداول في حياة الأفراد اليومية إلّا في شكل واجبات الأبناء أو الأطفال تجاه والديهم، و من الآيات حول هذا الموضوع يتم التركيز على شرح ما يمكن أن يؤكد هذه القناعات مثلا: «و قضى ربك ألاّ تعبدوا إلّا إياه و بالوالدين إحسانا» (الإسراء، الآية 23 و 24)، يعتقد

الأفراد أن الآية تخاطب الأطفال في حين أن الخطاب فيها موجه للأشخاص الواقع عليهم التكليف و العبادة، متخذين إياها مبررا في فرض السلطة و السيطرة على الأطفال، و إضفاء نوع من القدسية على ذواتهم في علاقتهم بأطفالهم.

و نسمع بمناسبة عيد الأضحى في الخطاب المسجدي مثلا، عن أحداث قصة سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام، و كيف استجاب هذا الأخير لأمر والده بذبحه التزاما بأمر ربهما تعالى، و قد أضفي شيء من القدسية المطلقة على الوالد، كمفهوم عام ينطبق على كل والد موجود فعلا في الواقع، إذ أمرُ الوالد من أمر الله تعالى، دون الأخذ في الاعتبار ما هو خاص بالحدث نفسه، فإبراهيم نبي من أنبياء الله تعالى «إنَّ إبراهيم كان أمة...» (النحل، الآية 120)، أمة معناه معلّم الناس الخير، و دون التطرق إلى ما يجب على الوالدين أن يتميزوا به من صفات و أخلاق، أو إلى مستوى أداء الوالدين لواجباتهم تجاه أطفالهم، من حيث التربية و الرعاية، و التي جاءت فيها الآيات و الأحاديث الكثيرة، بداية بالحق في الحياة، و الحق في إحسان أسمائهم، و إحسان أديهم، و الإنفاق عليهم، و العدل بينهم، و عدم تفضيل الذكر على الأنثى.

لماذا لا يكون التركيز أيضا من وقائع الحادثة المذكورة على أن الله تعالى وضع بها حدا للعنف الممارس من الأب على ولده، لتكون الضحية هي الكبش الذي فداه الله به لا الولد، و تكون هذه الشعيبة من شعائر الدين ليقوم المسلمون في كل عام بطقوس النحر كتصريف جمعي للانفعال أو للعنف، إذا اعتبرناه فطري في الإنسان، منعا للعنف الممارس بين الأفراد، و بالأخص الممارس من طرف الأب على الولد.

إن الثقافة بما تتضمنه من قيم و معايير و أفكار و مفاهيم و تصورات مُنتجة في الواقع، هي التي تشرح مثل هذه الأحداث أو النصوص، أكثر مما توجه النصوص الثقافية، بما تحمله هذه النصوص موضوعيا من مضامين. الأمر يحدث كما لو أن الأفراد في الغالب لا ينتقون من النصوص و لا يتناقلون، سواء كانوا واعين بذلك أم لا، إلا ما يعزز قناعاتهم و تصوراتهم الثقافية. ربما يساعد على ذلك صعوبة التمييز بين مفاهيم قد تبدو قريبة في المعنى من العنف، كالقوة مثلا، أو الحزم، و الصرامة في التربية، و كذلك صعوبة التمييز بين ما هو مقبول و ما هو غير مقبول، لتوضيح هذه الفكرة نورد

مثلا قول ابن خلدون، الذي نقلنا عنه، في عرضنا لنتائج العنف الممارس على الطفل، موقفه في اعتبار الشدة و العسف و القهر مضرة بالمتعلمين، ينقل ما قاله محمد بن أبي زيد في كتاب ألفه في حكم المعلمين و المتعلمين: «لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئا»، و يضيف «و من كلام عمر رضي الله عنه «من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله» حرصا على صون النفوس عن مذلة التأديب، و علما بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك له فإنه أعلم بمصلحته»، و يُقرّر باستخدام الشدة، حين ينقل قول الرشيد لمعلم ولده، خلف الأحمر: «يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه و ثمة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة و طاعته لك واجبة (...) و لا تمرّن عليك ساعة إلاّ و أنت مغتتم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، و لا تُمنع في مساحته فيستحلي الفراغ و يألفه، و قومه ما استطعت بالقرب و الملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة و الغلظة»، و يعتبره من أحسن مذاهب التعليم¹ و لا يفوتنا أن نقف في هذا على العبارات التي سبقت ذكر الشدة و الغلظة: و لا تمرّن عليك ساعة إلاّ و أنت مغتتم فائدة تفيده إياها، و قومه ما استطعت بالقرب و الملاينة، فهناك جهد يبذله المربي أو الوالد، في إطار محدّد بالطاعة و المسؤولية، قبل الانتقال إلى أساليب تعتمد على الشدة، فيكون احتمال الانتقال إلى هذه الأساليب هو نفسه دافعا للطفل من أجل التربية، عكس التصورات التي جاءت كردّ فعل لواقع متطرف فألغت تماما إمكانية العقاب، و أعلنت ذلك للمترين، دون أن تعطي بديلا. و مثل موقف ابن خلدون أو قريبا منه نجده أيضا لدى بعض علماء الاجتماع و علماء النفس، دوركهائم مثلا يعتبر أن التنشئة الاجتماعية، التي هي تملك للمعطيات الاجتماعية و الثقافية، تمثل نقلا بالإكراه لهذه المعطيات، إذ عدم تطابق الفرد للتصورات الجمعية يمكن أن يكون موضوع عقوبات، و الموقف نفسه نجده لدى ألكس إنكلس الذي يرى أن الشعور الأخلاقي لا يقوم على الاحترام المتبادل فقط و الشعور بالمسؤولية، بل إن للثواب و العقاب دورا في ذلك.

إننا لا ندرك إلا ما نعرف. أكثر ما يقف عنده الأفراد عامة من أحداث قصة سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام، هو موقف سيدنا إسماعيل في الطاعة التامة لوالده، في صورة مماثلة لطاعة

¹ - عبد الرحمن ابن خلدون. المرجع السابق، ص 559.

إبراهيم عليه السلام لله تعالى، ذلك أن مفهوم الطاعة من بين المفاهيم الأكثر رسوخا في أذهان الأفراد، في حين يهملون واجباتهم في إعطاءهم القدوة لأطفالهم، و تربيتهم، و تأديبهم، هذا المفهوم الأخير (التأديب) الذي لا يأخذ إلا معنى الضرب و العقوبة، من مثل ما يُقصد به من مجالس التأديب في المؤسسات التربوية و التعليمية، فلا تتدخل إلا بفرض العقوبة، في حين أن التأديب في الحديث يأخذ معنى تعليم الأدب الحسن، و تكريسه لدى الأطفال.

إن تصور الإسلام للتربية يقوم على أساس أن اللين و الرفق هو الأصل، الحديث: «عليك بالرفق و إيّاك و العنف و الفحش» (رواه البخاري)، و أيضا: «عرّفوا و لا تعنّفوا» (رواه الآجري)، و روى الحارث و الطيالسي و البيهقي: «علّموا و لا تعنّفوا فإن المعلّم خير من المعنف». و إذا كان يقرّ باستعمال الضرب أو العقاب كأسلوب من أساليب التربية، المعنى الذي يمكن أن نقرأه مثلا في الحديث النبوي حول تعليم الأطفال الصلاة: «مروا أولادكم بالصلاة و هم أبناء سبع سنين، و اضربوهم عليها و هم أبناء عشر» (رواه أبو داود و الحاكم)، فإنه لا يلجأ إليه إلا بعد استفادته جميع الوسائل الأخرى، كحلّ أخير، لا أقول اضطراري بل متوقع و معلوم الكيفية و بطريقة واعية، مع وضعه شروطا لذلك لكي لا يتحول هذا الضرب من إمكانية لإصلاح الولد إلى وسيلة للتنفيس عن الغضب و الإحباط، أو للتنفي و الانتقام.

تبرير الأفراد استخدامهم للعقاب بكونه أسلوب من أساليب التربية غير صحيح و غير مقبول، لأنه لا يتم بمراعاة الشروط المرتبطة بتطبيقه كأسلوب تربوي، و أول هذه الشروط هو التدرج في اعتماد الأساليب التربوية المختلفة، ذلك أن التربية في الإسلام لا تبدأ بالعقاب كأسلوب، بل هناك مناهج أولى ينبغي على المربي أو الوالد اعتمادها قبل لجوءه للعقاب، أهم هذه المناهج: التربية بالقدوة، و التربية بالتوجيه و الموعظة التي تستدعي الحوار و الإقناع و مخاطبة العقل، و لا أرى هنا داع للتقصي و التعمق في البحث عن المناهج الأخرى، إذ يكفي الوقوف عند حال الأولياء و المربين و الأفراد عامة من منهج التربية بالقدوة، و التربية بالتوجيه و الكلمة، لنعرف أن كل الأساليب الأخرى التي يعتمدونها و التي تقوم على استخدام العقاب أو العنف في أشكال التوبيخ و التأنيب، هي أساليب في غير محلّها، بل هي ردود فعل و انعكاسات لعوامل أخرى اجتماعية و اقتصادية و ثقافية، و أساليب

للتشفي و الانتقام لا التربية و التأديب، و يمكن ملاحظة ذلك من خلال تدخل عامل الغضب في أغلب حالات العنف الممارس على الأطفال، فالتربية لا تكون بدافع الغضب.

إن التربية الصحيحة لا يمكن أن تقوم إلا على منهج الحوار و المخاطبة و الإقناع و إعطاء الأولوية للكلمة، و لا يمكن أن يكون للكلمة معنى و تأثير إذا لم يقدم الأولياء و المربّون صورة حيّة عن المعاني التي يريدونها من وراء الكلمة، بإعطائهم القدوة لأطفالهم و المثل أو النموذج للأخلاق التي يريدون تكريسها لدى الطفل، فتكون التربية من خلال التعلم بالملاحظة و الامتثال لنموذج الوالدين كعملية أساسية تمثل صميم العملية التنشئية، فالوالدون يمثلون بسلوكهم الدور الأهم في تنشئة أطفالهم، و هو المعنى الممكن فهمه من الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (رواه البخاري و مسلم).

الباب الثاني: الجانب الميداني.

الفصل الخامس: وصف العنف المنزلي.

- 1- مفهوم العنف في تصور الأفراد.
- 2- موضوع العنف المنزلي.
- 3- تأثير عامل صغر السن في التعرض للعنف.
- 4- تأثير عامل الجنس في التعرض للعنف و ممارسته.
- 5- الإناث ممارسات للعنف المنزلي.
- 6- أنماط العنف المنزلي و أشكاله.

1- مفهوم العنف في تصور الأفراد:

من خلال إجابات الأفراد عن السؤال حول مفهوم العنف و فيما يمكن أن يتمثل، تظهر أبرز العناصر التي تحدّد تصور الأفراد عامة للعنف و أشكاله، و قد أرفقناها بما يدل عليها من إجاباتهم كأمثلة منتقاة، و ليس كتفئية بفئات حصرية أو إقصائية فيما بينها، و هي التالية:

- العنف هو الشدة، و القوة، و القسوة، و الخشونة، و هو نقيض الرفق: "استعمال الشدة حيث يجب الرفق"، "التعامل مع الآخر بقسوة و شدة"، "تصرّف بخشونة تجاه الآخرين"، "استعمال القوة بالجسد أو بأدوات أخرى على شخص أقلّ قوة"، "استعمال القوة"، "استعمال القوة و الإكراه"، "استعمال الشدة و الإكراه".

- العنف يفترض وجود الآخر، بمعنى الظلم و العدوان: "تعدي شخص على شخص آخر بالقوة"، "هو التعدي على الآخر لفظيا و جسديا و نفسيا"، "العنف أن لا يحترمك شخص ما، أن يظلمك"، "الاعتداء على الغير لفظا أو ضربا"، "التعدي على الآخر بالقول أو بالفعل"، "تصرف عدائي إزاء الغير"، "الإساءة إلى شخص ما جسديا أو معنويا"، "العنف هو عندما يُهضم حقاك على مرآى".

- العنف هو الإكراه، و القهر، و التسلّط، و فرض النفس و الرأي، بمعنى ضد الحرية و ضد إرادة الآخر: "محاولة التسلّط أو التجبرّ على شخص ما"، "محاولة فرض رأي أو تصرفات أو مواقف معينة أو الحصول على امتيازات باستعمال وسائل غير مشروعة، سواء بالقوة أو الضغط أو التهيب أو التخويف"، "فرض النفس و الرأي بالقوة و السيطرة"، "التفكير الأحادي و عدم ترك مجال الحرية للآخر"، "استعمال صورة من صور القهر ضد الآخر".

- العنف يتحدّد بالضرر الممكن إلحاقه بالآخر: "الضرر الذي نلحقه بالآخر جسديا أو معنويا"، "تصرف يمس بالعواطف و الكرامة، يسبب ألما و شعورا بالكراهية"، "كل تصرف يصدر من شخص و هو في حالة غضب، ينتج عنه أذى مادي أو معنوي للآخر"، "كل فعل جارح، لفظيا

كان أو معنويا"، "سلوك يعتمد على القوة و يلحق أذى بالآخر، ماديا و معنويا"، "استعمال الأساليب المؤذية المادية و المعنوية".

- العنف فيه جانب إنفعالي، غير متحكم فيه: "قوة انفعالية كامنة"، "تعدي على الآخر بسبب الغضب".

- العنف ضد الحوار و ضد العقل: "الرغبة في فرض وجهة النظر على الآخرين بأي طريقة"، "استعمال القوة بدلا من الحوار"، "عدم مناقشة الأمور بصفة جيدة".

- العنف ضد الحضارة، و ضد الإنسانية، و هو ما يخرج عن المعايير: "كل ما تنبذه الإنسانية"، "التصرف غير اللائق و يمكن أن يوصل إلى الجرائم"، "كل تصرف سيء بين أفراد الأسرة، خاصة الأب و الأم، و هذا أمام نظر الأطفال"، "كل ما هو ممنوع، الأقوال و الأفعال غير اللائقة"، "سلوك غير حضاري"، "آفة اجتماعية".

و يأخذ العنف حسب إجابات الأفراد الأشكال التالية:

"عنف جسدي"، "ضرب أو عقوبة جسدية مبالغ فيها مقارنة بالخطأ"، "الشجار"، "البصق"؛ "عنف مادي"، "منع مادي"؛ "عنف لفظي"، "السب و الشتم"، "الكلام الرديء"، "الكلام البذيء"، "الصراخ"؛ "عنف نفسي"، "الاستهزاء الدائم، بسبب أو بغير سبب"، "التوبيخ"، "الاحتقار"؛ "عنف معنوي"، "اللامبالاه و المقاطعة"، "عدم الاهتمام"، "الهجران بغير سبب".

2- موضوع العنف المنزلي:

من إجابات الأفراد يتضح أن العنف المنزلي يمس كل أفراد الأسرة، الزوج و الزوجة، و الأب و الأم، و الأبناء و البنات، و الإخوة و الأخوات، و أبناء و بنات الأخ و الأخت. السلوك العنيف موجود إذا بين جميع الأفراد المشكّلين للأسرة النووية، بالإضافة إلى المنحدرين الجانبيين، فهو يمس الأشكال التالية لعلاقات القرابة التي تربط الفاعل للعنف بموضوع العنف:

- روابط الزوجية: العنف على الزوج، العنف على الزوجة.

- روابط الأخوة: العنف على الأخ، العنف على الأخت.

- روابط البنوة: العنف على الابن، العنف على البنت.

- روابط الأمومة و الأبوة: العنف على الأم و الأب.

- روابط الانحدار الجانبي: العنف على ابن و بنت الأخ أو الأخت.

الأطفال هم الموضوع الأول لهذا العنف، من الذكور و الإناث، مهما كانت صفة العلاقة بين الفاعل للعنف و الطفل موضوع العنف، فقد يكون الطفل هو الابن، أو البنت، أو ابن أو بنت الأخ أو الأخت، أو الإخوة و الأخوات الأصغر سنا، ابتداء من سن معين دون سن التمدرس إلى المراهقة- من الحديث مع الناس حول الموضوع صرّح بعضهم أنه يستعمل الضرب و الصراخ و الشدة في الكلام مع أطفاله بعمر عام واحد، و هم أشخاص فوق الأربعين من العمر، من مستوى تعليمي عالي، موظفون، يعيشون حياة يمكن وصفها بالعادية، و علاقاتهم الاجتماعية عادية أيضا. و تُقرن عبارة أطفال في كثير من الإجابات بصغر السن: "من هم أصغر مني"، "شقيقي الصغرى"، "الأطفال الأصغر سنا". و يوصف الطفل موضوع العنف و يشار إليه في الكثير من الإجابات إما بالإخفاق في الدراسة، أو بالعنف و الشجار، و عدم الطاعة، و بالإخلال بالنظام داخل المنزل: "الطفل العنيف"، "ابن أختي كثير الحركة"، "الأطفال المتشاجرين"، "المتأخرين في الدراسة"، "المشاغبين بين الإخوة"، "الطفل العنيد الذي لا يسمع الكلام"، "الأولاد الخارجين عن الطاعة"، "البادئ بالشجار دون سبب مقنع".

3- تأثير عامل صغر السن في التعرض للعنف:

يعتبر متغير السن عاملا مهما في تحديد موضوع العنف. أسباب العنف المنزلي لا ترتبط فقط بموضوع العنف (الأطفال) و بالمنزل، بل توجد أيضا خارج المجال الأسري، و يتم تحويل العنف الناتج عن هذه الأسباب ليكون موجها نحو الطفل كدريئة بديلة في غياب مسبب معلوم للعنف، أو في حالة الخوف من العقوبة في حال مواجهة المتسبب في العنف، أو لكون العنف ضد الأطفال أكثر قبولا اجتماعيا، و لكن أيضا لعدم إمكانية الردّ من طرف الطفل، في هذه الحالة لا علاقة لتأثير عامل صغر السن في

تُعَرِّضُ الطفل للعنف بالتصورات التي يحملها الأفراد الممارسون للعنف عن الطفل و كيفية التعامل معه، بل يؤثر مباشرة باعتباره عامل ضعف بالنسبة للطفل، الطفل الصغير يعني بكل بساطة الطفل الضعيف الذي يمكن أن نجرؤ على تعنيفه دون الخوف منه.

يمثل الأطفال موضوعا سهلا للعنف الممارس عليهم من طرف والديهم أو من إخوتهم و أخواتهم إلى سن معين، يكون الطفل إلى ذلك الحين مجالا لتصريف إحباطات أفراد أسرته دون تعرضهم للرد، و بالتالي دون تعريض الأسرة إلى موقف ما من شأنه أن يهدد تماسكها و ينسف بها، لكن بمجرد بلوغ الطفل مرحلة معينة من عمره، يمكن تحديدها بنهاية فترة المراهقة، تقلّ سيطرة الأسرة على المحيط الاجتماعي الذي يتفاعل معه الطفل، و ينقطع عنه هذا العنف، ليقصر في أقصى حالاته على العنف اللفظي، الأكثر تحملا من طرف الأفراد، في حين كل لجوء إلى العنف الفيزيقي لا يستبعد أن يخلق وضعيات من الصراع محطمة للأسرة و أفرادها. لذلك يرتبط نمط العنف الممارس من طرف الأفراد في الوسط الأسري إلى حد ما بموضوع العنف نفسه، فالأطفال أكثر عرضة للعنف الفيزيقي من غيرهم من الراشدين الذين يمثلون من جهتهم موضوعا للعنف اللفظي و التعبيري. و كون الأطفال يمثلون موضوع العنف السيكولوجي دون الراشدين فذلك لكون السلوك الذي يدخل في هذه الفئة من أنماط العنف هو سلوك موجه لغرض التربية، بمعنى أساليب تربوية يعتمد عليها الأشخاص الراشدون في تعاملهم مع الأطفال: التأنيب، و التوبيخ مثلا. إن هذا التجنب للعنف بعد بلوغ الطفل من النضج و النمو العقلي و الجسمي ما يصنفه ضمن مجتمع الراشدين، حتى في حال كان بدافع الخوف على مستقبل الأسرة أكثر منه بدافع خوف الفرد الممارس للعنف على نفسه، يمكن أن يضيفي على العلاقة بين الطفل و والديه، خاصة بين الطفل الذكر و الأب، مشاعر الكره و الخصومة، ذلك أن كل أشكال الاتصال و العلاقة التي يمكن أن تقوم بينهما فيما بعد لا تقوم في نظر الطفل على الحب أو الاحترام المتبادل أو التقدير، هذه العواطف التي لم يتمتع بها في مرحلة طفولته، أي في مرحلة ضعفه، فيميل إلى الاعتقاد أن هذا الاحترام مثلا قُرض على الآخرين بعد أن بلغ هو درجة من النمو العقلي و الجسمي، و بالتالي درجة من القوة تمكّنه من الدفاع عن نفسه و اقتلاع احترام الآخرين بالإكراه.

بالإضافة إلى هذا الجانب "الفيزيقي" الذي يمثله عامل صغر السن، فهو تعبير أيضا عن مرحلة (الطفولة)، و بالتالي فإن صغر السن يقتزن بالتربية و التنشئة التي تتم في هذه المرحلة، سواء بقصد أو بغير قصد، لذلك نجد هذه الصفة (صغر السن) تقتزن أيضا في إجابات الأفراد بالإخفاق في الدراسة، أو بالعنف و الشجار، و عدم الطاعة، و بالإخلال بالنظام داخل المنزل، و منه فإن العنف الممارس عليه تحديدا يمكن أن يُفهم كأسلوب للتربية يتدخل به أفراد الأسرة في إطار أدائهم لأدوارهم تجاه الأطفال.

الأكثر تعرضا للعنف من بين الأطفال الذكور و الإناث:

من إجابات الأفراد عن السؤال حول الأكثر تعرضا للعنف من بين الأطفال نقرأ (الجدول 3 في الملحق) ما يلي: 43,8 % من مجموع الأفراد يصرّحون أن الإناث أكثر تعرضا للعنف المنزلي مقارنة بالذكور، مقابل 31,8 % يعتبرون أن الذكور أكثر تعرضا للعنف مقارنة بالإناث.

الأطفال الإناث أكثر تعرضا للعنف المنزلي مقارنة بالأطفال الذكور.

الأكثر ممارسة للعنف من بين الأطفال الذكور و الإناث:

من إجابات الأفراد عن السؤال حول الأكثر ممارسة للعنف من بين الأطفال نقرأ (الجدول 4 في الملحق) ما يلي: 74,2 % من مجموع الأفراد يعتقدون أن الأطفال الذكور أكثر ممارسة للعنف من الأطفال الإناث، مقابل 9,0 % منهم فقط يصرّحون بعكس ذلك.

الأطفال الذكور أكثر ممارسة للعنف المنزلي من الأطفال الإناث.

الأكثر ممارسة للعنف على الأطفال من بين الوالدين:

نقرأ من الجدول 5 في الملاحق، أن 42,3 % من مجموع الأفراد يصرحون بأن الأب أكثر ممارسة للعنف على الأطفال من الأم، مقابل 37,8 % منهم يصرّحون بعكس ذلك. الأب إذا أكثر ممارسة للعنف المنزلي على الأطفال من الأم. بإدخال متغير الجنس نلاحظ ميل الذكور أكثر من الإناث إلى

التصريح بأن الأب أكثر ممارسة للعنف على الأطفال من الأم، في حين تميل الإناث أكثر من الذكور لاعتبار عنف الأم.

4- تأثير عامل الجنس في التعرض للعنف و ممارسته:

يتفق إذاً كل من الذكور و الإناث من أفراد العينة على أن الإناث من الأطفال هن أكثر عرضة للعنف المنزلي من الأطفال الذكور. رأينا في تحليلنا لتأثير عامل صغر السن الذي يميز الطفل المتعرض للعنف المنزلي، أن صغر السن هو مؤشر ضعف يميز الطفل و يجعل الراشدين يمارسون عليه العنف دون خوفهم من الردّ أو الانتقام. ضعف البنية الجسمية ميزة الإناث مقارنة بالذكور، و هي من بين العوامل الأولى وراء تطور المجتمعات البشرية بالشكل الذي يجعل المرأة أكثر تعرضاً و تحملاً للعنف من الرجل، و تم فيما بعد تأسيس ذلك ثقافياً، أو ما يسمى بالعنف البنيوي، الذي يعمل كدعامة للعنف السلوك، و الذي ينطبق على الأسرة كما المؤسسات الاقتصادية و الثقافية و السياسية، التي تمنع بعض الأفراد من الامتيازات الاجتماعية و تجعلهم أكثر عرضة للعنف و الإقصاء، و تعمل مثل هذه البنيات الاجتماعية على تكريس هذه القواعد و التصورات من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تحدد أنماطاً من السلوك خاصة لكل من الذكور و الإناث، و تُعدهم للقيام بأدوار محدّدة بفرقة الجنس التي ينتمون إليها.

بالرغم من التقدم الذي أحرزته المرأة بفضل التعليم و ما أتاحه لها من فرص للعمل و تقلّد مناصب كانت من قبل مقتصرة على الرجل، و بالرغم مما حققته من رقي اجتماعي يعتبر بالنسبة لها عامل قوة و نفوذ يجعلها أقل عرضة للعنف، في سياق لم تعد القوة الفيزيائية فيه تمثل عامل نفوذ مهم مقارنة بما تمثله قوة المعلومة، و العلاقات الاجتماعية، و المال، و القانون، إلا أن هذه العوامل ليست دائماً بنفس الوزن و التأثير داخل الأسرة كما في المجتمع العام، أي خارج الأسرة، فالمرأة الحائزة على شهادات عليا، و التي تشغل منصب إداري سامي مثلاً، تدير تحت مسؤوليتها عدداً من الموظفين الإناث و الذكور و تأمر و تنهى بحكم المنصب و بقوة القانون، لا يمنعها هذا من أن تكون موضوعاً سهلاً لعنف والدها، أو والدها أو أحد إخوتها الأقل مستوى تعليمياً، في مؤسسة تقوم أكثر على التقاليد و القيم الرمزية، لكن بالرغم من هذا فالعنف ضد المرأة سواء المنزلي أو غيره يرتبط أكثر بفقرها

المادي و الاجتماعي، و مع أننا بصدد الحديث عن مرحلة الطفولة حيث يتساوى كل من الذكور و الإناث فيما يتعلق بجانب الامتيازات المادية الاقتصادية و الاجتماعية، فالأطفال الإناث أكثر عرضة للعنف المنزلي من الأطفال الذكور، و هو ما يبين الدور الذي ذكرناه للتنشئة الاجتماعية في تكريس القواعد و تحديد أنماط من السلوك خاصة بكل جنس و بكل فئة. يتعرض الأطفال الذكور و الإناث للعنف الأسري من الأشخاص الراشدين، زيادة على ذلك فالإناث منهم يتعرضن للعنف من الذكور، الأكثر ممارسة للعنف مقارنة بالإناث، و قد أوضحنا فيما سبق كيف أن التنشئة الاجتماعية في الأسرة لا تحفز الأطفال، الذكور خاصة، على ضبط انفعالاتهم، يتظاهر الرجل بالغضب، و يرفع صوته، و يلجأ للسلوك العنيف ليثبت رجولته، الأطفال الذكور لديهم إذا نموذج يتمثلون إليه، العنف في جانب منه مرتبط إذا بالذكور، و انتقال النماذج بين الأبناء و الآباء يتوافق مع ما يمكن ملاحظته (الجدول 5 في الملحق) من ميل الأفراد في مجموعهم إلى اعتبار الأب أكثر ممارسة للعنف من الأم. و يؤثر جنس المبحوث في تصوره لممارسة الأب و الأم للعنف، بحيث تميل الإناث أكثر من الذكور إلى التصريح بأن الأم أكثر ممارسة للعنف من الأب، و يميل الذكور أكثر من الإناث إلى التصريح بأن الأب أكثر ممارسة للعنف من الأم. هناك إذا نوع من العنف الممارس من الأمهات يقتصر على البنت، و هو يمكن أن يفسر بالدور الذي تؤديه الأم تجاه ابنتها فيما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية، و أيضا بمجموع الأنشطة المشتركة بين الأم و البنت، و التي تمثل جزءا من موضوع التنشئة الاجتماعية التي تتلقاها البنت، و المرتبطة بالحياة المنزلية مثلا.

جدول رقم 6: ممارسة العنف بدلالة الجنس:

الجنس	ممارسة العنف				المجموع	
	نعم		لا			
ذكور	76	68,5	35	31,5	111	100
إناث	91	58,3	65	41,7	156	100
المجموع	167	62,5	100	37,5	267	100

نقرأ من الجدول 6 ما يلي: أغلب أفراد العينة يقرّون بممارستهم للعنف المنزلي (62,5%).

الذكور أكثر ممارسة للعنف من الإناث (68,5%، مقابل 58,3%، كاي²=2,843، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,092، معامل فاي = 0,103).

بإدخال متغير الحالة المدنية (جدول 7 في الملحق) نقرأ ما يلي: 52,6% من الذكور العزاب يمارسون العنف، مقابل 42,6% من الإناث العازبات. و 71,4% من الذكور المتزوجين يمارسون العنف، مقابل 65,7% من الإناث المتزوجات.

نلاحظ أن الذكور أكثر ممارسة للعنف من الإناث، سواء لدى العزاب أو المتزوجين، و لكن الفرق في ممارسة العنف أكبر بين العزاب و العازبات منه بين المتزوجين و المتزوجات. هناك إذا نوع من العنف مرتبط بالذكور العزاب.

و نقرأ كذلك ما يلي: 65,7% من الإناث المتزوجات يمارسن العنف، مقابل 42,6% من الإناث العازبات. و 71,4% من الذكور المتزوجين يمارسون العنف، مقابل 52,6% من الذكور العزاب.

المتزوجون أكثر ممارسة للعنف من العزاب (68,4%، مقابل 45,5%) سواء بالنسبة للذكور أو الإناث، و لكن الفرق في ممارسة العنف أكبر بين المتزوجات و العازبات منه بين المتزوجين و العزاب. هناك إذا نوع من العنف مرتبط بالإناث المتزوجات.

جدول رقم 8: ممارسة العنف بدلالة المستوى التعليمي:

المجموع	ممارسة العنف				المستوى التعليمي
	لا		نعم		
10076	30,3	23	69,7	53	متوسط/ثانوي
100191	40,3	77	59,7	114	جامعي
100267	37,5	100	62,5	167	المجموع

نقرأ من الجدول 8 ما يلي: 59,7 % من الأفراد ذوي المستوى التعليمي الجامعي يمارسون العنف، مقابل 69,7 % من المستوى دون الجامعي.

بإدخال متغير الجنس (جدول 9 في الملحق) نقرأ ما يلي: 78,3 % من الذكور من المستوى التعليمي متوسط و ثانوي يمارسون العنف، مقابل 61,5 % منهم من المستوى الجامعي، الذكور ذوي المستوى التعليمي الجامعي أقل ممارسة للعنف.

يوجد فرق في ممارسة العنف بدلالة المستوى التعليمي بالنسبة للذكور، في حين لا يوجد فرق في ممارسة العنف بدلالة المستوى التعليمي بالنسبة للإناث.

الذكور أكثر ممارسة للعنف من الإناث في كلا المستويين، لكن هناك نوع من العنف الذكوري مرتبط أكثر بالمستوى التعليمي المتدني، في حين يغيب هذا النوع عند الإناث. العنف بالنسبة للإناث مرتبط أكثر بالتفاعل الكثيف داخل المجال المنزلي، لذلك لا يظهر تأثير المستوى التعليمي على انخفاض العنف عند الإناث.

5- الإناث كممارسات للعنف المنزلي:

بالرغم من الفرق في التنشئة الاجتماعية لكل من الذكور و الإناث، و في أنماط السلوك المقدمة لكل فئة على أنها أكثر ملائمة، فإن الإناث أيضا ممارسات للعنف المنزلي، هناك إذا مجال مشترك بين تصور كل من الذكور و الإناث للعنف كأسلوب للتعامل مع الآخر، و هناك فرق في ممارسة العنف المنزلي بين المتزوجات و العازبات، ربما لأن الأمر يتعلق بالوسط الأسري و بالتالي بالمجال المنزلي الذي يرتبط أكثر بحضور الإناث، سواء فيما تعلق بتنظيم و تسيير هذا المجال، أو بالقيام على العملية التربوية للأطفال و رعايتهم، و الملقاة خاصة على المتزوجات، المسؤولات مباشرة على تربية و رعاية الأطفال بالرغم من مشاركة العازبات في ذلك، كأخوات أكبر سنا، أو كعمّات مثلا، مع أن العنف الممارس من الإناث في المنزل ليس كله من العنف الذي يوصف بالتربوي، فممارسة الإناث للعنف المنزلي الموجه ضد الأطفال أحيانا عبارة عن تحويل للعنف الممارس عليهن، و مهما كان نوع العنف الممارس من الإناث داخل المجال المنزلي فهو مقبول نسبيا مقارنة بالعنف الممكن أن يمارس من طرفهن خارج

المنزل. الذكور يمكن أن يكونوا هم أيضا موضوعا للعنف المنزلي، كآباء من طرف أبنائهم، و أيضا كأزواج من طرف زوجاتهم، لكن في حالات قليلة مقارنة بالأفراد الآخرين في الأسرة.

ممارسة العنف ليست حكرا على الرجل، فالمرأة أيضا ممارسة للعنف، لكن الدراسات ركزت عليها كضحية، لأن عنف المرأة معارض للتصورات الثقافية التي تحتل المرأة في وظائفها المتعلقة بالأمومة و في اللطف المزعوم.¹ و هو الهدف من وجود الحياة المنزلية في اعتقاد أوجست كومت، الذي يرى أن الأسرة وُجدت لتطور بنبل تأثير المرأة على الرجل، كأم أولا، ثم كأخت، ثم كزوجة خاصة، ثم في الأخير كبنت. في أي صورة من هذه الصور أو الأشكال الطبيعية التي تأخذها المرأة، فإنها جعلت لتحفظ الرجل من الفساد الذي يجبل عليه. إن تفوق المرأة العاطفي يمنحها بتلقائية هذا الواجب الأساسي. المرأة تشكل إذا المركز الأخلاقي للأسرة. النظرية الوضعية للأسرة تتلخص في اعتبار التأثير التلقائي للعاطفة الأنوثية على النشاط الذكوري.²

حضارتنا لا تريد أبدا طرح مسألة عنف النساء و تقلل ربما من العنف الذي تتعرض إليه. منذ قرون، تفضل التأكيد على صورة " المرأة المحضرة" التي مهمتها تهذيب الأخلاق، و صرف الرجل عن العنف، و إلبام وحشية رغباته الجنسية. النسب المنخفضة للإناث المتورطات في العنف، و التي تمثل ثابتا في ثقافتنا، تعكس تحريما اجتماعيا قويا، العنف من الإناث غير مقبول، إنهن لم يتربن على استعمال العنف لحل الصراعات، عكس الذكور.³

الأمر لا يتعلق بصورة المرأة فحسب، بل بصورة الرجل أيضا. حالات العنف الممارس من المرأة كانت دائما تُصادر و يعاد تأويلها من الرجال من أجل ضمان استمرار تحكمهم في التمتع بفضيلة تم عرضها منذ زمن بعيد على أنها ذكورية. التفوق الفيزيقي للرجل يقابله نفوذ مضاد أكثر دهاء. العنف

¹ - Christophe Régina. Op.cit., pp. 33-35.

² - Comte Auguste. Sociologie, textes choisis par : Laubier Jean. Coll. S.U.P, 3 éd, P.U.F, Paris, 1969, pp 33, 34.

³ - Robert Muchembled. Op.cit., p. 33.

الذي يتلقاه الرجل صعب قياسه، و إذا تم ذلك ففي صمت، لأنه من الصعب الاعتراف من الرجل بعنف مقرون بالضعف و الجبن، إذ المخيال الاجتماعي يعرض الرجل كحامي، و مهيمن.⁴

6- أنماط العنف المنزلي و أشكاله:

بحسب الإجابات المتحصل عليها حول شكل العنف الممارس من طرف أفراد العينة يمكن استخلاص التفيئة التالية لأنماط العنف المنزلي، مع بعض الأمثلة من إجابات الأفراد:

- العنف الفيزيقي: و يعبر عن علاقة تماس مباشر بين الفاعل للعنف و موضوع العنف: "الضرب"، "الشد من الأذن"، "الشد من الشعر"، "الضرب بوسائل ما".

- العنف اللفظي: و هو تعبير عن موضوع العنف بلسان الفاعل للعنف: "السب و الشتم"، "الألفاظ السوقية"، "التنازع بالألقاب"، "إظهار العيوب".

- العنف التعبيري: و يتمثل في التعبير عن عواطف الفاعل للعنف تجاه موضوع العنف: "التعبير عن الاستياء"، "الاحتقار"، "الصراخ"، "إبداء الغضب".

- العنف المعنوي أو السيكولوجي: لا يهدف للتعبير و لا للمساس الفيزيقي، بل للمساس بنفسية و معنويات موضوع العنف: "التأنيب"، "التهديد"، "التوبيخ"، "التجاهل"، "اللوم"، "التوعد"، "المقاطعة"، "السجن"، "التخويف".

العنف الأداتي و العنف الغائي:

العنف الأداتي هو العنف المستعمل لغرض تحقيق هدف ما، و هو نتيجة تعلّم، أما العنف الغائي أو ما يسمى بالعنف العَرَض، فليس له من هدف إلا تصريف الإحباط و الغضب الناتج عنه، فهو يظهر في شكل انفجارات غير متحكم فيها، تُتبع عادة بحالة من الندم يعتري الفرد الممارس للعنف. هل العنف المنزلي الملاحظ لدى عينة البحث هو عنف أداتي أم عنف غائي؟

⁴ - Christophe Régina. Op.cit., pp. 182-233.

جدول رقم 10: تدخّل عامل الغضب أثناء ممارسة العنف:

النسبة المئوية	التكرار	تدخّل عامل الغضب أثناء ممارسة العنف
87,4	146	في حالة غضب
12,6	21	في غير غضب
100	167	المجموع

نقرأ من الجدول 10 ما يلي: 87,4 % من الأفراد الممارسين للعنف الأسري صرّحوا بأن ممارستهم للعنف تتم بتدخل عامل الغضب.

جدول رقم 11: حالة الندم بعد ممارسة العنف:

النسبة المئوية	التكرار	حالة الندم بعد ممارسة العنف
82,0	137	نعم
18,0	30	لا
100	167	المجموع

نقرأ من الجدول 11 ما يلي: 82,0 % من الأفراد الممارسين للعنف تتبع ممارستهم للعنف المنزلي حالة من الندم. العنف المنزلي الممارس على الأطفال و غيرهم، أكثره عنف غائي ناتج عن الغضب و عن الإحباط، فهو عبارة عن تصريف لهذا الإحباط غير متحكّم فيه، و هو في الغالب مخالف لقناعات الأفراد فهم يسلكون به بدوافع انفعالية، لذلك فإن أكثر حالات الندم هي لأفراد يتصورون العنف سلوكا غير ملائم للتعامل مع الآخر، عكس الأفراد الذين يعتبرون العنف سلوكا ملائما للتعامل مع الآخر (جدول 12 في الملحق: 85,6 % مقابل 64,3 %، كاي=2، 7,192، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,007، معامل فاي = 0,208)، و بالرغم من ذلك فهم يتعاملون بالعنف

لعجزهم عن ضبط انفعالاتهم، مع الإبقاء على إمكانية كون هذا التصريف للإحباط و التعبير عن الغضب في شكل من العنف هو نفسه سلوكا متعلما.

الفصل السادس: اختبار فرضيات البحث.

اختبار الفرضية الأولى.

1- التحليل الكمي الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الأولى.

1.1- مؤشر الرضا بالوضعية المهنية.

2.1- مؤشر الرضا بالدخل.

3.1- تقييم المستوى المعيشي للأسرة.

4.1- تقييم الوضعية السكنية للأسرة.

5.1- تقييم العلاقات الأسرية.

6.1- أسباب الغضب المرافق للعنف.

2- نتائج اختبار الفرضية الأولى.

1- التحليل الكمي الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الأولى:

نص الفرضية الأولى:

الإحباط الذي يعانيه الآباء نتيجة شعورهم بالحرمان الممارس عليهم في حياتهم اليومية يزيد من احتمال ممارستهم للعنف على أطفالهم.

المؤشرات التي تدخل في اختبار الفرضية الأولى:

- الجنس.
- الرضا بالوضعية المهنية.
- الرضا بالدخل.
- تقييم المستوى المعيشي للأسرة.
- تقييم الوضعية السكنية للأسرة.
- تقييم العلاقات الأسرية.
- أسباب الغضب المرافق للعنف.
- ممارسة العنف المنزلي.

1.1- مؤشر الرضا بالوضعية المهنية:

جدول رقم 13: ممارسة العنف المنزلي بدلالة مؤشر الرضا بالوضعية المهنية:

المجموع		ممارسة العنف				الرضا بالوضعية المهنية
		لا		نعم		
100	172	39,5	68	60,5	104	راض
100	84	34,5	29	65,5	55	غير راض
100	256	37,9	97	62,1	159	المجموع

ملاحظة: الفرق بين المجموع في الجدول و مجموع العينة هم غير معنيين بحسب تقديرهم، ممثلين في مكثات بالبيت و طلبة جامعيين.

نقرأ من الجدول 13 ما يلي: 65,5 % من غير الراضين بوضعيتهم المهنية يمارسون العنف، مقابل 60,5 % من الراضين بوضعيتهم المهنية.

بإدخال متغير الجنس، نقرأ (الجدول 14 في الملحق) ما يلي: 73,5 % من الذكور غير الراضين بوضعيتهم المهنية يمارسون العنف، مقابل 64,5 % من الراضين بوضعيتهم المهنية.

هناك فرق في ممارسة الذكور للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الرضا بالوضعية المهنية، بحيث غير الراضين بوضعيتهم المهنية أكثر ممارسة للعنف من الراضين. في حين ليس هناك فرق في ممارسة الإناث للعنف بدلالة مؤشر رضاهن بوضعيتهم المهنية.

2.1- مؤشر الرضا بالدخل:

جدول رقم 15: ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الرضا بالدخل:

المجموع		ممارسة العنف				الرضا بالدخل
		لا		نعم		
100	138	42,0	58	58,0	80	راض
100	123	32,5	40	67,5	83	غير راض
100	261	37,5	98	62,5	163	المجموع

ملاحظة: الفرق بين المجموع في الجدول و مجموع العينة هم غير معينين بحسب تقديرهم، ممثلين في مكثات بالبيت و طلبة جامعيين.

نقرأ من الجدول 15 ما يلي: 67,5 % من الأفراد غير الراضين بالدخل يمارسون العنف، مقابل 58,0 % من الراضين بالدخل.

يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الرضا بالدخل، حيث أن الأفراد غير الراضين بالدخل أكثر ممارسة للعنف المنزلي من الراضين بالدخل.

بإدخال متغير الجنس نلاحظ (الجدول 16 في الملحق) وجود فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الرضا بالدخل، و ذلك بالنسبة للذكور و الإناث على حد سواء. (71,0 % مقابل 65,3 % بالنسبة للذكور. و 63,9 % مقابل 53,9 % بالنسبة للإناث).

3.1- تقييم المستوى المعيشي للأسرة:

جدول رقم 17: ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة تقييمهم للمستوى المعيشي للأسرة:

المجموع		ممارسة العنف				تقييم المستوى المعيشي للأسرة
		لا		نعم		
100	231	38,5	89	61,5	142	حسن
100	36	30,6	11	69,4	25	سيء
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

نقرأ من الجدول 17 ما يلي: 69,4 % من الأفراد ذوي التقييم السيئ للمستوى المعيشي للأسرة يمارسون العنف، مقابل 61,5 % من الأفراد ذوي التقييم الحسن.

بإدخال متغير الجنس نقرأ ما يلي (الجدول 18 في الملحق): 83,3 % من الذكور ذوي التقييم السيئ للمستوى المعيشي للأسرة يمارسون العنف، مقابل 64,4 % من الذكور ذوي التقييم الحسن.

هناك فرق في ممارسة الذكور للعنف بدلالة مؤشر تقييمهم للمستوى المعيشي للأسرة، حيث أن الذكور ذوي التقييم السيئ للمستوى المعيشي للأسرة أكثر ممارسة للعنف من الذكور ذوي التقييم الحسن، في حين لا يوجد فرق في ممارسة الإناث للعنف بدلالة تقييمهن للمستوى المعيشي للأسرة.

4.1- تقييم الوضعية السكنية للأسرة:

جدول رقم 19: ممارسة العنف المنزلي بدلالة تقييم الأفراد للوضعية السكنية للأسرة:

المجموع		ممارسة العنف				تقييم الوضعية السكنية للأسرة
		لا		نعم		
100	202	38,6	78	61,4	124	حسنة
100	65	33,8	22	66,2	43	سيئة
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

نقرأ من الجدول 19 ما يلي: 66,2 % من الأفراد ذوي التقييم السيئ للوضعية السكنية للأسرة يمارسون العنف، مقابل 61,4 % من ذوي التقييم الحسن.

بإدخال متغير الجنس، نقرأ ما يلي (جدول 20 في الملحق): 69,0 % من الإناث ذوات التقييم السيئ للوضعية السكنية يمارسن العنف، مقابل 55,9 % من الإناث اللاتي لديهن تقييم حسن للوضعية السكنية للأسرة.

يوجد فرق في ممارسة الإناث للعنف المنزلي بدلالة مؤشر تقييمهن للوضعية السكنية للأسرة، حيث أن الإناث اللاتي لديهن تقييم سيئ للوضعية السكنية للأسرة أكثر ممارسة للعنف المنزلي من اللاتي لديهن تقييم حسن لها، في حين ليس هناك فرق في ممارسة الذكور للعنف بدلالة تقييمهم للوضعية السكنية للأسرة.

جدول رقم 21: ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الشعور بالراحة في المنزل:

المجموع		ممارسة العنف				الشعور بالراحة في المنزل
		لا		نعم		
100	218	40,4	88	59,6	130	نعم
100	49	24,5	12	75,5	37	لا
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

نقرأ من الجدول 21 ما يلي: 75,5 % من الأفراد الذين صرّحوا بأنهم لا يشعرون بالراحة أثناء تواجدهم في المنزل يمارسون العنف، مقابل 59,6 % من الأفراد الذين يشعرون بالراحة في المنزل.

ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الشعور بالراحة في المنزل، (كاي=2=4,305، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,038، معامل فاي = -0,127).

الأفراد الذين لا يشعرون بالراحة في المنزل أكثر ممارسة للعنف المنزلي، بالنسبة للذكور و الإناث على حد سواء (الجدول 22 في الملحق).

جدول رقم 23: ممارسة العنف المنزلي بدلالة التعرض للضغط و الإزعاج في المنزل:

المجموع	ممارسة العنف				التعرض للضغط و الإزعاج في المنزل	
	لا		نعم			
100	95	24,2	23	75,8	72	نعم
100	172	44,8	77	55,2	95	لا
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

نقرأ من الجدول 23 ما يلي: 75,8 % من الأفراد الذين يتعرضون للضغط و الإزعاج في المنزل يمارسون العنف، مقابل 55,2 % من الذين لا يتعرضون للضغط و الإزعاج في المنزل (كاي=2= 11,040، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,001، معامل فاي = 0,203).

هناك ارتباط بين ممارسة الأفراد للعنف و تعرّضهم للضغط و الإزعاج في المنزل، حيث أن الأفراد الذين يتعرضون للضغط و الإزعاج في المنزل أكثر ممارسة للعنف من غيرهم، و ذلك بالنسبة للذكور و الإناث على حد سواء (الجدول 24 في الملحق).

مصدر الضغط و الإزعاج الذي يتعرض له الفرد أثناء وجوده بالمنزل:

من إجابات الأفراد عن السؤال حول مصدر الضغط و الإزعاج الذي يتعرضون له في المنزل، يمكن استخلاص التفيئة التالية، و العبارات الدالة عليها كأمثلة:

- سلوك الأطفال: "صراخ الأطفال"، "المشاجرة بين الأطفال"، "ضجيج الأولاد"، "شغب الأطفال"، "وجود الأطفال و اجتماعهم يخلق جو فوضوي".
- مشاكل اتصالية علائقية: "الغيرة من جانب زوجة أخي"، "أفراد العائلة"، "أم الزوج"، "اختلاف وجهات النظر و اختلاف رغبات كل فرد"، "الأب"، "الزوجة"، "الزوج، الذي لا يريد أن يرى زوجته محبوبة و سالمة و ناجحة في حياتها، كما يتحسس من الأبناء، خاصة بعدما كبروا و نجحوا في دراستهم، فهم أعلى مستوى منه"، "تسلط الوالد".
- عوامل مرتبطة ببنية الأسرة (العائلة الممتدة): "الضجيج الناتج عن وجود عدد كبير من الأشخاص في نفس البيت، الإخوة و زوجاتهم"، "الفوضى من أولادي أو أولاد إخوتي"، "صراخ أبناء إخوتي"، "الأطفال، بحكم بيت العائلة الكبير".
- عوامل متعلقة بالمسكن: "ضييق المسكن"، "السكن الرديء"، "غياب الخصوصية"، "غياب الهدوء".

- الأشغال المنزلية بالنسبة للمرأة: "شغل البيت"، "طلبات الزوج و الأطفال التي لا تنتهي".
- أزمات أسرية طارئة: "مرض والدي"، "المرض".
- مشاكل مادية: "الدخل القليل"، "الفقر"، "غياب وسائل الراحة".
- عوامل مرتبطة بالحوار: "الجيران"، "الشجار مع أبناء الجيران".

5.1- تقييم العلاقات الأسرية:

جدول رقم 25: ممارسة العنف بدلالة تقييم الأفراد للعلاقات الأسرية:

المجموع		ممارسة العنف				تقييم العلاقات بين أفراد الأسرة
		لا		نعم		
100	243	38,3	93	61,7	150	حسنة
100	24	29,2	7	70,8	17	سيئة
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

من الجدول 25 نقرأ ما يلي: 70,8 % من الأفراد ذوي التقييم السيئ للعلاقات بين أفراد الأسرة يمارسون العنف المنزلي، مقابل 61,7 % من الأفراد ذوي التقييم الحسن للعلاقات الأسرية.

بإدخال متغير الجنس نلاحظ (الجدول 26 في الملحق) وجود فرق في ممارسة الذكور للعنف بدلالة مؤشر تقييمهم للعلاقات الأسرية، دون الإناث، حيث أن الذكور ذوي التقييم السيئ للعلاقات الأسرية أكثر ممارسة للعنف المنزلي من ذوي التقييم الحسن للعلاقات الأسرية.

6.1- أسباب الغضب المرافق للعنف:

فئات أسباب الغضب المرافق للعنف:

رأينا في وصفنا للعنف المنزلي أن أكثره عنف غائي إنفعالي عبارة عن انفجارات غير متحكم فيها للغضب (87,4 %)، ما هي أسباب هذا الغضب؟ من إجابات الأفراد استخلصنا التهيئة التالية:

- فئة الأسباب المرتبطة بالحرمان المادي و الاجتماعي: "اللااستقرار المادي و اللااستقرار في العمل"، "المشاكل اليومية خارج المنزل"، "الضغط في العمل"، "المشاكل الاقتصادية و الاجتماعية هي الدافع الأساسي"، "ضغوط اجتماعيه مادية و مهنية"، "مشاكل المجتمع و ضغط الشارع"، "مشاغل الحياة و العمل"، "لأنني عصبية جدا و تعب من عملي"، "التعب من العمل خارجا"، "سلوك المجتمع و نتائجه".

- فئة الأسباب المرتبطة بالحرمان الأسري: "المشاكل اليومية داخل المنزل"، "الضغط المنزلي"، "أحيانا بسبب ضغط أسري"، "الزوجة"، "اختلاف وجهات النظر حول موضوع ما يتعلق بالأسرة"، "الإحساس بعدم الراحة في المنزل"، "لامبالاة الزوج"، "مرض الوالدين"، "التعب من الأعمال المنزلية"، "عدم قيام الزوج بواجباته"، "صراخ الأم"، "مشاكل صحية"، "الاختلاف في الرأي حول مواضيع عامة أو خاصة".

- فئة الأسباب المرتبطة بالطفل: "كثرة شغب الطفل"، "كثرة مشاجرة الأطفال يفقدك الصبر"، "قيام الأطفال ببعض الأخطاء الفادحة"، "كثرة حركتهم و نثر الأوراق في كل مكان و شجارهم"، "كذب الأطفال"، "تصرفات الأطفال تؤدي بالمرء إلى فقد صوابه"، "العنف فيما بينهم و الصراخ في المنزل"، "مواقف لا تعجبني"، "رفض و استنكار لأفعال غبية أو لعدم التصرف كما يجب"، "أخطاء الأطفال"، "فرط حركته".

- فئة الأسباب المرتبط بالسلطة و فرض النظام: "عدم القيام بالواجب"، "تقدير مبالغ فيه للخطأ المرتكب"، "عدم الاستجابة للمطالب أو عناد و تمسك الآخر بالرأي"، "عدم احترام حدود

الآخر"، "عدم انضباطه"، "عدم المصارحة"، "التصرفات الخارجة عن المبادئ الأسرية أو الدينية أو الاجتماعية"، "عدم الاحترام"، "عدم الامتثال للأوامر"، "التأخر في الشارع"، "عدم الإصغاء"، "الفوضى التي تنجم عن لعب الأطفال بكل شيء خاصة بما يضرهم".

- الضغوط النفسية: "التعب الذهني"، "الضغط"، "تعب"، "الانفعال"، "القلق"، "الكبت"، "الحالة النفسية السيئة".

- الأسباب المرتبط بالاستثمار في الطفل: "نتائج مدرسية ضعيفة و مخالطة أطفال السوء"، "عدم مراجعة الأطفال للدروس"، "الإخفاق في الدراسة خوفا على مستقبلهم"، "الحرص على مراجعة الدروس"، "عدم الصلاة في الوقت"، "لأنك تبذل مجهودا في التربية و تأتي النتائج عكس ما توقعته".

جدول رقم 27: أسباب الغضب المرافق للعنف:

فئات أسباب الغضب المرافق للعنف	التكرار	النسبة المئوية إلى حالات الغضب المصريح بأسبابه (135)	النسبة إلى عدد الإجابات (184)
حرمان مادي و اجتماعي	40	29,6	21,7
حرمان أسري	40	29,6	21,7
سبب مرتبط بالطفل	39	28,9	21,2
سبب مرتبط بالسلطة و فرض النظام	31	22,9	16,8
ضغوط نفسية	20	14,8	10,9
سبب مرتبط بالاستثمار في الطفل	14	10,4	7,6
المجموع/النسبة	184	136,3	100

ملاحظة: النسبة المئوية محسوبة إلى تكرار الغضب المصريح بأسبابه أي 135.

نقرأ من الجدول 27 ما يلي: 59,2 % من حالات الغضب التي ترافق العنف المنزلي أسبابها عوامل مرتبطة بالحرمان المادي الاجتماعي و بالحرمان الأسري. ترتبط إذا ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بمتغير الإحباط في بعده المادي الاجتماعي و الأسري. و يظهر تحويل العنف على الطفل من خلال فئة الأسباب المتعلقة بالطفل (28,9 % من حالات الغضب).

نقرأ كذلك 14,8 % هي أسباب عبّر عنها الأفراد بمفهوم الضغوط النفسية، و القلق، و التي قد تكون هي الأخرى نتيجة ما يتعرض له الأفراد من حرمان في حياتهم اليومية خارج الأسرة و داخلها، و هو ما يعزز العلاقة بين العنف المنزلي و الإحباط.

بإدخال متغير الجنس نقرأ (الجدول 28 في الملحق) ما يلي: فئة الأسباب الأكثر ظهوراً بالنسبة للذكور هي المتعلقة بالحرمان المادي الاجتماعي (32,8 %)، تليها الأسباب المعبرة عن الحرمان الأسري (26,6 %)، في حين يأتي الحرمان الأسري، و فئة الأسباب المتعلقة بالأطفال في المرتبة الأولى بالنسبة للإناث (32,4 %)، تليها فئة الأسباب المتعلقة بالحرمان المادي الاجتماعي (26,8 %).

يرتبط العنف المنزلي الناتج عن الإحباط بالنسبة للذكور أكثر بالجمال خارج الأسري، في حين يرتبط العنف المنزلي الناتج عن الإحباط بالنسبة للإناث بالجمال المنزلي و بالاحتكاك الكثيف مع الأطفال في إطار هذا المجال.

فئات أسباب العنف ضد الأطفال في تصور الأفراد:

من إجابات الأفراد عن السؤال حول تصورهم لأسباب العنف المنزلي الممارس على الطفل استخلصنا التفيئة التالية:

- حرمان إقتصادي اجتماعي: "القلق و التعب الناتج عن العمل و المحيط"، "ضغط العمل"، "الظروف التي يعيشها الوالدين تنعكس إيجاباً أو سلباً على الأطفال"، "انشغالات الوالدين اليومية المسببة للضغط فيتحمل الأطفال العبء"، "الضغوط الخارجية للأسرة"، "ضغوطات خارجية"، "عسر الحال اقتصادياً"، "مشاكل العمل خارج البيت"، "الفقر"، "الظروف المعيشية القاسية"، "التعب أثناء

العمل و عدم الراحة"، "انشغالات الوالدين اليومية المسببة للضغط"، "مشاكل في المواصلات و العمل"، "كثرة الواجبات و قلة الوقت"، "تعب بعد عمل طويل داخل أو خارج المنزل"، "طغيان الماديات"، "فساد النظام و غياب الدولة"، "المشاكل الاقتصادية"، "الفقر و العوز"، "عدم تفهم الأطفال لما يعانيه الآباء"، "ضيق الوقت يولد الضغط و يعود على الطفل بالعنف".

- حرمان أسري: "كثرة الأطفال و ضيق الحال"، "الشجار بين الأب و الأم"، "المشاكل العائلية" "عدم تفاهم الزوجين"، "السكن غير اللائق"، "المشاكل بين الزوجين"، "السكن العائلي الكبير بعدة أسر"، "ضيق المسكن حيث الأطفال مع الوالدين طول الوقت"، "العلاقة المتدهورة بين الوالدين"، "عدم انسجام الأسرة و الشجار بين الوالدين"، "السكن مع الجيران كما في الأحياء الشعبية"، "عدم وجود مكان للأطفال داخل المنزل يؤدي إلى التصادم"، "عدم التفاهم بين أفراد العائلة"، "الصراعات بين أفراد العائلة الكبيرة"، "السكن مع الأعمام في الأسرة الكبيرة"، "تعرض الأم لضغوطات داخل الأسرة"، "تدخل الأجداد في تربية أحفادهم بدلال و من ثمة تدخل الوالدين بالضرب لتقوم سلوكهم"، "التعب و الإرهاق بسبب الأشغال المنزلية"، "عدم وجود متنفس للأطفال بالبيت و خارجه"، "المرض".

- سبب مرتبط بالطفل: "العناد"، "الشجار على البرامج التلفزيونية"، "المشاجرة بين الإخوة"، "الضجيج و الشغب الذي يقوم به الأطفال"، "التصرفات غير اللائقة تجاه بعضهم البعض"، "اللعب في وقت غير مناسب"، "الأخطاء الكثيرة للأطفال"، "بعض الحماقات من الأطفال"، "عدم الفهم من الأطفال و عدم الوعي بالسلوك الخاطئ"، "ارتكاب الأطفال للأخطاء الكبيرة"، "الأطفال مشاكسون"، "الأطفال في هذا الوقت يدفعوك لاستعمال العنف"، "سلوكات سلبية تتطلب العنف لردعها"، "العنف بين الإخوة"، "سلوكاتهم و تصرفاتهم السيئة"، "تكرار الفعل رغم التنبيه"، "المشاكل مع أبناء الجيران"، "التهور عند الطفل"، "التصرفات الشيطانية"، "صعوبة بعض الأطفال"، "الاقتراب من أشياء لا تخصهم"، "الغيرة بين الأطفال".

- عدم المعرفة بالأساليب التربوية: "سوء التربية فاقد الشيء لا يعطيه"، "عدم التوجيه الصحيح" "نقص ثقافة التعامل مع الطفل"، "جهل الأولياء بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم"، "الوالدين"، "غياب

رقابة الوالدين "قلة الوعي التربوي و عدم إدراك الأضرار الناتجة عن العنف"، "نقص التوعية"، "غياب الثقافة و الفكر عند الأفراد"، "المفاهيم الخاطئة حول التنشئة"، "فشل الوالدين في تكوين رابطة صحيحة متينة بين أفراد الأسرة"، "نقص وعي الوالدين"، "عدم الوعي بالسلوك الأمثل للتربية" "عدم نضج الوالدين فكريا"، "سوء المعاملة و قلة الوعي التربوي"، "قلة الاستماع للأطفال و عدم تفهمهم"، "تصور خاطئ للتربية"، "إهمال الوالدين لدورهم يؤدي إلى انفلات الأطفال"، "نظرة خاطئة لمفهوم التربية و تحصيلها"، "عدم الوعي بخطورة هذا الفعل"، "نقص التكوين"، "صعوبة فهم الأطفال"، "المستوى التربوي للوالدين"، "إنعدام المعرفة بأساليب التربية"، "المستوى التعليمي للوالدين"، "عدم المعرفة بنتائج العنف على الأطفال"، "عدم تحمل الوالدين لمسؤوليتهم في حماية الأطفال"، "التمييز بين الأطفال فيكثون لبعضهم الحقدا"، "عدم القدرة على تحمل مسؤولية الأطفال"، "المستوى الثقافي للوالدين"، "البعد عن التعاليم الشرعية في معاملة الأبناء".

- السلطة و فرض النظام: "عدم احترام الوالدين أو عدم سماعهم"، "عدم الاستماع لآراء الكبار"، "خروج الأطفال عن القواعد الأسرية و التربوية"، "الاعتداد بالنفس و الغرور"، "عدم احترام الصغير للكبير"، "مخالفة نظام الأسرة تكرارا في الطاعة و النظافة و النظام"، "التخلي عن أداء أدوارهم"، "السلوك مع الجيران"، "عدم الأخذ بنصائح و توجيهات الوالدين"، "الخروج عن طاعة الوالدين"، "عدم تطبيق أوامر الوالدين"، "التحدي للكبار من الأطفال"، "تمادي الطفل في سلوك سيء و عدم الاستماع"، "عدم احترام قوانين الأسرة"، "أخلاق الطفل و سلوكاته السيئة".

- نمط سلوك غير مقبول مُتعلّم: "تربية الوالدين"، "عدم تدين الأسرة يجعل الرجل قاسي القلب"، "طباع أفراد العائلة الأب و الأم و الإخوة"، "وسائل الإعلام و البرامج التي تشجع العنف"، "التربية، فمن عَنف في صغره يعنف أولاده"، "ضعف الشخصية"، "الفرد مورس عليه العنف يكون عنيفا"، "التوارث السلبي للتربية"، "العنف عند الكبار"، "الطفولة التعيسة و القاسية لأحد الوالدين و منه نقص الحنان"، "غياب الحنان عند الوالدين"، "إرضاء سطوة و جبروت الأب المتقمص لدور الأبوة"، "الطفولة الصعبة للوالدين أو استعمال العنف ضدهم"، "استبداد الأولياء بآرائهم"، "شخصية الوالدين، عصبيان مثلاً".

- الاستثمار في الطفل: "التأخر في الدراسة"، "عدم القيام بالواجبات المدرسية"، "عدم القيام بالواجبات المطلوبة منهم"، "مرافقة أصحاب السوء فتلجأ إلى العنف من أجل مصلحتهم"، "رغبة الأولياء في أن يكون أطفالهم مثاليين"، "النتائج المدرسية الضعيفة"، "عدم الرغبة في الدراسة"، "مضيعة الوقت"، "سلوكات سيئة ضارة به تمنعها عنه لصالحه"، "تخويفهم أو تهريبهم لغرض تربيتهم".

- ضغوط و مشكلات نفسية: "ضغوطات نفسية"، "القلق و التعب الناتج عن المحيط"، "إدمان الأب" "قلق"، "حالة النفرة لدى الأولياء"، "الحالة النفسية للآباء"، "الغضب"، "الغضب الزائد و عدم التحكم في الأعصاب"، "العامل النفسي"، "إدمان المخدرات".

- غياب الحوار: "قلة الحوار"، "غياب الحوار"، "غياب ثقافة الحوار"، "الرفض لأفكار الغير"، "غياب التواصل"، "عدم الحوار مع الأبناء".

من الجدول 29 في الملحق نقرأ ما يلي: 72,4 % من الأفراد يعتبرون العنف المنزلي الموجه ضد الأطفال نتيجة لعوامل متعلقة بالحرمان المادي الاجتماعي و بالحرمان الأسري.

2- نتائج اختبار الفرضية الأولى:

- يوجد فرق في ممارسة الذكور للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الرضا بالوضعية المهنية، بحيث غير الراضين بوضعيتهم المهنية أكثر ممارسة للعنف من الراضين. في حين ليس هناك فرق في ممارسة الإناث للعنف بدلالة مؤشر رضاهن بوضعيتهن المهنية.

- يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الرضا بالدخل، حيث أن الأفراد غير الراضين بالدخل أكثر ممارسة للعنف المنزلي من الراضين بالدخل، و ذلك بالنسبة للذكور و الإناث على حد سواء.

- هناك فرق في ممارسة الذكور للعنف بدلالة مؤشر تقييمهم للمستوى المعيشي للأسرة، حيث أن الذكور ذوي التقييم السيئ للمستوى المعيشي للأسرة أكثر ممارسة للعنف من الذكور ذوي التقييم الحسن، في حين لا يوجد فرق في ممارسة الإناث للعنف بدلالة تقييمهن للمستوى المعيشي للأسرة.
- يوجد فرق في ممارسة الإناث للعنف المنزلي بدلالة مؤشر تقييمهن للوضعية السكنية للأسرة، حيث أن الإناث اللاتي لديهن تقييم سيئ للوضعية السكنية للأسرة أكثر ممارسة للعنف المنزلي من اللاتي لديهن تقييم حسن لها، في حين ليس هناك فرق في ممارسة الذكور للعنف بدلالة تقييمهم للوضعية السكنية للأسرة.
- ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الشعور بالراحة في المنزل (كاي² = 4,305، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,038، معامل فاي = 0,127)، حيث أن الأفراد الذين لا يشعرون بالراحة في المنزل أكثر ممارسة للعنف المنزلي، و ذلك بالنسبة للذكور و الإناث على حد سواء.
- هناك ارتباط بين ممارسة الأفراد للعنف و تعرّضهم للضغط و الإزعاج في المنزل (كاي² = 11,040، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,001، معامل فاي = 0,203)، حيث أن الأفراد الذين يتعرّضون للضغط و الإزعاج في المنزل أكثر ممارسة للعنف من غيرهم، و ذلك بالنسبة للذكور و الإناث على حد سواء. و يجد هذا الضغط و الإزعاج الذي يتعرض له الفرد أثناء وجوده بالمنزل كمصدر له سلوك الأطفال، و المشاكل الاتصالية العلائقية، و عوامل مرتبطة ببنية الأسرة (العائلة الممتدة)، و عوامل متعلقة بالمسكن، و أخرى بالأشغال المنزلية بالنسبة للمرأة، و بالآزمات الأسرية الطارئة، و مشاكل الأسرة المادية، و عوامل مرتبطة بالجوار.
- يوجد فرق في ممارسة الذكور للعنف بدلالة مؤشر تقييمهم للعلاقات الأسرية، دون الإناث، حيث أن الذكور ذوي التقييم السيئ للعلاقات الأسرية أكثر ممارسة للعنف المنزلي من ذوي التقييم الحسن للعلاقات الأسرية.

- يرتبط الغضب المرافق للعنف بالحرمان المادي و الاجتماعي، و بالحرمان الأسري، و بسلوك الطفل، و بأسباب ذات صلة بالسلطة و فرض النظام داخل الأسرة، و بالضغوط النفسية للأفراد، و بأسباب ذات علاقة بالاستثمار في الطفل.
- يرتبط العنف المنزلي الناتج عن الاحباط بالنسبة للذكور أكثر بالمجال خارج الأسري، في حين يرتبط العنف المنزلي الناتج عن الاحباط بالنسبة للإناث بالمجال المنزلي و بالاحتكاك الكثيف مع الأطفال في إطار هذا المجال.

اختبار الفرضية الثانية.

1- التحليل الكمي الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الثانية.

1.1- نماذج السلوك العنيف في الأسرة.

2.1- انتقال نماذج العنف بين الآباء و الأبناء.

3.1- استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة.

4.1- الحوار بين أفراد الأسرة.

2- نتائج اختبار الفرضية الثانية.

1- التحليل الكمي الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الثانية:

نص الفرضية الثانية:

العنف الممارس على الأطفال من طرف آبائهم هو نمط سلوك متعلّم و معاد إنتاجه في إطار نموذج ثقافي يعرض العنف كأداة للتعامل مع الطفل.

المؤشرات التي تدخل في اختبار الفرضية الثانية:

- وجود نماذج للسلوك العنيف في الأسرة.
- التعرض للعنف من طرف الأب و الأم.
- تقييم تأثير عنف الأب و الأم من الناحية التربوية.
- تقييم تأثير عنف المعلم من الناحية التربوية.
- استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال.
- استعمال الأب و الأم للضرب في التعامل مع الأطفال.
- الحوار الأسري.
- ممارسة العنف المنزلي.
- استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة.

1.1- نماذج السلوك العنيف في الأسرة:

الشجار بين الأشخاص الراشدين في الأسرة:

من الجدول 30 في الملحق نقرأ ما يلي: 71,9 % من الأفراد صرّحوا بأنه يحدث أن تقع مشاجرات بين الأشخاص الراشدين في الأسرة. و أن 17,2 % منهم صرّحوا بأن هذه الشجارات تحدث تقريبا يوميا أو أحيانا كثيرة.

من إجابات الأفراد نستخلص التفيئة التالية للأشكال التي تأخذها هذه المشاجرات و مواضيعها:

- الوضعية و الأدوار الأسرية: "مناوشات لعدم القيام بالواجبات و الأشغال المنزلية، و الاتكال على الغير"، "بسبب العنوسة"، "ربما الأكبر سنا يفرض سيطرته على الأصغر سنا"، "أشغال المنزل"، "حول من يشتري مثلا"، "التفرقة بين الأطفال عند بعض الأولياء".
- المواضيع المادية: "من أجل أشياء مادية، دين مثلا"، "حول الإرث"، "حول الملابس و الأكل"، "اختلاف حول أمور منزلية: تسديد فاتورة الماء و الكهرباء".
- تربية الأطفال: "شجار حول تربية الأولاد"، "مشاجرات تتم في إطار تربية الأطفال و التعامل معهم".
- مشاكل ناتجة عن التفاعلات الأسرية اليومية: "مناوشات تبدأ من النساء ثم يتدخل الرجال في الشجار بالكلام"، "مشاجرات تبدأ بأمور تافهة"، "نتيجة شجارات بين الأطفال الصغار"، "بسبب الغيرة بين الإخوة"، "بسبب حب الدنيا و الانتصار للذات".
- حالات الانحراف: "بسبب تعاطي المخدرات"، "الانحراف و تعاطي المخدرات أهلكت الشباب و ذلك بسبب المشاكل الاجتماعية".
- تقسيم المجال و استغلاله: "استعمال أغراض بعضهم البعض مثل اللباس و الهاتف"، "بسبب الأغراض الشخصية"، "مشاجرات عادية على قنوات التلفزيون"، "التدخل في خصوصيات غيرهم"، "أخذ شيء بدون إذن".

- القيم الاجتماعية: "مخالطة الآخرين"، "المشاجرات المتعلقة بالوازع الديني مثل عمل المرأة، و الحجاب، و التبرج".

- مشكل اتصال أسري: "عدم الكلام من الأخ مع أخيه"، "الصراخ و الكلام الجارح"، "اختلاف في الآراء"، "الانفراد بالرأي"، "مشاجرات لفظية"، "شتائم و ملاسنات في معظم الأحيان"، "تشبت كل طرف برأيه دون محاولة لفهم الآخر"، "مناوشات كلامية لا أكثر"، "الصراخ و اللوم و إبداء الغضب و تبادل التهم".

الشجار بين الأطفال في الأسرة:

89,9 % من الأفراد صرحوا بأنه تحدث شجارات بين الأطفال في الأسرة، 46,8 % منهم صرحوا بأن هذه المشاجرات تحدث تقريبا يوميا أو أحيانا كثيرة (جدول 31 في الملحق).

جدول رقم 32: الشجار بين الأطفال بدلالة الشجار بين الأشخاص الراشدين في الأسرة:

المجموع	وقوع شجار بين الأطفال في الأسرة		وقوع شجار بين الأشخاص الراشدين في الأسرة	
	لا	نعم	لا	نعم
100 : 192	8,9 : 17	91,1 : 175	نعم	
100 : 75	13,3 : 10	86,7 : 65	لا	
100 : 267	10,1 : 27	89,9 : 240	المجموع	

نقرأ من الجدول 32 ما يلي: 91,1 % من الأسر أين تقع شجارات بين الأشخاص الراشدين نجد فيها شجارات بين الأطفال، مقابل 86,7 % من الأسر التي لا تقع فيها شجارات بين الأشخاص الراشدين.

يوجد فرق في ظهور السلوك العنيف بين الأطفال بدلالة وجوده بين الأشخاص الراشدين في الأسرة، لكن السلوك العنيف بين الأطفال ليس كـإعادة إنتاج للسلوك العنيف بين الأشخاص الراشدين في الأسرة.

2.1- إنتقال نماذج العنف بين الآباء و الأبناء:

جدول رقم 33: تعرّض الأفراد للعنف من طرف الأب و الأم:

التعرض للعنف من الأب	التعرّض للعنف من الأم		المجموع	
	نعم	لا		
نعم	98	37	135	50,6
لا	32	100	132	49,4
المجموع	130	137	267	100

نقرأ من الجدول 33 ما يلي: 62,6 % من الأفراد سبق أن تعرضوا للعنف على الأقل من أحد الوالدين. 50,6 % من الأفراد سبق أن تعرضوا للعنف من طرف الأب، و 48,7 % منهم تعرضوا للعنف من الأم. 6,3 % منهم تعرضوا للعنف من الوالدين تقريبا يوميا أو أحيانا كثيرة، و 30,3 % منهم أحيانا قليلة (جدول 34 في الملحق).

من إجابات الأفراد عن شكل العنف الذي تعرضوا إليه من الوالدين، يمكن استخلاص العبارات التالية:

"الضرب"، "التهديد"، "تعنيف بسيط"، "الضرب بالحزام"، "العض"، "الضرب و الصراخ و التوبيخ"، "ضرب غير مبرح لا يؤدي و ليس ضرب انتقام"، "الضرب و التوبيخ"، "الضرب و الشتم"، "الضرب المبرح"، "لفظي و جسدي"، "عقوبة خفيفة"، "الضرب و الإهانة"، "الضرب بالحذاء"، "الضرب المباح"، "السب و الشتم"، "اللوم و التوبيخ".

جدول رقم 35: تقييم الأفراد لتأثير عنف الأب و الأم من الناحية التربوية:

تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية	التكرار	النسبة المئوية
تأثير إيجابي	113	67,7
تأثير سلبي	54	32,3
المجموع	167	100

نقرأ من الجدول 35 ما يلي: 67,7 % من المبحوثين لديهم تقييم إيجابي لعنف الوالدين من الناحية التربوية. يميل أغلب الأفراد إلى اعتبار التأثير الإيجابي لعنف الوالدين من الناحية التربوية.

لا يختلف تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية بين الذكور و الإناث (جدول 36 في الملحق).

يرتبط تقييم الأفراد لتأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية بمستواهم التعليمي، حيث نقرأ (جدول 37 في الملحق) ما يلي: 77,8 % من ذوي المستوى متوسط و ثانوي لديهم تقييم إيجابي لتأثير عنف الوالدين، مقابل 63,6 % من ذوي المستوى التعليمي الجامعي (كاي=2=3,098، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,078، معامل فاي = 0,136).

المبررات التي يقدمها الأفراد لتقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية:

من إجابات الأفراد نستخلص طبيعة المبررات التي يقدمها الأفراد لتقييمهم للعنف الذي تعرضوا إليه من الوالدين، مع بعض العبارات من تصريحاتهم كأثلة:

أولاً: الأفراد الذين اعتبروا أن لعنف الوالدين تأثير إيجابي:

و هي المبررات التي تنطلق إما من نتائج العنف الإيجابية في نظر الأفراد، و المعبر عنها بمصلحة الطفل، على مستوى تكوين شخصيته، العنف هنا شرط و وسيلة للتربية، للتمييز بين الخطأ و الصواب، أو على مستوى تعليمه و تدرسه، هذه النتائج التي تقاس في مستقبل الطفل، بمعنى على المدى البعيد؛ أو مبررات تنطلق من قصد الوالدين، و من اعتبار أن ما يفعله الآباء هو دائماً لصالح الطفل؛ و مبررات تنطلق من مبدأ وجوب الطاعة للوالدين؛ و مبررات تقوم على اعتبار أن هذا العنف إجابة عن أخطاء الطفل: "يولد في النفس حرصاً و شعوراً

بالمسؤولية"، "الطفل إذا ترعرع في محيط لا يحكمه قانون ينشأ مثل الحيوان لا يدري ما له و ما عليه"، "إيجابي لأي أتعلم أشياء كنت أجهلها"، "نتيجة إيجابية على التمدرس"، "في حال يكون لصالحك، فذلك تأثير إيجابي"، "تكون دائما نتائج مُرضية"، "من الناحية التربوية و الأخلاقية جعلونا نميز الصح من الخطأ"، "لأن كل ما كانا يقولان لي كان في مصلحتي و أنا كنت أرى ذلك عنفا"، "لمصلحتي لأنهم كانوا يتمنوا لي الأفضل"، "كل ما يفعله الآباء من شيء عقلائي لأبنائهم هو عمل إيجابي جدا"، "طاعة الوالدين و معرفة أنهم مسؤولين عني"، "أحيانا تكون للطفل الرغبة في إثبات الذات و عدم احترام الوالدين"، "في هذا العمر علمت بأن لذلك العنف تأثير إيجابي على حياتي اليوم خاصة في مجال الدراسة"، "حسب تجربتي أسلوب العنف ناجح في تربية الأطفال و تكوينهم على المدى البعيد من ناحية الأخلاق و الدراسة"، "جنبنا ذلك العنف الوقوع في بعض المزالق الأخلاقية، لأن العنف كان مبرراً فهو وسيلة تربوية"، "عندما يكبر الطفل يدرك أنه أخطأ و أن والديه على صواب و النتيجة الوصول به إلى فرد صالح في المجتمع"، "العنف الممارس من الأب جعلني أفكر مليا قبل القيام بأي عمل أو اتخاذ قرار ما"، "إيجابي من ناحية الأب من أجل الدراسة.."، "في كل مرة كنت أعنف فيها كان بسبب خطأ"، "هناك بعض الحالات ينبغي فيها أن يؤدب الطفل بعد أن نبين له الصواب".

ثانيا: الأفراد الذين اعتبروا أن لعنف الوالدين تأثير سلبي:

و هي المبررات التي تنطلق من نتائج العنف على المستوى النفسي و على المستوى العاطفي و العلائقي، حيث يعبر الأفراد عن حقد مستمر تجاه والديهم، أو رغبة في الانتقام منهم، و قطيعة معهم؛ أو مبررات تقوم على أساس نتائج العنف على تكوين الشخصية التي تتميز بالسلبية، و الخوف، و التردد، و الخضوع أمام الآخر، أو على العكس العنف مع الآخر: "سلي من الناحية النفسية"، "يولد الحقد و الكراهية لهم"، "أحيانا أشعر بالرغبة في الانتقام"، "يؤدي إلى نفور الأطفال من والديهم"، "الطفل عندما يُضرب يشعر دائما بالخوف و يفقد الثقة بالنفس و يصبح أكثر عنفا في المعاملة"، "الطفل يصبح ضعيف الشخصية يخشى كل الناس و يستعد للضرب من الأطفال في الشارع و المدرسة"، "نتج عن ذلك الخوف الزائد من الأخطاء و الحياء الزائد من كل الناس"، "الطفل الذي يرى بالعنف يكون عنيفا، و في بعض الحالات نفسيته متدهورة، و ينحزل عن المجتمع"، "ليس هناك حوار بيننا إلى الآن"، "انعدام الثقة، تكوين رابطة ضعيفة فاشلة"، "يستمر العنف معك لسنوات و سنوات و يعيقك عن الإبداع و خوض الحياة بصفة جيدة"، "سلي، أصبحت أخاف القيام بأشياء دون الرجوع إلى والدي"،

"عندما أتعرض للضرب أردّ بعدم العمل بما تقوله من أجل عقوبتها بطريقتي"، "يصبح الطفل منطويا و يميل إلى الشرود".

جدول رقم 38: التعرّض للعنف من الأب و من الأم، بالنسبة للممارسين للعنف:

المجموع	التعرّض للعنف من الأم		التعرض للعنف من الأب
	لا	نعم	
62,3 104	15,6 26	46,7 78	نعم
37,7 63	22,8 38	15,0 25	لا
100 167	38,3 64	61,7 103	المجموع

نقرأ من الجدول 38 ما يلي: 46,7 % من الممارسين للعنف تعرضوا للعنف من الأب و الأم معا، و 30,6 % منهم تعرضوا للعنف من أحدهما، و 22,8 % منهم لم يتعرضوا للعنف من الوالدين.

جدول رقم 39: التعرّض للعنف من الأب و من الأم، بالنسبة لغير الممارسين للعنف:

المجموع	التعرّض للعنف من الأم		التعرض للعنف من الأب
	لا	نعم	
31,0 31	11,0 11	20,0 20	نعم
69,0 69	62,0 62	7,0 7	لا
100 100	73,0 73	27,0 27	المجموع

من الجدول 39 نقرأ مايلي: 20,0 % من غير الممارسن للعنف تعرضوا للعنف من الأب و الأم، و 18,0 % تعرضوا للعنف من أحدهما، و 62,0 % منهم لم يتعرضوا للعنف من الوالدين.

بالمقارنة بين الممارسين للعنف المنزلي و غير الممارسين له نلاحظ أن 77,3 % من الممارسين للعنف تعرضوا للعنف على الأقل من أحد الوالدين، مقابل 38 % من غير الممارسين للعنف المنزلي.

أكثر الممارسين للعنف المنزلي هم الأفراد الذين تعرضوا للعنف من الوالدين، النسبة الأكبر منهم هم الذين تعرضوا للعنف من الأب و الأم معا.

جدول رقم 40: ممارسة العنف بدلالة تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية:

المجموع		ممارسة العنف				تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية
		لا		نعم		
100	113	19,5	22	80,5	91	إيجابي
100	54	29,6	16	70,4	38	سلبي
100	100	62,0	62	38,0	38	غير معني
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

ملاحظة: "غير معني" هم الأشخاص الذين لم يتعرضوا للعنف من والديهم.

نقرأ من الجدول 40 ما يلي: 80,5 % من الأفراد الذين لديهم تقييم إيجابي لعنف الوالدين من الناحية التربوية يمارسون العنف المنزلي، مقابل 70,4 % من ذوي التقييم السلبي لعنف الوالدين.

الأفراد ذوي التقييم الإيجابي لعنف الوالدين أكثر ممارسة للعنف المنزلي مقارنة بالأفراد ذوي التقييم السلبي.

مقارنة بالأفراد الذين لم يتعرضوا للعنف من والديهم، بغض النظر عن تقييمهم لهذا النوع من العنف، نلاحظ أن الذين تعرضوا للعنف من والديهم أكثر ممارسة له مقارنة بالذين لم يتعرضوا للعنف، و هذا سواء كان تقييمهم له على مستوى تأثيره التربوي تقييما إيجابيا أم سلبيا.

تعرض الأفراد للعنف من طرف المعلمين في المدرسة:

58,1 % من الأفراد صرّحوا بأنهم تعرضوا للعنف من طرف المعلمين في المدرسة (جدول 41 في الملحق).

من إجابات الأفراد حول شكل العنف الذي تعرضوا إليه من المعلمين في المدرسة ما يلي:

"عنف جسدي"، "جسدي و نفسي"، "العنف اللفظي و الجسدي"، "الضرب"، "الضرب بالعصا"، "الضرب بالمسطرة الخشبية"، "الضرب و الشتم"، "الضرب براحة اليد على الوجه"، "الضرب العنيف"، "الضرب على الوجه"، "الضرب على الأيدي"، "السب و الشتم"، "الوقوف في آخر القسم"، "بعض التأديب البدني و اللفظي غير المؤذي"، "ضرب غير مبرّر"، "الإفراط في الضرب أحيانا"، "الإهانة".

جدول رقم 42: تقييم الأفراد لتأثير عنف المعلم من الناحية التربوية:

تقييم الأفراد لتأثير عنف المعلم	التكرار	النسبة المئوية
تأثير إيجابي	50	32,3
تأثير سلبي	105	67,7
المجموع	155	100

من الجدول 42 نقرأ ما يلي: 32,3 % من الأفراد لديهم تقييم إيجابي لتأثير عنف المعلم من الناحية التربوية، مقابل 67,7 % لديهم تقييم سلبي. يميل أغلب الأفراد إلى التقييم السلبي لتأثير عنف المعلم، عكس تقييمهم لتأثير عنف الوالدين (مقارنة مع الجدول 35).

يوجد فرق في تقييم الأفراد لتأثير عنف المعلم من الناحية التربوية بدلالة الجنس و المستوى التعليمي، حيث تميل الإناث أكثر من الذكور إلى التقييم الإيجابي لتأثير عنف المعلم (37,2 % مقابل 26,1 %) (الجدول 43 في الملحق)، و يميل الأفراد من المستوى التعليمي المتوسط و الثانوي للتقييم الإيجابي لعنف المعلم أكثر مقارنة بالأفراد ذوي المستوى الجامعي (35,1 %، مقابل 31,4 %) (جدول 44 في الملحق).

المبررات التي يقدمها الأفراد لتقييم تأثير العنف المعلم من الناحية التربوية:

من إجابات الأفراد نستخلص طبيعة المبررات التي يقدمها الأفراد لتقييمهم للعنف الذي تعرضوا إليه من المعلمين، مع بعض العبارات من تصريحاتهم كأمثلة:

أولاً: الأفراد الذين اعتبروا أن لعنف المعلمين تأثير إيجابي: و هي المبررات التي تنطلق من نتائج العنف الإيجابية حسب تقدير الأفراد، على مستوى تعليمهم و تدرّسهم، فالعنف أسلوب تربوي و شرط للعملية التعليمية؛ أو المبررات التي تنطلق من اعتبار أن هذا العنف إجابة عن أخطاء الطفل التلميذ، و هناك من يميز في تقييمه للعنف بين اللفظي منه و الجسدي، و هناك أيضاً من يربط تأثير العنف بإحسان استخدامه من المربي: "لا بد للإنسان من حدود يلتزم بها في حياته لأن الحرية حدود"، "الضرب يحفز على القراءة"، "كنت أضرب في حال الخطأ فقط"، "هناك من يحسن هذا النوع من التأديب، اللفظي و البدني غير المؤذي، فهو فنّ لأنه يُرَبِّي مع توضيح الأمر للتلميذ، و هناك من لا يحسنه"، "أستأذي للغة الفرنسية كان عنيفا معي فرددت عليه بالعلامة الجيدة جدا"، "احترام المعلم و مراجعة الدروس"، "كان العنف وسيلة تربوية متقبلة لأنه كان يضمن تحقيق نتائج معينة كالمثابرة في المدرسة و عدم الشجار مع الآخرين"، "نقص الاجتهاد في الدراسة و مخالطة المشاغبين، فلم أعد أكثر باتباعهم في القسم"، "العنف اللفظي تأثيره سلبي على الطفل لكن المادي نتائجه حسنة بعد مدة"، "إيجابي من ناحية الانضباط"، "المعلم له حرية التصرف بالأسلوب الذي يراه مناسباً لتقويم سلوك الطفل و الحفاظ على الجو الملائم لسير الدروس، في حال الأستاذ الواعي و المتمكن"، "يدفع بالتلميذ إلى القيام بواجباته و الاجتهاد أكثر، أما العنف المبالغ فيه فله تأثير على شخصية الفرد".

ثانياً: الأفراد الذين اعتبروا أن لعنف المعلمين تأثير سلبي: و هي المبررات التي تنطلق من نتائج العنف السلبية، في تقدير الأفراد، على تدرّسهم كنتيجة للمشاعر السلبية التي يتركها هذا العنف على الطفل التلميذ، كالخوف من الخطأ، أو الكره للمعلم و للمادة العلمية و للمدرسة، و من ثمة الانقطاع عن المدرسة؛ أو المبررات التي تنطلق من نتائج العنف على شخصية الطفل من مثل فقد الثقة في النفس؛ أو المبررات التي تعتمد على كون هذا العنف غير مبرر لأن الطفل من المجتهدين، أو لتمييز المعلم في استعمال العنف بين التلاميذ، و هو ما ينعكس في المشاعر السلبية التي تستمر مع الطفل تجاه المعلم: "كره المعلم و كره المادة"، "العنف يولد الحقد و الكره و يؤدي إلى الهروب و العصيان"، "كرهت الذهاب إلى المدرسة"، "الخشونة التي كانت تتميز بها المعلمة كانت تمنعنا من التكلم

بكل حرية و من دون الخوف من الخطأ"، "الانطواء داخل القسم"، "يولد في النفس كرها للمادة و نفورا من المعلم"، "عدم التركيز في الدراسة و نفور من المدرسة"، "تأثير سلبي على الدراسة"، "أصبحت أكره التوجه للمدرسة بسبب الضرب"، "لأنني كنت تلميذة مجتهدة أرفض العنف و أومن بالسلام"، "رغم أنني كنت تلميذة مجتهدة إلا أن معلمي و التي هي جاري كانت تعنفي لفظيا و جسديا"، "المعلمة ضربتني عن ظلم، يولد كره الأستاذ في نفوسنا و المدرسة أيضا"، "أبناء الزوالية (الفقراء) أكثر عرضة للعنف من المعلمين، تكره المدرسة و المعلمين"، "تفقد الثقة في النفس"، "ما زلت حتى الآن و في هذا السن أتذكر الضرب و العنف الغير مبرر الذي كنا فيه"، "مازلت أحتقرهم إلى الآن".

جدول رقم 45: ممارسة العنف بدلالة التعرض للعنف في المدرسة:

المجموع		ممارسة العنف				التعرّض للعنف في المدرسة
		لا		نعم		
100	155	32,3	50	67,7	105	نعم
100	112	44,6	50	55,4	62	لا
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

نقرأ من الجدول 45 ما يلي: 67,7 % من الأشخاص الذين تعرضوا للعنف من المعلم يمارسون العنف الأسري، مقابل 55,4 % من الذين لم يتعرضوا لهذا العنف. الأفراد الذين تعرضوا للعنف في المدرسة أكثر ممارسة للعنف الأسري من غيرهم.

ترتبط ممارسة الأفراد للعنف الأسري بمؤشر تعرضهم للعنف من طرف المعلمين في المدرسة (كاي² = 4,257، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,039، معامل فاي = 0,126).

جدول رقم 46: ممارسة العنف بدلالة تقييم تأثير عنف المعلّم من الناحية التربوية:

المجموع		ممارسة العنف				تقييم تأثير عنف المعلّم من الناحية التربوية
		لا		نعم		
100	50	24,0	12	76,0	38	إيجابي
100	105	36,2	38	63,8	67	سلبي
100	112	44,6	50	55,4	62	غير معني
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

ملاحظة: "غير معني" هم الذين لم يتعرضوا للعنف من المعلمين.

نقرأ من الجدول 46 ما يلي: 76 % من الأفراد ذوي التقييم الإيجابي لعنف المعلّم من الناحية التربوية يمارسون العنف المنزلي، مقابل 63,8 % من الأفراد ذوي التقييم السلبي لهذا العنف.

الأفراد ذوي التقييم الإيجابي لتأثير عنف المعلّم أكثر ممارسة للعنف المنزلي من ذوي التقييم السلبي.

الأفراد الذين تعرضوا للعنف من المعلّم أكثر ممارسة للعنف المنزلي من الذين لم يتعرضوا لهذا العنف، بغض النظر عن تقييمهم لتأثيره سواء إيجابيا كان أم سلبيا.

3.1- استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة:

41,6 % من الأفراد يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة (الجدول 47 في الملحق).

و نقرأ (من الجدول 48 في الملحق) ما يلي: 41,9 % من الأفراد استعمل أو يستعمل أبوهم الضرب في التعامل مع الأطفال، و 41,6 % من الأفراد استعملت أو تستعمل أمهم الضرب في التعامل مع الأطفال، و 56,1 % يستعمل على الأقل أحد والديهم الضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة، مقابل 43,8 % لا يستعمل والديهم الضرب في التعامل مع الأطفال.

استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بدلالة استعمال الوالدين للضرب:

42,3 % من الأفراد الذين يستعملون الضرب في التعامل مع الأطفال يستعمل كلا والديهم الضرب في التعامل مع الأطفال، و 37,8 % منهم يستعمل أحد والديهم الضرب، مقابل 19,8 % منهم لا يستعمل والديهم الضرب (الجدول 49 في الملحق).

16,7 % من الأفراد الذين لا يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال يستعمل والديهم الضرب كلاهما، و 22,5 % منهم يستعمل أحد والديهم الضرب، مقابل 60,9 % لا يستعمل والديهم الضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة (الجدول 50 في الملحق).

بمقارنة الجدولين 49 و 50 نقرأ ما يلي: 80,1 % من الأفراد الذين يستعملون الضرب في التعامل مع الأطفال يستعمل على الأقل أحد والديهم الضرب، مقابل 39,2 % من الأشخاص الذين لا يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال.

يوجد فرق في استعمال الأفراد للضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة بدلالة استعمال والديهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة.

النسبة الأكبر من الأفراد الذين يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال هم الذين يستعمل كلا والديهم الضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة.

استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية:

57,5 % من الأفراد الذين لديهم تقييم إيجابي لتأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال، مقابل 44,4 % من ذوي التقييم السلبي (الجدول 51 في الملحق).

الأفراد ذوي التقييم الإيجابي لتأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية أكثر استعمالاً للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بالأفراد ذوي التقييم السلبي.

استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تقييم تأثير عنف المعلم من الناحية التربوية:

56,0 % من الأفراد ذوي التقييم الإيجابي لتأثير عنف المعلم يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة، مقابل 41,9 % من الأفراد ذوي التقييم السلبي (جدول 52 في الملحق).

الأفراد ذوي التقييم الإيجابي لتأثير عنف المعلم أكثر استعمالاً للضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة مقارنة بذوي التقييم السلبي.

4.1- الحوار بين أفراد الأسرة:

جدول رقم 53: ممارسة العنف المنزلي بدلالة الحوار بين أفراد الأسرة:

المجموع		ممارسة العنف				الجلوس للتحاور بين أفراد الأسرة
		لا		نعم		
100	210	38,6	81	61,4	129	نعم
100	57	33,3	19	66,7	38	لا
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

من الجدول 53 نقرأ ما يلي: 66,7 % من الأفراد الذين صرحوا بأنهم لا يجلسون للتحاور في الأسرة يمارسون العنف، مقابل 61,4 % من الأفراد الذين يجلسون للتحاور في الأسرة.

يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الحوار الأسري، حيث أن الأفراد الذين يجلسون للتحاور في الأسرة أقل ممارسة للعنف المنزلي مقارنة بالأفراد الذين لا يجلسون للتحاور.

جدول رقم 54: ممارسة العنف المنزلي بدلالة حجم الحوار بين أفراد الأسرة:

المجموع		ممارسة العنف				تقدير حجم الحوار بين أفراد الأسرة
		لا		نعم		
100	127	44,1	56	55,9	71	بالقدر الكافي
100	140	31,4	44	68,6	96	غير كاف
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

من الجدول رقم 54 نقرأ ما يلي: 68,6 % من الأفراد الذين اعتبروا أن حجم الحوار الأسري غير كاف يمارسون العنف المنزلي، مقابل 55,9 % من الأفراد الذين اعتبروا حجم الحوار الأسري كافي.

ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بتقديرهم لحجم الحوار الأسري (كاي² = 4,560، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,033، معامل فاي = -0,131).

2- نتائج اختبار الفرضية الثانية:

- نماذج السلوك العنيف موجودة في الأسر، تظهر في شكل مشاجرات بين الأشخاص الراشدين فيها، و المتعلقة بالوضعية و الأدوار الأسرية، و بالمواضيع المادية، و بتربية الأطفال، و بالمشاكل الناتجة عن التفاعلات الأسرية اليومية، و بحالات الانحراف التي يمكن للأسرة أن تتضمنها، و بتقسيم المجال الأسري و استغلاله، و بالقيم الاجتماعية، و بالمشاكل المتعلقة بالاتصال الأسري، كما تظهر أيضا في أشكال السلوك العنيف الذي يتعرض له الأطفال من الوالدين، كاستعمال الضرب في التعامل مع الأطفال لغرض التربية مثلا، و يتم تناقل هذه الأشكال بين الآباء و الأبناء.

- يوجد فرق في ظهور السلوك العنيف بين الأطفال في الأسرة بدلالة وجوده بين الأشخاص الراشدين فيها، لكن السلوك العنيف بين الأطفال ليس كـ إعادة إنتاج للسلوك العنيف بين الأشخاص الراشدين في الأسرة.

- يميل أغلب الأفراد إلى اعتبار التأثير الإيجابي لعنف الوالدين من الناحية التربوية.

- لا يختلف تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية بين الذكور و الإناث، و لكنه يرتبط بمستواهم التعليمي، حيث يميل الأفراد من المستوى التعليمي المتوسط و الثانوي إلى التقييم الإيجابي لتأثير عنف الوالدين أكثر مقارنة بالأفراد ذوي المستوى التعليمي الجامعي (كاي²=3,098، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة=0,078، معامل فاي=0,136).
- أكثر الممارسين للعنف المنزلي هم الأفراد الذين تعرضوا للعنف من الوالدين، النسبة الأكبر منهم هم الذين تعرضوا للعنف من الأب و الأم معا.
- الأفراد ذوي التقييم الإيجابي لتأثير عنف الوالدين أكثر ممارسة للعنف المنزلي و أكثر استعمالا للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بالأفراد ذوي التقييم السلبي. مقارنة بالأفراد الذين لم يتعرضوا للعنف من والديهم، بغض النظر عن تقييمهم لهذا النوع من العنف، نلاحظ أن الذين تعرضوا للعنف من والديهم أكثر ممارسة له من الذين لم يتعرضوا له، و هذا سواء كان تقييمهم له على مستوى تأثيره التربوي تقييما إيجابيا أم سلبيا.
- يوجد فرق في استعمال الأفراد للضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة بدلالة استعمال والديهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة. النسبة الأكبر من الأفراد الذين يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال هم الذين يستعمل كلا والديهم الضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة.
- يقترن العنف الممارس على الأطفال بالتربية، لذلك نماذج السلوك العنيف ضد الطفل موجودة أيضا في المدرسة باعتبارها مؤسسة تربوية، هذا الاقتران بين العنف و التربية يجعله أكثر قبولا من الأفراد، مع ذلك يميل أغلب الأفراد إلى التقييم السلبي لتأثير عنف المعلم، عكس تقييمهم لتأثير عنف الوالدين، حيث يميل أغلبهم لاعتبار تأثيره الإيجابي.
- يوجد فرق في تقييم الأفراد لتأثير عنف المعلم من الناحية التربوية بدلالة الجنس و المستوى التعليمي، حيث تميل الإناث أكثر من الذكور إلى التقييم الإيجابي لتأثير عنف المعلم، و يميل الأفراد من المستوى التعليمي المتوسط و الثانوي للتقييم الإيجابي لعنف المعلم أكثر مقارنة بالأفراد ذوي المستوى الجامعي.

- الأفراد الذين تعرضوا للعنف في المدرسة أكثر ممارسة للعنف مقارنة بغيرهم. ترتبط ممارسة الأفراد للعنف الأسري بمؤشر تعرضهم للعنف من طرف المعلمين في المدرسة (كاي² = 4,257، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,039، معامل فاي = 0,126).
- الأفراد الذين تعرضوا للعنف من المعلم أكثر ممارسة للعنف المنزلي من الذين لم يتعرضوا لهذا العنف، بغض النظر عن تقييمهم لتأثيره سواء إيجابيا كان أم سلبيا.
- الأفراد ذوي التقييم الإيجابي لتأثير عنف المعلم أكثر ممارسة للعنف المنزلي و أكثر استعمالا للضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة مقارنة بذوي التقييم السلبي.
- يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الحوار الأسري، حيث أن الأفراد الذين يجلسون للتحاور في الأسرة أقل ممارسة للعنف المنزلي مقارنة بالأفراد الذين لا يجلسون للتحاور.
- ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بتقديرهم لحجم الحوار الأسري، فالأفراد الأكثر تحاورا في أسرهم أقل ممارسة للعنف المنزلي من الذين لا يتحاورون بشكل كافي (كاي² = 4,560، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,033، معامل فاي = -0,131).

اختبار الفرضية الثالثة.

1- التحليل الكمي الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الثالثة.

1.1- تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر.

2.1- تصور العنف كنوع من التنشئة على الخشونة لفائدة الطفل.

3.1- تصور موقف الإسلام من إجازة العنف في التعامل مع الطفل.

4.1- تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل.

5.1- تصور موقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الطفل.

6.1- تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعامل معه بعنف.

7.1- تصور الأفراد للعلاقة والدين/طفل.

2- نتائج اختبار الفرضية الثالثة.

1- التحليل الكمي و الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الثالثة:

نص الفرضية الثالثة:

العنف الممارس على الأطفال من طرف آبائهم هو نتيجة للتصورات التي يحملها هؤلاء عن العنف، و عن الطفل في علاقته بوالديه.

المؤشرات التي تدخل في اختبار الفرضية الثالثة:

- السن؛ الجنس؛ المستوى التعليمي؛ الحالة المدنية.
- تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر.
- تصور العنف كنوع من التنشئة على الخشونة لفائدة الطفل.
- تصور موقف الإسلام من العنف على الطفل.
- تصور العنف كأسلوب ناجح في التربية.
- تصور موقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الطفل.
- تصور الطفل ملك لوالديه.
- الموقف من تدخل الدولة في حال العنف الأسري على الطفل.
- تصور العلاقة والدين/طفل.
- ممارسة العنف المنزلي.
- استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة.

1.1- تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر:

14,2 % فقط من الأفراد يعتقدون أن العنف أسلوب ناجح في التعامل مع الآخر (جدول 55 في الملحق).

يميل الذكور أكثر من الإناث إلى تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر (17,1 % من الذكور، مقابل 12,2 % من الإناث) (جدول 56 في الملحق).

يميل العزاب أكثر من المتزوجين إلى تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر (18,2 % من العزاب، مقابل 12,8 % من المتزوجين) (جدول 57 في الملحق).

لا يرتبط تصور العنف كأسلوب للتعامل مع الآخر بالمستوى التعليمي للأفراد (جدول 58 في الملحق).

تبرير الموقف من اعتبار العنف أسلوبا ناجحا في التعامل مع الآخر:

من إجابات الأفراد يمكن استخلاص المبررات التالية للموقف من اعتبار العنف أسلوبا ناجحا للتعامل مع الآخر:

أولا، الموافقون، بمعنى الذين يعتبرون العنف أسلوبا ناجحا للتعامل مع الآخر: و هي المبررات التي ترى العنف في مفهوم القوة، أو العنف المضاد، و تشتت المرور أولا بالأساليب الأخرى غير العنف، كالحوار مثلا، أو مع أشخاص معينين لا تنفع معهم هذه الأساليب: "شرط إذا نفذت كل السبل"، "في بعض الأحيان يلعب العنف دورا كبيرا في تربية بعض الأشخاص الذين يتمادون في إزعاج الناس بأفعالهم"، "كثير من المواقف يمكن حلها بالقوة لردع الخارجين عن القانون و المعتدين و غير المحترمين للآخر"، "بعض الحالات الطريقة الأنجع و الأنسب هي استعمال العنف، خصوصا مع الأشخاص عديمي الضمير و الأخلاق، لأن الكلام معهم لا يجدي نفعا"، "مع أناس، المعاملة الحسنة و اللينة في تصورهم ضعف، و يتعاملون من هذا المنطلق، لذا العنف أقرب الطرق للتعامل معهم"، "بعض المواقف تستدعي العنف بالنظر إلى المنطق السائد في المجتمع، و إلا تعرض الفرد لإهانات و تعدي"،

"للحصول على رخصة من طرف المسؤولين، لن نتحصل عليها إلا باستعمال العنف اللفظي بعد انتهاج كل الأساليب القانونية"، "أحيانا لا بد من استعمال العنف"، "في حالات ضيقة جدا و يمكن اعتباره وسيلة ردع"، "أحيانا يجب التعنيف، لكن قليلا و في الوقت المناسب"، "في حال التأكد أن القرار متخذ لصالح الجماعة، أما في حال وجود أطراف واعية و متفهمة فهذا يسهل التعامل و يلغي العنف"، "حسب الشخص المقصود".

ثانيا، غير الموافقين، بمعنى الذين لا يعتبرون العنف أسلوبا ناجحا للتعامل مع الآخر: و تقوم مبرراتهم على اعتبار نتائج العنف، الذي لا يولد إلا العنف، و لا يحلّ المشكلات بل يزيدها تعقيدا، و يمكن أن يؤدي إلى المأساة، التي لا تتوقف عند مستوى الشخص بل المجتمع ككل، و بالرغم من اعترافهم بالجانب الأداتي للعنف أحيانا، كحلّ أخير، إلا أنهم لا يوافقون على اعتباره أسلوبا ناجحا؛ أو على اعتبار أن العنف مخالف للأخلاق و الدين، و يرجعون في الاستدلال على ذلك بالآية من القرآن الكريم، أو بالحديث الشريف؛ أو لاعتبار أنه لا يليق بالإنسان، و لتفضيل أساليب أخرى غير العنف و القوة، و بالنسبة للبعض العنف هنا ليس مرادفا للقوة، بل للضعف: "العنف لا يولد إلا عنفا"، "العنف يزيد من حدّة المشاكل و لا يحلّها"، "العنف لا يخدم المصالح و لا يقضي الحاجات"، "استعمال العنف يؤدي إلى أكثر صلابة في الموقف و أمور خطيرة قد تصل حتى القتل"، "العنف يضاعف المشاكل و لا يحلّها، و ينتج عن ذلك أمراض نفسية"، "استعمال القوة نتائجه سلبية"، "العنف لا يجلب أي نتيجة سوى سوء العاقبة"، "تأثيره سلبي على الفرد و المجتمع"، "العنف يؤدي إلى تدهور العلاقات بين الناس"، "العنف هو الحل الأخير، في بعض الحالات يكون العنف أفضل طريقة لأخذ حقل من الناس، و أحيانا العنف يؤدي إلى العنف"، "أحيانا يكون العنف الطريقة الوحيدة للتعامل مع بعض الأشخاص، أما في حالات كثيرة فلا"، "يولد البغضاء و الحقد، و لكن الانسان المسلم يدفع ثمن وعيه أحيانا، لذا يجدر به المثل: اضربه يعرف مضربه (مكانه)"، "أحيانا مع الأشخاص الذين يستعملون العنف"، "العنف يؤدي إلى طريق مسدود، و نتائجه وخيمة على الفرد و بالتالي المجتمع"، "يؤدي إلى تفشي الكره و الضغينة بين أفراد المجتمع"، "يؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباها خاصة مع الأطفال و المراهقين"، "العنف يجابه دائما بعنف مضاد، كما أن العنف لم يصبح حكرا على طائفة معينة بل خاصية جماعية اللفظي و الجسدي منه"، "العنف يولد الحقد و الكراهية

بين الناس و هذا بنا في تعاليم ديننا الكريم"، "عواقبه وخيمة و الاسلام حذر من هذا"، "...و لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك..." (الآية 159 آل عمران)، "ليس من هدي النبي (ص)", "الرسول (ص) وصّى بالرفق بالأطفال"، "الضعيف يستعمل العنف ليغطي ضعفه"، "لا الدين و لا الأخلاق و لا العرف يحثّ على ذلك (الآية)", "...ما كان الرفق في شيء إلاّ زانه..." (الحديث عن عائشة، رواه مسلم)، "قانون الغابة لا يليق بمن خلّقوا ليتعارفوا و يتعايشوا"، "لأني أحبّ التآخي و المحبة و الألفة بين الناس عامة و أحبّ السلم في بلادي"، "بل الكلمة الطيبة"، "العنف قناع كل شخصية ضعيفة و غير مسؤولة".

35,6 % من الأفراد سبق أن تعرضوا للعنف خارج الأسرة (جدول 59 في الملحق).

90,3 % من الأفراد يتصورون أن المجتمع سيكون أكثر عنفا في المستقبل (جدول 60 في الملحق).

14,6 % فقط من الأفراد يستعملون العنف في التعامل خارج الأسرة (الجدول 61 في الملحق).

أكثر أشكال العنف خارج الأسرة حسب تصريح الأفراد هي العنف اللفظي، أو التعبير عن الغضب، و أحيانا قليلة فقط العنف الجسدي: "النرفزة السريعة و بالتالي التعامل بخشونة"، "العنف الشفوي"، "الكلام بصوت مرتفع"، "كلام جارح"، "الخشونة في الألفاظ أو تعابير إيماءات الوجه"، "الصراخ أثناء التعامل و إبداء الغضب"، "الشدة في القول"، "الضرب عند وقوع شجار".

تصور الأسباب التي تؤدي إلى استعمال العنف في التعامل مع الآخر خارج الأسرة:

من إجابات الأفراد حول الأسباب التي تؤدي إلى استعمال العنف في التعامل مع الآخر خارج الأسرة، يمكن استخلاص أهم الأسباب في الفئات التالية:

أولا، التنشئة الأسرية: "التربية الأسرية"، "انعدام التربية السوية"، "الأسرة التي يكثر فيها العنف"، "تعرض الطفل للعنف من طرف والديه"، "التمييز بين الذكور و الإناث في المعاملة الأسرية"، "القدوة العنيفة"، "التربية على الأنانية".

ثانياً، الأسباب الاقتصادية والاجتماعية و انعكاساتها النفسية و المعنوية: "المشاكل الاقتصادية و الاجتماعية"، "الوضعية المالية السيئة"، "الظروف المعيشية السيئة"، "أسباب نفسية و اجتماعية"، "العلاقات الأسرية"، "البطالة"، "العنوسة"، "الطلاق و التفكك الأسري"، "الضغوط و المشاكل التي تحدث بين الناس، و الجوار، و الأطفال"، "الضغوط النفسية و المشاكل و الصعوبات في الحياة اليومية"، "الضغط و الكبت في البيت و في العمل"، "الضغط و الاكتظاظ و سوء الخدمات كالنقل".

ثالثاً، غياب الحوار و نقص الاتصال: "فشل أساليب الإقناع السلمية"، "غياب الحوار داخل الأسرة و انعكاس ذلك على التعامل خارجها"، "عدم فهم الناس لبعضهم"، "عدم التفاهم أثناء الحوار"، "غياب ثقافة الحوار"، "الرأي و الرأي الآخر لا وجود"، "نقص التواصل الاجتماعي"، "عدم امتلاك أساليب الإقناع"، "عدم فهم الآخر"، "تضارب المفاهيم".

رابعاً، غياب التحضر و انتشار ثقافة العنف: "غياب الوعي"، "غياب الأخلاق"، "غياب القيم و عدم وضوح المعايير للتعامل بين الناس"، "الجهل"، "عدم تملك قدر كافي من حسن التعامل"، "عدم التحضر"، "صورة الآخر"، "قراءة سلوك الآخرين بسلبية و عدم قبول فكرة الآخر"، "عدم مبالاه الانسان بأخيه الانسان"، "نقص الوعي خاصة الديني"، "عند التقليل من شأن الآخر"، "المفهوم الخاطيء حول العنف، الاعتقاد بأنه سبيل لفرض الوجود و إثبات الذات"، "ظهور ثقافة الحصول على كل شيء بالوسائل المتاحة"، "المفهوم الخاطيء للشجاعة عند البعض".

خامساً، الظلم و غياب العدالة: "التعدي على الحرمات و الحريات الفردية"، "عدم تطبيق القانون بصرامة"، "التعدي على حقوق البعض"، "غياب العدالة الاجتماعية"، "حالات الظلم".

سادساً، ردّ فعل مضطر لسلوك الآخرين: "تصرفات الآخر و سلوكاته"، "من أجل تغيير سلوك الشخص الذي لم يحترم الغير"، "استفزاز من الغير دون سبب"، "الشعور بعدم الاحترام و التقدير"، "للدفاع عن النفس عند الشعور بالتهديد"، "تصرفات الناس خارج الأسرة"، "الاستفزاز من الآخر يؤدي إلى الغضب و هذا الأخير إلى العنف"، "ردّ فعل مجبر على استعماله"، "الذي يكون عنيف معك يجعلك تستعمل العنف"، "طريقة للانتقام من عنف استعماله ضده".

سابعاً، الآفات الاجتماعية: "مخالطة أصحاب السوء"، "تعاطي المخدرات".

94,8 % من الأفراد يفضلون أساليب أخرى غير العنف للتعامل خارج الأسرة (جدول 62 في الملحق).

و يمكن تلخيص هذه الأساليب التي يفضلها الأفراد في التعامل مع الآخر، في ما يلي:

- قيم و أخلاق أخرى ضد العنف: "الصبر"، "الحلم"، "التسامح"، "النصح"، "خدمة الآخر دون انتظار المقابل"، "التحكم في الأعصاب أثناء الغضب"، "مقابلة السيئ بالحسن"، "المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده (الحديث)"، "عدم المعاملة بالمثل في حال العنف من الآخر".
- الحوار: "الحوار"، "الاستماع للرأي الآخر"، "الحوار في هدوء"، "تجنب فرض الرأي"، "تقبل آراء الآخرين".
- التفتح على الآخر: "احترام الآخرين"، "قبول التعدد و الاختلاف"، "التعرف على الآخر"، "النية الحسنة في التعامل".
- العدالة: "إعطاء كل ذي حق حقه"، "التزام الحدود، الحقوق و الواجبات".
- المقاطعة: "تجاهل المغرورين"، "الانعزال عن الناس"، "تجنب التعامل إطلاقاً في حال وجود أطراف متعصبة"، "تجاهل الأشخاص"، "اللامبالاة أحياناً"، "عدم الاكتراث".

جدول رقم 63: ممارسة العنف بدلالة تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر:

المجموع		ممارسة العنف				تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر
		لا		نعم		
100	38	26,3	10	73,7	28	نعم
100	229	39,3	90	60,7	139	لا
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

نقرأ من الجدول 63 ما يلي: 73,7 % من الأفراد الذين يتصورون أن العنف أسلوب ناجح في التعامل مع الآخر يمارسون العنف المنزلي، مقابل 60,7 % من الذين لا يتصورون العنف كأسلوب ناجح. يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة تصورهم للعنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر.

جدول رقم 64: استعمال الضرب مع الأطفال بدلالة تصور العنف كأسلوب ناجح مع الآخر:

المجموع		استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال				تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر
		لا		نعم		
100	38	52,6	20	47,4	18	نعم
100	229	59,4	136	40,6	93	لا
100	267	58,4	156	41,6	111	المجموع

نقرأ من الجدول 64 ما يلي: 47,4 % من الأفراد الذين يتصورون أن العنف أسلوب ناجح في التعامل مع الآخر يستعملون الضرب في التعامل مع الأطفال، مقابل 40,6 % من الأفراد الذين لا يتصورون العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر.

يوجد فرق في استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بدلالة تصورهم للعنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر.

2.1- تصور العنف كنوع من التنشئة على الخشونة لفائدة الطفل:

7,1 % من الأفراد يتصورون العنف لفائدة الطفل، حيث يجعله ينشأ على الخشونة و من ثمة يضمن له مكانه في المجتمع.

يميل الذكور أكثر من الإناث إلى تصور أن العنف فيه فائدة للطفل من حيث أنه يجعله ينشأ على الخشونة و من ثمة يضمن له مكانة في المجتمع (9 % من الذكور، مقابل 5,8 % من الإناث) (جدول 65 في الملحق).

لا ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بمؤشر تصورهم لاستعمال العنف كنوع من التنشئة على الخشونة لفائدة الطفل (جدول 66 في الملحق).

تبرير الموقف من اعتبار العنف كنوع من التنشئة على الخشونة لفائدة الطفل:

أولاً، الموافقون: و هي المبررات التي تقوم على اعتبار الخشونة من الشروط الاجتماعية، و بالتالي تنشئة الطفل على ذلك، و يستدل بعضهم بطرق التربية في الماضي، العنف هنا مرادف للخشونة، و للحزم: "بما أن المجتمع يتعامل بخشونة فيجب تعويد الطفل على هذه الخشونة"، "في بعض الأسر العنف يربي الأبناء، في القسمة كان الآباء يعذبون أبناءهم"، "عندما يكون العنف في المكان المناسب"، "أفضل الضرب، لأن الحزم يجعل من الطفل رجلاً مسؤولاً و ليس فرداً مائعاً".

ثانياً، غير الموافقين: و هي المبررات التي تقوم على اعتبار نتائج العنف على الطفل، بالرغم من اعتراف بعضهم بجانب إيجابي فيه أحياناً، لكنه اعتراف لم يجعلهم يوافقون؛ و يستدل بعضهم بالاستناد إلى

التعاليم الدينية، و عدم لياقة العنف بالإنسان؛ و تقوم مبرراتهم على رفض هذا الاعتقاد و تفضيل أساليب أخرى، كالتربية الحسنة، و الدراسة، و الرياضة: "الخشونة صفة سيئة لكن أحيانا تأتي بنتائج مرضية"، "العنف يجعلهم يحقدون على المجتمع و يعزلون عنه، و أحيانا نعم مع مجتمع عنيف"، "العنف المتكرر يجعلهم ينحرفون، و من حين لآخر يجوز من أجل تربيتهم"، "في بعض الحالات نعم، و لكن العنف ينشئ طفلا عنيفا و متعصبا، و في المقابل الليونة الشديدة تضر بشخصيته"، "ليس بالضرورة فالأطفال الذين ينشئون على الخشونة هم من يسبب المشاكل"، "يصبح الطفل عديم الاحساس بأقرب الناس إليه"، "يعيش الطفل حياته معقّد و يفرض هيمنته بالقوة"، "ينشأ لديهم عقد نفسية تؤدي بهم إلى الانحراف و الجريمة"، "العنف يولّد العنف و ليس الشجاعة"، "اعتقاد خاطئ"، "ينشئون على الخشونة نعم، و لكن هذا لا يضمن لهم مكانة بل بالعكس"، "استعمال العنف يؤدي إلى الخشونة و الانحراف كالمخدرات و الهروب من المنزل و الكذب و المغالطة"، "ينشأ الأطفال على غير أدب و تربية"، "العنف يؤثر على الحالة النفسية للطفل تأثيرا سلبيا"، "العنف ضد الأطفال يجعلهم يتكلمون"، "إذا تعود الطفل على العنف ستضعف شخصيته و هذا يؤدي به إلى عدم الثقة بالنفس و بالتالي الخوف من الآخر"، "إما السجن أو الأمراض العقلية"، "بل سيمحي شخصيتهم"، "يؤدي إلى الخشونة فيصبح عنيف و غير مسالم و غير لائق في المجتمع يجعلهم منبوذين في المجتمع"، "بل ينزع منهم المكانة"، "الإسلام لم يحثنا على وضع مكانة للطفل بالخشونة و العنف بل بالتربية المستقيمة"، "نهى الرسول (ص) عن ذلك"، "...بعثت لأتمم مكارم الأخلاق..." (الحديث)، "الدين ينهى عن العنف"، "العنف في غير موضعه لا يأتي إلّا بشرّ، و إثبات المكانة لا يكون إلّا بالجدّ"، "لا تكن لنا فتعصر و لا تكن يابسا فتكسر"، "ممارسة الرياضة نعم"، "المشاكل تحلّ بالعقل و ليس بالعنف"، "يجب تربية الطفل على الحنان و الاحترام مع الشجاعة و عدم الخوف لمواجهة الحياة"، "بل اللباقة و ما يكتسبه الفرد من مهارات و قدرات فكرية"، "بل المعرفة هي التي تضمن مستقبل في الحياة الشخصية و المهنية"، "التكوين و التربية الحسنة نتيجتها النجاح و القوة"، "بل الإقناع و التوعية و التنشئة السويّة هي التي تجعل لهم مكانة في المجتمع"، "المكانة تكون بالأخلاق الحسنة و الدراسة و حسن التعامل مع الأشخاص لا بالعنف"، "المكانة بحسن الخلق و الأدب مع الناس، نحن مجتمع إنساني و ليس حيواني".

3.1- تصور موقف الإسلام من إجازة العنف في التعامل مع الطفل:

44,2 % من الأفراد يعتقدون أن الإسلام يجيز استعمال العنف في التعامل مع الطفل (45,5 % من الذكور، و 43,2 % من الإناث) (جدول 67 في الملحق).

يميل العزاب أكثر من المتزوجين إلى الاعتقاد بأن الإسلام يجيز استعمال العنف في التعامل مع الطفل (50,8 % من العزاب، مقابل 42,6 % من المتزوجين) (جدول 68 في الملحق).

لا يرتبط تصور الأفراد لموقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل بدلالة المستوى التعليمي (جدول 69 في الملحق).

تبرير الموقف من فكرة أن الإسلام يجيز استعمال العنف في التعامل مع الأطفال:

أولاً، الموافقون: و هم الأفراد الذين يبررون موقفهم بالعودة أساساً إلى عبارة "اضربوهم عليها و هم أبناء عشر" من حديث أخرجه أحمد و أبو داود "مروا أولادكم بالصلاة و هم أبناء سبع سنين و اضربوهم عليها و هم أبناء عشر سنين و فرقوا بينهم في المضاجع"، و يتوقف بعضهم في استعمال الضرب عند حال ترك الصلاة، بينما يعمم بعضهم ذلك إلى حال معصية الله، و معصية الوالدين، و التهاون في أداء الواجبات، و ارتكاب الأخطاء؛ و يعتبر البعض منهم أن هناك نوع من الضرب المقبول و المعقول، بينما يستعمل البعض عبارة عنف بدلاً من ضرب المستعملة في الحديث، و يميزون بين عنف جيد، و إيجابي، يخضع لشروط و ضوابط، و عنف سلبي: "..اضربهم في عشر (الحديث)"، "الإسلام يستعمل العقل في تربية الأطفال بنصحهم و إرشادهم، التعنيف في الصلاة، أدبهم لعشر (الحديث)"، "في الصلاة أو في حال الأعمال السيئة يمكن استعماله"، "الغرض التربية على أحسن وجه دون الإفراط في ذلك"، "عندما يرتكبون أخطاء، من أجل تأديبهم و دون تشويهم"، "في حالة معصية الخالق أو الوالدين"، "العنف الذي يحث عليه الإسلام غير العنف المستعمل في الأسر"، "يجوز الضرب في حدود المعقول"، "هناك عنف إيجابي و مدروس لشريحة من الأطفال المتمردين و العاصين في مواقف كالصلاة و الدراسة و الالتزام بالواجبات إلخ"، "استعمال العنف الذي يؤدي إلى نشأة صالحة، إذا تهاون في واجباته فالعنف ضروري"، "في حالة عدم تجاوب الطفل مع

الأساليب المثلى للتعامل و الرجوع عن أخطائه و في حالة تجاوز الخطوط الحمراء هنا تتواجد ضرورة العنف"، "التقويم سلوك ما خاصة إذا تعلق الأمر بأداء الفرائض"، "إذا لم يعاقب لا يقوّم"، "الإسلام أباح الضرب و التعزير لتنشئته، اضربوهم لعشر (الحديث)"، "العنف الغير مبرح، و يستعمل العنف بعد التعليم فقط"، "بطريقة حضارية و لينة"، "العنف الخفيف الذي يؤدي إلى الإصلاح لا العنف الجسدي الذي يخلّف نتائج سلبية جسدية و نفسية على مستوى الشخصية"، "إذا كان الإسلام يميزه فهناك حُكم في ذلك"، "جواز مضبوط بضوابط، مثل المرحلة العمرية المقبولة و نوع العنف المقيد بشروط".

ثانياً، غير الموافقين: و هي المبررات التي تقوم على اعتبار الإسلام ضد العنف، و أن العنف ليس من الأخلاق الحسنة، و هم يستدلون على ذلك بعبارات من الأحاديث و بالإشارة إلى السيرة النبوية، و يعتبرون القيم ضد العنف التي يحث عليها الإسلام، من مثل الرحمة، و التسامح، و بالرغم من تصريحهم بإمكانية استعمال الضرب فهم يخضعونه لشروط، كأن يكون ضرباً خفيفاً مثلاً، فهم يرون أن الرفق و الرحمة هي القيم الأساسية، و أن الضرب استثناء؛ يميز بعضهم بين العنف و الضرب، فيعتبر الضرب الخفيف ممكناً و مقبولاً لكن ليس العنف: "الإسلام ضد العنف، دين رحمة و تسامح". "صحيح في بعض الحالات كالصلاة نلجأ لتأديبه أو نلجأ للضرب و لكن ليس العنف"، "ليس منا من لم يوقر كبيرنا و يرحم صغيرنا... (الحديث)"، "دين يسر و ليس دين عسر و دين تأديب الأطفال، و لكن الضرب الرحيم أو العقوبة الخفيفة الذكية غير الضارة لتربيتهم"، "الإسلام يحث على الحوار و التربية الحسنة و عدم استعمال العنف و الضرب"، "دين رحمة: سيرة الرسول (ص) مع الحسن و الحسين"، "الإسلام لم يجر العنف، العبرة منه (ص) كان يحب كثيراً الأطفال"، "الإسلام حثنا على المعاملة الجيدة للأطفال لقوله (ص) علموهم لسبع و اضربوهم لعشر (الحديث) و يقصد هنا الضرب التأديبي و ليس المبرح"، "يميز تأديب الأطفال أي عنف طفيف فقط"، "هناك خلط في المفاهيم بين العنف و الضرب"، "الإسلام يحث على الرفق و يمنع العنف عامة و على الأطفال خاصة"، "الراحمون يرحمهم الرحمان (الحديث)"، "سيرة المصطفى (ص) توضح ذلك"، "ما ضرب النبي (ص) بيده الشريفة صبياً و لا امرأة قط"، "المشروع في الإسلام ضرب التأديب و ليس ضرب التعذيب"، "العنف ضرر بالطفل، و يتنافى مع مقاصد الشريعة، لا ضرر و لا ضرار (الحديث)"، "الإسلام يحرم العنف حتى مع

الحيوانات فكيف مع الأطفال"، "الإسلام يحث على التربية الحسنة و المعاملة للأطفال بلطف و ليس بعنف"، "أقربكم مَنّي منازلًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا (الحديث)"، "الإسلام يدعو إلى مصاحبة الأبناء، و جعلهم قرة أعين"، "الإسلام يحث على المحبة و الإيمان و ليس العنف و الشجار بل المسامحة و الأخوة".

جدول رقم 70: ممارسة العنف بدلالة تصور موقف الإسلام استعمال العنف في التعامل مع الطفل:

الإسلام يميز استعمال العنف في التعامل مع الأطفال	ممارسة العنف				المجموع	
	نعم		لا			
نعم	79	69,3	35	30,7	114	100
	81	56,3	63	43,8	144	100
المجموع	160	62,0	98	38,0	258	100

من الجدول 70 نقرأ ما يلي: 69,3 % من الأفراد الذين يعتقدون بأن الإسلام يميز استعمال العنف في التعامل مع الطفل يمارسون العنف، مقابل 56,3 % من الذين لا يعتقدون بأن الإسلام يميز استعمال العنف في التعامل معهم (كاي²=4,598، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة=0,032، معامل فاي=0,133).

ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بتصورهم لموقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل، الأفراد الذين يعتقدون بأن الإسلام يميز استعمال العنف في التعامل مع الطفل أكثر ممارسة للعنف من غيرهم.

جدول رقم 71: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور موقف الإسلام من إجازة

استعمال العنف في التعامل مع الطفل:

الإسلام يميز استعمال العنف في التعامل مع الأطفال	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال		المجموع	
	نعم	لا		
نعم	58	56	114	100
لا	50	94	144	100
المجموع	108	150	258	100

نقرأ من الجدول 71 ما يلي: 50,9 % من الأفراد الذين يعتقدون أن الإسلام يميز استعمال العنف في التعامل مع الطفل يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال، مقابل 34,7 % من الأفراد الذين يتصورون أن الإسلام لا يميز استعمال العنف في التعامل مع الطفل (كاي=2، 6,823، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة= 0,009، معامل فاي= 0,163).

يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم لموقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل.

4.1- تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل:

19,9 % من الأفراد يعتبرون العنف أسلوباً ناجحاً في تربية الطفل (21,6 % من الذكور، مقابل 18,6 % من الإناث) (جدول 72 في الملحق).

يميل الأفراد من المستوى التعليمي المتوسط و الثانوي إلى تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل أكثر من الأفراد ذوي المستوى التعليمي الجامعي (22,4 %، مقابل 18,8 %) (جدول 73 في الملحق).

تبرير الموقف من اعتبار العنف أسلوبا ناجحا في تربية الأطفال:

أولاً، الموافقون: يعتقد هؤلاء أننا أحيانا يجب علينا اللجوء للعنف، خاصة مع فئة معينة من الأطفال المتمردين، الذين تفشل معهم الأساليب الأخرى، من أجل تقويم سلوكهم، و تربيتهم، و تعليمهم، بشرط أن يكون ذلك دون إفراط، بعد استنفاد الأساليب الأخرى: "يجب علينا في بعض الأحيان فعل ذلك"، "في بعض الحالات"، "لأن الأطفال في هذا الوقت متمردين"، "هناك أطفال يستلزم عليك استعمال العنف معهم لتربيتهم و نهيهم لترك أفعال سيئة"، "لتقويم سلوك تجاه الله أو تجاه المجتمع يكون الزجر، خاصة إذا تعلق الأمر بالأخلاق"، "العنف المدروس لشريحة معينة من الأطفال"، "شرط أن يكون بدون إفراط دون أن ننسى لغة الحوار"، "استعمال العنف يكون في غالب الأحيان من أجل التعليم و التربية و تغيير السلوك"، "لتقويم سلوكه تجاه الله أو تجاه المجتمع يكون الزجر، خاصة إذا تعلق الأمر بالأخلاق"، "أولا يبحث الوالدين السبل الكفيلة لإرشاد الأولاد و خاصة المراهقين و في الفشل يلجأ إلى العنف"، "في بعض الحالات ينزع بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن".

ثانياً، غير الموافقين: ينطلقون أساساً من النتائج السلبية للعنف على الطفل، و على العلاقة بين الطفل و والديه، و على المجتمع ككل، و هم بذلك يعتبرون العنف أسلوباً فاشلاً، لا يأتي بنتائج إيجابية، و هو تعبير أيضاً عن فشل الوالدين في تربية أطفالهم؛ و أن التربية فن، تقوم على قيم أخرى غير العنف، كالرفق، و اللين، و لها أساليب أخرى، كالقدوة، و هم يلجأون أحيانا في تأكيد ذلك إلى عبارات من الأحاديث النبوية؛ و بالرغم من اعتراف بعضهم بإمكانية استعمال العنف أحيانا إلا أن هذا لم يجعلهم في فئة الأفراد الذين يعتبرون العنف أسلوباً ناجحاً في التعامل مع الطفل: "العنف ينتج أطفالاً مضطربين نفسياً"، "يولد لدى الطفل عقد نفسية"، "العنف الزائد يؤدي إلى اختلال الطفل"، "قد يؤدي إلى إعاقة جسدية أو ذهنية"، "الطفل المعرض للعنف يرد بالعنف على أولياءه"، "أسلوب غير ناجح يؤدي إلى هروب الأطفال من المنزل"، "يؤدي إلى العنف و إلى فرار الأطفال في سن متقدمة غالباً"، "العنف المجاني يؤدي إلى الضغينة و الحقد على الوالدين، إنما يجب تبين الأخطاء و تحميل المسؤولية إذا كان هناك تعمد"، "يمحي شخصية الطفل و يجعله منبوذ في المجتمع"، "تربية الأطفال على العنف تولد مع الوقت مجتمعا فاسدا كما نرى اليوم الجريمة"، "استعمال العنف دليل على فشل

الوالدين"، "التربية فن يجب استعمال كل الأساليب و ترك العنف"، "الاعتناء بالطفل منذ الصغر"، "التوعية أسلوب أنجح من العنف"، "اللين و القدوة و التربية الحسنة"، "إن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً أدخل عليه الرفق (الحديث)"، "ما كان الرفق في شيء إلا زانه و ما نزع منه إلا شانه (الحديث)"، "المسلم يسعى لأن يجعل من الأطفال رجال رحماء بينهم"، "التربية على الإسلام الذي يدعو إلى الرحمة و الخير و المحبة"، "يجب التعامل بأساليب أخرى تؤدي إلى التربية الحسنة بدلا من العنف"، "التربية لا تكون بالعنف بل بالتعليم الجيد و الإرشاد و التوعية و العمل الجيد"، "نلجأ إليه في حالة عدم استجابة الطفل لكلام والديه"، "يجوز تعنيف الأطفال في حالة ما إذا أخطؤوا".

جدول رقم 74: ممارسة العنف بدلالة تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل:

المجموع		ممارسة العنف				تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل
		لا		نعم		
100	53	22,6	12	77,4	41	نعم
100	214	41,1	88	58,9	126	لا
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

نقرأ من الجدول 74 ما يلي: 77,4 % من الأفراد الذين يتصورون أن العنف أسلوب ناجح في تربية الأطفال يمارسون العنف المنزلي، مقابل 58,9 % من الذين لا يتصورون العنف أسلوبا ناجحا في تربية الأطفال (كاي²=6,193، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,013، معامل فاي = 0,152).

ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بتصورهم للعنف كأسلوب ناجح في تربية الأطفال، حيث أن الأفراد الذين يتصورون أن العنف أسلوب ناجح في تربية الأطفال أكثر ممارسة له.

جدول رقم 75: ممارسة العنف المنزلي بدلالة تصور العنف "نمط سلوك غير مقبول مُتعلّم":

المجموع		ممارسة العنف		تصور العنف "نمط سلوك غير مقبول مُتعلّم"	
		لا	نعم		
100	28	60,7	17	39,3	11
100	222	33,3	74	66,7	148
100	250	36,4	91	63,6	159

نقرأ من الجدول 75 ما يلي: 39,3 % من الأفراد الذين يعتبرون العنف المنزلي على الأطفال "نمط سلوك غير مقبول مُتعلّم" يمارسون العنف، مقابل 66,7 % من الذين لا يعتبرونه كذلك (كاي=2=8,052، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,004، معامل فاي = 0,179).

ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بتقييمهم للعنف، فالأفراد الذين يعتبرون العنف المنزلي على الأطفال "نمط سلوك غير مقبول مُتعلّم" أقل ممارسة له.

من تفيئة إجابات الأفراد عن السؤال حول تصورهم لأسباب العنف المنزلي الممارس على الطفل استخلصنا الفئة "نمط سلوك غير مقبول مُتعلّم"، التي تضمّ العبارات التالية: "تربية الوالدين"، "عدم تدوين الأسرة يجعل الرجل قاسي القلب"، "طباع أفراد العائلة الأب و الأم و الإخوة"، "وسائل الإعلام و البرامج التي تشجع العنف"، "التربية، فمن عَنّف في صغره يعنف أولاده"، "ضعف الشخصية"، "الفرد مورس عليه العنف يكون عنيفا"، "التوارث السلبي للتربية"، "العنف عند الكبار"، "الطفولة التعيسة و القاسية لأحد الوالدين و منه نقص الحنان"، "غياب الحنان عند الوالدين"، "وسائل الإعلام و البرامج التي تشجع العنف"، "إرضاء سطوة و جبروت الأب المتقمص لدور الأبوة"، "الطفولة الصعبة للوالدين أو استعمال العنف ضدهم"، "استبداد الأولياء بآرائهم"، "شخصية الوالدين، عصبيان مثلاً".

جدول رقم 76: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور العنف كأسلوب ناجح في

تربية الطفل:

المجموع	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال		تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل	
	لا	نعم		
100 : 53	39,6 : 21	60,4 : 32	نعم	
100 : 214	63,1 : 135	36,9 : 79	لا	
100 : 267	58,4 : 156	41,6 : 111	المجموع	

نقرأ من الجدول 76 ما يلي: 60,4 % من الأفراد الذين يتصورون العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل يستعملون الضرب في التعامل مع الأطفال، مقابل 36,9 % من الأشخاص الذين يتصورون أن العنف أسلوب غير ناجح في تربية الطفل (كاي² = 9,626، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,002، معامل فاي = 0,190).

يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم للعنف كأسلوب ناجح في تربية الأطفال، فالأفراد الذين يتصورون العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل أكثر استعمالاً للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بغيرهم.

5.1- تصور موقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الطفل:

66,8 % من الأفراد يعتقدون بأن الإسلام يجيز استعمال الضرب في التعامل مع الطفل.

يميل الذكور أكثر من الإناث إلى تصور أن الإسلام يجيز استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال (70,8 %، مقابل 63,9 %) (جدول 77 في الملحق)

لا يرتبط تصور الأفراد لموقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بالمستوى التعليمي (جدول 78 في الملحق).

تبرير الموقف من فكرة أن الإسلام يجيز استعمال الضرب في التعامل مع الطفل:

أولاً، الموافقون: يركز أصحاب هذا الموقف على حديث(..اضربوهم لعشر..)، و يؤكدون على أن يكون الضرب خفيفاً، غير مبرح، و غير مؤذ، كعلاج أخير بعد استنفاد الأساليب الأخرى، و يعتبره البعض نوعاً من الردع و ليس أسلوباً تربوياً، و في حين يعتقد بعضهم أن الضرب يكون في مسألة الصلاة فقط، يعمم البعض الآخر استعماله في التأديب مهما كان موضوعه: "و اضربوهم عليها لعشر..(الحديث)"، "غير المؤذي لمعاقبة الطفل على فعل ما قبيح (الحديث)"، "بعقلانية (الحديث)"، "أجاز الإسلام الضرب الخفيف الذي غايته التأديب لا التعذيب"، "ضرب غير مبرح، الذي يصحح الطفل"، "الصلاة و الأمور المهمة ينبغي أن يضرب الطفل عليها و لكن للتأديب فقط، كما لا نضرب الوجه، مع النصيح"، "حتى لا يعود للخطأ خوفاً من العقاب"، "في بعض المواقف و ليس دائماً"، "من أجل التأديب"، "الإسلام يحثنا على التربية الحسنة للأطفال و يمكننا استعمال العنف إذا وجب ذلك"، "شرط أن يكون خفيفاً و غير مؤذ لتقوم سلوك الطفل، و إذا تجاوز مع هذا الأسلوب و لم يكرر نفس الفعل"، "لكل شيء حدود و الضرب آخر وسيلة"، "الضرب آخر العلاج"، "في بعض الأحيان دون شك و لكن بأسلوب حضاري"، "الإسلام جعل العقاب (الضرب) كوسيلة للتربية و حدد كيفية تطبيقها في مواقف محددة و بطريقة غير مهينة"، "لكن مع الأطفال البالغين مرحلة التمييز، ثم أنه لم يجزه بصفة مطلقة و لم يعتبره كأسلوب للتربية و إنما كحلّ ردعي"، "الإسلام يقترح الضرب و لكن بشروط و بعد استنفاد كل الوسائل"، "ضرب تربوي هادف و ليس عقابي عدواني لا مبرر له".

ثانياً، غير الموافقين: مبررات تقوم على اعتبار أن الإسلام لم يجز الضرب مطلقاً، بل في مسألة الصلاة فقط، و أن الأساس هو التربية الحسنة بأساليب أخرى، و أن الإسلام يقوم على قيم أخرى غير العنف، و أن الضرب هو العنف: "الإسلام لا يجيز الضرب مطلقاً"، "الإسلام يجيز الضرب لكن ليس المبرح"، "لا يجيز الضرب، فقط في الصلاة (الحديث)"، "في حدود التربية و التوجيه، الإسلام وضع ضوابط عقلانية عند اتباع هذا الأسلوب"، "الإسلام جعل التربية الأساس في تنشئة الأطفال و لم يجعل العنف أساس ذلك"، "الإسلام يؤمن بالحوار و التعامل برفق و لطف"، "الإسلام دين تسامح و

معاملة حسنة"، "الإسلام دين الرحمة و السلام"، "دين رحمة و مودة خاصة مع الأطفال و النساء"، "الضرب كالعنف و هو محرم على الضعفاء مثل الأطفال".

جدول رقم 79: ممارسة العنف بدلالة تصور موقف الاسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال:

الإسلام يميز استعمال الضرب في التعامل مع الطفل	ممارسة العنف				المجموع	
	نعم		لا			
نعم	110	65,1	59	34,9	169	100
لا	50	59,5	34	40,6	84	100
المجموع	160	63,2	93	36,8	253	100

نقرأ من الجدول 79 ما يلي: 65,1 % من الأفراد الذين يتصورون أن الإسلام يميز استعمال الضرب في التعامل مع الطفل يمارسون العنف، مقابل 59,5 % من الذين لا يعتقدون بذلك.

يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة تصوره لموقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الطفل.

جدول رقم 80: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور موقف الاسلام من استعمال

الضرب في التعامل مع الأطفال:

الاسلام يجيز استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال		المجموع	
	نعم	لا		
نعم	83	49,1	86	50,9
لا	22	26,2	62	73,8
المجموع	105	41,5	148	58,5

نقرأ من الجدول 80 ما يلي: 49,1 % من الأفراد الذين يتصورون أن الاسلام يجيز استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال يستعملون الضرب في تعاملهم مع أطفالهم، مقابل 26,2 % من الأفراد الذين يتصورون أن الإسلام لا يجيز الضرب في التعامل مع الأطفال (كاي=2، 12,143، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة= 0,0004، معامل فاي= 0,219).

يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع أطفالهم بتصورهم لموقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الطفل، فالأفراد الذين يتصورون أن الاسلام يجيز استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال هم أكثر استعمالاً للضرب مقارنة بغيرهم.

6.1- تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملا معه بعنف:

20,2 % من الأفراد يعتبرون الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملا معه بعنف.

يرتبط تصور الأفراد للطفل على أنه ملك لوالديه يمكن أن يتعاملا معه بعنف، بدلالة الجنس، حيث يميل الذكور أكثر من الإناث إلى تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملا معه بعنف (25,2 %، مقابل 16,7 %، كاي=2، 2,944، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة= 0,086، معامل فاي= 0,105) (جدول 81 في الملحق).

يميل العزاب أكثر من المتزوجين إلى تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملا معه بعنف (27,3 %، مقابل 18,4 %) (جدول 82 في الملحق).

يرتبط تصور الأفراد للطفل على أنه ملك لوالديه يمكن أن يتعاملا معه بعنف، بدلالة المستوى التعليمي، حيث يميل الأفراد من المستوى التعليمي المتوسط و الثانوي إلى تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملا معه بعنف أكثر من الأفراد ذوي المستوى الجامعي (28,9 %، مقابل 16,8 %، كاي²=5,010، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة=0,025، معامل فاي=0,137) (جدول 83 في الملحق).

تبرير الموقف من اعتبار الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتصرفا معه بعنف:

أولاً، الموافقون: و هي المبررات التي تنطلق من الإقرار بوجود نوع من العنف المعقول، اللفظي مثلاً، أو التخويف، أو الضرب الخفيف غير المؤذي، الممكن استعماله كآخر حل، لغرض تربية الطفل و إصلاحه، إذا اضطر الوالدان لذلك خوفاً على الطفل: "لكن في حدود المعقول"، "في حدود المعقول كتعنيفه بالكلام أو الضرب الخفيف لإصلاحه و تربيته"، "كآخر حل"، "في حالة تربيته و إصلاحه"، "أحيانا لا بد من استعمال العنف للتخويف"، "تأديبا بالضرب غير المؤذي و التخويف"، "استعمال العنف لمصلحتهم فالطفل كل شيء لوالديه"، "إذا استمر في الطريق التي لا تحمد عقباها"، "إذا اضطرنا إلى ذلك".

ثانياً، غير الموافقين: و هم بالرغم من اعتراف بعضهم بإمكانية المعاملة بعنف في حدود التربية كآخر حل، يبررون موقفهم بتصورات أخرى للعلاقة بين الطفل و والديه، على أنه ملك لله، و أمانة عند والديه تترتب عليها مسؤوليات معينة، أو نعمة يجب المحافظة عليها، أو اعتبار الطفل شخصا يتمتع بالحرية، و اعتبار المسؤولية الجماعية أو الاجتماعية لكون الطفل عضواً في المجتمع أيضاً و ليس في أسرته فقط، و بالتالي الأخذ في الاعتبار مخالفة ذلك للقانون، و مخالفته للفطرة، و اقتراح أساليب أخرى للتعامل معه: "في حدود التربية و الوالدين راع على أولادهم"، "العنف هو آخر أسلوب يمكن أن يتبع من الوالدين"، "التعامل برفق و العنف في مواقف محدودة جداً كالتأديب مثلاً"، "صحيح ملك لوالديه لكن لا يعني معاملته بعنف لأنه نعمة من الله"، "هو ملك لوالديه و هذا يؤكد على

ضرورة معاملته بإحسان"، "الطفل ابن الوالدين و ليس ملك و له الحق في المعاملة الحسنة"، "للطفل حقوق و واجبات"، "للطفل شخصية يقوم بنائها رغم صغر سنّه"، "الأطفال أشخاص و الوالدين وصيّ عليهم وراعيهم فقط"، "لدينا مهمّة محدّدة تجاههم و لا يمكننا ككبار استغلال حجم أجسامنا و مكانتنا كوالدين للتصرف في الأطفال كما يحلو لنا"، "الأطفال لهم حقوق على والديهم، الملك لله وحده، و على الشخص المحافظة على الأمانة"، "ملك لله و أمانة لدى والديه يتصرفان بما يصلحه لدينه و دنياه"، "أمانة من الله استرعاهما الوالدين ليحافظوا عليها و ينشئوه القيم الإسلامية"، "الطفل نعمة من نعم الله يجب المحافظة عليها"، "الطفل منحة ربانية يجب الحفاظ عليها، و هو جزء من المجتمع الذي هو مسؤول عن جميع أفرادهِ"، "الطفل شخص حرّ و الوالدين هم أوصياء عليه و رعاه"، "لأنهم يولدون أحرارا، متى استعبدتم الناس و قد ولدتم أمهاتهم أحرارا (عمر بن الخطاب)"، "الطفل عضو في المجتمع و رجل المستقبل"، "الطفل مسؤولية الجميع"، "الطفل ركيزة الأمة و مستقبل البلد و هو أمانة عند والديه"، "ملك لوالديه داخل المنزل و ملك للمجتمع خارج المنزل، إذا صلح صلح المجتمع و العكس"، "ملك للمجتمع قبل أن يكون ملكا للأسرة"، "الطفل إنسان يجب أن يعيش مع والديه في جو من الديمقراطية حتى يتعلم ذلك في كل مستويات حياته"، "القانون لا يسمح بهذا كما لا يمكنني التصرف بهذا الأسلوب لأنني أم"، "هو ملك و أمانة و هديّة من الله، لكن يريانه على الأخلاق الحميدة"، "هو ليس حيوان حتى يعامل بعنف"، "ليس هذا ما يحتاجه الطفل، بل المناقشة و الحوار و حسن المعاملة"، "هو كائن حي يمكن التعامل معه بالحوار و الودّ حتى ينمو على هذا الخلق"، "الطفل مخلوق ضعيف يحتاج لمن يزوده بالحب و الحنان و التربية حتى يصير شخصا صالحا".

جدول رقم 84: ممارسة العنف بدلالة تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يعامله بالعنف:

المجموع		ممارسة العنف				الطفل ملك لوالديه يمكن أن يعامله بالعنف
		لا		نعم		
100	54	31,5	17	68,5	37	نعم
100	213	39,0	83	61,0	130	لا
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

نقرأ من الجدول 84 ما يلي: 68,5 % من الأفراد الذين يتصورون أن الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتصرفا معه بالعنف يمارسون العنف، مقابل 61,0 % من الذين لا يتصورونه كذلك.

يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة تصورهم للطفل على أنه ملك لوالديه يمكن أن يعامله بالعنف، الأفراد الذين يتصورون أن الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتصرفا معه بالعنف أكثر ممارسة له.

جدول رقم 85: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة بدلالة تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يعامله بالعنف.

المجموع	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال				الطفل ملك لوالديه يمكن أن يعامله بالعنف	
	لا		نعم			
100	54	42,6	23	57,4	31	نعم
100	213	62,4	133	37,6	80	لا
100	267	58,4	156	41,6	111	المجموع

نقرأ من الجدول 85 ما يلي: 57,4 % من الأفراد الذين يتصورون الطفل ملك لوالديه يمكنهما معاملته بعنف يستعملون الضرب في التعامل مع الأطفال، مقابل 37,6 % من الأشخاص الذين لا يتصورون أن الطفل ملك لوالديه (كاي²=6,987، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,008، معامل فاي = 0,162).

يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم للطفل كملك لوالديه يمكنهما معاملته بعنف، فالأفراد الذين يتصورون الطفل ملك لوالديه يمكنهما معاملته بعنف، هم أكثر استعمالاً للضرب مقارنة بغيرهم.

الموقف من حق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل:

70,4 % من الأفراد يرون أنه من حق الدولة التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل.

تميل الإناث أكثر من الذكور إلى الموافقة على تدخل الدولة في حال العنف المنزلي على الطفل (73,2 % ، مقابل 66,7 %) (جدول 86 في الملحق).

جدول رقم 88: ممارسة العنف بدلالة الموقف من حق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على

الطفل:

المجموع		ممارسة العنف				من حق الدولة التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل
		لا		نعم		
100	181	40,3	73	59,7	108	نعم
100	76	28,9	22	71,1	54	لا
100	257	37,0	95	63,0	162	المجموع

نقرأ من الجدول 88 ما يلي: 59,7 % من الأفراد الذين يعتقدون أنه من حق الدولة التدخل في حال العنف المنزلي على الأطفال يمارسون العنف، مقابل 71,1 % من الذين يعتقدون أنه ليس من حق الدولة التدخل (كاي²=2,977، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,084، معامل فاي = 0,108).

ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بتصورهم لحق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل، فالأفراد الذين يعتقدون أنه من حق الدولة التدخل في حال العنف المنزلي على الأطفال هم أقل ممارسة للعنف من غيرهم.

جدول رقم 89: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة الموقف من حق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل:

المجموع	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال		من حق الدولة التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل	
	لا	نعم	لا	نعم
100 181	62,4 113	37,6 68	نعم	
100 76	48,7 37	51,3 39	لا	
100 257	58,4 150	41,6 107	المجموع	

نقرأ من الجدول 89 ما يلي: 37,6 % من الأفراد الذين يتصورون أنه يحق للدولة التدخل في حال العنف المنزلي على الأطفال يستعملون الضرب في التعامل مع الأطفال، مقابل 51,3 % من الذين يتصورون أنه لا يحق للدولة التدخل في حال عنف الوالدين على الأطفال (كاي²=4,162، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,041، معامل فاي = 0,127).

يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم لحق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل، فالأفراد الذين يعتقدون أنه من حق الدولة التدخل في حال العنف المنزلي على الأطفال هم أقل استعمالاً للضرب في تعاملهم مع أطفالهم.

7.1- تصور العلاقة والدين/طفل:

جدول رقم 90: تصور الأفراد للعلاقة والدين/طفل:

فئات التصور للعلاقة والدين/طفل	التكرار	النسبة المئوية إلى عدد الأفراد الذين أجابوا عن السؤال (246)	النسبة إلى مجموع الإجابات (544)
الأخلاق النبيلة	157	63,8	28,9
المسؤولية الوالدية	146	59,3	26,8
المشاعر النبيلة	139	56,5	25,5
الحوار	81	32,9	14,9
الطاعة	21	8,5	3,9
المجموع/النسبة	544	221,0	100,0

ملاحظة: سؤال متعدد الإجابات.

من إجابات الأفراد حول تصورهم للعلاقة بين الطفل و والديه، استخلصنا الفئات التالية:

- الأخلاق النبيلة: و هي الإجابات التي تصوّر العلاقة في جملة من المفردات الدالة على السلوك الحسن المرغوب، من مثل: "التسامح"، "التناصح"، "التعاون"، "المعاملة الحسنة"، "الصراحة"، "الاحترام"، "التضامن".

- المسؤولية الوالدية: و هي الإجابات التي فيها إشارة إلى مسؤولية الوالدين و واجباتهم تجاه أبنائهم، مثل: "غرس القيم و المبادئ"، "على الوالدين معرفة شخصية و ميول الأطفال"، "الأطفال أمانة عند الوالدين يحاسبون عليها"، "المسؤولية الوالدية"، "الرعاية"، "الحماية"، "التربية".
- المشاعر النبيلة: و هي الإجابات التي أشارت إلى الجانب العاطفي، و منها عبارات مثل: "الحب"، "الإخلاص"، "الثقة المتبادلة"، "الحنان".
- الحوار: و هي الإجابات التي ركزت على الحوار، و الاتصال، و التفاهم، و كل ما فيه إشارة إلى الرأي: "الحوار المتبادل"، "التشاور في اتخاذ القرارات"، "التفاهم".
- الطاعة: و هي الإجابات التي عبرت عن العلاقة في جانب طاعة الأطفال لوالديهم: "الطاعة"، "طاعة الوالدين".

جدول رقم 91: ممارسة العنف بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم المسؤولية:

المجموع	ممارسة العنف				تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم المسؤولية	
	لا		نعم			
100	146	38,4	56	61,6	90	نعم
100	100	35,0	35	65,0	65	لا
100	246	37,0	91	63,0	155	المجموع

نقرأ من الجدول 91 ما يلي: 61,6 % من الأفراد الذين يتصورون العلاقة والدين/طفل في مفهوم مسؤولية الآباء على الأبناء يمارسون العنف المنزلي، مقابل 65 % من غيرهم.

جدول رقم 92: ممارسة العنف المنزلي بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم الطاعة:

المجموع		ممارسة العنف				تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم الطاعة
		لا		نعم		
100	21	23,8	5	76,2	16	نعم
100	225	38,2	86	61,8	139	لا
100	246	37,0	91	63,0	155	المجموع

نقرأ من الجدول 92 ما يلي: 76,2 % من الأفراد الذين يتصورون العلاقة والدين/طفل في مفهوم طاعة الأطفال للوالدين يمارسون العنف، مقابل 61,8 % من الذين لا يصفون العلاقة بمفهوم الطاعة.

الأفراد الذين يتصورون العلاقة والدين/طفل في مفهوم طاعة الأطفال للوالدين أكثر عنفا من الذين لا يصفون العلاقة والدين/طفل بمفهوم الطاعة.

جدول رقم 93: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم الطاعة:

المجموع		استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال				تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم الطاعة
		لا		نعم		
100	21	19,0	4	81,0	17	نعم
100	225	61,8	139	38,2	86	لا
100	246	58,1	143	41,9	103	المجموع

نقرأ من الجدول 93 ما يلي: 81 % من الأفراد الذين يتصورون العلاقة والدين/طفل في مفهوم طاعة الأطفال لوالديهم يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال، مقابل 38,2 % من الذين لا يصفون العلاقة بمفهوم الطاعة.

الأفراد الذين يتصورون العلاقة والدين/طفل في مفهوم طاعة الأطفال للوالدين أكثر استعمالاً للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بالذين لا يصفون العلاقة والدين/طفل بمفهوم الطاعة.

يوجد فرق في ممارسة العنف المنزلي و في استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة بدلالة تصور الأفراد للعلاقة والدين/طفل، و هو ما يمكن ملاحظته من تفيئة إجابات الأفراد عن السؤال حول تصوره لأسباب العنف المنزلي الممارس على الطفل، حيث استخلصنا فئة "السلطة و فرض النظام"، و تتضمن ما يلي: "عدم احترام الوالدين أو عدم سماعهم"، "عدم الاستماع لآراء الكبار"، "خروج الأطفال عن القواعد الأسرية و التربوية"، "الاعتداد بالنفس و الغرور"، "عدم احترام الصغير للكبير"، "مخالفة نظام الأسرة تكراراً في الطاعة و النظافة و النظام"، "التخلي عن أداء أدوارهم"، "السلوك مع الجيران"، "عدم الأخذ بنصائح و توجيهات الوالدين"، "الخروج عن طاعة الوالدين"، "عدم تطبيق أوامر الوالدين"، "التحدي للكبار من الأطفال"، "تمادي الطفل في سلوك سيء و عدم الاستماع"، "عدم احترام قوانين الأسرة"، "أخلاق الطفل و سلوكياته السيئة"، كما يمكن كذلك ملاحظته في فئات أسباب الغضب المرافق للعنف، حيث استخلصنا فئة "الأسباب المرتبط بالسلطة و فرض النظام"، و تتضمن ما يلي: "عدم القيام بالواجب"، "تقدير مبالغ فيه للخطأ المرتكب"، "عدم الاستجابة للمطالب أو عناد و تمسك الآخر بالرأي"، "عدم احترام حدود الآخر"، "عدم انضباطه"، "عدم المصارحة"، "التصرفات الخارجة عن المبادئ الأسرية أو الدينية أو الاجتماعية"، "عدم الاحترام"، "عدم الامتثال للأوامر"، "التأخر في الشارع"، "عدم الإصغاء"، "الفوضى التي تنجم عن لعب الأطفال بكل شيء خاصة بما يضرهم"، و هي عبارات تصوّر وضعية الخضوع التي تميّز الطفل في علاقته بوالديه، و تعرّض العنف كردّ فعل عادي متوقّع لهذه الصورة، مبرّر بالخروج عن الطاعة.

و يتأكد ارتباط العنف الممارس على الأطفال بالتصور الذي يحمله الأفراد عن العلاقة والدين/طفل في كون الأفراد الذين يذكرون في تصوره لأسباب العنف ضد الأطفال العوامل المرتبطة بطباع الطفل و

سلوكه أكثر ممارسة للعنف من الذين لا يتصورون سلوك الطفل و طباعه من أسباب العنف عليه، و بالتالي يرجعون العنف إلى عوامل أخرى لا يتحمل مسؤوليتها الطفل (80 %، مقابل 57,8 %، كاي=2، 10,205، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,001، معامل فاي= 0,202) (جدول 98 في الملحق).

68,8 % من الأفراد الذين يتصورون من أسباب العنف المنزلي على الأطفال "السلطة و فرض النظام" يمارسون العنف، مقابل 62,4 % من الذين لا يذكرون "السلطة و فرض النظام" من أسباب العنف (جدول 94 في الملحق).

50 % من الأفراد الذين يتصورون من أسباب العنف المنزلي على الأطفال "السلطة و فرض النظام" يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال، مقابل 41,6 % من الذين لا يذكرون "السلطة و فرض النظام" من أسباب العنف (جدول 95 في الملحق).

ليس هناك اختلاف في ممارسة العنف بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم الحوار (جدول 96 في الملحق).

ليس هناك اختلاف في استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور العلاقة في مفهوم الحوار (جدول 97 في الملحق).

2- نتائج اختبار الفرضية الثالثة:

- 14,2 % فقط من الأفراد يعتقدون أن العنف أسلوب ناجح في التعامل مع الآخر، و يميل الذكور أكثر من الإناث، و العزاب أكثر من المتزوجين، إلى تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر.

- لا يرتبط تصور العنف كأسلوب للتعامل مع الآخر، بالمستوى التعليمي للأفراد.

- يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي، و في استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال، بدلالة تصورهم للعنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر.

- 7,1 % من الأفراد يتصورون العنف لفائدة الطفل، حيث يجعله ينشأ على الخشونة و من ثمة يضمن له مكانه في المجتمع، و يميل الذكور أكثر من الإناث إلى تصور أن العنف فيه فائدة للطفل بالمعنى المذكور.
- لا ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بمؤشر تصورههم لاستعمال العنف كنوع من التنشئة على الخشونة لفائدة الطفل.
- 44,2 % من الأفراد يعتقدون أن الإسلام يجيز استعمال العنف في التعامل مع الطفل، و يميل العزاب أكثر من المتزوجين إلى الاعتقاد بذلك.
- لا يرتبط تصور الأفراد لموقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل بدلالة المستوى التعليمي.
- ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بتصورهم لموقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل، الأفراد الذين يعتقدون بأن الإسلام يجيز استعمال العنف في التعامل مع الطفل أكثر ممارسة للعنف من غيرهم (كاي²= 4,598، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,032، معامل فاي = 0,133).
- يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم لموقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل (كاي²= 6,823، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,009، معامل فاي = 0,163).
- يميل الأفراد من المستوى التعليمي المتوسط و الثانوي إلى تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل أكثر من الأفراد ذوي المستوى التعليمي الجامعي.
- ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بتصورهم للعنف كأسلوب ناجح في تربية الأطفال، حيث أن الأفراد الذين يتصورون أن العنف أسلوب ناجح في تربية الأطفال أكثر ممارسة له (كاي²= 6,193، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,013، معامل فاي = 0,152).

- ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بتقييمهم للعنف، فالأفراد الذين يعتبرون العنف المنزلي على الأطفال "نمط سلوك غير مقبول مُتعلّم" أقلّ ممارسة له (كاي²=8,052، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة=0,004، معامل فاي=0,179).
- يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم للعنف كأسلوب ناجح في تربية الأطفال، فالأفراد الذين يتصورون العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل أكثر استعمالاً للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بغيرهم (كاي²=9,626، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة=0,002، معامل فاي=0,190).
- 66,8 % من الأفراد يعتقدون بأن الإسلام يجيز استعمال الضرب في التعامل مع الطفل، و يميل الذكور أكثر من الإناث إلى الاعتقاد بذلك.
- لا يرتبط تصور الأفراد لموقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بالمستوى التعليمي.
- يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة تصورهم لموقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الطفل.
- يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع أطفالهم بتصورهم لموقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الطفل، فالأفراد الذين يتصورون أن الإسلام يجيز استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال هم أكثر استعمالاً للضرب مقارنة بغيرهم (كاي²=12,143، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة=0,0004، معامل فاي=0,219).
- يرتبط تصور الأفراد للطفل على أنه ملك لوالديه يمكن أن يتعاملوا معه بعنف بدلالة الجنس، حيث يميل الذكور أكثر من الإناث إلى تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملوا معه بعنف (كاي²=2,944، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة=0,086، معامل فاي=0,105).
- يميل العزاب أكثر من المتزوجين إلى تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملوا معه بعنف.

- يرتبط تصور الأفراد للطفل على أنه ملك لوالديه يمكن أن يتعاملوا معه بعنف، بدلالة المستوى التعليمي، حيث يميل الأفراد من المستوى التعليمي المتوسط و الثانوي إلى تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملوا معه بعنف أكثر من الأفراد ذوي المستوى الجامعي (كاي² = 5,010، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,025، معامل فاي = 0,137).

- يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة تصورهم للطفل على أنه ملك لوالديه يمكن أن يعاملوا بالعنف، الأفراد الذين يتصورون أن الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتصرفوا معه بالعنف أكثر ممارسة له.

- يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم للطفل كملك لوالديه يمكنهما معاملته بعنف، فالأفراد الذين يتصورون الطفل ملك لوالديه يمكنهما معاملته بعنف، هم أكثر استعمالا للضرب مقارنة بغيرهم (كاي² = 6,987، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,008، معامل فاي = 0,162).

- 70,4 % من الأفراد يرون أنه من حق الدولة التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل، و تميل الإناث أكثر من الذكور إلى الموافقة على تدخل الدولة في حال العنف المنزلي على الطفل.

- ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بتصورهم لحق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل، فالأفراد الذين يعتقدون أنه من حق الدولة التدخل في حال العنف المنزلي على الأطفال هم أقل ممارسة للعنف من غيرهم (كاي² = 2,977، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,084، معامل فاي = 0,108).

- يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم لحق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل، فالأفراد الذين يعتقدون أنه من حق الدولة التدخل في حال العنف المنزلي على الأطفال هم أقل استعمالا للضرب في تعاملهم مع أطفالهم (كاي² = 4,162، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,041، معامل فاي = 0,127).

- الأفراد الذين يتصورون العلاقة والدين/طفل في مفهوم طاعة الأطفال للوالدين أكثر عنفا و أكثر استعمالا للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بالذين لا يصفون العلاقة والدين/طفل بمفهوم الطاعة.

- يرتبط العنف الممارس على الأطفال بالتصور الذي يحمله الأفراد عن العلاقة والدين/طفل في كون الأفراد الذين يذكرون في تصورهم لأسباب العنف ضد الأطفال العوامل المرتبطة بطباع الطفل و سلوكه أكثر ممارسة للعنف من الذين لا يتصورون سلوك الطفل و طباعه من أسباب العنف عليه، و بالتالي فهم لا يبرزون العنف بسلوك الطفل، و يُرجعونه إلى عوامل أخرى لا يتحمل مسؤوليتها الطفل (80 %، مقابل 57,8 %، كاي²= 10,205، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,001، معامل فاي = 0,202).

- ليس هناك اختلاف في ممارسة العنف و في استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم الحوار.

اختبار الفرضية الرابعة.

1- التحليل الكمي الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الرابعة.

1.1- الاستثمار في الطفل.

2.1- "الاستثمار في الطفل" من أسباب الغضب المرافق للعنف.

3.1- تصور "الاستثمار في الطفل" من أسباب العنف على الطفل.

4.1- تصور الطفل كعبء اقتصادي.

2- نتائج اختبار الفرضية الرابعة.

1- التحليل الكمي الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الرابعة:

نص الفرضية الرابعة:

عنف الآباء على أطفالهم هو نتيجة للمكانة التي يمثّلها الطفل في الأسرة و للإخفاق في أداء الأدوار المتوقعة منه.

المؤشرات التي تدخل في اختبار الفرضية الرابعة:

- الاستثمار في الطفل.
- تخصيص وقت للاهتمام بالأطفال.
- تلقّي الأطفال للدعم الدراسي.
- "الإستثمار في الطفل" من أسباب الغضب المرافق للعنف.
- تصور "الاستثمار في الطفل" من أسباب العنف على الطفل.
- تصور الطفل كعبء اقتصادي.
- استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة.

1.1- الاستثمار في الطفل:

تخصيص وقت للاهتمام بالأطفال:

82,4 % من الأفراد صرّحوا بأنهم يخصصون وقتاً للاهتمام بالأطفال (جدول 99 في الملحق).

من إجابات الأفراد يمكن تلخيص شكل اهتمام الأفراد بالأطفال فيما يلي: "المساعدة في الواجبات المدرسية"، "الرعاية من الناحية الجسمية كالأكل و النظافة"، "الاهتمام بالمظهر"، "اصطحابهم إلى الصلاة"، "القيام ببعض الأنشطة معهم، من مثل مشاهدة البرامج التلفزيونية، و اللعب، و الرياضة، و النزهة"، "السؤال عنهم، و الحوار و مناقشة المواضيع المختلفة معهم"، "معالجة المشكلات التي يجدها الطفل في الشارع".

تلقي الأطفال للدعم الدراسي:

61,4 % من الأفراد صرّحوا بأن أطفالهم يتلقون دعماً دراسياً خارج المدرسة (جدول 100 في الملحق).

جدول رقم 101: ممارسة العنف بدلالة تخصيص وقت للاهتمام بالطفل:

المجموع		ممارسة العنف				تخصيص وقت للاهتمام بالطفل
		لا		نعم		
100	220	36,4	80	63,6	140	نعم
100	47	42,6	20	57,4	27	لا
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

نقرأ من الجدول 101 ما يلي: 63,6 % من الأفراد الذين يخصصون وقتاً للاهتمام بالطفل يمارسون العنف، مقابل 57,4 % من الذين لا يخصصون وقتاً للاهتمام بالطفل.

يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر اهتمامهم بالأطفال، حيث أن الأفراد الذين يخصصون وقتاً للاهتمام بأطفالهم أكثر ممارسة للعنف من الذين لا يخصصون وقتاً للاهتمام بهم.

جدول رقم 102: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تخصيص وقت للاهتمام بهم:

المجموع		استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال				تخصيص وقت للاهتمام بالطفل
		لا		نعم		
100	220	57,3	126	42,7	94	نعم
100	100	63,8	30	36,2	17	لا
100	267	58,4	156	41,6	111	المجموع

نقرأ من الجدول 102 ما يلي: 42,7 % من الأفراد الذين يخصصون وقتاً للاهتمام بالأطفال يستعملون الضرب في تعاملهم مع أطفالهم، مقابل 36,2 % من الذين لا يخصصون وقتاً للاهتمام بهم.

يوجد فرق في استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بدلالة مؤشر اهتمامهم بأطفالهم، فالذين يخصصون وقتاً للاهتمام بأطفالهم أكثر استعمالاً للضرب من الذين لا يخصصون وقتاً للاهتمام بهم.

جدول رقم 103: ممارسة العنف بدلالة تلقي الطفل للدعم الدراسي:

المجموع	ممارسة العنف				تلقي الأطفال للدعم الدراسي	
	لا		نعم			
100	164	35,4	58	64,6	106	نعم
100	103	40,8	42	59,2	61	لا
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

نقرأ من الجدول 103 ما يلي: 64,6 % من الأفراد الذين يتلقى أطفالهم دعماً دراسياً يمارسون العنف على أطفالهم، مقابل 59,2 % من الذين لا يتلقى أطفالهم دعماً دراسياً.

يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر اهتمامهم بأطفالهم من الناحية الدراسية، حيث أن الأفراد الذين يتلقى أطفالهم دعماً دراسياً أكثر ممارسة للعنف على أطفالهم من غيرهم.

2.1- "الاستثمار في الطفل" من أسباب الغضب المرافق للعنف:

من إجابات الأفراد عن السؤال حول أسباب الغضب المرافق للعنف، نسجل فئة الأسباب المرتبطة بـ "الاستثمار في الطفل"، والتي تظهر لدى 10,4 % من حالات الغضب المصرّح بأسبابه (جدول رقم 27)، و تتمثل فيما يلي من عبارات: "نتائج مدرسية ضعيفة و مخالطة أطفال السوء"، "عدم مراجعة الأطفال للدروس"، "الإخفاق في الدراسة خوفاً على مستقبلهم"، "الحرص على مراجعة الدروس"، "عدم الصلاة في الوقت"، "لأنك تبذل مجهوداً في التربية و تأتي النتائج عكس ما توقعته".

جدول رقم 104: "الاستثمار في الطفل" من أسباب الغضب المرافق للعنف بدلالة تخصيص وقت للاهتمام

بالطفل:

المجموع		من أسباب الغضب المرافق للعنف "الاستثمار في الطفل"				تخصيص وقت للاهتمام بالطفل
		لا		نعم		
100	112	88,4	99	11,6	13	نعم
100	23	95,7	22	4,3	1	لا
100	135	89,6	121	10,4	14	المجموع

نقرأ من الجدول 104 ما يلي: 11,6 % من الأفراد الذين يخصصون وقتاً للاهتمام بالأطفال يذكرون من أسباب الغضب المرافق للعنف "الاستثمار في الطفل"، مقابل 4,3 % من الذين لا يخصصون وقتاً للاهتمام بالطفل.

الأفراد الذين يخصصون وقتاً للاهتمام بالطفل أكثر ممارسة للعنف لأسباب مرتبطة بـ "الاستثمار في الطفل" مقارنة بالذين لا يخصصون وقتاً للاهتمام بالطفل.

جدول رقم 105: "الاستثمار في الطفل" من أسباب الغضب المرافق للعنف بدلالة تلقي الطفل للدعم الدراسي:

المجموع		من أسباب الغضب المرافق للعنف "الاستثمار في الطفل"				تلقى الطفل للدعم الدراسي
		لا		نعم		
100	83	86,7	72	13,3	11	نعم
100	52	94,2	49	5,8	3	لا
100	135	89,6	121	10,4	14	المجموع

نقرأ من الجدول 105 ما يلي: 13,3 % من الأشخاص الذين يتلقى أطفالهم دعماً دراسياً يذكرون من أسباب الغضب المرافق للعنف "الاستثمار في الطفل"، مقابل 5,8 % من الذين لا يتلقى أطفالهم دعماً دراسياً. الأفراد الذين يتلقى أطفالهم دعماً دراسياً أكثر ممارسة للعنف لأسباب مرتبطة بـ "الاستثمار في الطفل" مقارنة بالذين لا يتلقى أطفالهم دعماً دراسياً.

3.1- تصور "الاستثمار في الطفل" من أسباب العنف على الطفل:

جدول رقم 106: ممارسة العنف بدلالة تصور "الاستثمار في الطفل" من أسباب العنف على الطفل:

تصور "الاستثمار في الطفل" من أسباب العنف على الطفل	ممارسة العنف						المجموع
	نعم			لا			
نعم	18	75,0	6	25,0	24	100	
لا	141	62,4	85	37,6	226	100	
المجموع	159	63,6	91	36,4	250	100	

نقرأ من الجدول 106 ما يلي: 75 % من الأفراد الذين يتصورون من أسباب العنف على الطفل الاستثمار فيه يمارسون العنف، مقابل 62,4 % من الذين لا يذكرون "الاستثمار في الطفل" من بين أسباب العنف عليه.

جدول رقم 107: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور "الاستثمار في الطفل" من أسباب

العنف:

المجموع	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال		تصور "الاستثمار في الطفل" من أسباب العنف عليه	
	لا	نعم		
100	24	45,8	11	54,2
100	226	58,0	131	42,0
100	250	56,8	142	43,2

نقرأ من الجدول 107 ما يلي: 54,2 % من الأفراد الذين يتصورون من أسباب العنف على الطفل الاستثمار فيه يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال، مقابل 42 % من الذين لا يذكرون "الاستثمار في الطفل" من بين أسباب العنف عليه.

من إجابات الأفراد عن تصورهم لأسباب العنف المنزلي على الطفل نسجل فئة الأسباب المرتبطة بـ "الاستثمار في الطفل"، و التي تظهر لدى 9,6 بالمائة من الأفراد (جدول 29 في الملاحق)، و المعبر عنها بما يلي: "التأخر في الدراسة"، "عدم القيام بالواجبات المدرسية"، "عدم القيام بالواجبات المطلوبة منهم"، "مرافقة أصحاب السوء فتلجأ إلى العنف من أجل مصلحتهم"، "رغبة الأولياء في أن يكون أطفالهم مثاليون"، "النتائج المدرسية الضعيفة"، "عدم الرغبة في الدراسة"، "مضيعة الوقت"، "سلوكات سيئة ضارة به تمنعها عنه لصالحه".

4.1- تصور الطفل كعبء اقتصادي:

20,2 % من الأفراد يتصورون أن الطفل يمثل عبئا اقتصاديا بالنسبة للوالدين (جدول 108 في الملحق).

تبرير الموقف من اعتبار الأطفال عبئا اقتصاديا على آبائهم:

أولاً، الموافقون: يبرّزون موقفهم بالظروف المادية الصعبة، و غلاء المعيشة بالنسبة للأسر الضعيفة ماديا، و يربطون ذلك باحتمال العنف و العدوان على الأطفال، و هم يصرّحون بأن التربية الحسنة و السهر على نجاح الأطفال مكلف، و يشيرون إلى أن هناك متطلبات إضافية مكلفة مثل الدروس الخصوصية، و كتب الدعم المدرسي، و وسائل الترفيه: "نظرا لغلاء المعيشة و الظروف الاجتماعية القاسية"، "بسبب الوضع المادي و غلاء المعيشة و السكن"، "المتطلبات المادية أصبحت ترهق كاهل الوالدين"، "غلاء المعيشة سبب هذا العبء"، "في حال الناس الذين يعانون اقتصاديا"، "الفقر و انخفاض الدخل من أهم الظروف التي تجعل العنف و العدوان امرا متوقعا"، "ازدادت متطلبات الحياة بالنسبة للأطفال كالكتب الخارجية و الدروس الخصوصية و حتى وسائل الترفيه"، "التربية الحسنة و السهر على نجاحهم مكلف".

ثانياً، غير الموافقين: المبرراتهم التي يقدمونها تقوم إما على الاعتقاد بأن الرزق بيد الله، و هم يرجعون في ذلك إلى الآيات القرآنية؛ أو لأن إمكانياتهم المادية جيدة؛ أو التسليم بأن توفير الحاجات المادية من مسؤولية الآباء، فهو دورهم، و أن الأطفال يمكن أن يكونوا حافزا للعمل و الكسب، يجني الآباء مقابله أيضا المتعة باعتبار أن الأطفال زينة الحياة الدنيا، و هم القصد من الزواج و الحياة الأسرية؛ و بعضهم بالرغم من عدم موافقته يعترف بالعبء الذي يمثله الأطفال و لكن يرجعه إلى تدني مستوى المعيشة الذي يجعل الآباء يهتمون فقط بتوفير الحاجات المادية و يهملون جوانب أخرى كالتربية؛ و يشير بعضهم إلى أن الاعتقاد بأن الأطفال يشكلون عبئا يمكن أن يؤدي إلى التذمر و الإساءة للطفل: "... لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق..(الآية)"، "... و في السماء رزقكم..(الآية)"، "تكيف حياتك حسب دخلك و حسن التصرف"، "الأطفال نعمة من الله تعالى و هو يرزقهم"، "كل طفل يولد يأتي معه رزقه"، "لأني قادرة عليهم و الرزق يعطيه ربي سبحانه و تعالى"، "مسؤولية الآباء الإنفاق و الكد لتحسين ظروف معيشتهم و تلبية رغباتهم و لا يُنتظر منهم التذمر أبداً"، "دور الآباء يكمن في تلبية حاجاتهم و رغباتهم"، "إنجاب الأطفال مسؤولية كبيرة، يجب رعايتهم"، "الأطفال حافز للجد و العمل أكثر فهم مصدر لفتح أبواب الرزق"، "المهم في كل ما ننفقه هو الجزء المخصص للأطفال"، "الأطفال زينة الحياة، و الأساس في الزواج

هو إنجاب الأطفال و تربيتهم"، "الأطفال زينة الحياة الدنيا خاصة إذا كانت أخلاقهم حسنة"، "شخصيا أجد راحة في توفير حاجياتهم و هو واجب"، "مصاريف مقابل متعة بين الأطفال"، "لتدهور و تدني مستوى المعيشة أصبح الهم الأكبر توفير ضروريات الحياة دون الاهتمام بأمور أخرى"، "هذا الاعتقاد قد يكون مصدرا للتذمر و هذا لا يساعد على التربية الصحيحة".

جدول رقم 109: ممارسة العنف بدلالة تصور الطفل كعبء اقتصادي:

المجموع		ممارسة العنف				تصور الطفل كعبء اقتصادي
		لا		نعم		
100	54	33,3	18	66,7	36	نعم
100	213	38,5	82	61,5	131	لا
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

نقرأ من الجدول 109 ما يلي: 66,7 % من الأفراد الذين يتصورون أن الطفل يمثل عبئا اقتصاديا على الأسرة يمارسون العنف، مقابل 61,5 % من الذين لا يتصورون الطفل كعبء اقتصادي.

يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف على الأطفال بدلالة تصورهم للطفل كعبء اقتصادي، الأفراد الذين يتصورون أن الطفل يمثل عبئا اقتصاديا على الأسرة أكثر ممارسة للعنف من غيرهم.

جدول رقم 110: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة بدلالة تصور الطفل كعبء اقتصادي:

تصور الطفل كعبء اقتصادي	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال		المجموع	
	نعم	لا	نعم	لا
نعم	24	44,4	30	55,6
لا	87	40,8	126	59,2
المجموع	111	41,6	156	58,4

نقرأ من الجدول 110 ما يلي: 44,4 % من الأفراد الذين يتصورون أن الطفل يمثل عبئا اقتصاديا على الآباء يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة، مقابل 40,8 % من الذين لا يتصورون الطفل كعبء اقتصادي، يوجد فرق في استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة بدلالة تصورهم للطفل على أنه يمثل عبئا اقتصاديا.

2- نتائج اختبار الفرضية الرابعة:

- يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي و في استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال بدلالة مؤشر اهتمامهم بالأطفال، حيث أن الأفراد الذين يخصصون وقتا للاهتمام بأطفالهم أكثر ممارسة للعنف و أكثر استعمالا للضرب من الذين لا يخصصون وقتا للاهتمام بهم.
- يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر اهتمامهم بأطفالهم من الناحية الدراسية، حيث أن الأفراد الذين يتلقى أطفالهم دعما دراسيا أكثر ممارسة للعنف على أطفالهم مقارنة بغيرهم.
- الأفراد الذين يخصصون وقتا للاهتمام بالطفل أكثر ممارسة للعنف لأسباب مرتبطة ب"الاستثمار في الطفل" مقارنة بالذين لا يخصصون وقتا للاهتمام بالطفل.
- الأفراد الذين يتلقى أطفالهم دعما دراسيا أكثر ممارسة للعنف لأسباب مرتبطة ب"الاستثمار في الطفل" مقارنة بالذين لا يتلقى أطفالهم دعما دراسيا.

- 20,2 % من الأفراد يتصورون أن الطفل يمثل عبئا اقتصاديا بالنسبة للوالدين.
- يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف و في استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة بدلالة تصورهم للطفل كعبء اقتصادي، فالأفراد الذين يتصورون أن الطفل يمثل عبئا اقتصاديا على الأسرة أكثر ممارسة للعنف و أكثر استعمالا للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بغيرهم.

اختبار الفرضية الخامسة.

1- التحليل الكمي الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الخامسة.

1.1- أشكال العقاب المستخدم من الوالدين مع الأطفال.

2.1- تصور أحسن طريقة للتدخل في المواقف التربوية مع الطفل.

3.1- تصور الأفراد لمستوى معرفة الآباء بالأساليب التربوية الصحيحة.

4.1- تصور الأفراد للدور الوالدي.

5.1- تصور الضرب كأسلوب ناجح في تربية الطفل.

2- نتائج اختبار الفرضية الخامسة.

1- التحليل الكمي الكيفي للمعطيات المتعلقة بالفرضية الخامسة:

نص الفرضية الخامسة:

عدم معرفة الآباء بالأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل يجعلهم أكثر قبولاً لتبني نماذج السلوك العنيف في تعاملهم مع أطفالهم.

المؤشرات التي تدخل في اختبار الفرضية الخامسة:

- أشكال العقاب المستخدمة من الوالدين مع أطفالهم.
- أساليب التدخل في المواقف التربوية.
- استعمال الضرب كأسلوب للتعامل مع الأطفال.
- مستوى معرفة الآباء بالأساليب التربوية.
- مستوى معرفة الآباء بالدور الوالدي.
- ممارسة العنف المنزلي.
- استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة.

1.1- أشكال العقاب المستخدم من الوالدين مع الأطفال:

جدول رقم 111: أشكال العقاب المستخدم من الوالدين مع الأطفال:

أشكال العقاب المستخدم مع الأطفال	التكرار	النسبة المئوية إلى عدد الأفراد	النسبة إلى مجموع الإجابات
الحرمان من أغراض ما	190	71,2	28,5
مقاطعته و عدم التحدّث معه	141	52,8	21,1
العقاب البدني	73	27,3	10,9
تكليفه بأعمال ما	51	19,1	7,6
أساليب أخرى	212	79,4	31,8
المجموع/النسبة	667	249,8	100

ملاحظة: سؤال متعدد الإجابات.

نقرأ من الجدول 111 ما يلي: 27,3 % من الأفراد يلجؤون إلى العقاب البدني في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة، كالضرب و الشدّ من الشعر أو من الأذن.

فئة أساليب أخرى هي الفئة التي وردت فيها العبارات التالية: الصراخ؛ إبداء الغضب؛ التهديد؛ التوبيخ؛ التخويف، و هي أساليب نجدها لدى 79,4 بالمائة من الأفراد.

2.1- تصور أحسن طريقة للتدخل في المواقف التربوية مع الطفل:

من إجابات الأفراد عن تصور أحسن طريقة للتدخل في المواقف التربوية المقترحة (السؤال 44 من الاستمارة)، يمكن التمييز بين نمطين من التدخل:

التدخلات الممكن وصفها بالإيجابية، و هي التدخلات المتميزة بما يلي: التدخل برفق، قبول أو تفهم الخطأ، الاعتماد على الحوار، اقتراح بديل للسلوك، بمعنى التدخلات المتضمنة لـ"التعزيز الإيجابي".

التدخلات السلبية، و هي التدخلات لمنع السلوك غير المرغوب بعنف، كالضرب، و الصراخ، و إبداء الغضب، و الإكراه على الشيء، و الاعتماد مباشرة على العقاب كالمقاطعة، و الحبس، و الحرمان من شيء ما، أو التدخل بالتهديد، و التوبيخ، و التأنيب، و هو ما يمكن أن يعتبر شكلا من العنف المعنوي و النفسي، و دون اقتراح بديل للسلوك، بمعنى هي التدخلات المتضمنة لتعزيز السلبي.

تصور أحسن طريقة للتدخل يمكن أن يعكس مستوى معرفة الأفراد بالأساليب التربوية للتعامل مع الطفل، بغض النظر عما إذا كانت هذه الطرق الموصوفة هي فعلا الطرق التي يتدخل بها الأفراد في الواقع. التدخلات التي وصفناها بالسلبية، بمعنى المتضمنة للسلوك العنيف مرتبطة بتصورات الأفراد للعنف، و يظهر هذا في المبررات التي يقدمها هؤلاء مثلا لتقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية، حيث يظهر العنف بالنسبة لهم كشرط و وسيلة للتربية، و للتمييز بين الخطأ و الصواب؛ أو المبررات التي يقدمها الأفراد لتقييم تأثير عنف المعلم من الناحية التربوية، و هي المبررات التي تنطلق من نتائج العنف الإيجابية بحسب تقدير الأفراد، على مستوى تعلم الطفل و تدرسه، فالعنف أسلوب تربوي و شرط للعملية التعليمية. بصيغة أخرى تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل يعكس معرفة معينة عن الأساليب التربوية، أو غياب المعرفة بالأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل، (9,19 % من الأفراد يعتبرون العنف أسلوبا ناجحا في تربية الطفل. (جدول 72 في الملحق))، و هم يبررون موقفهم من اعتبار العنف أسلوبا ناجحا في تربية الأطفال بقصد تقويم سلوك الطفل و تربيته، و تعليمه، لكن لا شيء يضمن أن الأفراد الذين لديهم تصور مختلف عن تأثير العنف من الناحية التربوية يمتلكون معرفة بالبدائل للعنف، بمعنى معرفة بالأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل.

تكرار "التعزيز الإيجابي" في تدخلات الأفراد بدلالة المستوى التعليمي:

24,5 % من الأفراد يغيب التعزيز الإيجابي تماما في تدخلاتهم للتعامل مع الطفل في المواقف التربوية. 42,6 % من ذوي المستوى المتوسط و الثانوي يغيب تماما التعزيز الإيجابي في تدخلاتهم، مقابل 18,0 % من ذوي المستوى الجامعي. و 19,0 % من ذوي المستوى التعليمي الجامعي يتكرر التعزيز الإيجابي في تدخلاتهم في 3 إلى 5 من 5 من تدخلاتهم، مقابل 10,3 % من الأفراد ذوي المستوى التعليمي المتوسط و الثانوي (الجدول 112 في الملحق) (كاي²=16,846، درجة الحرية 2، مستوى الدلالة = 0,0002).

التعزيز الإيجابي حاضر في تدخلات الأفراد من المستوى التعليمي الجامعي أكثر من الأفراد ذوي المستوى المتوسط و الثانوي.

تكرار "التعزيز السلبي" في تدخلات الأفراد بدلالة المستوى التعليمي:

17,1 % فقط يغيب التعزيز السلبي في تدخلاتهم للتعامل مع الطفل في المواقف التربوية، و 47,1 % من ذوي المستوى المتوسط و الثانوي يظهر التعزيز السلبي في 3 إلى 5 من 5 من تدخلاتهم، مقابل 40,2 % من الأفراد ذوي المستوى الجامعي (الجدول 113 في الملحق).

التعزيز السلبي حاضر في تدخلات الأفراد من المستوى التعليمي المتوسط و الثانوي أكثر مقارنة بالأفراد ذوي المستوى الجامعي.

جدول رقم 114: ممارسة العنف بدلالة تكرار "التعزيز الإيجابي" في تدخلات الأفراد:

المجموع		ممارسة العنف				تكرار التعزيز الإيجابي في تدخلات الأفراد
		لا		نعم		
100	63	23,8	15	76,2	48	0
100	151	45,0	68	55,0	83	2-1
100	43	37,2	16	62,8	27	5-3
100	257	38,5	99	61,5	158	المجموع

نقرأ من الجدول 114 ما يلي: 76,2 % من الأفراد الذين يغيب التعزيز الإيجابي في تصورهم لأحسن طريقة للتدخل في المواقف التربوية المقترحة يمارسون العنف، مقابل 55 % من الذين يظهر التعزيز الإيجابي في 1 إلى 2 من 5 من تدخلاتهم، و 62,8 % من الذين يظهر التعزيز الإيجابي في 3 إلى 5 من 5 من تدخلاتهم (كاي=2=8,493، درجة الحرية 2، مستوى الدلالة = 0,014).

إذا اعتبرنا بأن الذين يغيب التعزيز الإيجابي في تصورهم لأحسن طريقة للتدخل هم أفراد لا يعرفون الأساليب التربوية، فهذا معناه أن الأفراد الذين لا يعرفون الأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل أكثر ممارسة للعنف من غيرهم. ترتبط ممارسة الأفراد للعنف بمتغير معرفتهم بالأساليب التربوية للتعامل مع الطفل.

جدول رقم 115: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تكرار "التعزيز الإيجابي" في تدخلات الأفراد:

المجموع	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال		تكرار "التعزيز الإيجابي" في تدخلات الأفراد
	لا	نعم	
100	63	39,7	25
100	151	62,3	94
100	43	62,8	27
100	257	56,8	146
100	63	60,3	38
100	151	37,7	57
100	43	37,2	16
100	257	43,2	111

نقرأ من الجدول 115 ما يلي: 60,3 % من الأفراد الذين يغيب التعزيز الإيجابي في تصورهم لأحسن طريقة للتدخل في المواقف التربوية المقترحة يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال، مقابل 37,7 % من الذين يظهر التعزيز الإيجابي في 1 إلى 2 من 5 من تدخلاتهم، و 37,2 % من الذين يظهر التعزيز الإيجابي في 3 إلى 5 من 5 من تدخلاتهم (كاي²=9,981، درجة الحرية 2، مستوى الدلالة = 0,007).

إذا اعتبرنا بأن الذين يغيب التعزيز الإيجابي في تصورهم لأحسن طريقة للتدخل هم أفراد لا يعرفون الأساليب التربوية، فهذا معناه أن الأفراد الذين لا يعرفون الأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل أكثر استعمالاً للضرب في تعاملهم مع الأطفال من غيرهم. يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بمتغير معرفتهم بالأساليب التربوية للتعامل مع الطفل.

جدول رقم 116: ممارسة العنف بدلالة تكرار "التعزيز السلبي" في تدخلات الأفراد:

المجموع		ممارسة العنف				تكرار "التعزيز السلبي" في تدخلات الأفراد
		لا		نعم		
100	44	50,0	22	50,0	22	0
100	105	38,1	40	61,9	65	2-1
100	108	34,3	37	65,7	71	5-3
100	257	38,5	99	61,5	158	المجموع

نقرأ من الجدول 116 ما يلي: 50 % من الأفراد الذين يغيب التعزيز السلبي في تصورهم لأحسن طريقة للتدخل في المواقف التربوية المقترحة يمارسون العنف، مقابل 61,9 % من الذين يظهر التعزيز السلبي في 1 إلى 2 من 5 من تدخلاتهم، و 65,7 % من الذين يظهر التعزيز السلبي في 3 إلى 5 من 5 من تدخلاتهم.

إذا اعتبرنا بأن الذين يغيب التعزيز السلبي في تصورهم لأحسن طريقة للتدخل هم أفراد يعرفون الأساليب التربوية، فهذا معناه أن الأفراد الذين يعرفون الأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل أقل ممارسة للعنف من غيرهم.

جدول رقم 117: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تكرار "التعزيز السلبي" في تدخلات الأفراد:

المجموع		استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال				تكرار "التعزيز السلبي" في تدخلات الأفراد
		لا		نعم		
100	44	70,5	31	29,5	13	0
100	105	60,9	64	39,1	41	2-1
100	108	47,2	51	52,8	57	5-3
100	257	56,8	146	43,2	111	المجموع

نقرأ من الجدول 117 ما يلي: 29,5 % من الأفراد الذين يغيب التعزيز السلبي في تصورهم لأحسن طريقة للتدخل في المواقف التربوية المقترحة يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال، مقابل 39,1 % من الذين يظهر التعزيز السلبي في 1 إلى 2 من 5 من تدخلاتهم، و 52,8 % من الذين يظهر التعزيز السلبي في 3 إلى 5 من 5 من تدخلاتهم، (كاي²=8,119، درجة الحرية 2، مستوى الدلالة =0,017).

إذا اعتبرنا بأن الذين يغيب التعزيز السلبي في تصورهم لأحسن طريقة للتدخل هم أفراد يعرفون الأساليب التربوية، فهذا معناه أن الأفراد الذين يعرفون الأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل أقل استعمالاً للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بغيرهم.

مما جاء في إجابات الأفراد عن السؤال حول الأساليب التربوية التي يعرفونها ما يلي: "القدوة"، "الحوار"، "الإجازات"، "الألعاب التربوية"، "التربية بالقصة"، "التربية بالأمثلة المفيدة"، "التوجيه و الموعظة"، "التربية بالعادة"، "أساليب العقاب".

لا يوجد ارتباط بين عدد الأساليب التربوية التي يمكن للأفراد أن يعددوها و ممارستهم للعنف المنزلي أو استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة.

لا يوجد ارتباط بين المستوى التعليمي للأفراد و قدرتهم على ذكر عدد أكبر من الأساليب التربوية.

3.1- تصور الأفراد لمستوى معرفة الآباء بالأساليب التربوية الصحيحة:

67,4 % من الأفراد يتصورون أن الآباء لا يعرفون أو يجهلون تماماً الأساليب التربوية للتعامل مع أطفالهم (جدول 118 في الملحق).

عدم المعرفة بالكيفية الصحيحة للتعامل مع الطفل و تربيته يمثل مشكلة أسرية و هو موضوع نزاع الأفراد في الأسرة، و يظهر في إجابات الأفراد عن شكل و موضوع المشاجرات بين الأشخاص الراشدين في الأسرة: "شجار حول تربية الأولاد"، "مشاجرات تتم في إطار تربية الأطفال و التعامل معهم".

و من تفيئة إجابات الأفراد عن السؤال حول تصورهم لأسباب العنف المنزلي الممارس على الطفل استخلصنا فئة عدم المعرفة بالأساليب التربوية، و الممثلة في العبارات التالية: "سوء التربية، فاقد الشيء لا يعطيه"، "عدم التوجيه الصحيح"، "نقص ثقافة التعامل مع الطفل"، "جهل الأولياء بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم"، "غياب رقابة

الوالدين"، "قلة الوعي التربوي و عدم إدراك الأضرار الناتجة عن العنف"، "عدم النضج الفكري"، "غياب الثقافة و الفكر عند الأفراد"، "المفاهيم الخاطئة حول التنشئة"، "فشل الوالدين في تكوين رابطة صحيحة متينة بين أفراد الأسرة"، "نقص وعي الوالدين"، "عدم الوعي بالسلوك الأمثل للتربية"، "عدم نضج الوالدين فكرياً"، "سوء المعاملة و قلة الوعي التربوي"، "قلة الاستماع للأطفال و عدم تفهمهم"، "تصور خاطئ للتربية"، "إهمال الوالدين لدورهم يؤدي إلى انفلات الأطفال"، "نظرة خاطئة لمفهوم التربية و تحصيلها"، "عدم الوعي بخطورة هذا الفعل"، "نقص التكوين"، "صعوبة فهم الأطفال"، "المستوى التربوي للوالدين"، "إنعدام المعرفة بأساليب التربية"، "المستوى التعليمي للوالدين"، "عدم المعرفة بنتائج العنف على الأطفال"، "عدم تحمل الوالدين لمسؤوليتهم في حماية الأطفال"، "التمييز بين الأطفال فيكثنون لبعضهم الحقدا"، "عدم القدرة على تحمل مسؤولية الأطفال"، "المستوى الثقافي للوالدين"، "البعد عن التعاليم الشرعية في معاملة الأبناء".

تكررت فئة الأسباب هذه بنسبة 22,0 % من مجموع العينة، و لدى 22,6 % من الأفراد الممارسين للعنف المنزلي (جدول 29 في الملحق).

4.1- تصور الأفراد للدور الوالدي:

من إجابات الأفراد عن السؤال حول تصورهم للدور الوالدي يمكن تسجيل ما يلي: "التربية بالقُدوة و تعليم القيم و الأخلاق"، "التعليم المدرسي"، "الرعاية و توفير الحاجات المادية"، "الحوار و الاتصال"، "التشجيع و التحفيز"، "إشباع الحاجات العاطفية"، "المراقبة و الحماية".

لا يوجد ارتباط بين المستوى التعليمي للأفراد و معرفتهم بالأدوار الوالدية.

لا يوجد ارتباط بين عدد الأدوار الممكن للأفراد أن يذكروها و ممارستهم للعنف أو استعمالهم للضرب في التعامل مع الأطفال.

لا يوجد ارتباط بين المستوى التعليمي للأفراد و اعتبارهم للعقاب كأسلوب من الأساليب التربوية.

جدول رقم 119: ممارسة العنف بدلالة اعتبار العقاب من الأساليب التربوية:

العقاب من الأساليب التربوية	ممارسة العنف				المجموع	
	نعم		لا			
نعم	60	70,6	25	29,4	85	100
لا	87	57,6	64	42,4	151	100
المجموع	147	62,3	89	37,7	236	100

نقرأ من الجدول 119 ما يلي: 70,6 % من الأفراد الذين ذكروا العقاب من ضمن الأساليب التربوية يمارسون العنف، مقابل 57,6 % من الذين لم يذكروا العقاب من بين الأساليب التربوية (كاي=2=3,896، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة=0,048، معامل فاي=0,128) ترتبط ممارسة العنف بتصور الأفراد للعقاب كأسلوب من الأساليب التربوية، فالأفراد الذين يتصورون العقاب من الأساليب التربوية أكثر ممارسة للعنف من غيرهم.

جدول رقم 120: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة اعتبار العقاب من الأساليب التربوية:

العقاب من الأساليب التربوية	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال				المجموع	
	نعم		لا			
نعم	44	51,8	41	48,2	85	100
لا	59	39,1	92	60,9	151	100
المجموع	103	43,6	133	56,4	236	100

نقرأ من الجدول 120 ما يلي: 51,8 % من الأفراد الذين ذكروا العقاب من ضمن الأساليب التربوية يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة، مقابل 39,1 % من الذين لم يذكروا العقاب من بين الأساليب التربوية (كاي=2=3,562، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة=0,059، معامل فاي=0,123)، يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم للعقاب كأسلوب من الأساليب التربوية، فالأفراد الذين يتصورون العقاب من الأساليب التربوية أكثر استعمالاً للضرب من غيرهم.

5.1- تصور الضرب كأسلوب ناجح في تربية الطفل:

42,7 % من الأفراد يعتبرون الضرب أسلوباً ناجحاً في تربية الطفل (جدول 121 في الملحق).

و هم يبررون موقفهم من فكرة أن استعمال الضرب أسلوب ناجح في تربية الطفل، بقصد تقويم سلوك الطفل و تربيته.

جدول رقم 122: ممارسة العنف بدلالة تصور الضرب كأسلوب ناجح في تربية الطفل:

المجموع		ممارسة العنف				تصور الضرب كأسلوب ناجح في تربية الطفل
		لا		نعم		
100	114	27,2	31	72,8	83	نعم
100	153	45,1	69	54,9	84	لا
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

نقرأ من الجدول 122 ما يلي: 72,8 % من الأفراد الذين يتصورون أن الضرب أسلوب ناجح في تربية الأطفال يمارسون العنف، مقابل 54,9 % من الذين لا يتصورونه كذلك (كاي=2=8,940، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة=0,003، معامل فاي=0,183)، ترتبط ممارسة الأفراد للعنف بتصورهم للضرب كأسلوب ناجح في تربية الطفل (و هو ما يظهر أيضا من الجدول 125).

جدول رقم 123: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور الضرب كأسلوب ناجح لتربية الطفل:

المجموع		استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال				الضرب أسلوب ناجح في تربية الطفل	
		لا		نعم			
100	114	37,7	43	62,3	71	نعم	
100	153	73,9	113	26,1	40	لا	
100	267	58,4	156	41,6	111	المجموع	

نقرأ من الجدول 123 ما يلي: 62,3 % من الأفراد الذين يتصورون أن الضرب أسلوب ناجح في تربية الطفل يستعملون الضرب في التعامل مع الأطفال، مقابل 26,1 % من الأفراد الذين لا يتصورونه كذلك (كاي²=35,121، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = $10 \times 3,099 - 9$ معامل فاي = 0,363)، يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم للضرب كأسلوب ناجح في تربية الطفل (و هو ما يظهر كذلك من الجدول 126).

الموقف من منع استعمال الضرب في المؤسسات التربوية:

63,7 % من الأفراد موافقون على منع استعمال الضرب في المؤسسات التربوية (جدول 124 في الملحق)

جدول رقم 125: ممارسة العنف بدلالة الموقف من منع استعمال الضرب في المؤسسة التربوية:

الموقف من منع استعمال الضرب في المؤسسة التربوية	ممارسة العنف				المجموع	
	نعم		لا			
موافق	97	57,1	73	42,9	170	100
غير موافق	70	72,2	27	27,8	97	100
المجموع	167	62,5	100	37,5	267	100

نقرأ من الجدول 125 ما يلي: 57,1 % من الأفراد الموافقين على منع استعمال الضرب في المؤسسة التربوية يمارسون العنف، مقابل 72,2 % من الأفراد غير الموافقين على منع استعمال الضرب في المؤسسات التربوية (كاي=2، 6,016، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = 0,014، معامل فاي = -0,150)، ترتبط ممارسة الأفراد للعنف بتصورهم للضرب كأسلوب للتربية، و الذي يظهر في موقفهم من منع استعماله في المؤسسات التربوية.

جدول رقم 126: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة الموقف من منع استعمال الضرب في

المؤسسات التربوية:

الموقف من منع استعمال الضرب في المؤسسات التربوية	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال		المجموع	
	نعم	لا		
نعم	55	115	170	100
لا	56	41	97	100
المجموع	111	156	267	100

نقرأ من الجدول 126 ما يلي: 32,4 % من الأفراد الذين يوافقون على منع استعمال الضرب في المؤسسات التربوية يستعملون الضرب في التعامل مع الأطفال، مقابل 57,7 % من الأفراد الذين لا يوافقون على منع استعمال الضرب في المؤسسات التربوية (كاي=2، 16,377، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = $10 \times 5,191^{-5}$ معامل فاي = -0,248)، يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم للضرب كأسلوب للتربية، و الذي يظهر في موقفهم من منع استعماله في المؤسسات التربوية.

2- نتائج اختبار الفرضية الخامسة:

- 27,3 % من الأفراد يلجؤون إلى العقاب البدني في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة، كالضرب و الشد من الشعر أو من الأذن. و تظهر لدى الأفراد أشكال أخرى من السلوك في تدخلاتهم التربوية مثل: الصراخ؛ إبداء الغضب؛ التهديد؛ التوبيخ؛ التخويف، و هي أساليب نجدها لدى 79,4 % من الأفراد.

- 24,5 % من الأفراد يغيب التعزيز الإيجابي تماما في تدخلاتهم للتعامل مع الطفل في المواقف التربوية، و يرتبط حضور التعزيز الإيجابي في تدخلات الأفراد بمستواهم التعليمي، حيث نجد التعزيز الإيجابي في تدخلات الأفراد من المستوى التعليمي الجامعي أكثر من الأفراد ذوي المستوى المتوسط و الثانوي (كاي=2=16,846، درجة الحرية 2، مستوى الدلالة = 0,0002).
- التعزيز السلبي حاضر في تدخلات الأفراد من المستوى التعليمي المتوسط و الثانوي أكثر مقارنة بالأفراد ذوي المستوى الجامعي.
- الأفراد الذين لا يعرفون الأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل (غياب التعزيز الإيجابي في تدخلاتهم) أكثر ممارسة للعنف من غيرهم. ترتبط ممارسة الأفراد للعنف بمتغير معرفتهم بالأساليب التربوية للتعامل مع الطفل (كاي=2=8,493، درجة الحرية 2، مستوى الدلالة = 0,014).
- الأفراد الذين لا يعرفون الأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل (غياب التعزيز الإيجابي في تدخلاتهم) أكثر استعمالا للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بغيرهم. يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بمتغير معرفتهم بالأساليب التربوية للتعامل مع الطفل (كاي=2=9,981، درجة الحرية 2، مستوى الدلالة = 0,007).
- الأفراد الذين يعرفون الأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل (غياب التعزيز السلبي في تدخلاتهم) أقل ممارسة للعنف من غيرهم.
- الأفراد الذين يعرفون الأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل (غياب التعزيز السلبي في تدخلاتهم) أقل استعمالا للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بغيرهم (كاي=2=8,119، درجة الحرية 2، مستوى الدلالة = 0,017).
- لا يوجد ارتباط بين عدد الأساليب التربوية التي يمكن للأفراد أن يعددوها و ممارستهم للعنف المنزلي أو استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة.

- لا يوجد ارتباط بين المستوى التعليمي للأفراد و قدرتهم على ذكر عدد أكبر من الأساليب التربوية.
- 67,4 % من الأفراد يتصورون أن الآباء لا يعرفون أو يجهلون تماما الأساليب التربوية للتعامل مع أطفالهم
- عدم المعرفة بالكيفية الصحيحة للتعامل مع الطفل و تربيته يمثل مشكلة أسرية و هو يمثل أحيانا موضوع نزاع الأفراد في الأسرة، و يظهر هذا في إجابات الأفراد عن شكل و موضوع المشاجرات بين الأشخاص الراشدين في الأسرة: "شجار حول تربية الأولاد"، "مشاجرات تتم في إطار تربية الأطفال و التعامل معهم".
- لا يوجد ارتباط بين المستوى التعليمي للأفراد و معرفتهم بالأدوار الوالدية.
- لا يوجد ارتباط بين عدد الأدوار الممكن للأفراد أن يذكروها و ممارستهم للعنف أو استعمالهم للضرب في التعامل مع الأطفال.
- لا يوجد ارتباط بين المستوى التعليمي للأفراد و اعتبارهم للعقاب كأسلوب من الأساليب التربوية.
- ترتبط ممارسة العنف بتصور الأفراد للعقاب كأسلوب من الأساليب التربوية، فالأفراد الذين يتصورون العقاب من الأساليب التربوية أكثر ممارسة للعنف من غيرهم (كاي=2، 3,896، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة= 0,048، معامل فاي= 0,128).
- يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم للعقاب كأسلوب من الأساليب التربوية، فالأفراد الذين يتصورون العقاب من الأساليب التربوية أكثر استعمالا للضرب من غيرهم (كاي=2، 3,562، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة= 0,059، معامل فاي= 0,123).
- 42,7 % من الأفراد يعتبرون الضرب أسلوبا ناجحا في تربية الطفل، و ترتبط ممارسة الأفراد للعنف بتصورهم للضرب كأسلوب ناجح في تربية الطفل (كاي=2، 8,940، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة= 0,003، معامل فاي= 0,183). و يظهر أيضا تصور الأفراد للضرب كأسلوب للتربية، في ارتباطه بالعنف، في موقفهم من منع استعماله في المؤسسات التربوية (كاي=2، 6,016، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة= 0,014، معامل فاي= -0,150).

- يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم للضرب كأسلوب ناجح في تربية الطفل (كاي=2، 35,121، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = $10 \times 3,099 \times 10^{-9}$ ، معامل فاي = 0,363)، و يظهر تصور الأفراد للضرب كأسلوب للتربية، في ارتباطه باستعمال الضرب، في موقفهم من منع استعماله في المؤسسات التربوية (كاي=2، 16,377، درجة الحرية 1، مستوى الدلالة = $10 \times 5,191 \times 10^{-5}$ ، معامل فاي = -0,248).

نتائج البحث:

- يأخذ مفهوم العنف في تصور الأفراد معاني عديدة، و هي في مجملها لا تختلف عن المعاني التي تتضمنها الأعمال العلمية، فالعنف هو الشدة، و القوة، و القسوة، و الخشونة، و هو نقيض الرفق؛ و هو يفترض وجود الآخر، فيأخذ معنى الظلم و العدوان؛ و العنف هو الإكراه، و القهر، و التسلط، و فرض النفس و الرأي، بمعنى ضد الحرية و ضد إرادة الآخر؛ و هو يتحدّد بالضرر الممكن إلحاقه بالآخر؛ و يتضمن العنف جانبا إنفعاليا؛ و هو ضد الحوار و ضد العقل؛ و العنف ضد الحضارة، و ضد الإنسانية، و هو ما يخرج عن المعايير.
- العنف المنزلي يمس كل أفراد الأسرة، الزوج و الزوجة، و الأب و الأم، و الإخوة و الأخوات، و أبناء و بنات الأخ و الأخت، و يمثل الأطفال الموضوع الأول لهذا العنف، و يرتبط نمط العنف الممارس من طرف الأفراد في الوسط الأسري إلى حد ما بموضوع العنف.
- أغلب أفراد العينة يقرّون بممارستهم للعنف المنزلي، و يُعتبر الذكور أكثر ممارسة للعنف المنزلي من الإناث، و يرتبط العنف بالنسبة للإناث بالتفاعل الكثيف داخل المجال المنزلي.
- يأخذ العنف المنزلي عدّة أشكال، و يمكن تصنيفه إلى ما يلي: العنف الجسدي؛ العنف اللفظي؛ العنف التعبيري؛ العنف المعنوي أو السيكولوجي.
- العنف المنزلي الممارس على الأطفال و غيرهم، أكثره عنف غائي ناتج عن الغضب و عن الإحباط، فهو عبارة عن تصريف لهذا الإحباط.
- يوجد فرق في ممارسة الذكور للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الرضا بالوضعية المهنية، دون الإناث.
- يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الرضا بالدخل، و ذلك بالنسبة للذكور و الإناث على حد سواء.
- يوجد فرق في ممارسة الذكور للعنف بدلالة مؤشر تقييمهم للمستوى المعيشي للأسرة، دون الإناث.

- يوجد فرق في ممارسة الإناث للعنف المنزلي بدلالة مؤشر تقييمهن للوضعية السكنية للأسرة، دون الذكور.
- ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بمؤشر الشعور بالراحة في المنزل، و ذلك بالنسبة للذكور و الإناث على حد سواء.
- ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بمؤشر التعرض للضغط و الإزعاج في المنزل، بالنسبة للذكور و الإناث على حد سواء.
- يوجد فرق في ممارسة الذكور للعنف بدلالة مؤشر تقييمهم للعلاقات الأسرية، دون الإناث.
- ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بمتغير الإحباط في بعديه المادي الاجتماعي و الأسري، العنف المنزلي الموجه ضد الأطفال في جانب منه هو نتيجة لعوامل متعلقة بالحرمان المادي الاجتماعي و بالحرمان الأسري، و يظهر تحويل العنف على الطفل من خلال المبررات التي يقدمها الأفراد و التي تجعل مثلاً من تصرفات الأطفال و طباعهم أسباباً للعنف الممارس عليه.
- يرتبط العنف المنزلي الناتج عن الاحباط بالنسبة للذكور أكثر بالمجال خارج الأسري، في حين يرتبط العنف المنزلي الناتج عن الاحباط بالنسبة للإناث بالمجال المنزلي و بالاحتكاك الكثيف مع الأطفال في إطار هذا المجال.
- نماذج السلوك العنيف موجودة في الأسر، تظهر في شكل مشاجرات بين الأشخاص الراشدين فيها، و المتعلقة بالوضعية و الأدوار الأسرية، و بالمواضيع المادية، و بتربية الأطفال، و بالمشاكل الناتجة عن التفاعلات الأسرية اليومية، و بحالات الانحراف التي يمكن للأسرة أن تتضمنها، و بتقسيم المجال الأسري و استغلاله، و بالقيم الاجتماعية، و بالمشاكل المتعلقة بالاتصال الأسري، كما تظهر أيضاً في أشكال السلوك العنيف الذي يتعرض له الأطفال من الوالدين، كاستعمال الضرب في التعامل مع الأطفال لغرض التربية مثلاً، و يتم تناقل هذه الأشكال بين الآباء و الأبناء.

- يوجد فرق في ظهور السلوك العنيف بين الأطفال في الأسرة بدلالة وجوده بين الأشخاص الراشدين فيها، لكن السلوك العنيف بين الأطفال ليس كـإعادة إنتاج للسلوك العنيف بين الأشخاص الراشدين في الأسرة.
- يميل أغلب الأفراد إلى اعتبار التأثير الإيجابي لعنف الوالدين من الناحية التربوية.
- أكثر الممارسين للعنف المنزلي هم الأفراد الذين تعرضوا للعنف من الوالدين، النسبة الأكبر منهم هم الذين تعرضوا للعنف من الأب و الأم معا.
- الأفراد ذوي التقييم الإيجابي لتأثير عنف الوالدين أكثر ممارسة للعنف المنزلي و أكثر استعمالا للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بالأفراد ذوي التقييم السلبي. مقارنة بالأفراد الذين لم يتعرضوا للعنف من والديهم، بغض النظر عن تقييمهم لهذا النوع من العنف، نلاحظ أن الذين تعرضوا للعنف من والديهم أكثر ممارسة له من الذين لم يتعرضوا له، و هذا سواء كان تقييمهم له على مستوى تأثيره التربوي تقييما إيجابيا أم سلبيا.
- يوجد فرق في استعمال الأفراد للضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة بدلالة استعمال والديهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة. النسبة الأكبر من الأفراد الذين يستعملون الضرب في تعاملهم مع الأطفال هم الذين يستعمل كلا والديهم الضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة.
- يقترن العنف الممارس على الأطفال بالتربية، لذلك نماذج السلوك العنيف ضد الطفل موجودة أيضا في المدرسة باعتبارها مؤسسة تربوية، هذا الاقتتان بين العنف و التربية يجعله أكثر قبولا من الأفراد، مع ذلك يميل أغلب الأفراد إلى التقييم السلبي لتأثير عنف المعلم، عكس تقييمهم لتأثير عنف الوالدين، حيث يميل أغلبهم لاعتبار تأثيره الإيجابي.

- الأفراد الذين تعرضوا للعنف في المدرسة أكثر ممارسة للعنف مقارنة بغيرهم. ترتبط ممارسة الأفراد للعنف الأسري بمؤشر تعرضهم للعنف من طرف المعلمين في المدرسة، بغض النظر عن تقييمهم لتأثيره سواء إيجابيا كان أم سلبيا.
- الأفراد ذوي التقييم الإيجابي لتأثير عنف المعلم أكثر ممارسة للعنف المنزلي و أكثر استعمالا للضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة مقارنة بذوي التقييم السلبي.
- يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر الحوار الأسري، حيث أن الأفراد الذين يجلسون للتحاور في الأسرة أقل ممارسة للعنف المنزلي مقارنة بالأفراد الذين لا يجلسون للتحاور. و ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بتقديرهم لحجم الحوار الأسري، فالأفراد الأكثر تحاورا في أسرهم أقل ممارسة للعنف المنزلي من الذين لا يتحاورون بشكل كافي.
- 14,2 % فقط من الأفراد يعتقدون أن العنف أسلوب ناجح في التعامل مع الآخر، و يميل الذكور أكثر من الإناث، و العزاب أكثر من المتزوجين، إلى تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر، و لا يرتبط تصور العنف كأسلوب للتعامل مع الآخر بالمستوى التعليمي للأفراد، و يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي، و في استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال بدلالة تصورهم للعنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر.
- 7,1 % من الأفراد يتصورون العنف لفائدة الطفل، بمعنى يجعله ينشأ على الخشونة و من ثمة يضمن له مكانه في المجتمع، و يميل الذكور أكثر من الإناث إلى تصور أن العنف فيه فائدة للطفل بالمعنى المذكور، و لا ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بمؤشر تصورهم لاستعمال العنف كنوع من التنشئة على الخشونة لفائدة الطفل.
- 44,2 % من الأفراد يعتقدون أن الإسلام يجيز استعمال العنف في التعامل مع الطفل، و يميل العزاب أكثر من المتزوجين إلى الاعتقاد بذلك، و لا يرتبط تصور الأفراد لموقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل بدلالة المستوى التعليمي.

- ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي و استعمالهم للضرب في التعامل مع الطفل بتصورهم لموقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل، الأفراد الذين يعتقدون بأن الإسلام يميز استعمال العنف في التعامل مع الطفل أكثر ممارسة للعنف من غيرهم.
- يميل الأفراد من المستوى التعليمي المتوسط و الثانوي إلى تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل أكثر من الأفراد ذوي المستوى التعليمي الجامعي، و ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي و استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم للعنف كأسلوب ناجح في تربية الأطفال، حيث أن الأفراد الذين يتصورون أن العنف أسلوب ناجح في تربية الأطفال أكثر ممارسة للعنف و أكثر استعمالا للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بغيرهم.
- ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بتقييمهم للعنف، فالأفراد الذين يعتبرون العنف المنزلي على الأطفال "نمط سلوك غير مقبول مُتعلّم" أقلّ ممارسة له.
- 66,8 % من الأفراد يعتقدون بأن الإسلام يميز استعمال الضرب في التعامل مع الطفل، و يميل الذكور أكثر من الإناث إلى الاعتقاد بذلك، و لا يرتبط تصور الأفراد لموقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بالمستوى التعليمي، و يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة تصورهم لموقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الطفل.
- يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع أطفالهم بتصورهم لموقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الطفل، فالأفراد الذين يتصورون أن الإسلام يميز استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال هم أكثر استعمالا للضرب مقارنة بغيرهم.
- يرتبط تصور الأفراد للطفل على أنه ملك لوالديه يمكن أن يتعامل معه بعنف بدلالة الجنس و المستوى التعليمي، حيث يميل الذكور أكثر من الإناث، و يميل الأفراد من المستوى التعليمي المتوسط و الثانوي أكثر من الأفراد ذوي المستوى الجامعي إلى تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعامل معه بعنف، و يوجد فرق بدلالة الحالة المدنية للأفراد حيث يميل العزاب أكثر من المتزوجين إلى تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعامل معه بعنف.

- يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة تصورهم للطفل على أنه ملك لوالديه يمكن أن يعامله بالعنف، الأفراد الذين يتصورون أن الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتصرفا معه بالعنف أكثر ممارسة له.
- يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم للطفل كملك لوالديه يمكنهما معاملته بعنف، فالأفراد الذين يتصورون الطفل ملك لوالديه يمكنهما معاملته بعنف، هم أكثر استعمالا للضرب مقارنة بغيرهم.
- 70,4 % من الأفراد يرون أنه من حق الدولة التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل، و تميل الإناث أكثر من الذكور إلى الموافقة على تدخل الدولة في حال العنف المنزلي على الطفل.
- ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي و استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم لحق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل، فالأفراد الذين يعتقدون أنه من حق الدولة التدخل في حال العنف المنزلي على الأطفال هم أقل ممارسة للعنف من غيرهم و أقل استعمالا للضرب في تعاملهم مع أطفالهم.
- الأفراد الذين يتصورون العلاقة والدين/طفل في مفهوم طاعة الأطفال للوالدين أكثر عنفا و أكثر استعمالا للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بالذين لا يصفون العلاقة والدين/طفل بمفهوم الطاعة.
- ليس هناك اختلاف في ممارسة العنف و في استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم الحوار.
- يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي و في استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال بدلالة مؤشر اهتمامهم بالأطفال، حيث أن الأفراد الذين يخصصون وقتا للاهتمام بأطفالهم أكثر ممارسة للعنف و أكثر استعمالا للضرب من الذين لا يخصصون وقتا للاهتمام بهم، و هم أكثر ممارسة للعنف لأسباب مرتبطة بـ"الاستثمار في الطفل" مقارنة بغيرهم.

- يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة مؤشر اهتمامهم بأطفالهم من الناحية الدراسية، حيث أن الأفراد الذين يتلقى أطفالهم دعماً دراسياً أكثر ممارسة للعنف على أطفالهم مقارنة بغيرهم، و هم أكثر ممارسة للعنف لأسباب مرتبطة بـ"الاستثمار في الطفل" مقارنة بالذين لا يتلقى أطفالهم دعماً دراسياً.

- 20,2 % من الأفراد يتصورون أن الطفل يمثل عبئاً اقتصادياً بالنسبة للوالدين.

- يوجد فرق في ممارسة الأفراد للعنف و في استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة بدلالة تصورهم للطفل كعبء اقتصادي، فالأفراد الذين يتصورون أن الطفل يمثل عبئاً اقتصادياً على الأسرة أكثر ممارسة للعنف و أكثر استعمالاً للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بغيرهم.

- 27,3 % من الأفراد يلجؤون إلى العقاب البدني في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة، كالضرب و الشدّ من الشعر أو من الأذن. و تظهر لدى الأفراد أشكال أخرى من السلوك في تدخلاتهم التربوية مثل: الصراخ، و إبداء الغضب، و التهديد، و التوبيخ، و التخويف، و هي أساليب نجدها لدى 79,4 % من الأفراد.

- 24,5 % من الأفراد يغيب التعزيز الإيجابي تماماً في تدخلاتهم للتعامل مع الطفل في المواقف التربوية. و يرتبط حضور التعزيز الإيجابي و التعزيز السلبي في تدخلات الأفراد بمستواهم التعليمي، حيث نجد التعزيز الإيجابي في تدخلات الأفراد من المستوى التعليمي الجامعي أكثر من الأفراد ذوي المستوى المتوسط و الثانوي، ف حين نجد التعزيز السلبي حاضر في تدخلات الأفراد من المستوى التعليمي المتوسط و الثانوي أكثر مقارنة بالأفراد ذوي المستوى الجامعي.

- ترتبط ممارسة الأفراد للعنف و استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الطفل بمتغير معرفتهم بالأساليب التربوية للتعامل مع الطفل، حيث أن الأفراد الذين لا يعرفون الأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل (غياب التعزيز الإيجابي في تدخلاتهم) أكثر ممارسة للعنف و أكثر استعمالاً للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بغيرهم.

- يرتبط استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع أطفالهم بمتغير معرفتهم بالأساليب الصحيحة للتعامل مع الطفل، فالأفراد الذين يعرفون الأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع الطفل (غياب التعزيز السلبي في تدخلاتهم) أقل استعمالاً للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بغيرهم، و هم أيضاً أقل ممارسة للعنف من غيرهم.

- لا يوجد ارتباط بين عدد الأساليب التربوية التي يمكن للأفراد أن يعددوها و ممارستهم للعنف المنزلي أو استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة، كما لا يوجد ارتباط بين المستوى التعليمي للأفراد و قدرتهم على ذكر عدد أكبر من الأساليب التربوية.

- عدم المعرفة بالكيفية الصحيحة للتعامل مع الطفل و تربيته يمثل مشكلة أسرية و هو يمثل أحياناً موضوع نزاع الأفراد في الأسرة، و يظهر هذا في إجابات الأفراد عن شكل و موضوع المشاجرات بين الأشخاص الراشدين في الأسرة: "شجار حول تربية الأولاد"، "مشاجرات تتم في إطار تربية الأطفال و التعامل معهم".

- لا يوجد ارتباط بين المستوى التعليمي للأفراد و معرفتهم بالأدوار الوالدية، كما لا يوجد ارتباط بين عدد الأدوار الممكن للأفراد أن يذكروها و ممارستهم للعنف أو استعمالهم للضرب في التعامل مع الأطفال.

- لا يوجد ارتباط بين المستوى التعليمي للأفراد و اعتبارهم للعقاب كأسلوب من الأساليب التربوية، و ترتبط ممارسة العنف و استعمال الأفراد للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم للعقاب كأسلوب من الأساليب التربوية، فالأفراد الذين يتصورون العقاب من الأساليب التربوية أكثر ممارسة للعنف و أكثر استعمالاً للضرب من غيرهم.

- 42,7 % من الأفراد يعتبرون الضرب أسلوباً ناجحاً في تربية الطفل، و ترتبط ممارسة الأفراد للعنف و استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم للضرب كأسلوب ناجح في تربية الطفل، و يظهر أيضاً تصور الأفراد للضرب كأسلوب للتربية، في ارتباطه بالعنف و باستعمال الضرب في تعاملهم مع الطفل، في موقفهم من منع استعماله في المؤسسات التربوية.

الاستنتاج العام:

تعتقد الحياة الاجتماعية و الاقتصادية يجعل من الصعب على الأفراد تحقيق أهدافهم في الحياة، و هو ما من شأنه أن يخلق لدى هؤلاء الأفراد حالة من الإحباط، نتيجة عدم تمكنهم من تحقيق أهدافهم بالصورة التي توقعوها، و هو شعور نسبي يتوقف على مستوى طموح الأفراد، و مقارنة وضعياتهم بوضعية آخرين من حولهم، و تقديرهم لأحقيتهم لهذه الأهداف، كما أن التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية التي تحدث في المجتمع بشكل عام تنعكس مباشرة على الحياة الأسرية، في الجانب المادي و العلائقي لأفرادها، و هو ما يمثل مصدر إحباط ثاني يضاف إلى الإحباط الذي يعيشه أفرادها في الوسط خارج الأسري.

لا يُشترط في الحرمان أو المنع أن يكون كلياً، لذلك يظهر تأثير كل أشكال المؤثرات المزعجة و المؤذية التي يمكن أن تعترض الفرد في حياته اليومية، سواء داخل المنزل أو خارجه، فبالرغم من الفروق في ممارسة العنف بدلالة المتغيرات التي اعتمدها لقياس الإحباط، لا يظهر الارتباط تماماً إلا مع متغيري الشعور بالراحة في المنزل، و التعرض فيه للضغط و الإزعاج، و هو ما يمكن قراءته كانعكاس لمجموع الاحباطات الناتجة خارج الوسط الأسري على أفراد الأسرة و على الحياة الأسرية بشكل عام، و الذي يعبر عنه الأفراد عند تطرقهم لعوامل خارجية كمصدر للضغط الذي يتعرضون له في المنزل، بالإضافة إلى سلوك الأطفال، و المشاكل الاتصالية العلائقية، أو المرتبطة ببنية الأسرة (العائلة الممتدة)، و بالتفاعلات و الأنشطة الأسرية، بمعنى العوامل الممثلة للإحباط الأسري. الإحباط إذا لا يمكن اختزاله في الأهداف العامة التي يسعى لها الأفراد في الحياة من مثل العمل و الدخل و المستوى المعيشي و الوضعية السكنية، بالرغم من أهمية هذه الأخيرة، فهو مرتبط بعوامل أخرى تبدو أقل أهمية لكن تأثيراتها على الأفراد هامة، و تظهر هذه العوامل في فئة أسباب الغضب المرافق للعنف، و المرتبطة بالحرمان المادي و الاجتماعي، بالإضافة إلى فئة الأسباب المرتبطة بالحرمان الأسري. و يرتبط العنف المنزلي الناتج عن الاحباط بالنسبة للذكور أكثر بالمجال خارج الأسري، في حين يرتبط العنف المنزلي الناتج عن الاحباط بالنسبة للإناث بالمجال المنزلي و بالاحتكاك الكثيف مع الأطفال في إطار هذا المجال.

تزيد إمكانية ممارسة العنف بتدخل عامل نفسي مهم و هو الغضب، فالعنف المنزلي الممارس على الأطفال و غيرهم، أكثره عنف غائي ناتج عن الغضب و عن الإحباط، فهو عبارة عن تصريف لهذا الإحباط، و هو يعكس حالة انفعال يتعسّر فيها على الفرد ضبط سلوكه. و نميز بين الغضب الانفعال و التعبير عن الغضب، الذي نعتبره سلوكا متعلّما و نتيجة للتنشئة الاجتماعية التي لا تحفّز الأفراد على ضبط انفعالاتهم و التحكم في سلوكهم.

في غياب فاعل حقيقي للمنع المتسبّب في حالة الإحباط التي يعيشها الفرد، و في غياب مجال لتصريف الانفعال الناتج عنها، فإنّ العنف يتحوّل ليكون موجها ضد دريئة أخرى، قد تكون الأطفال، فالعنف المنزلي يمسّ كل أفراد الأسرة، إلّا أن الأطفال هم الموضوع الأول لهذا العنف، باعتبار أنّهم غير قادرين على الردّ، و أن العنف عليهم لا يشكّل تهديدا على الفاعل أو على الأسرة، أو لأنّ العنف عليهم أكثر قبولا اجتماعيا. و يظهر تحويل العنف على الطفل من خلال المبررات التي يقدمها الأفراد و التي تجعل مثلا من تصرفات الأطفال و طباعهم أسبابا للعنف الممارس عليه.

تعمل التنشئة الاجتماعية، التي هي في جزء منها عملية يتعلّم بها الفرد نماذج السلوك السائدة في إطار أوساطه الاجتماعية، على نشر و تكريس العنف الممارس على الأطفال من طرف آبائهم، و ذلك من خلال الأساليب التي تقترحها للتعامل مع الطفل، و التي تقوم على أساس استخدام القوة و الإكراه، بدلا من الحوار و الكلمة، و على الاعتماد على العقاب إذا تعلّق الأمر بمسائل التربية و التأديب، و هي نماذج تتضمنها كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية، و منها الأسرة، حيث تنتقل هذه النماذج عن طريق التعلّم بالملاحظة و المعيشة من الآباء إلى الأبناء، لذلك ترتبط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بمتغير حجم الحوار الأسري، فالأفراد الأكثر تحاورا في أسرهم أقل ممارسة للعنف المنزلي من غيرهم، و يظهر الحوار هنا كممارسة بالنسبة لبعض الأسر، و ليس كتصور لما يجب أن يكون، لذلك لا نجد اختلافا في ممارسة العنف و في استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور الأفراد للعلاقة بين الوالدين و أطفالهم في مفهوم الحوار.

تظهر نماذج السلوك العنيف في المشاجرات بين الأشخاص الراشدين فيها، و التي تأخذ أشكالا و مواضيع مختلفة، فهي متعلقة بالوضعية و الأدوار الأسرية، و بالمواضيع المادية، و بتربية الأطفال، و

بالمشاكل الناتجة عن التفاعلات الأسرية اليومية، و بحالات الانحراف التي يمكن للأسرة أن تتضمنها، و بتقسيم المجال الأسري و استغلاله، و بالقيم الاجتماعية، و بالمشاكل المتعلقة بالاتصال الأسري، كما تظهر أيضا في أشكال السلوك العنيف الذي يتعرض له الأطفال من الوالدين، كاستعمال الضرب في التعامل مع الأطفال لغرض التربية مثلا، و يتم تناقل هذه الأشكال بين الآباء و الأبناء.

تعمل القيم و التصورات السائدة، المكّسة و المتناقلة بين الأفراد داخل نفس الثقافة، على إضفاء نوع من الشرعية على العنف الممارس على الأطفال من طرف آبائهم، و يظهر ذلك في ميل أغلب الأفراد إلى اعتبار التأثير الإيجابي لعنف الوالدين من الناحية التربوية، و في كون أكثر الممارسين للعنف المنزلي هم أفراد تعرضوا للعنف من الوالدين، و أن الأفراد ذوي التقييم الإيجابي لتأثير عنف الوالدين أكثر ممارسة للعنف المنزلي و أكثر استعمالا للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بالأفراد ذوي التقييم السلبي لهذا العنف.

يقترن العنف الممارس على الأطفال بالتربية، لذلك نماذج السلوك العنيف ضد الطفل موجودة أيضا في المدرسة باعتبارها مؤسسة تربوية، هذا الاقتران بين العنف و التربية يجعله أكثر قبولا من الأفراد، مع ذلك يميل أغلب الأفراد إلى التقييم السلبي لتأثير عنف المعلم، عكس تقييمهم لتأثير عنف الوالدين الذي ينظر إليه كمسألة شخصية متعلقة بالأسرة، و مع هذا فإن الأفراد ذوي التقييم الإيجابي لتأثير عنف المعلم أكثر ممارسة للعنف المنزلي و أكثر استعمالا للضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة مقارنة بذوي التقييم السلبي.

تعمل التصورات السائدة على تأكيد شرعية العنف من خلال عرضها له كأسلوب ناجح في التعامل مع الطفل، و من خلال الأفكار التي يتضمنها الخطاب عن الطفل في علاقته بوالديه، هذه العلاقة التي تقوم على مفهوم السلطة الوالدية، بدلا من المسؤولية الوالدية، و على تبعية الطفل لهذه السلطة، التي تملي عليه الخضوع التام و الطاعة المطلقة، و تعرّضه للعنف و العقاب في حال الخروج عن هذه السلطة، فالأفراد الذين يتصورون العلاقة بين الوالدين و أطفالهم في مفهوم طاعة الأطفال للوالدين، أكثر عنفا و أكثر استعمالا للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بغيرهم، و كذلك بالنسبة للأفراد

الذين يتصورون الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملوا معه بعنف، حيث نجدهم أكثر ممارسة للعنف و أكثر استعمالا للضرب في تعاملهم مع الأطفال مقارنة بغيرهم.

هذا الخطاب عن الطفل في الصورة المذكورة أعلاه، يعزّز في الغالب باللجوء إلى كل ما من شأنه تأكيد و تكريس التصورات السائدة، كالنصّ الديني مثلا، أو عرض صورة لماضي أحسن في وجود الشدة و العقاب، هذه الصورة تتعزّز أكثر بفعل الخطاب الموحى بالكارثة و أيضا بفعل تزايد الجريمة و العنف، أو تزايد الشعور بانتشارهما، و الحديث عن هذا التزايد على أنه نتيجة لغياب العقاب و الشدة، لذلك نجد ارتباط ممارسة الأفراد للعنف المنزلي و استعمالهم للضرب في التعامل مع الطفل بتصورهم لموقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل، حيث أن الأفراد الذين يعتقدون بأن الإسلام يجيز استعمال العنف في التعامل مع الطفل أكثر ممارسة للعنف من غيرهم.

يرتبط استعمال الأساليب المعتمدة على العنف بالمكانة التي يمثلها الطفل في الأسرة حديثا، و المتميزة بطول مرحلة الطفولة، و ارتباط هذه المرحلة بالتعليم المدرسي، و تصوّر رعاية و اهتمام أفضل بالطفل، و ما يُعلّق على الطفل من آمال و ما يُتوقع منه نتيجة لهذه المكانة من أدوار تجعل من هذا الأخير مركز اهتمام الوالدين الذين يكرسون حياتهم لأطفالهم، لرعايتهم و تربيتهم و تعليمهم، كوظيفة أساسية تقتصر عليهم دون غيرهم، عكس ما كان عليه الحال مثلا في الماضي في الأسرة التقليدية الممتدة، استعمال العنف من الوالدين هنا يمكن أن يجسّد الشدة و القسوة التي يبدونها والدون لحثّ الطفل أو إكراهه على الالتزام بما يضمن نجاحه و أدائه للأدوار المتوقعة منه، كما يمكن أن يكون نتيجة للإخفاق في أداء هذه الأدوار و لحيبة أمل الوالدين و للاحباط الذي يعتريهم نتيجة هذا الإخفاق، خاصة بالنظر إلى ما يكلفه الاستثمار في الطفل من عناء و جهد و بذل من الوالدين، و هو ما يظهر في الفروق الموجودة في ممارسة الأفراد للعنف و في استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال في الأسرة بدلالة تصورهم للطفل كعبء اقتصادي، و بدلالة مؤشر اهتمامهم بالأطفال، حيث أن الأفراد الأكثر اهتماما بأطفالهم يمكن أن يكونوا أيضا أكثر ممارسة للعنف لأسباب مرتبطة بـ"الاستثمار في الطفل"، و أكثر استعمالا للضرب مقارنة بغيرهم.

إن عدم المعرفة بالكيفية الصحيحة للتعامل مع الطفل و تربيته يمثل مشكلة أسرية و هو أحيانا موضوع نزاع الأفراد في الأسرة، و إنّ نماذج السلوك العنيف المعروضة عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة، الأسرة خاصة، في إطار التصوّرات الخاطئة التي تقدّمها هذه المؤسسات عن تربية الطفل و التعامل معه، و عن العنف و استخدام العقاب في التربية، تكون أكثر اعتمادا من طرف الآباء، كأساليب وحيدة يمتلكونها، في غياب معرفتهم بالخصائص النفسية المميّزة للطفولة، و بالحاجات الأساسية للطفل، و بالأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع أطفالهم، و رعايتهم و الاعتناء بهم في كل مرحلة من مراحلها، لذلك ترتبط ممارسة الأفراد للعنف و استعمالهم للضرب في تعاملهم مع الأطفال بتصورهم للضرب كأسلوب ناجح في تربية الطفل، و بتصورهم للعقاب كأسلوب من الأساليب التربوية، و بمدى معرفتهم بالأساليب التربوية للتعامل مع الطفل.

قائمة المراجع:

أولا: مراجع باللغة العربية:

- 1- المنجد في اللغة و الأعلام. ط 26، دار المشرق، بيروت، 1975.
- 2- إنسانيات، العنف مساهمات في النقاش. عدد 10، مجلد IV. 1. جانفي/أفريل 2000.
- 3- ج. ج. د. ش، وزارة العدل. قانون الأسرة. ط3، الديوان الوطني للأشغال التربوية، الجزائر، 1999.
- 4- عبد الرحمان ابن خلدون. المقدمة. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت، 2003.
- 5- بيتر ن. ستيرنز. الطفولة في التاريخ العالمي. ترجمة: وفيق فائق كريشات. سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2015.
- 6- محمد عودة الرймаوي. في علم نفس الطفل. دار الشروق، 1998.
- 7- إلياس زحلاوي (ترجمة). المجتمع و العنف. ط3، المؤسسة الجامعية للنشر و الدراسات و التوزيع، 1993.
- 8- سميرة أحمد السيد. علم اجتماع التربية. ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.
- 9- نوال السعداوي. دراسات عن المرأة و الرجل في المجتمع العربي. ط2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1990.
- 10- خير الله سيد محمد، الكنايني ممدوح عبد المنعم. سيكولوجيا التعلم بين النظرية و التطبيق. دار النهضة العربية، بيروت، 1983.
- 11- خليل وديع شكور. العنف و الجريمة. الدار العربية للعلوم، 1997.
- 12- زكرياء الشريبي. المشكلات النفسية عند الأطفال. دار الفكر العربي، الرياض، 1994.

- 13- محمد عبد الرحيم عدس. مع الأطفال في طفولتهم. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، عمان الأردن، 1997.
- 14- عبد الله ناصح علوان. تربية الأولاد في الإسلام. ج 1 و 2، دار الشهاب، الجزائر.
- 15- حنان عبد الحميد العناني. الطفل و الأسرة و المجتمع. دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان الأردن، 2000.
- 16- حنان عبد الحميد العناني. صورة الطفولة في التربية الإسلامية. دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 1999.
- 17- عبد الرحمان العيسوي. دراسات نفسية ميدانية. الدار الجامعية، مصر، 1993.
- 18- عبد الرحمان العيسوي. سيكولوجيا الجنوح. دار النهضة العربية، بيروت.
- 19- عبد الرحمان العيسوي. سيكولوجيا التنشئة الاجتماعية. دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1995.
- 20- غريب سيد أحمد، وآخرون. دراسات في علم الاجتماع العائلي. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.
- 21- محمد سعيد فرح. الطفولة و الثقافة و المجتمع. دار المعارف، الإسكندرية، 1993.
- 22- نايفة قطامي ، محمد بهوم. طرق دراسة الطفل. دار الشروق، عمان، الأردن، 1997.
- 23- ميخائيل إبراهيم أسعد. مشكلات الطفولة و المراهقة. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- 24- سليمان مظهر. نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية. منشورات ثالة، الجزائر، 2010.
- 25- جمال معتوق. مدخل إلى سوسيولوجيا العنف. منشورات بن مرابط، 2011.

- 26- معن خليل عمر. علم اجتماع الأسرة. دار الشروق، الأردن، 1994.
- 27- رشاد صالح دمنهوري. التنشئة الاجتماعية و التأخر الدراسي، دراسة في علم النفس التربوي. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.
- 28- عبد الحميد النشواني. علم النفس التربوي. مؤسسة الرسالة، الأردن.

ثانيا: مراجع باللغة الأجنبية:

- 29- Ackermann Werner, Dulong Renaud, Jeudy Henri-Pierre. Imaginaires de l'insécurité. Coll. Réponses sociologiques, éd. Librairie des Méridiens, Paris, 1983.
- 30- Addi Lahouari. «Femme, famille et lien social en Algérie», in : Azadeh Kian-Thiébaud et Marie Ladier-Fouladi (dir.). Famille et mutations sociopolitiques, L'approche culturaliste à l'épreuve. éd. Maison des sciences de l'homme, Paris, 2005.
- 31- AFIREM. L'enfance maltraitée, du silence à la communication. éd. Karthala, Paris, 1991.
- 32- AFIREM. La prise en charge de la maltraitance. éd. Karthala, Paris, 1999.
- 33- AFIREM. Regard d'Afrique sur la maltraitance. éd. Karthala, Paris, 2000.
- 34- Anthony E. James, Chiland Colette. Le Développement en péril, série : l'Enfant dans sa famille, P.U.F, Paris, 1992.
- 35- Appadurai Arjun. Géographie de la colère, La violence à l'âge de la globalisation. trad. Bouillot Françoise, Payot, Paris, 2007.
- 36- Arendt Hannah. Du mensonge à la violence, Essais de politique contemporaine. trad. Guy Durand, Calmann-Lévy, France, 1972.
- 37- Ariès Philippe. L'Enfant et la vie familiale sous l'Ancien Régime. Editions du Seuil, Paris, 1973.

- 38- Aron Raymond. Histoire et Dialectique de la Violence. Coll. : les Essais, éd. Gallimard, France, 1973.
- 39- Bailie Gil. La violence révélée. L'humanité à l'heure du choix. avant-propos de : René Girard, trad. Claude Chastagner, éd. Climats, 2004.
- 40- Bandura Albert, Dorothea Ross and Sheila Ross. «imitation of film-mediated aggressive models», in: Terry F. Pettijohn. Sources : Notable Selection in Psychology. 2 ed., Dushkin/ McGraw-Hill, U.S.A, 1997.
- 41- Baudier Anne, Céleste Bernadette. Le développement affectif et social du jeune enfant. Nathan, Paris, 1990.
- 42- Baudrillard Jean, Morin Edgar. La violence du monde. éds du Félin/Institut du Monde Arabe, Paris, 2003.
- 43- Bawin-Legros Bernadette. Familles, mariage, divorce. une sociologie des comportements familiaux contemporains. éd. Pierre Mardaga, Bruxelles, 1988.
- 44- Beitone Alain, et autres. Sciences sociales. Coll. Aide-Mémoire, 2 éd, Dalloz, Paris, 2000.
- 45- Beitone Alain, et autres. Sciences sociales. Coll. Aide-mémoire, 7^e éd., Dalloz, Paris, 2012.
- 46- Benedict Ruth. Echantillons de civilisations. Trad. Weill Raphael, Gallimard, 1950.
- 47- Bergeret Jean. La violence fondamentale : l'inépuisable Oedipe, Dunod, Paris, 1984.
- 48- Bergeret Jean. «La mère, l'enfant...et les autres. Violence et agressivité». in : Psychothérapies, 2002/3, Vol. 22, pp. 131-141.
- 49- Bloch Henriette. Grand dictionnaire de la psychologie. Larousse, 1994.

- 50- Boisbourdain Marie-Claude. Comment la violence vient aux enfants, éd. Casterman, Belgique, 1983.
- 51- Boudon Raymond. Les méthodes en sociologie. 9 éd, P.U.F, 1993.
- 52- Bourdieu Pierre, Passeron Jean-Claude. La reproduction : éléments pour une théorie du système d'enseignement. De Minuit, Paris, 1970.
- 53- Boutefnouchet Mostefa. La famille algérienne, évolution et caractéristiques récentes, 2^e éd. SNED, Alger, 1982.
- 54- Boutefnouchet Mostefa. La culture en Algérie, mythe et réalité. SNED, Alger, 1982.
- 55- Braconnier Alain, «Entretien avec Jean Bergeret», in : Le Carnet PSY, 2004/7, n° 93, pp. 33-41.
- 56- Brahim Errahmani Anissa. L'adolescence délinquante entre responsabilité et fatalité. O.P.U., Alger, 2010.
- 57- Breton Philippe. Eloge de la parole. La Découverte/Poche, Paris, 2007.
- 58- Breton Philippe. «violence, prise de parole et processus de civilisation», in : Revue des sciences sociales, n° 29, 2002, pp. 24-31, (<http://www.revue-des-sciences-sociales.com/>consulté le 29 fév. 2012).
- 59- Brisset Claire. Un monde qui dévore ses enfants. Coll. Opinion, éd. Liana Lévi, 1997.
- 60- Bruyne (de) Paul, Herman Jacques, de Schoutheete Marc. Dynamique de la recherche en sciences sociales. Coll. SUP, P.U.F, Paris, 1974.
- 61- Bui Trong Lucienne. Violence : les racines du mal. éd. Ose savoir-Le Relié, 2002, France.
- 62- Castellan Yvonne. La famille. Coll. Que-sais-je? , 4 éd, P.U.F, Paris, 1994.

- 63- CENEAP. La violence contre les femmes. la lettre du CENEAP, n° : 27, Oct. 2000.
- 64- CENEAP. Violence à l'égard des femmes. La revue du CENEAP, n° 36, Alger, 2007.
- 65- CENEAP. Violence domestique. La revue du CENEAP, n° 37, Alger, 2007.
- 66- CENEAP. Phénomène des enfants de la rue. La revue du CENEAP, n° 39, Alger, 2007.
- 67- Chauvaud Frédéric (dir.). La dynamique de la violence, Approches pluridisciplinaires. Presses universitaires de rennes, France, 2010.
- 68- Chesnais Jean-Claude. Histoire de la violence en Occident de 1800 à nos jours. coll. Pluriel, éd. R. Laffont. Paris, 1981.
- 69- Clapier-Valladon Simone. les théories de la personnalité. Que-sais-je? 2 éd, P.U.F, 1991.
- 70- Clastres Pierre. Archéologie de la violence, la guerre dans les sociétés primitives. Coll. Monde en cours, éditions de l'Aube, France, 1997.
- 71- Combessie Jean-Claude. La méthode en sociologie. Coll. Approches, Casbah-éditions, Alger, 1998.
- 72- Comte Auguste. Sociologie. textes choisis par : Laubier Jean, Coll. S.U.P, 3 éd, P.U.F, Paris, 1969.
- 73- Crubellier Maurice. L'enfance et la jeunesse dans la société française 1800-1950. Armand Colin, Paris, 1979.
- 74- Daco Pièrre. Les prodigieuses victoires de la psychologie. Coll. Marabout Service, éd. Marabout, Belgique, 1973.
- 75- Dagenais Bernard. Eloge de la violence. Editions de l'Aube, France, 2008.

- 76- Dejours Christophe (sous la dir.). Conjuré la violence : Travail, violence et santé. Payot, Paris, 2007.
- 77- Dekeuwer-Defossez Françoise. Les droits de l'enfant. Coll. Que-sais-je?, P.U.F, paris, 1991.
- 78- Delannoy Jacques-D, Feyereisen Pierre. L'Ethologie Humaine. Coll. Que sais-je ?, P.U.F., Paris, 1987.
- 79- Dolto Françoise. La cause des enfants. Robert Laffont, Paris, 1985.
- 80- Dolto Françoise. Les étapes majeures de l'enfance. Coll. Folio/Essais, éd. Gallimard, France, 1994.
- 81- Doudin Pierre-André, Erkohen-Markus Miriam. Violence à l'école, fatalité ou défi ?, coll. : Pratiques Pédagogiques, éd. De Boeck Université, Bruxelles, 2000.
- 82- Dric Martin, Fichelet Raymond, Fichelet Monique. «Si la violence existe, discours du violent», in. Déviance et société. 1977, vol. 1, n°. 3, pp. 291-308. (<http://www.persee.fr>).
- 83- Dubar Claude. La socialisation, construction des identités sociales et professionnelles. 2 éd, Armand colin, Paris, 1998.
- 84- Dubet François. La galère : jeunes en survie, Enquête, éd. Fayard, Paris, 1987, (2008 nouvelle préface).
- 85- Dufrenne Mikel. La personnalité de base, un concept sociologique. P.U.F, paris, 1953.
- 86- Durkheim Emile. Textes, 2. religion, morale, anomie, Coll : le sens commun, éd. de minuit, paris.
- 87- Durkheim Emile. Textes, 3. fonctions sociales et institutions. présentation de : Karady Victor, Coll. le sens commun, éd. De Minuit, Paris, 1975.
- 88- Durkheim Emile. Les règles de la méthode sociologique. P.U.F, Paris, 1977

- 89- Durkheim Emile. éducation et sociologie. 4 éd, P.U.F, 1980.
- 90- Durkheim Emile. Le suicide, étude de sociologie. 6 éd, Quadrige/P.U.F, paris, 1991.
- 91- Durning Paul. Education familiale : acteurs, processus et enjeux. Coll. L'Educateur, P.U.F., Paris, 1995.
- 92- Durning Paul. Enfance maltraitée et éducation familiale, Textes 1991-2010, L'Harmattan, Paris, 2010.
- 93- Elias Norbert. La civilisation des mœurs. Trad. Pierre Kamnitzer, éd. Calmann-Lévy, France, 1973.
- 94- Encyclopædia Universalis.
- 95- Etienne Jean, Mendras Henri. Les grands thèmes de la sociologie par les grands sociologues. Armand Colin, Paris, 1999.
- 96- Faggion Lucien, Régina Christophe (sous la dir.). La violence. Regards croisés sur une réalité plurielle. Editions C.N.R.S., Paris, 2010.
- 97- Fanon Frantz. Sociologie d'une révolution, l'an V de la révolution algérienne. 4^e éd. François Maspero, Paris, 1966.
- 98- Fedi Laurent. «René Girard : le Darwin des sciences humaines ou un allumé qui se prend pour un phare, de René Pommier. éd. Kimé, Coll. détours littéraires, 2010», in : Le philosophoire, 2010/2, n° 34, pp. 117-122.
- 99- Ferréol Gilles, Deubel Philippe. Méthodologie des sciences sociales. Coll. CURSUS, éd : Armand Colin, Paris, 1993.
- 100- Flandrin Jean-louis. Familles. Parenté, maison, sexualité dans l'ancienne société. éd. Du Seuil, Paris, 1984.
- 101- Fontaine Anne-Marie, Pourtois Jean-Pierre. Regards sur l'éducation familiale, Représentation-Responsabilité-Intervention. éd. DeBoeck Université, Belgique, 1998.
- 102- Foucault Michel. Surveiller et punir : naissance de la prison. Gallimard, 1975.

- 103- Gabel Marceline. Les enfants victime d'abus sexuels. P.U.F.
- 104- Gauthier Benoît (dir.). Recherche sociale, de la problématique à la collecte des données. Presses de l'Université du Québec, 2002.
- 105- Gesell Arnold, Frances L, et collaborateurs. L'enfant de 05 à 10 ans. Trad. : Granjon Nadine, Lézine Irène, 10 éd, P.U.F, Paris, 1993.
- 106- Girard René. Des choses cachées depuis la fondation du monde. Grasset, Paris, 1978.
- 107- Girard René. Le bouc émissaire. Grasset, Paris, 1982.
- 108- Girard René. De la violence à la divinité. Grasset, Paris, 2007.
- 109- Grawitz Madeleine. Lexique des sciences sociales. 6 éd, Dalloz, Paris, 1994.
- 110- Hacking Ian. Entre science et réalité : La construction sociale de quoi ?, Trad. Baudouin Jurdant La Découverte, Paris, 2008.
- 111- Héritier Françoise (Ouvrage collectif). De la violence. t.1, O. Jacob, Coll. OPUS, Paris, 1996.
- 112- Hirigoyen Marie-France. Le harcèlement moral, la violence perverse au quotidien, Syros, Paris, 1998.
- 113- Jeammet Nicole. Les violences morales. Odile Jacobe, Paris, 2001.
- 114- Klein Mélanie. Envie et gratitude, et autres essais. Trad. Victor Smirnoff et collaborateurs, Gallimard, 1968.
- 115- Klineberg Otto. Psychologie sociale, textes fondamentaux. Trad. A. Lévy, tome 1, Coll. organisation et sciences humaines, Dunod, Paris, 1972.
- 116- Kuenzli-Monard Fabienne. «Déconstruction des idées reçues sur la violence : une alternative à la violence». in :Thérapie familiale, 2001/4, n° 22, pp. 397-412.
- 117- Labica Georges. Théorie de la violence. éd. Vrin, Paris, 2007.

- 118- Labica Georges. «Pour une théorie de la violence», (<http://www.marxau21.fr/> , consulté le 14/01/2013).
- 119- Laborit Henri. La colombe assassinée. 2 éd, Grasset, Paris, 1984.
- 120- Laborit Henri. L'agressivité détournée, introduction à une biologie du comportement social. Coll. 10/18, Union Générale d'Editions, Paris, 1970.
- 121- Lagrange Hugues. «Perception de la violence et sentiment d'insécurité». In : Déviance et société, 1984/Vol. 8, n°4, pp. 321-344.
- 122- Lazar Judith. La violence des jeunes : Comment fabrique-t-on des délinquants ?, Flammarion, France, 2002.
- 123- Lempert Bernard. Désamour. Coll. La couleur des idées, éd. Seuil, 1994.
- 124- Lempert Bernard. Critique de la pensée sacrificielle. Coll. La couleur des idées, éd. Seuil, 2000.
- 125- Lorenz Konrad. L'agression : une histoire naturelle du mal. Trad. Vilma Fritsch, Flammarion, Paris, 1969.
- 126- Mackenzie W. J. M.. Pouvoir, Violence, Décision. trad. Lévi Angélique, P.U.F., Paris, 1979.
- 127- Malewska-Peyre, Tap Pierre. La socialisation de l'enfance à l'adolescence. P.U.F, paris, 1991.
- 128- Marcelli Daniel. Enfance et psychopathologie. Coll. Les âges de la vie, 6 éd., Masson, Paris, 1999.
- 129- Martichoux Joëlle. Violence des jeunes, Les parents sont-ils démissionnaires ?, Prat Editions, France, 2000.
- 130- Martin-Mattera Patrick et all. Violence et victimation. Coll. Les Savoirs mieux, Presse Universitaire du Septentrion, France, 2011.
- 131- Marzano Michela (sous la dir.). Dictionnaire de la violence. P.U.F./Quadrige, Paris, 2011.

- 132- Mead Margaret, Métraux Rhoda. Aspects du présent. Trad. Faure-cousin Jeanne, éd. Denoel/Gonthier, Paris, 1982.
- 133- Medhar Slimane. La violence sociale en Algérie. éd. Thala, Alger, 1997.
- 134- Megherbi Abdelghani. Le monde musulman de la naissance à la renaissance. Librairie-Edition du Parti, Alger, 1977.
- 135- Megherbi Abdelghani. Culture et personnalité algérienne de Massinissa à nos jours. ENAL/OPU, Alger, 1986.
- 136- Mellon Christian, Semelin Jacques. La non-violence. coll. Que-sais-je?, P.U.F., France, 1994.
- 137- Memmi Albert. Ce que je crois. Grasset, Paris, 1985.
- 138- Mendras Henri, Forsé Michel. Le changement social, tendance et paradigmes. éd. Armand Colin, Paris, 1983.
- 139- Mendras Henri, Oberti Marco. Le sociologue et son terrain, trente recherche exemplaires. Coll. U, éd Armand Colin, Paris, 2000.
- 140- Merton Robert Karl. Elément de théorie et de méthode sociologique. Trad. Mendras Henri, coll : U, éd : Armand Colin, Paris, 1997.
- 141- Meyran Régis (Coordonné par). Les mécanismes de la violence : Etats, Institutions, Individu. Sciences Humaines Editions, France, 2006.
- 142- Michaud Yves. La violence. coll. Que sais-je ?, 3^e éd., P.U.F., France, 1992.
- 143- Michaud Yves (Débat avec Olivier Mongin). La violence apprivoisée. Coll. Questions de société, Hachette, 1996.
- 144- Michaud Yves (sous la dir.). Qu'est-ce que la société?, vol. 3, Odile Jacob, Paris, 2000.
- 145- Michaud Yves. La violence. coll. Que sais-je ?, 6^e éd. (refondue), Point Delta, Beyrouth, 2010.

- 146- Michaud Yves. Changements dans la violence, essai sur la bienveillance universelle et la peur. Odile Jacob, Paris, 2002.
- 147- Miller Alice. C'est pour ton bien : Racines de la violence dans l'éducation de l'enfant. Trad. Jeanne Etoré, éd. Aubier, Paris, 1984.
- 148- Miller Alice. Libres de savoir : Ouvrir les yeux sur notre propre histoire. Flammarion, Paris, 2001.
- 149- Morin Pierre-charles, Bouchard Suzanne. Introduction aux théories de la personnalité. éd. Morin .
- 150- Moser Gabriel. L'Agression. Coll. Que sais-je?, P.U.F., Paris, 1987.
- 151- Moussaoui Abderrahmane. De la violence en Algérie, Les lois du chaos, Arles, Actes Sud/MMSH, 2006.
- 152- Mucchielli Laurent. L'invention de la violence : Des peurs, des chiffres, des faits. éd. Fayard, 2011.
- 153- Mucchielli Laurent. «Une société plus violente ? : Une analyse socio-historique des violences interpersonnelles en France, des années 1970 à nos jours». In : Déviance et société, 2008/2, Vol. 32, p. 115-147.
- 154- Mucchielli Laurent. «L'évolution de la délinquance des mineurs : Données statistiques et interprétation générale». Agora débats/jeunesses, 2010/3, n° 56, p. 87-101.
- 155- Muchembled Robert. Une histoire de la violence : de la fin du Moyen-Age à nos jours. Seuil, 2008.
- 156- Myers David G., Lamarche Luc. Psychologie Sociale. trad. : Rousselle Louise, éd. McGraw-Hill, Montréal, 1992.
- 157- Nassiet Michel. La violence, une histoire sociale. France XVIe-XVIIIe siècles. Coll. Epoque, éd. Champ Vallon, 2011.
- 158- Ndiaye Abou, Ferrand-Bechmann (dir.).Violences et société, Regards sociologiques. Coll. L'Epoque en débat, éd. Desclée de Brouwer, Paris, 2010.

- 159- Navet Georges, Vermeren Patrice. «Théories de la violence, politiques de la mémoire et sujets de la démocratie». in : Topique, 2003/2, n° 83, pp. 43-53.
- 160- Ogien Albert. Les règles de la pratique sociologique. P.U.F., Paris, 2007.
- 161- Olivier Christiane. Les parents face à la violence de l'enfant. Ed. Fayard, France, 2000.
- 162- Olivier Christiane. L'Ogre intérieur : De la violence personnelle et familiale. Fayard, 1998.
- 163- O.N.D.H. Formes contemporaines de la violence et culture de la paix. actes du colloque international, Alger, 1997.
- 164- Paugam Serge (dir.). L'enquête sociologique. 2^e éd. P.U.F., Paris, 2012.
- 165- Pourtois Jean-pierre. Blessure d'enfant. La maltraitance : théorie, pratique, et intervention. 2^e éd., DeBoeck Université, Bruxelles, 2000.
- 166- Pourtois Jean-pierre, Desmet Huguette et Lahaye Willy. «L'implicite des relations, base de l'éducation familiale». in : Education et Sociétés, 2008/2, n° 22, pp 87-96.
- 167- Régina Christophe. La violence des femmes : Histoire d'un tabou social. Ed. Max Milo, coll. : L'Inconnu, Paris, 2011.
- 168- Rey Alain, et collaborateurs. Le Robert, dictionnaire d'aujourd'hui, éd. Les dictionnaires Le Robert, Paris, 1993.
- 169- Roché Sebastian. La société incivile, Qu'est-ce que l'insécurité ?. Coll. L'épreuve des faits, Seuil, Paris, 1996.
- 170- Segalen Martine. Sociologie de la famille. 4e éd., Armand Colin, Paris, 1996.
- 171- Segalen Martine. A qui appartiennent les enfants?. éd. Tallandier, Paris, 2010.
- 172- Simmel Georg. Le conflit. éd. Circé, France, 2003.

- 173- Sorel George. *Réflexions sur la violence*. 11 éd, Du Seuil, Paris, 1990.
- 174- Straus Pierre, Manciaux Michel et collaborateurs. *L'enfant maltraité*. Préface de Henry Kempe, coll. Pédagogie psychosociale, éd. Fleurus, Paris, 1982.
- 175- Tacou Laurence (sous la dir.). *Les Cahiers de l'Herne : René Girard*. Editions de l'Herne, Paris, 2008.
- 176- Tocqueville Alexis de. *De la démocratie en Amérique*. Garnier-Flammarion, Paris, 1981.
- 177- UNESCO. *Revue internationale des sciences sociales, La violence*, n° : 4, vol : XXX, Paris, 1978.
- 178- UNESCO. *La violence et ses causes*. Paris, 1980.
- 179- Vulbeau Alain, «Focus -Responsabilité plutôt qu'autorité : Françoise Dolto et la parole comme volonté éducative», in : *Informations sociales*, 2009/4, n° 154.
- 180- Wiewiorka Michel. *Neuf leçons de sociologie*. Coll. Le monde comme il va, éd. Robert Laffont, Paris, 2008.
- 181- Wiewiorka Michel. *La violence*. Coll. Voix et regards Eds. Balland, Paris, 2004.
- 182- Wiewiorka Michel. «Détruire, se détruire dans la perspective sociologique du «Sujet»», in : *Revue française de psychanalyse*, 2009/4, Vol. 73, pp. 1023-1035.
- 183- Wiewiorka Michel. «Le nouveau paradigme de la violence (partie 1, 2 et 3)», in : *Cultures et Conflits*. N° 29-30, 1998, (En ligne, Consulté le 02 sep.2012).
- 184- Wiewiorka Michel. «Le retour du Sujet», in : *Journal français de psychiatrie*, 2007/1, n° 28.

185- Witkowski Pierrette. ««Il est interdit d'obéir» ou les dictatures familiales dont les tyrans sont des enfants...», in : Cahiers critiques de thérapie familiale et de pratiques de réseaux, 2005/1, n° 34, p. 53-67.

186- Yahyaoui Abdessalem, et collaborateurs. La violence : passage à l'acte et situation de rupture. éd. la pensée sauvage, Grenoble, 2000.

187- Zerdoumi Nefissa. Enfants d'hier. L'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien. Coll. Domaine Maghrébin, éd : François Maspero, Paris, 1982.

ملاحق

ملحق رقم 1: جداول إحصائية:

جدول رقم 1: توزيع العينة حسب فئات السن بدلالة متغير الجنس:

المجموع		فئات السن						الجنس
		من 41 عاما فأكثر		من 31 إلى 40 عاما		أقل من 31 عاما		
100	111	49,6	55	37,8	42	12,6	14	ذكور
100	156	23,1	36	35,9	56	41,0	64	إناث
100	267	34,1	91	36,7	98	29,2	78	المجموع

جدول رقم 2: توزيع العينة حسب المستوى التعليمي بدلالة متغير الجنس:

المجموع		المستوى الدراسي						الجنس
		جامعي		ثانوي		متوسط		
100	111	58,6	65	25,2	28	16,2	18	ذكور
100	156	80,8	126	14,7	23	4,5	7	إناث
100	267	71,5	191	19,1	51	9,4	25	المجموع

جدول رقم 3: الأكثر تعرضا للعنف من بين الأطفال بدلالة متغير الجنس:

المجموع		الأكثر تعرضا للعنف من بين الأطفال						جنس المبحوث
		دون فرق بينهم		الإناث		الذكور		
100	111	26,1	29	44,1	49	29,7	33	ذكور
100	156	23,1	36	43,6	68	33,3	52	إناث
100	267	24,3	65	43,8	117	31,8	85	المجموع

جدول رقم 4: الأكثر ممارسة للعنف من بين الأطفال بدلالة متغير الجنس:

المجموع		الأكثر ممارسة للعنف من بين الأطفال الذكور و الإناث						جنس المبحوث
		دون فرق بينهم		الإناث		الذكور		
100	111	16,2	18	7,2	8	76,6	85	ذكور
100	156	17,3	27	10,3	16	72,4	113	إناث
100	267	16,9	45	9,0	24	74,2	198	المجموع

جدول رقم 5: الأكثر ممارسة للعنف على الأطفال من بين الوالدين بدلالة متغير الجنس:

الجنس	الأكثر ممارسة للعنف على الأطفال من بين الوالدين						المجموع	
	الأب		الأم		دون فرق بينهما			
ذكور	44,1	49	35,1	39	20,7	23	100	111
إناث	41,0	64	39,7	62	19,2	30	100	156
المجموع	42,3	113	37,8	101	19,9	53	100	267

جدول رقم 7: ممارسة العنف بدلالة الجنس حسب الحالة المدنية:

الجنس	الحالة المدنية	ممارسة العنف				المجموع	
		نعم		لا			
ذكور	عازب	52,6	10	47,4	9	100	19
	متزوج	71,4	65	28,6	26	100	91
إناث	عازب	42,6	20	57,4	27	100	47
	متزوجة	65,7	69	34,3	36	100	105
المجموع	اعزب	45,5	30	54,5	36	100	66
	متزوج	68,4	134	31,6	62	100	196

ملاحظة: الجدول يضم وضعيتي متزوج و أعزب فقط.

جدول رقم 9: ممارسة العنف بدلالة المستوى التعليمي حسب الجنس:

المجموع		ممارسة العنف				الجنس	المستوى التعليمي
		لا		نعم			
100	46	21,7	10	78,3	36	ذكور	متوسط/ ثانوي
100	30	43,3	13	56,7	17	إناث	
100	65	38,5	25	61,5	40	ذكور	جامعي
100	126	41,3	52	58,7	74	إناث	
100	111	31,5	35	68,5	76	ذكور	المجموع
100	156	41,7	65	58,3	91	إناث	

جدول رقم 12: حالة الندم التي تتبع ممارسة العنف بدلالة تصور العنف كأسلوب للتعامل مع الآخر:

المجموع		حالة الندم بعد ممارسة العنف				تصور العنف كأسلوب ناجح للتعامل مع الآخر
		لا		نعم		
100	28	35,7	10	64,3	18	أسلوب ناجح
100	139	14,4	20	85,6	119	أسلوب غير ناجح
100	167	18,0	30	82,0	137	المجموع

جدول رقم 14: ممارسة العنف المنزلي بدلالة مستوى الرضا بالوضعية المهنية حسب الجنس:

المجموع		ممارسة العنف				الجنس	الرضا بالوضعية المهنية
		لا		نعم			
100	62	35,5	22	64,5	40	ذكور	راض
100	110	41,8	46	58,2	64	إناث	
100	49	26,5	13	73,5	36	ذكور	غير راض
100	35	45,7	16	54,3	19	إناث	
100	111	31,5	35	68,5	76	ذكور	المجموع
100	145	42,8	62	57,2	83	إناث	

جدول رقم 16: ممارسة الأفراد للعنف المنزلي بدلالة الرضا بالدخل حسب متغير الجنس:

المجموع		ممارسة العنف				الجنس	الرضا بالدخل
		لا		نعم			
100	49	34,7	17	65,3	32	ذكور	راض
100	89	46,1	41	53,9	48	إناث	
100	62	29,0	18	71,0	44	ذكور	غير راض
100	61	36,1	22	63,9	39	إناث	
100	111	31,5	35	68,5	76	ذكور	المجموع
100	150	42,0	63	58,0	87	إناث	

جدول رقم 18: ممارسة العنف المنزلي بدلالة تقييم المستوى المعيشي للأسرة، حسب الجنس:

المجموع		ممارسة العنف				الجنس	تقييم المستوى المعيشي للأسرة
		لا		نعم			
100	87	35,6	31	64,4	56	ذكور	حسن
100	144	40,3	58	59,7	86	إناث	
100	24	16,7	4	83,3	20	ذكور	سيء
100	12	58,3	7	41,7	5	إناث	
100	111	31,5	35	68,5	76	ذكور	المجموع
100	156	41,7	65	58,3	91	إناث	

جدول رقم 20: ممارسة العنف بدلالة تقييم الوضعية السكنية للأسرة، حسب الجنس:

المجموع		ممارسة العنف				الجنس	تقييم الوضعية السكنية للأسرة
		لا		نعم			
100	75	29,3	22	70,7	53	ذكور	حسن
100	127	44,1	56	55,9	71	إناث	
100	36	36,1	13	63,9	23	ذكور	سيء
100	29	31,0	9	69,0	20	إناث	
100	111	31,5	35	68,5	76	ذكور	المجموع
100	156	41,7	65	58,3	91	إناث	

جدول رقم 22: ممارسة العنف بدلالة الشعور بالراحة في المنزل، حسب الجنس:

المجموع		ممارسة العنف				الجنس	الشعور بالراحة في المنزل
		لا		نعم			
100	86	34,9	30	65,1	56	ذكور	نعم
100	132	43,9	58	56,1	74	إناث	
100	25	20,0	5	80,0	20	ذكور	لا
100	24	29,2	7	70,8	17	إناث	
100	111	31,5	35	68,5	76	ذكور	المجموع
100	156	41,7	65	58,3	91	إناث	

جدول رقم 24: ممارسة العنف بدلالة التعرض للضغط و الإزعاج في المنزل، حسب الجنس:

المجموع		ممارسة العنف				الجنس	التعرض للضغط و الإزعاج في المنزل
		لا		نعم			
100	45	17,8	8	82,2	37	ذكور	نعم
100	50	30,0	15	70,0	35	إناث	
100	66	40,9	27	59,1	39	ذكور	لا
100	106	47,2	50	52,8	56	إناث	
100	111	31,5	35	68,5	76	ذكور	المجموع
100	156	41,7	65	58,3	91	إناث	

جدول رقم 26: ممارسة العنف بدلالة تقييم العلاقات الأسرية، حسب الجنس:

المجموع		ممارسة العنف				الجنس	تقييم العلاقات بين أفراد الأسرة
		لا		نعم			
100	104	33,7	35	66,3	69	ذكور	حسن
100	139	41,7	58	58,3	81	إناث	
100	7	0,0	0	100	7	ذكور	سيئ
100	17	41,2	7	58,8	10	إناث	
100	111	31,5	35	68,5	76	ذكور	المجموع
100	156	41,7	65	58,3	91	إناث	

جدول رقم 28: أسباب الغضب المرافق للعنف بدلالة الجنس:

إناث		ذكور		فئات أسباب الغضب المرافق للعنف
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
26,8	19	32,8	21	حرمان مادي و اجتماعي
32,4	23	26,6	17	حرمان أسري
32,4	23	25,0	16	سبب مرتبط بالطفل
21,1	15	25,0	16	سبب مرتبط بالسلطة و فرض النظام
16,9	12	12,5	8	ضغوط نفسية
11,3	8	9,4	6	سبب مرتبط بالاستثمار في الطفل

ملاحظة: النسب محسوبة إلى حالات الغضب المصرح بأسبابه، 135 حالة، 64 من الذكور و 71 من الإناث.

جدول رقم 29: أسباب العنف ضد الأطفال في تصور الأفراد:

فئة أسباب العنف	التكرار	النسبة المئوية	النسبة إلى عدد الإجابات
حرمان اقتصادي اجتماعي	105	42,0	24,1
حرمان أسري	76	30,4	17,5
سبب مرتبط بالطفل	65	26,0	14,9
عدم المعرفة بالأساليب التربوية	55	22,0	12,6
السلطة و فرض النظام	48	19,2	11,0
نمط سلوك متعلم	28	11,2	6,4
الاستثمار في الطفل	24	9,6	5,5
ضغوط نفسية	19	7,6	4,4
غياب الحوار	15	6,0	3,4
المجموع	435	167,0	100

ملاحظة: سؤال مفتوح، متعدد الإجابات، النسب المئوية محسوبة إلى الإجابات المعبر عنها 250.

جدول 30: تكرار وقوع شجار بين الأشخاص الراشدين في الأسرة:

وقوع شجار بين الأشخاص الراشدين	التكرار	النسبة المئوية
تقريبا يوميا	12	4,5
أحيانا كثيرة	34	12,7
أحيانا قليلة	89	33,3
نادرا	57	21,3
لا	75	28,1
المجموع	267	100,0

جدول رقم 31: تكرار وقوع شجار بين الأطفال في الأسرة:

وقوع شجار بين الأطفال في الأسرة	التكرار	النسبة المئوية
تقريبا يوميا	43	16,1
أحيانا كثيرة	82	30,7
أحيانا قليلة	92	34,5
نادرا	23	8,6
لا	27	10,1
المجموع	267	100,0

جدول رقم 34: تكرار تعرض الأفراد للعنف من الأب و الأم:

تعرض الأفراد للعنف من الأب و الأم	التكرار	النسبة المئوية
تقريبا يوميا	2	0,7
أحيانا كثيرة	15	5,6
أحيانا قليلة	81	30,3
نادرا	69	25,8
لا	100	37,5
المجموع	267	100

جدول رقم 36: تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية بدلالة الجنس:

الجنس	تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية				المجموع	
	إيجابي		سلبي			
ذكر	54	68,4	25	31,6	79	100
أنثى	59	67,0	29	33,0	88	100
المجموع	113	67,7	54	32,3	167	100

جدول رقم 37: تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية بدلالة المستوى التعليمي:

المستوى التعليمي	تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية				المجموع	
	إيجابي		سلبي			
متوسط/ثانوي	38	77,8	11	22,2	49	100
جامعي	75	63,6	43	36,4	118	100
المجموع	113	67,7	54	32,3	167	100

جدول رقم 41: تعرّض الأفراد للعنف من قبل المعلّمين في المدرسة:

تعرّض الأفراد للعنف من قبل المعلّمين	التكرار	النسبة المئوية
نعم	155	58,1
لا	112	41,9
المجموع	267	100

جدول رقم 43: تقييم تأثير عنف المعلّم من الناحية التربوية بدلالة الجنس:

الجنس	تقييم تأثير عنف المعلم من الناحية التربوية				المجموع	
	إيجابي		سلبي			
ذكر	18	26,1	51	73,9	69	100
أنثى	32	37,2	54	62,8	86	100
المجموع	50	32,3	105	67,7	155	100

جدول رقم 44: تقييم تأثير عنف المعلم من الناحية التربوية بدلالة المستوى التعليمي:

المستوى التعليمي	تقييم تأثير عنف المعلم من الناحية التربوية				المجموع	
	إيجابي		سلبي			
متوسط/ثانوي	13	35,1	24	64,9	37	100
جامعي	37	31,4	81	68,6	118	100
المجموع	50	32,3	105	67,7	155	100

جدول رقم 47: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال في الأسرة:

استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال	التكرار	النسبة المئوية
نعم	111	41,6
لا	156	58,4
المجموع	267	100

جدول رقم 48: استعمال الأب و الأم للضرب في تعاملهم مع الأطفال:

المجموع		استعمال الأم للضرب				استعمال الأب للضرب
		لا		نعم		
41,9	112	14,6	39	27,3	73	نعم
58,1	155	43,8	117	14,2	38	لا
100	267	58,4	156	41,6	111	المجموع

ملاحظة: النسب محسوبة للمجموع الكلي.

جدول رقم 49: استعمال الأب و الأم للضرب بالنسبة للأفراد الذين يستعملون الضرب:

المجموع	استعمال الأم للضرب		استعمال الأب للضرب
	لا	نعم	
58,6 65	16,2 18	42,3 47	نعم
41,4 46	19,8 22	21,6 24	لا
100 111	36,0 40	64,0 71	المجموع

ملاحظة: النسب محسوبة للمجموع الكلي.

جدول رقم 50: استعمال الأب و الأم للضرب بالنسبة للأفراد الذين لا يستعملون الضرب:

المجموع	استعمال الأم للضرب		استعمال الأب للضرب
	لا	نعم	
30,1 47	13,5 21	16,7 26	نعم
69,9 109	60,9 95	9,0 14	لا
100 156	74,4 116	25,6 40	المجموع

جدول رقم 51: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تقييم تأثير عنف الوالدين من

الناحية التربوية:

المجموع	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال		تقييم تأثير عنف الوالدين من الناحية التربوية
	لا	نعم	
100 113	42,5 48	57,5 65	إيجابي
100 54	55,6 30	44,4 24	سلبي
100 100	78,0 78	22,0 22	غير معني
100 267	58,4 156	41,6 111	المجموع

ملاحظة: "غير معني" هم الأشخاص الذين لم يتعرضوا للعنف من والديهم.

جدول رقم 52: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تقييم تأثير عنف المعلم من الناحية

التربوية:

المجموع	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال		تقييم تأثير عنف المعلم من الناحية التربوية
	لا	نعم	
100 50	44,0 22	56,0 28	إيجابي
100 105	58,1 61	41,9 44	سلبي
100 112	65,2 73	34,8 39	غير معني
100 267	58,4 156	41,6 111	المجموع

ملاحظة: "غير معني" هم الأشخاص الذين لم يتعرضوا للعنف من المعلم.

جدول رقم 55: تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر:

العنف أسلوب ناجح في التعامل مع الآخر	التكرار	النسبة المئوية
نعم	38	14,2
لا	229	85,8
المجموع	267	100

جدول رقم 56: تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر بدلالة الجنس:

الجنس	تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر				المجموع	
	نعم		لا			
ذكور	19	17,1	92	82,9	111	100
إناث	19	12,2	137	87,8	156	100
المجموع	38	14,2	229	85,8	267	100

جدول رقم 57: تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر بدلالة الحالة المدنية:

الحالة المدنية	تصور العنف كأسلوب ناجح مع الآخر				المجموع	
	نعم		لا			
أعزب	12	18,2	54	81,8	66	100
متزوج	25	12,8	171	87,2	196	100
مطلق	1	50,0	1	50,0	2	100
أرمل	0	0,0	3	100,0	3	100
المجموع	38	14,2	229	85,8	267	100

جدول رقم 58: تصور العنف كأسلوب ناجح في التعامل مع الآخر بدلالة المستوى التعليمي:

المستوى التعليمي	تصور العنف كأسلوب ناجح مع الآخر				المجموع	
	نعم		لا			
متوسط/ثانوي	12	15,8	64	84,2	76	100
جامعي	26	13,6	165	86,4	191	100
المجموع	38	14,2	229	85,8	267	100

جدول رقم 59: التعرض للعنف خارج الأسرة:

التكرار	النسبة المئوية	التعرض للعنف خارج الأسرة
95	35,6	نعم
172	64,4	لا
267	100	المجموع

جدول رقم 60: تصور مستقبل المجتمع من حيث حجم العنف:

التكرار	النسبة المئوية	تصور مستقبل المجتمع من حيث حجم العنف
241	90,3	أكثر عنفا
26	9,7	أكثر سلما
267	100	المجموع

جدول رقم 61: استعمال العنف في التعامل خارج الأسرة:

التكرار	النسبة المئوية	استعمال العنف في التعامل خارج الأسرة
39	14,6	نعم
228	85,4	لا
267	100	المجموع

جدول رقم 62: تفضيل أساليب أخرى غير العنف في التعامل خارج الأسرة:

النسبة المئوية	التكرار	تفضيل أساليب أخرى غير العنف للتعامل خارج الأسرة
94,8	253	نعم
5,2	14	لا
100	267	المجموع

جدول رقم 65: تصور العنف كنوع من التنشئة على الخشونة لفائدة الطفل بدلالة الجنس:

المجموع		تصور العنف لفائدة الطفل				الجنس
		لا		نعم		
100	111	91,0	101	9,0	10	ذكور
100	156	94,2	147	5,8	9	إناث
100	267	92,9	248	7,1	19	المجموع

جدول رقم 66: ممارسة العنف بدلالة تصور العنف كنوع من التنشئة على الخشونة لفائدة الطفل:

المجموع		ممارسة العنف				العنف كنوع من التنشئة على الخشونة لفائدة الطفل
		لا		نعم		
100	19	36,8	7	63,2	12	نعم
100	248	37,5	93	62,5	155	لا
100	267	37,5	100	62,5	167	المجموع

جدول رقم 67: تصور موقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل بدلالة

الجنس:

المجموع		الإسلام يجيز استعمال العنف في التعامل مع الأطفال				الجنس
		لا		نعم		
100	110	54,5	60	45,5	50	ذكور
100	148	56,8	84	43,2	64	إناث
100	258	55,8	144	44,2	114	المجموع

جدول رقم 68: تصور موقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل بدلالة الحالة

المدنية:

المجموع		الإسلام يجيز استعمال العنف في التعامل مع الأطفال				الحالة المدنية
		لا		نعم		
100	65	49,2	32	50,8	33	أعزب
100	188	57,4	108	42,6	80	متزوج
100	2	50,0	1	50,0	1	مطلق
100	3	100	3	0,0	0	أرمل
100	258	55,8	144	44,2	114	المجموع

جدول رقم 69: تصور موقف الإسلام من إجازة استعمال العنف في التعامل مع الطفل بدلالة

المستوى التعليمي:

المستوى التعليمي	الإسلام يجيز استعمال العنف في التعامل مع الأطفال				المجموع	
	لا		نعم			
متوسط/ثانوي	29	39,7	44	60,3	73	100
جامعي	85	45,9	100	54,1	185	100
المجموع	114	44,2	144	55,8	258	100

جدول رقم 72: تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل بدلالة الجنس:

الجنس	تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل				المجموع	
	نعم		لا			
ذكور	24	21,6	87	78,4	111	100
إناث	29	18,6	127	81,4	156	100
المجموع	53	19,9	214	80,1	267	100

جدول رقم 73: تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل بدلالة المستوى التعليمي:

المستوى التعليمي	تصور العنف كأسلوب ناجح في تربية الطفل				المجموع	
	نعم		لا			
متوسط/ثانوي	17	22,4	59	77,6	76	100
جامعي	36	18,8	155	81,2	191	100
المجموع	53	19,9	214	80,1	267	100

جدول رقم 77: تصور موقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة الجنس:

الجنس	الإسلام يميز الضرب في التعامل مع الطفل				المجموع	
	نعم		لا			
ذكور	75	70,8	31	29,2	106	100
إناث	94	63,9	53	36,1	147	100
المجموع	169	66,8	84	33,2	253	100

جدول رقم 78: تصور موقف الإسلام من استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة المستوى

التعليمي:

المستوى التعليمي	الإسلام يميز الضرب في التعامل مع الطفل				المجموع	
	موافق		غير موافق			
متوسط/ثانوي	42	58,3	30	41,7	72	100
جامعي	127	70,2	54	29,8	181	100
المجموع	169	66,8	84	33,2	253	100

جدول رقم 81: تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملا معه بعنف بدلالة الجنس:

الجنس	تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملا معه بعنف				المجموع	
	نعم		لا			
ذكور	28	25,2	83	74,8	111	100
إناث	26	16,7	130	83,3	156	100
المجموع	54	20,2	213	79,8	267	100

جدول رقم 82: تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملا معه بعنف، بدلالة الحالة المدنية:

الحالة المدنية	تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملا معه بعنف				المجموع	
	نعم		لا			
أعزب	18	27,3	48	72,7	66	100
متزوج	36	18,4	160	81,6	196	100
مطلق	0	0,0	2	100	2	100
أرمل	0	0,0	3	100	3	100
المجموع	54	20,2	213	79,8	267	100

جدول رقم 83: تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملا معه بعنف بدلالة المستوى التعليمي:

المستوى التعليمي	تصور الطفل ملك لوالديه يمكن أن يتعاملا معه بالعنف		المجموع	
	نعم	لا		
متوسط/ثانوي	22	54	76	100
جامعي	32	159	191	100
المجموع	54	213	267	100

جدول رقم 86: الموقف من حق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل بدلالة الجنس:

الجنس	الموقف من حق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل		المجموع	
	موافق	غير موافق		
ذكور	72	36	108	100
إناث	109	40	149	100
المجموع	181	76	257	100

جدول رقم 87: الموقف من حق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل بدلالة الحالة

المدنية:

الحالة المدنية	الموقف من حق الدولة في التدخل في حال العنف المنزلي على الطفل				المجموع	
	موافق		غير موافق			
أعزب	42	68,9	19	31,1	61	100
متزوج	135	70,7	56	29,3	191	100
مطلق	1	50,0	1	50,0	2	100
أرمل	3	100	0	0,0	3	100
المجموع	181	70,4	76	29,6	257	100

جدول رقم 94: ممارسة العنف بدلالة تصور "السلطة و فرض النظام" داخل الأسرة من أسباب

العنف على الأطفال:

المجموع	ممارسة العنف				"السلطة و فرض النظام" من أسباب العنف على الأطفال	
	لا		نعم			
100	48	31,3	15	68,8	33	نعم
100	202	37,6	76	62,4	126	لا
100	250	36,4	91	63,6	159	المجموع

جدول رقم 95: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور "السلطة و فرض النظام"

داخل الأسرة من أسباب العنف على الأطفال:

المجموع	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال				"السلطة و فرض النظام" من أسباب العنف على الأطفال	
	لا		نعم			
100	48	50,0	24	50,0	24	نعم
100	202	58,4	118	41,6	84	لا
100	250	56,8	142	43,2	108	المجموع

جدول رقم 96: ممارسة العنف بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم الحوار:

المجموع		ممارسة العنف				تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم الحوار
		لا		نعم		
100	81	37,0	30	63,0	51	نعم
100	165	37,0	61	63,0	104	لا
100	246	37,0	100	63,0	155	المجموع

جدول رقم 97: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في

مفهوم الحوار:

المجموع	استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال				تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم الحوار	
	لا		نعم			
100	81	58,0	47	42,0	34	نعم
100	165	58,2	96	41,8	69	لا
100	246	58,1	143	41,9	103	المجموع

جدول رقم 98: ممارسة العنف بدلالة تصور من أسباب العنف ضد الأطفال "العوامل المرتبطة

بالطفل":

المجموع	ممارسة العنف				من أسباب العنف ضد الأطفال "العوامل المرتبطة بالطفل"	
	لا		نعم			
100	65	20,0	13	80,0	52	نعم
100	185	42,2	78	57,8	107	لا
100	250	36,4	91	63,6	159	المجموع

جدول رقم 99: تخصيص وقت للاهتمام بالأطفال:

النسبة المئوية	التكرار	تخصيص وقت للاهتمام بالأطفال
82,4	220	نعم
17,6	47	لا
100	267	المجموع

جدول رقم 100: تلقّي الأطفال للدعم الدراسي:

النسبة المئوية	التكرار	تلقّي الأطفال للدعم الدراسي
61,4	164	نعم
38,6	103	لا
100	267	المجموع

جدول رقم 108: تصور الطفل كعبء اقتصادي على الوالدين:

النسبة المئوية	التكرار	الطفل عبء اقتصادي
20,2	54	نعم
79,8	213	لا
100	267	المجموع

جدول رقم 112: تكرار "التعزيز الإيجابي" في تدخلات الأفراد بدلالة المستوى التعليمي:

المجموع		تكرار "التعزيز الإيجابي" في تدخلات الأفراد						المستوى التعليمي
		5-3		2-1		0		
100	68	10,3	7	47,1	32	42,6	29	متوسط-ثانوي
100	189	19,0	36	63,0	119	18,0	34	جامعي
100	257	16,7	43	58,8	151	24,5	63	المجموع

جدول رقم 113: تكرار "التعزيز السلبي" في تدخلات الأفراد بدلالة المستوى التعليمي:

المجموع		تكرار التعزيز السلبي في تدخلات الأفراد						المستوى الدراسي
		5-3		2-1		0		
100	68	47,1	32	36,8	25	16,2	11	متوسط-ثانوي
100	189	40,2	76	42,3	80	17,5	33	جامعي
100	257	42,0	108	40,9	105	17,1	44	المجموع

جدول رقم 118: تصور الأفراد لمستوى معرفة الآباء بالأساليب التربوية الصحيحة:

تصور الأفراد لمستوى معرفة الآباء بالأساليب التربوية الصحيحة	التكرار	النسبة المئوية
يعرفون جيدا	3	1,1
يعرفون	84	31,5
لا يعرفون	153	57,3
يجهلون تماما	27	10,1
المجموع	267	100

جدول رقم 121: تصور الضرب كأسلوب ناجح في تربية الطفل:

الضرب أسلوب ناجح في تربية الطفل	التكرار	النسبة المئوية
موافق	114	42,7
غير موافق	153	57,3
المجموع	267	100

جدول رقم 124: الموقف من منع استعمال الضرب في المؤسسات التربوية:

الموقف من منع استعمال الضرب	التكرار	النسبة المئوية
موافق	170	63,7
غير موافق	97	36,3
المجموع	267	100

جدول رقم 127: استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال بدلالة تصور العلاقة والدين/طفل في

مفهوم المسؤولية:

المجموع		استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال				تصور العلاقة والدين/طفل في مفهوم المسؤولية
		لا		نعم		
100	146	54,1	79	45,9	67	نعم
100	100	64,0	64	36,0	36	لا
100	246	58,1	143	41,9	103	المجموع

استمارة بحث

- يندرج هذا البحث في إطار تحضير أطروحة دكتوراه العلوم، تخصص علم الاجتماع الثقافي، حول موضوع: "العنف ضد الأطفال في الوسط الأسري"
- هذه الاستمارة موجهة للأشخاص من فئة العمر 20 عاما فأكثر، الذين يقيمون في أسر تضمّ على الأقل طفلا واحدا.
- المعلومات المحصّل عليها من هذه الاستمارة تستعمل فقط لأغراض علمية.
- إن نجاح هذا البحث يتوقف على مدى تجاوبكم معنا من خلال الإجابة بجدية و صدق على أسئلة الاستمارة.
- في هذا البحث نقصد بالطفل(أو الأطفال) كلا من الذكور و الإناث الذين تقل أعمارهم عن 18 عاما.
- تكون الإجابة على كل سؤال بوضع علامة X في المربع الموجود أمام الإجابة المناسبة، أو بالكتابة بخط واضح في المكان المخصّص لها و المشار إليه بنقاط، بحيث لا تتعدى الإجابة هذا المكان.

شكرا على تعاونكم معنا و مساهمتكم في إنجاح هذا البحث.

I- بيانات شخصية:

- 1- السن:
- 2- الجنس: ☐ ذكور ☐ إناث
- 3- الحالة المدنية: متزوج(ة) ☐ عازب(ة) ☐ مطلق(ة) ☐ أرمل(ة) ☐
- 4- المستوى الدراسي: ابتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐
- 5- عدد الأطفال في الأسرة:
- 6- الوضعية المهنية:

II- أسئلة حول الوضعية الاقتصادية الاجتماعية للأسرة:

- 7- ما هو مستوى رضاك بوضعيتك المهنية؟
☐ راض ☐ غير راض
- 8- ما هو مستوى رضاك بالدخل و بإمكانياتك المادية عامة؟
☐ راض ☐ غير راض
- 9- ما هو تقييمك للوضعية السكنية للأسرة؟
☐ حسنة ☐ سيئة
- 10- هل تشعر بالراحة أثناء وجودك بالمنزل؟ ☐ نعم ☐ لا
- 11- هل تتعرض للضغط أو الإزعاج أثناء وجودك بالمنزل؟ ☐ نعم ☐ لا
- في حال الإجابة بنعم، ما هو مصدر أو سبب الإزعاج؟
.....
.....
- 12- ما هو تقييمك للمستوى المعيشي للأسرة؟ ☐ حسن ☐ سيئ
- 13- ما هو تقييمك للعلاقات بين أفراد الأسرة؟ ☐ حسنة ☐ سيئة
- 14- هل تجلسون عادة في إطار الأسرة للتداول من أجل تسيير شؤون الأسرة و حل مشكلاتها؟ ☐ نعم ☐ لا
- 15- هل تعتقد أن هناك حوار بين أفراد أسرتك بالقدر الكافي؟
☐ نعم ☐ لا

III- أسئلة حول العنف:

16- ما هو العنف في تصوُّرك، و فيما يمكن أن يتمثل؟

.....

.....

.....

17- هل تعتقد أن المجتمع يسير نحو مستقبل أكثر عنفا أم أكثر سلما؟

أكثر عنفا ☐ أكثر سلما ☐

18- هل حدث أن تعرّضت للعنف أو الاعتداء من طرف شخص ما خارج الأسرة؟

نعم ☐ لا ☐

19- هل تستعمل عادة العنف في تعاملك مع الناس خارج الأسرة؟

نعم ☐ لا ☐

- في حال الإجابة بنعم، فيما يتمثل هذا العنف؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

20- ما هي حسب تصوُّرك الأسباب التي تؤدي إلى استعمال العنف في التعامل مع الناس خارج الأسرة؟

.....

.....

.....

21- هل هناك أساليب أخرى غير العنف تفضّلها للتعامل مع الناس خارج الأسرة؟

نعم ☐ لا ☐

- في حال الإجابة بنعم، ما هي هذه الأساليب؟

.....

.....

22- استعمال العنف أسلوب ناجح في التعامل مع الآخر، ما هو موقفك من هذا؟

موافق ☐ غير موافق ☐

- برّر موقفك:

IV- أسئلة حول العنف الأسري:

23- هل يحدث أن تقع مشاجرات بين الأشخاص الراشدين في الأسرة؟

نعم ☐ لا ☐

- في حال الإجابة بنعم، فيما تتمثل هذه المشاجرات؟

- كم تتكرّر هذه المشاجرات؟

تقريبا يوميا ☐ أحيانا كثيرة ☐ أحيانا قليلة ☐ نادرا ☐

24- هل يحدث أن تقع مشاجرات بين الأطفال في الأسرة؟

نعم ☐ لا ☐

- في حال الإجابة بنعم، كم تتكرر هذه المشاجرات؟

تقريبا يوميا ☐ أحيانا كثيرة ☐ أحيانا قليلة ☐ نادرا ☐

25- هل يحدث أن تمارس عنفا ما على أحد أفراد الأسرة؟

نعم ☐ لا ☐

- في حال الإجابة بنعم، كم يتكرر ذلك؟

تقريبا يوميا ☐ أحيانا كثيرة ☐ أحيانا قليلة ☐ نادرا ☐

- ضد من يكون هذا العنف موجهها في الغالب؟

- فيما يتمثل هذا العنف ؟

- عند ممارستك لهذا العنف هل تعتقد أنك كنت في حالة غضب أم لا؟
في حالة غضب ☐ في غير غضب ☐

- إذا كان الجواب في حالة غضب، فما هو سبب هذا الغضب؟
.....
.....

- هل يتبع ممارستك لهذا العنف حالة من الندم؟ نعم ☐ لا ☐

26- من هو الأكثر ممارسة للعنف ضد الأطفال داخل الأسرة؟

الأب ☐ الأم ☐ ليس هناك فرق ☐

27- من هو الأكثر ممارسة للعنف من بين الأطفال داخل الأسرة؟

الذكور ☐ الإناث ☐ ليس هناك فرق ☐

28- من هو الأكثر عرضة للعنف من بين الأطفال داخل الأسرة؟

الذكور ☐ الإناث ☐ ليس هناك فرق ☐

29- ما هي حسب تصورك الأسباب التي تؤدي إلى العنف ضد الأطفال داخل الأسرة؟
.....
.....
.....

30- يعتقد البعض أن استعمال العنف مع الأطفال سيجعلهم ينشئون على الخشونة و هذا
يضمن لهم مكانهم في المجتمع، ما رأيك أنت؟ موافق ☐ غير موافق ☐

اشرح:.....
.....
.....

31- الطفل ملك لوالديه، يمكن أن يتصرفا معه بعنف إذا أرادا ذلك، ما هو موقفك من هذا؟

موافق ☐ غير موافق ☐

برّر موقفك:.....
.....
.....

32- الإسلام يجيز استعمال العنف في التعامل مع الأطفال، ما هو موقفك من هذا؟

موافق ☐ غير موافق ☐

اشرح إجابتك:.....

33- من حق الدولة التدخل في حال استعمال الوالدين للعنف مع أطفالهم، ما هو موقفك من هذا؟

موافق ☐ غير موافق ☐

34- استعمال العنف أسلوب ناجح في تربية الأطفال، ما هو موقفك من هذا؟

موافق ☐ غير موافق ☐

برّر إجابتك:.....

35- هل تذكر أنك تعرّضت للعنف من طرف والديك؟

- من طرف الأب: نعم ☐ لا ☐
- من طرف الأم: نعم ☐ لا ☐
- في حال الإجابة بنعم، فيما تمثل هذا العنف؟

- كم كان يتكرر ذلك؟
تقريبا يوميا ☐ أحيانا كثيرة ☐ أحيانا قليلة ☐ نادرا ☐

- كيف تتصور تأثير ذلك عليك من الناحية التربوية؟

تأثير إيجابي ☐ تأثير سلبي ☐

اشرح ذلك:.....

36- هل تذكر أنك تعرّضت للعنف من طرف معلّميك في المؤسسات التعليمية التي درست بها؟

نعم ☐ لا ☐

- في حال الإجابة بنعم، فيما تمثل هذا العنف؟

.....

- كيف تتصور تأثير ذلك عليك من الناحية التربوية؟

تأثير إيجابي ☐ تأثير سلبي ☐

اشرح ذلك:.....

.....

V- أسئلة حول الأساليب التربوية و الدور الوالدي:

37 - هل تستعمل الضرب في تعاملك مع الأطفال في الأسرة؟

نعم ☐ لا ☐

38- هل استعمل أو يستعمل أبوك الضرب في تعامله مع الأطفال في الأسرة؟

نعم ☐ لا ☐

39- هل استعملت أو تستعمل أمك الضرب في تعاملها مع الأطفال في الأسرة؟

نعم ☐ لا ☐

40- استعمال الضرب أسلوب ناجح في تربية الأطفال، ما هو موقفك من هذا؟

موافق ☐ غير موافق ☐

برّر ذلك:.....

.....

41- الإسلام يجيز استعمال الضرب في التعامل مع الأطفال، ما هو موقفك من هذا؟

موافق ☐ غير موافق ☐

إشرح إجابتك:.....

.....

.....

42- هل أنت موافق على منع استعمال الضرب في المؤسسات التعليمية و التربوية؟

☐ لا

☐ نعم

43- ما هي أساليب العقاب التي تستخدمها مع الأطفال في الأسرة؟

☐ العقاب البدني (الضرب و غيره)

☐ حرمانهم من أغراض ما يرغبون فيها

☐ مقاطعتهم و عدم الحديث إليهم

☐ تكليفهم بأعمال ما لا يرغبون فيها

☐ تهديدهم بالضرب

☐ الصراخ و إبداء الغضب عليهم

☐ تخويفهم بأشياء ما

أخرى(أذكرها):.....

44- ما هي حسب تصورك أحسن طريقة للتدخل في المواقف التالية؟

- قام أحد الأطفال بكتابة أو رسم على جدران المنزل:

.....

.....

- حدث شجار بين طفلين في المنزل:

.....

.....

- تحصّل أحد أطفال الأسرة على نتائج دراسية سيئة:

.....

.....

- كسر أحد أطفال الأسرة أنية منزلية:

.....

.....

- رفض أحد أطفال الأسرة شراء أو إحضار شيء ما طُلب منه:

.....
.....

- هل هذه هي الطرق التي تتدخل بها في الواقع؟ ☐ نعم ☐ لا

45- ما هي الأساليب التربوية التي تعرفها للتعامل مع الطفل؟

.....
.....
.....
.....
.....

46- ما هو حسب تصورك مستوى معرفة غالبية الآباء بالأساليب التربوية الصحيحة للتعامل مع أطفالهم؟

يعرفون جيدا ☐ يعرفون ☐ لا يعرفون ☐ يجهلون تماما ☐

47- حسب تصوُّرك، فيما يتمثل دور الوالدين تجاه أطفالهم؟

.....
.....
.....
.....
.....

48- هل تخصصّ قدرا من وقتك للاهتمام بالأطفال من الناحية التربوية؟

نعم ☐ لا ☐

- في حال الإجابة بنعم، فيما يتمثل هذا الاهتمام؟

.....
.....

- كم من الوقت تخصصّ لذلك؟

49- هل يتلقّى الأطفال تعليماً ما أو دعماً لاستيعاب دروسهم، بالإضافة إلى المدرسة؟

☐ نعم ☐ لا

50- هل يمارس الأطفال نشاطاً ما رياضياً أو ثقافياً، خارج المدرسة؟

☐ نعم ☐ لا

51- يعتقد البعض أن الأطفال يشكّلون عبئاً اقتصادياً على آبائهم، هل توافقهم الرأي؟

☐ نعم ☐ لا

اشرح:.....
.....

52- حاول أن تعطي ثلاث إلى خمس كلمات أو جمل مختصرة تصف بها تصوُّرك لما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الأطفال و والديهم:

-
-
-
-
-

شكراً.